بوزياني الدراجي

سلسلة العصبية القبلية



القبائل الأمازيغية

أدوارها مواطنها أعيانها

أدوارها مواطنها أعيانها





دار الكتاب العربي

بوزياني الدراجي

القبائل الأمازيغية

أدوارها - مواطنها - أعيانها

الجزء الأول



دار الكتاب العربي

دار الكتاب العربي
للطباعة، النشر، التوزيع والترجمة

حي العناصر عمارة 309 رقم 03. القبة. الجزائر
الهاتف/فاكس: 021 31.44.51
الجـوال: 070 91.77.73

تأليف: بوزياني الدراجي
تصميم الغلاف: لويزة الحسين
الإخراج الفني: فراس الجهماني

الإيداع القانوني:152-2007
ردمــك: 978-9947-833-98-4

بوزياني الدراجي
القبائل الأمازيغية ج1، تصميم الغلاف لويزة الحسين، الإخراج الفني فراس الجهماني .- الجزائر: دار الكتاب العربي، 2007.- 292ص.، 23سم

إهداء

إلى الذين سهروا الليالي في سبيل نحت سطور لا تنمحي...

إلى الذين جدوا وكدوا في سبيل التعليم والتعلم...

إلى الذين اختاروا سلاح القرطاس والقلم، لمواجهة جيوش الجهل والظلام...

إلى الذين آمنوا بأن الفقر... كل الفقر يكمن في فراغ الأدمغة، وضحالة العقول...

إليكم جميعا أهدي هذه الباقة المزخرفة من تراث بلادي، وهذه العينات من فرسان العلوم بهذه الربوع.

بوزياني الدراجي

مقدمة

يدخل هذا الكتاب ضمن سلسلة من الأعمال التي تعالج موضوع العصبية القبلية في المغرب الإسلامي. فبعد كتاب القبائل الأمازيغية؛ سوف تتبعه كتب أخرى؛ من بينها كتاب يدرس موضوع القبائل العربية في هذه الديار، وكتاب دول المغرب ودور العصبية في قيامها وسقوطها، وكتاب العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية، وكتاب أثر العصبية القبلية في النظم: السياسية والإدارية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والدينية.

بدأت في الاشتغال بموضوع العصبية خلال السبعينيات؛ عندما وجدت نفسي في خضم إعداد أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي. وفي تلك الأثناء؛ وجدت عونا كبيرا من أستاذي الفاضل الدكتور لقبال موسى؛ فعملت بتوجيهاته المفيدة؛ فكان لي خير عون وسند؛ وبالمناسبة أشكره شكرا جزيلا على كرمه العلمي، ومعاناته، وسهره في قراءة ما كنت أعرضه عليه من فصول بحثي؛ فلا يبخل بالنصيحة والتوجيه.

ويعتبر موضوع القبائل الأمازيغية من المتطلبات الملحة، والهامة التي كان من الواجب العمل على معالجته في وقت سابق؛ غير أن ذلك لم يتحقق لأسباب عديدة؛ نتركها للمهتمين بها. لذا لم يحدث أن ظهر في سوق الكتب ـــ في العصر الحديث ـــ أي كتاب، أو دراسة شاملة ـــ باللغة العربية ـــ عن القبائل الأمازيغية بالمغرب الإسلامي؛ مع أننا شاهدنا مراجع أخرى ظهرت؛ وكانت تدرس موضوع القبائل العربية في بلاد المغرب. ولما أحسست بهذا الفراغ العجيب..!! أردت تدارك الأمر؛ والبدء بموضع القبائل الأمازيغية في بلاد المغرب الإسلامي. لعلي أكون قد قمت بسد ثغرة في تاريخ بلادنا؛ لم يقم أحد بسدها ـــ بشكل شامل ـــ منذ عصر ابن خلدون؛ الذي انفرد ـــ حتى يومنا ـــ بهذا العمل الهام.

وليس معنى هذا أن المؤرخين في البلدان المغربية تجاهلوا ـــ تماما ـــ موضوعا كهذا. بل قام بعضهم؛ مثل: مبارك الميلي، وعبد الوهاب ابن منصور بالحديث عن القبائل الأمازيغية؛ ولكن بشكل مقتضب؛ أو ضمن دراسة تاريخية عامة لا تخصهم وحدهم. كما قام أساتذة آخرون؛ مثل: لقبال موسى، ومحمد بن عميرة

بإعداد دراسات تخص قبيلة معينة؛ مثل كتاب دور كتامة للدكتور لقبال؛ وإن كان قد أشار لبعض القبائل الأخرى باختصار؛ ثم كتاب دور زناتة لابن عميرة. أما المراجع الأجنبية المتوفرة؛ فقد أشار بعضها إلى عينات من القبائل الأمازيغية؛ التي أثارت اهتمامهم؛ ولكن ضمن مواضيع تاريخية عامة؛ لا تخص القبائل الأمازيغية كلها تقريبا؛ وبشكل مقتضب كذلك.

ومن جهتي فقد بذلت جهدي كي يشمل عملي هذا أقطار المغرب كافة؛ دون استثناء. كما تناولت فيه القبائل الأمازيغية التي عرفت في العصور الوسطى كلها. مرتكزا بصفة خاصة على ما كان ابن حزم قد ذكره باقتضاب، وما انتشر في مصادر عربية كثيرة؛ أهمها العمل العظيم الذي أنجزه العلامة عبد الرحمن ابن خلدون. كما استعنت ــ أيضا ــ بما كتبه بعض المستشرقين؛ مثل: غوتييه Emile-Félix. Gautier، وليفي بروفنسال E. Lévi-Provençal، وجورج مارسي Georges Marçais وغيرهم..

ولم يقتصر عملي هذا على التعريف بأسماء القبائل الأمازيغية، وذكر أماكن سكناهم فحسب؛ كما حدث في كثير من المصادر والمراجع؛ بل توسعت في الحديث عن الأدوار التي قامت بها تلك القبائل: سياسية منها، وعسكرية، وثقافية. كما حرصت على إبراز أعيانهم؛ بشكل استوفي نشاطاتهم العلمية، والثقافية، والسياسية. وبهذا أكون قد عملت على إزالة طبقات الغبار التي حجبتهم، وأنست الناس في أصولهم الأولى. ومن جهة أخرى وضعت منجزات أولئك العباقرة، والعظماء بين أيدي أبناء هذا الجيل الحائر؛ لكي يتعرف على نهج أسلافه، وما تم إنجازه بواسطتهم من كنوز أثرت التراث العربي الإسلامي؛ دون تعصب، ولا تحزب، ولا انكماش، أو تنكر.

وهكذا سيجد القارئ بين يديه عينات أدبية في منتهى الروعة؛ من إبداع أبناء هذه الأرض الخصبة؛ التي أنجبت عبقريات؛ تسابقت في دروب النماء؛ لبناء، وتشييد صرح الحضارة العربية الإسلامية؛ شرقا وغربا. وكانت إسهاماتهم عظيمة الشأن، كريمة، المنبت، دائمة الفائدة.

ولابد هنا من تقديم عرض ولو بإيجاز عن المنابع التي يمكن أن ينهل منها كل دارس لتاريخ البلاد المغربية وسكانها؛ منذ العهود الأولى. ففي البدء – ولمنع المغالطات، وكبح جماح الذين يحلقون في الخيال، أو الذين يصرون على إبراز شيء وإخفاء أشياء – يستحسن الإشارة إلى المصادر التي يستقي منها الباحثون – بمختلف معتقداتهم وتنوع اتجاهاتهم – مع الإجابة على مدى أهميتها، ودرجة الصدق فيها.

وعليه فما تقدمه المادة التاريخية – حتى الآن – لا يخرج عن نطاق المصادر: **اليونانية، والرومانية، والعربية، والعينات الأثرية** التي كشفت منذ عهد الاحتلال الفرنسي. والعيب كله ليس في المصادر المذكورة؛ بقدر ما يتمثل في مستعملي تلك المصادر.. إذ أن مبعث الالتباس – هنا – هو تلك التأويلات التي سلطت على المادة التاريخية المطروحة للبحث من جهة، وإصرار بعض الدارسين على الاكتفاء بنوع معين من أنواع المصادر المعروضة؛ دون الأنواع الأخرى من جهة ثانية. وهذا هو ما يفسر انطلاق العناق للأهواء والميول المشبوهة..

ولمنع الأنزلاق في الاتجاه الخاطئ يستحسن تناول الموضوع بحذر وجدية وشمولية.. وقبل الخوض في أعماقه لا بد من الإشارة باختصار إلى تلك المصادر واحدة فواحدة.. فأولى المصادر المكتوبة زمنيا ــ فيما يخص تاريخ سكان بلاد المغرب ــ هي المصادر اليونانية؛ غير أنها لا تفي بالحاجة المطلوبة؛ نظرا لمحدوديتها، واقتصارها على حيز ضيق لا يتجاوز برقة؛ وإن كان هيرودوتس قد تعرض ــ باقتضاب ــ لما سمعه عن منطقة التاسيلي؛ إلا أنه لم يزر تلك الجهات؛ كما حدث بالنسبة لبرقة، ومصر، وغيرهما من الأقاليم؛ وإنما نقل أخبار تاسيلي مشافهة. وعليه يمكن القول أن معلوماته لم تكن واسعة ولا دقيقة في هذا المجال. وكل ما ذكره هي بعض أسماء القبائل المتواجدة في تلك الديار؛ مثل قبائل: **الناسامونين، والماكاي، والقارامونت، والأوليميدين، والجيتول.** وهذه القبائل كلها كانت تسكن في بلاد ما كان يعرف قديما بلوبيا أو ليبيا. كما قال باقتضاب شديد: أن بعض تلك القبائل كانت تشتغل بالصيد؛ إذ يركب أفرادها عربات؛ تسحبها أربعة خيول؛ يطاردون بها طرائدهم..

وبعد المصادر اليونانية تأتي المصادر الرومانية؛ وهذه المصادر محدودة العطاء؛ ولا تهتم إلا ببعض الجوانب؛ التي يكون الرومان فيها يمثلون المادة الأولى؛ كما أنها محتكرة من طرف بعض المؤرخين الأوروبيين، والفرنسيين على الخصوص؛ نظرا لقصر باع الدراسات المغاربية عامة، والجزائرية خاصة، واكتفائها بالمراجع الفرنسية؛ على الرغم مما تحمله من شحنات سياسية تخدم احتلالهم لبلاد المغرب. ومن هذه الكتابات الفرنسية ــ المعتمدة حاليا من طرف كثير من الباحثين ــ ما يتصف بالنزاهة، ومنها ما يميل إلى التحيز والمغالطة.. ولا يتسع المجال هنا لإحصائها، والتعليق عليها؛ ولكن يمكن ذكر عينتين منها على سبيل التوضيح. فمثلا اتفق كثير من المحللين على أن المؤرخ الفرنسي شارل أنديه جوليان Ch. André Julien، يتحلى بالنزاهة والموضوعية؛ حتى وإن صرح ببعض الآراء التي لا يقره عليها كثير من المؤرخين. وفي الجانب المقابل يقف إيميل فيليكس غوتييه E. F. Gautier موقفا متحيزا، وتغلب عليه المغالطات والارتجالية في غالب الأحيان؛ وهذا باعتراف زميله شارل أندريه جوليان الذي يتهمه بالمغامرة، والمخاطرة في الأحكام كما

يقول.. ومن يراجع كتبه سيكتشف بسهولة مغالطاته..

أما أوسع المصادر شمولا وأهمية وعناية بأبناء البلاد المغربية فهي المصادر العربية التي كتبها وتناقلها المؤرخون، والنسابة العرب، والأمازيغ ــ على السواء ــ باللغة العربية. وهذه المخطوطات فيها ــ بالطبع ــ الغث والسمين.. كتبت جلها باسلوب كان سائدا في تلك العصور؛ وقد نقده ابن خلدون؛ ولا داعي لشرحه هنا.. ويمكن مراجعة ذلك في مقدمته الفذة. وإلى جانب كثافة المصادر العربية السطحية توجد مصادر أخرى في منتهى الدقة والموضوعية؛ وهي قليلة؛ أمام زخم وكثافة الكتب ذات الطابع الإخباري الروائي. منها ــ على سبيل المثال ــ جمهرة أنساب العرب لابن حزم، والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري، وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبد الرحمن بن خلدون؛ وكتب أخرى عديدة سيشار إليها عند الحاجة. وقد احتلت المصادر العربية مكانة أولى بين المصادر الأخرى؛ لأنها تنفرد بمعالجة تاريخ المغرب بكافة سكانه: أمازيغا كانوا أو عربا. ومن هنا تأتي أهميتها؛ حيث يفهم لماذا كان الباحثون والمؤرخون

الفرنسيون والأوروبيون يتسابقون على اقتنائها، ودراستها ونقدها.؟ كما تعتبر هذه المصادر العربية بمثابة معين رئيس للدارسين المحدثين؛ من البلدان المغربية، ومن غيرها.

بقي الآن جانب آخر؛ يمكن تفسير التاريخ بواسطته؛ هذا الجانب يتمثل في العينات الأثرية التي اكتشفت في بلاد المغرب ومصر وجهات أخرى. وهذه العينات الأثرية استغلت من أجل تعزيز ودعم بعض النظريات المطروحة للبحث والدراسة الآن.. منها ما يتعلق بمواضيع أنثروبولوجية، وتفسير النشاطات الحضارية والتاريخية؛ ومنها ما أخضع للأبحاث المخبرية وتتبع السلالات البشرية. وقد احتكر هذا الميدان العلمي ـــ في السابق ـــ بعض العلماء الفرنسيين والأوروبيين؛ إلا أن أبناء البلدان المغربية شرعوا مؤخرا في الاعتناء بهذا الميدان؛ وإن كان ذلك بجهد محتشم... وما يعيب تلك الدراسات هي أنها تستند إلى نظريات جنسية وانثروبولوجية لم ترق إلى الحقائق الثابتة. ومع هذا تبقى تلك النظريات محل بحث وعناية؛ لأنها أقرب إلى الحقيقة، وأكثر صدقا من روايات الإخباريين الخيالية.

وكما سبق قوله فكل ما قيل عن بلاد المغرب ـ قديما ـ لا يخرج عن نطاق أصناف المصادر المذكورة آنفا. لذا فقد كان لزاما علينا مراعاة المنهج الصحيح؛ الذي يحتم العودة إلى قدر ما من تلك الأصناف. على أننا أعطينا الأولوية إلى المصادر ذات المصداقية؛ وإن لم نهمل الإطلاع على المصادر الضعيفة السند، والاستفادة ما أمكن منها.

....

القبائل الأمازيغية

1)ــ البحث عن الجذور:

فعلى الرغم مما تم إعداده من كتب ودراسات متباينة، وبلغات مختلفة، وفي عهود شتى؛ فإنها بكاملها لم تفصل ــ قطعيا ــ في حقيقة الأصول الأولى للمجتمعات المغربية. غير أن الفرضيات التي وضعت لا سبيل إلى نكرانها ــ تماما ــ أيضا. وهكذا تبقى الحقيقة معلقة حتى يظهر ما يسندها علميا، أو ينفيها نهائيا. وعليه فلا بد من الإشارة إلى مختلف الفرضيات؛ وذلك بتلمس المؤشرات التي تقترب من الحقيقة.

إذن يمكن إجمال المناهج المتبعة في تتبع الأصول الأولى لسكان بلدان المغرب ضمن أسلوبين: الأول هو المنهج الذي يستند إلى المخطوطات والروايات، والثاني هو القائل بالمعطيات الأنثروبولوجية، والأعمال المخبرية. فأما الأسلوب الأول فيمكن تطبيقه من خلال المصادر العربية القديمة؛ التي تعتبر أهم المصادر المكتوبة عن بلدان المغرب وشعوبها. ذلك لأن المصادر اليونانية والرومانية شحيحتان في المادة التاريخية التي تدرس أصول سكان بلاد المغرب. أما

المصادر العربية القديمة ــ كما سبق ذكره ــ ففيها ما يتصف بالموضوعية، وفيها ما تخللته الأساطير والخرافات.

أ ــ تسميات وتعاريف:

محاولة معرفة التسمية الحقيقية لسكان المغرب قديما تتطلب عرض الآراء كلها؛ أوجلها على الأقل؛ لأن المصادر التاريخية مازالت ــ حتى الآن ــ عاجزة عن إقناع القراء بالأصول الأولى لسكان هذه الديار، وبالمسميات التي عرفوا بها إلى وقت قريب. فتسميات: **لوبي، وإفري، وبربر** كلها أطلقت على أبناء هذه البلاد؛ منذ القدم حسب ترتيبها زمنيا. فالأولى شاعت لدى اليونانيين، والثانية قد تكون من مبتكرات الفينيقيين، والثالثة سماهم بها الرومان بتأثير من اليونان. مع أنها كلها لا تعبر عن الحقيقة كلها؛ نظرا لكونها مسميات صدرت عن أطراف خارجية، ولم تحض باعتراف شامل من قبل المعنيين بالأمر. فكلمة **بربر** مثلا سماهم بها الرومان؛ بعد أن ورثوا معناها عن اليونانيين. ويقال أن مصدرها الأول هي الكلمة اليونانية **فارفاروس** Varvaros وهي تعني

اللغط، وتداخل الأصوات في الكلام؛ بذلك فهم ينعتون بها كل الذين لا يتكلمون لغتهم؛ ومن هنا سموا إيطاليا **بربارية**[1].

ولما انتقلت سيادة العالم إلى الرومان حذوا حذو اليونان؛ فسموا ـ بدورهم ـ كل الشعوب التي لا تنتمي إليهم، أو قاومت نفوذهم **بربرا**؛ تحقيرا واستخفافا. من ذلك عبارة **بارباريسي** أو **باربارجيا**؛ التي كانوا ينعتون بها القبائل الخارجة عن نفوهم؛ مثل القبيلة المسماة بهذه التسمية في جزيرة سردينيا. كما كانوا يسمون المحيط الهندي **البحر البربري**، وخليج عدن **بالخليج البربري**؛ وسموا أيضا ثلمة من نهر السند **بارباريكوم**. وفي مصر العليا مدينة سميت **بارباري**. وفي معبد الكرنك بمصر عثر على كتابة تعود إلى زمن رمسيس الثاني؛ ذكر فيها أن ذلك الفرعون قد أخضع شعبا في الجنوب سموه **بيرابيرتا**؛ وهذا يبعث شكوكا في المصدر الأول للكلمة؛ فهذا النص يدل أن الكلمة مصدرها الأول ليس اليونان؛ إذ يجوز أن يكون اليونانيون قد أخذوها عن المصريين.. وفي الصومال توجد **بربرة**؛ كما سميت الشعوب

---

[1] قبائل المغرب، ج: 1، ص: 262.

الجرمانية ((**باربار**)) بمعنى القساة والهمج الجهلة. وقد اجمع الباحثون على أن كلمتي **بربر** **وبربار** تعنيان: إما اللغط والرطانة والضوضاء؛ أو الهمجية والقسوة. ولم تكن هذه التسمية ــ في يوم ما ــ تسمية صحيحة؛ لأي جنس من الأجناس؛ وإنما كانت بمثابة النَّبَز والشتيمة. ولما حاول بوسكي G. H. Bousquet تفسير كلمة **بربر** قال: أنها مشتقة من كلمة **برباروس** BARBARUS وهي كلمة لاتينية تنعت بها فئات مختلفة؛ ليست خاضعة لسلطان الرومان؛ والقصد منها هو وصف تلك الفئات بالتخلف[2].

وإذا كانت هذه التسمية لا يختص بها سكان البلاد المغربية وحدهم؛ فما هو الاسم الذي أقره هذا الشعب العريق، وأطلقه على نفسه؟ وهنا يستحسن التذكير بأن شعوب المغرب كانت ــ في الحقيقة ــ تعيش ضمن قبائل، وأحلاف قبلية كبرى عديدة؛ لا يجمعها اسم موحد؛ معترف به من طرف القبائل كافة؛ بل تسمى كل قبيلة باسمها، أو كل حلف باسم غالب عليه. وهذا شبيه بما عرفه العرب القدماء؛ الذين كانوا يتكتلون ــ بدورهم

---

[2] Les Berbères, (Que sais-je ?) p: 8.

ــ ضمن قبائل مختلفة ومتناحرة؛ حتى جاء الإسلام فجمع شتاتهم، ووعاهم بوحدة الهوِيَّة. ومع ذلك لم ينسوا انقسامهم الرئيس إلى يمنيين وعدنانيين..

وعند تتبع مسألة المجتمعات المغربية تاريخيا سيتضح من خلال خبر مفاده: أن جماعة من **قبيلة لواتة** أرسلهم عمرو بن العاص إلى عمر ابن الخطاب بالمدينة المنورة؛ فسألهم ــ كما جرت عادة العرب ــ عن نسبهم؛ فأجابوا: أن جدهم هو **مازيغ**[1]. وإن صحت هذه الرواية؛ ستكون هي المرة الأولى في ــ العهد الإسلامي ــ التي وردت كلمة **مازيغ** كاسم لجد هذا الشعب؛ ربما تكون اسما لجد فئة منه؛ كما يعتقد بعض الباحثين[2].. وثمة من يرى أن كلمة **أمازيغ** قديمة جدا؛ ربما عادت إلى العهود الفرعونية[3]، أو عصور السيادة الإغريقية.. ودلت بعض الأبحاث على استعمال كلمة قريبة من عبارة **مازيغ**؛ حيث وردت هذه الكلمة من طرف المؤرخ اليوناني هيكتايوس Hekatoios (الذي عاش في القرن السادس قبل

---

[1] طبقات مشائخ المغرب، ج: 1، ص ص: 16 ــ 17.

[2] Les Berbères, (Que sais-je ?) p p:10-11.

[3] عروبة البربر، ص: 178.

الميـــلاد)؛ فســـمى فئـــات منهـــم بــــ (مـــازييـــس) Mazyes؛ وهـــذه الكلمـــة قريبـــة مـــن عبـــارة **مازيـــغ**. أمـــا هيرودوتـــس Herodotos ـــ في القـــرن الخامـــس قبـــل الميـــلاد ـــ فقـــد ذكـــر اسمـــا هـــو (ماكسييـــس) Maxyes؛ وهي الكلمـــة الـــتي نقلهـــا عنهـــم اللاتيـــن بشكـــل محـــرف؛ فسمـــو الشعـــب النوميـــدي: (مـــازاس) أو (مازكيـــس) أو **(مازيكـــس)** -- Mazaces -- Mazax -- **Mazikes**. وهكـــذا تـــرى أن الكلمـــة المسطـــرة قريبـــة جـــدا مـــن العبـــارة المتداولـــة الآن.

ويبـــدو أن كلمـــة **أمازيـــغ** لـــم تنتشـــر بشكـــل واســـع في الزمـــن الأول للفتـــح؛ إذ تغلبـــت عليهـــا كلمـــة **بربـــر**؛ الـــتي وجدهـــا المسلمـــون متداولـــة بيـــن النـــاس عندمـــا فتحـــوا البـــلاد؛ فبـــادروا إلى منـــح هـــذه الكلمـــة مدلـــولا أكثـــر طهـــارة ونقـــاء مما كانـــت عليـــه قبـــل مجيئهـــم؛ وذلـــك تبعـــا لمـــا نصـــت عليـــه التعاليـــم الإسلاميـــة السمحـــة؛ الـــتي تنـــهى عـــن التنابـــز بالألقـــاب؛ كمـــا جـــاء في التنـــزيـــل الحكيـــم: **((يـــا أيهـــا الذيـــن آمنـــوا لا يسخَـــرْ قـــومٌ مـــن قـــومٍ عـــسىَ أن يكونـــوا خيـــرا منهـــم ولا نسـَـاءٌ مـــن نسَـــاءٍ عـــسىَ أن يكـُــنَّ خيـــرا منهُـــنَّ ولا تلمِـــزوا أنفسَكـــمً ولا تنابـَــزوا بالألقـــاب**

بئسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمان ومن لم يتبْ فأولئك هُمُ الظالمون))[1].

ب ــ الأساطير نصف الحقيقة:

وعليه فقد اختاروا المدلول الذي ينسجم مع فلسفة الأسماء عندهم؛ لذا فقد وجدوا أن أقرب دلالة إلى ذهنهم ومنطقهم؛ هي التي تجعل من كلمة **بربر** عبارة مشتقة من اسم إنسان؛ افترضوا أنه جد هذا الشعب؛ أو يكون فعلا جدا لهم. غير أن بعضهم الآخر رأى في كلمة **بربر** ما يدل على اللغط والرطانة أثناء الكلام؛ وربما قال بهذا الرأي الذين كانوا مطلعين على التراث اليوناني؛ لأن اليونان ــ حسبما ورد ــ منحوا المفهوم نفسه لكلمة **بربر.** ولكن الإخباريين ــ كما هي عادتهم ــ نسجوا قصصا وأخبارا؛ حاولوا من خلالها تفسير أسباب تلك المسميات.. وقد ملئت صفحات كثيرة بتلك الروايات والأساطير العجيبة؛ التي تتحدث عن الشعب الذي سموا أعضاءه **بربرا..** فقال بعضهم أنهم أبناء **بر ابن قيس عيلان بن مضر بن نزار**؛ واضعين

[1] سورة الحجرات، الآية: 11.

في ذلك بعض الأساطير والأشعار؛ الهدف منها هو دعم مزاعمهم وافتراضاتهم[2].. ومع هذا فهي تدل على النزعة الإنسانية في انتحال الأشياء، والمواقف؛ بغرض دعم مزاعم، وافتراضات معينة؛ على الرغم من أنها ليست منطقية؛ نظرا لغياب الدليل العلمي من جهة، وبعدها عن المعقول من جهة أخرى. من ذلك؛ أنهم زعموا أن جد البربر المدعو **برا**؛ قدم إلى بلاد المغرب هاربا من أخيه عمرو ابن قيس؛ ولما طال غيابه بَكَتْه شقيقته **تماضر** بقولها:

لِتَبْكِي كُلُّ بَاكِيَةٍ أخَاهَا
كَمَا أبْكِي عَلىَ بَرٍّ بن قَيْسِ
تَحَمَّلَ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَأضْحَى
وَدُونَ لِقَائِهِ أنْضَاءُ عِيسِ

ومما نسب إلى تماضر أيضا:

وَشَطَّتْ بِبَرٍّ دَارُهُ عَنْ بِلاَدِنَا
وَطَوَّحَ بَرٌّ نَفْسَهُ حَيْثُ يَمَّمَا

[2] أنظر هذه الأخبار والأشعار في العبر، مج: 6، ص ص: 176 ــ 192.

وَأَزْرَتْ بِـبَـرٍّ لَكـْنَـةٌ أعْجَـمِـيَّـةٌ
وَمَا كَانَ بَرٌّ فِي الحِجَازِ بأعْجَمَا
كَأنَّا وَبَرًّا لَمْ نُغِرْ بِجِيَادِنَا
بِنَجْدٍ وَلَمْ نُقَسِّمْ نِهَاباً وَمَغْنَمَا

وهكذا ترى المسحة الأسطورية في هذه الأقوال.. **فبر** يهرب **منفردا**؛ من أخيه إلى بلاد بعيدة كالمغرب..! أي من قارة إلى أخرى؛ بكل بساطة ودون عناء..! ولما أصبح في تلك البلاد النائية؛ علمت أخته أن كلام أخيها شوهته لَكْنَة أعجمية..! ومع هذا لم يسأل المتحمسون لهذا الخبر أنفسهم: كيف علمت تماضر بذلك رغم البعد، وانعدام وسائل الاتصال..؟! هذه واحدة من الحكايات؛ أما الأخرى فيزعم رواتها: أن من أسموه الملك **النعمان بن حمير بن سبأ** فاجأ أبناءه ـ في أحد الأيام ـ فقال لهم: إني عزمت على إرسالكم إلى بلاد المغرب لتعمروها..؟! فلبوا أمره على الفور؛ وتوجهوا إلى حيث اختار لهم المقام الأبدي..!! وهؤلاء الأبناء هم: **لمت** (أبو لمتونة)، **ومسفو** (أبو مسوفة)، **ومرطا** (أبو هسكورة)، **وأصناك** (أبو صنهاجة)، **ولمط** (أبو

لمطة)، **وإيلان** (أبو هيلانة)، **ومصمود** (أبو مصمودة)، **وكزول** (أبو كزولة)، **وأجانا** (أبو زناتة)..ألخ. فنزل هؤلاء الاخوة في بلاد المغرب متفرقين: منهم من سكن جبل درن، ومنهم من اختار سكنى السوس وطنجة، ومنهم من استقر في درعة، ومنهم من توقفت رحلته في إفريقية والمغرب الأوسط. والحكاية كما يقول ابن خلدون طويلة. وهكذا ترى كيف يضيق أبٌ بأولاده..؟ فيتخلص منهم؛ بنفيهم ـ دون حماية كافية ـ إلى مغرب الشمس، وبحر الظلمات.. حيث نهاية العالم القديم آنذاك؛ ولا هدف له من ذلك؛ سوى أنه يرغب في الأعمال الخيرية..!! ويحب تعمير بلاد المغرب الشاغرة..!! تلك البلاد التي بدت له ـ فجأة ـ بأنها فارغة من السكان، ومحتاجة إلى من يعمرها.. فعمرها النعمان بفلذات كبده..؟!!

وثمة حكاية أخرى يقول أصحابها: أن ملكا من التبابعة يسمى **افريقش بن قيس بن صيفي**؛ غزا بلاد المغرب؛ فسميت باسمه إفريقية؛ بعد أن قتل بها من أسموه بالملك **جرجيس**، وتقول الرواية أيضا أن إفريقش هذا

اختط الأمصار، وشيد المدن بتلك الجهات النائية قبل أن يعود إلى بلاده في المشرق..! وتقول الرواية كذلك: أنه لما لاحظ رطانة سكان تلك البلاد، واختلاط الأصوات في لهجاتهم؛ قال متعجبا: **"ما أكثر بربرتكم"..!** فسموهم – منذئذ – **بربرا..** غير أن رواية أخرى تقول أنه حشد قبائل شتى؛ عبأهم في الشام؛ لغزو بلاد المغرب؛ من هذه القبائل: حمير، ومضر، والقبط، والعمالقة، وكنعان، وقريش؛ فلما سمع لغطهم؛ سماهم البربر؛ ثم أنشد:

بَرْبَرَتْ كَنْعَانُ لَمَّا سُقْتُهَا
مِنْ بِلاَدِ الضَّنْكِ لِلخِصْبِ العَجِيبْ
أيُّ أرْض سَكَنُوهَا وَلَقَدْ
فَازَتِ البَرْبَرُ بِالعَيْشِ الخَصِيبْ

وثمة حكاية أخرى تقول أن **أبرهة ذا المنار** – ملك اليمن – هو الذي تركهم ببلاد المغرب بعد أن فتحها وليس إفريقش..! وهكذا تلاحظ اختلاف الروايتين.. ثم يمكن التساؤل: ما هي الطريق التي سلكها إفريقش هذا..؟! وهل تركه الفراعنة يمر بسلام؛ كما مرت قبائل بني هلال بعده بقرون؟! وإن صح

ذلك..! أيكون مرور هذه الجيوش بمصر حدث هذه المرة بدون ضجة تذكر..؟! وهل من سبيل آخر يكون قد سلكه..؟ ثم ما هي المدة الزمنية التي بقي فيها إفريقش هذا ببلاد المغرب؛ التي يقال أنه منحها اسمه..؟! وكما هو معلوم فإن تخطيط المدن، وتشييد الأمصار يحتاج إلى سنوات وسنوات؛ فما هي وسائله السحرية التي استعملها في إنجاز مشاريعه الخارقة..؟! أما الذي قالوه عن تعبئته لعدد من القبائل المختلفة في بلاد الشام؛ بغرض غزو المغرب؛ فإنه — على ما يبدو — تمكن من تعبئة أمم، وشعوب مختلفة؛ وليست قبائل فحسب كما قيل..! ومن الزاوية التاريخية للأدب العربي؛ يبدو أن **إفريقش بن قيس بن صيفي**، **وتماضر بنت قيس** — في هذه الحال — يكونان قد سبقا من عرف حتى الآن من شعراء الجاهلية الأوائل؛ **كالمهلهل بن ربيعة**، **وامرؤ القيس بن حجر..!** وعليه.. يكون تاريخ أول نص شعري جاهلي؛ هو تاريخ أبيات تماضر أو إفريقش..!

ولم تنته الحكايات عند هذا الحد؛ إذ وردت روايات أخرى كثيرة ومتناقضة؛ منها: أن

البربر من أبناء **يقشان بن إبراهيم الخليل..!** أو أنهم جماعات متفرقة من أهل اليمن..! أو أنهم من قبائل اليمن الذين تفرقوا ــ مع **الغساسنة** ــ بعد نكبة سيل العرم.. أو أنهم من **لخم وجذام**؛ الذين أخرجهم أحد ملوك الفرس من فلسطين؛ فنزحوا إلى مصر أولا؛ ثم واصلوا هجرتهم نحو المغرب؛ بعد أن منعهم الفراعنة من الاستقرار بمصر.. وأشهر الروايات هي التي تقول: أنهم من أصحاب **جالوت**؛ وهم أخلاط من: **الكنعانيين، والعمالقة**؛ نزحوا جميعا إلى المغرب بعد مقتل جالوت؛ حيث تم ذلك بواسطة إفريقش.. كما يزعم آخرون أن الذي طردهم من فلسطين هو داود عليه السلام بالوحي؛ ونقل ابن خلدون عن أولئك الإخباريين نصا جاء فيه **((قيل يا داود أخرج البربر من الشام فإنهم جذام الأرض))**[1]..! أما آخرون فيقولون أنهم هربوا إلى مصر؛ بعد مقتل جالوت؛ فأخرجهم القبط منها؛ فنزحوا إلى برقة، ثم إفريقية، ومنها إلى المغربين: الأوسط والأقصى. وثمة أخبار أخرى تنسبهم إلى **حام ابن نوح**؛ بينما قال آخرون أنهم أبناء **سام**

[1] العبر، مج: 6 ص: 185.

ابن نوح.. وقد وردت في هذا الأمر حكايات عجيبة يضيق المجال بذكرها كلها.. على أن بعض الإخباريين لم يعمموا كغيرهم؛ واكتفوا بضم فئة من البربر إلى أهل اليمن؛ هي: القبائل الكتامية؛ والقبائل الصنهاجية؛ **كتامة وصنهاجة**. وقد ظلت هذه القائمة مفتوحة للأهواء؛ إذ تسابق الناس لإضافة أنفسهم أو من يحبون..

جـ ــ نقد واعتراض:

تولى ابن خلدون الرد على تلك المزاعم؛ مفندا إياها واحدة فواحدة.. فَبَدَأَ بالادعاء القائل: أن البربر من أبناء **يقشان بن إبراهيم** عليه السلام؛ فذكر أن بين **داود** (وهو قاتل جالوت) **وإسحاق** (وهو أخو يقشان) حوالي عشرة آباء؛ لا غير؛ ثم يتساءل: فهل يعقل أن يتشعب أبناؤهم، وأن يتناسلوا بهذه الكثافة العظيمة التي عليها شعوب البربر.؟! بعد ذلك ينتقل إلى الادعاء الثاني؛ فيقول ما نصه: **((وأما القول بأنهم من ولد جالوت، أو العماليق؛ وأنهم نقلوا من ديار الشام، وانتقلوا؛ فقول ساقط؛ يكاد يكون من أحاديث خرافة؛ إذ مثل هذه الأمة؛ المشتملة**

علـــى أمـــم، وعوالـــم مـــلأت جوانـــب الأرض؛ لا تكـــون منتقلـــة مـــن جانـــب آخـــر، وقطـــر محصـــور؛ والبربـــر معروفـــون في بلادهـــم، وأقاليمهـــم؛ متحيـــزون بشعارهـــم مـــن الأمـــم؛ منـــذ الأحقـــاب المتطاولـــة قبـــل الإســـلام. فمـــا الـــذي يحوجنـــا إلى التعلـــق بهـــذه الترهـــات؛ في شـــأن أوليتهـــم... وإفريقـــش الـــذي يزعمـــون أنـــه نقلهـــم؛ قـــد ذكـــروا أنـــه وجدهـــم بهـــا، وأنـــه تعجـــب مـــن كثرتهـــم، وعجمتهـــم؛ وقـــال: مـــا أكثـــر بربرتكـــم؛ فكيـــف يكـــون هـــو الـــذي نقلهـــم؛ وليـــس بينـــه وبيـــن أبرهـــة ذي المنـــار مـــن يتشعبـــون فيـــه إلى مثـــل ذلـــك؛ إن قالـــوا أنـــه الـــذي نقلهـــم؟))[1]. أمـــا المزعـــم القائـــل بانتمائهـــم إلى النعمـــان بـــن حميـــر، أو إلى قيـــس بـــن عيـــلان بـــن مضـــر؛ فيرفضـــه ابـــن خلـــدون تمامـــا؛ بدعـــوى أنـــه منكـــر مـــن القـــول؛ محتجـــا بـــرأي محمـــد بـــن حـــزم؛ عندمـــا نـــفى ــ بـــدوره ــ هـــذه المزاعـــم؛ حيـــث قـــال: **((قـــال قـــوم: إنهـــم مـــن بقايـــا ولـــد حـــام بـــن نـــوح عليـــه الســـلام؛ وادعـــت طوائـــف منهـــم إلى اليمـــن؛ إلى حميـــر؛ وبعضهـــم إلى بـــر بـــن قيـــس عيـــلان. وهـــذا باطـــل، ولا شـــك فيـــه. ومـــا علـــم**

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص: 190.

النسابون لقيس عيلان ابنا اسمه بر أصلا؛ ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر؛ إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن))[2]. ويبدو أن الاعتراض على هذه المزاعم لم يقتصر على ابن حزم وابن خلدون فحسب؛ بل صدر عن علماء آخرين؛ منهم: البلاذري الذي نقل في كتابه فتوح البلدان رواية جاء فيها: **((وحدثني بكر ابن الهيثم قال: "سألت عبد الله بن صالح عن البربر فقال: هم يزعمون أنهم من ولد بر بن قيس؛ وما جعل الله لقيس ولدا يقال له بر؛ وإنما هم من الجبارين الذين قاتلهم داود عليه السلام. وكان منازلهم على أيادي الدهر فلسطين؛ وهم أهل عمود؛ فأتوا المغرب؛ فتناسلوا به"))**[3]. وهذه الرواية سبقت زمن ابن خلدون وابن حزم على السواء؛ ذلك أن البلاذري عاش في عهد المأمون العباسي، ونقلها عمن سبقوه.

وواصل ابن خلدون نقده؛ فتصدى لمزعم ابن قتيبة القائل: بأن البربر من أولاد جالوت؛ الذي نسبه إلى قيس بن عيلان. فاستبعد ابن

---

[2] الجمهرة، ص: 495.

[3] فتوح البلدان، ج: 1، ص: 265.

خلدون هذا الادعاء؛ محتجا بكون قيس بن عيلان من ولد **معد**؛ المعاصر **لبختنصر**. وهذا الأخير ــ كما هو معلوم ــ طارد العرب، واضطهدهم؛ الأمر الذي حدا بالنبي **أرميا** إلى تهريب **معد** نحو الشام؛ خوفا عليه من سخط بختنصر؛ ذلك الملك الغشوم؛ مدمر المعالم الدينية التي شيدها ببيت المقدس داود وسليمان؛ قبل ذلك بأربعمائة وخمسين سنة تقريبا. إذن فمعد جاء بعد داود؛ بنسبة زمنية تتوافق مع تلك القرون الأربعة على الأرجح؛ ثم يتساءل ابن خلدون: كيف يكون قيس عيلان بن معد أبا لجالوت المعاصر لداود.؟! وبهذا التحليل المنطقي؛ نسف ابن خلدون أوهام ابن قتيبة. ومع هذا لم يكتف بالتفنيد، والرفض لآراء الأسلاف؛ بل أرسل دلوه هو الآخر؛ لتفسير الأصول التاريخية للأمازيغ؛ فانتهى إلى القول: **((والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم؛ أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح؛ كما تقدم في أنساب الخليقة. وأن اسم أبيهم مازيغ،**

واخوتهم أركيش، وفلسطين إخوانهم بنو كِسلوحيم بن مصرايم بن حام))[1].

لم يشذ ابن خلدون برأيه هذا ـ كما قد يبدو لبعضهم ـ فقد سبقه إليه علماء آخرون؛ مثل القديس أوغسطين SAINT AUGUSTIN الذي نسب مجتمعه الأمازيغي إلى الكنعانيين أيضا؛ حيث كتب في إحدى رسائله: **((إذا سألتم فلاحينا عن أصلهم؛ سيجيبون: نحن كنعانيون))** Si vous demandez à nos paysans ce qu'ils sont, ils répondent, nous sommes CANANEENS))[2] . فهذا النص كتبه فيلسوف من هذه الديار؛ قبل الفتح الإسلامي بقرون. ويتفق فيه مع أقوال ابن خلدون، وبعض مؤرخي المغرب الإسلامي. وهم جميعا يستندون إلى معلومات تناقلها النسابة الأمازيغ؛ أبا عن جد. وإن اتفقوا على انتمائهم إلى كنعان؛ فإن الخلاف ظل ماثلا بخصوص انتماء كنعان نفسه إلى حام. وهذا الرأي قال به بعض العلماء المحدثين ممن اشتهروا بالتحقيق والضبط؛ مثل العلامة الألماني بروكلمان؛ في كتابه تاريخ اللغات السامية. ويرى هذا الباحث الكبير أن اليهود هم الذين

---

[1] العبر، مج: 6 ص: 191.

[2] E. F. GAUTIR, Le Passé de L'Afrique du Nord, p:139.

أقصوا كنعان من سلسلة النسب السامية؛ لأنهم كانوا من أعدائهم التقليديين. على أن يحيى بن خلدون ـ وهو أخو عبد الرحمن ـ أورد بعض الأقوال منها: أن بعض المؤرخين القدماء نسبوا البربر إلى جد يدعى **بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن سام**، وآخرون إلى **عملاق بن لاود بن أرم بن سام**؛ وهذا طبعا رأي من ينسبهم إلى العمالقة..

ويتبين مما سبق؛ أن دلالة كلمة بربر ـ في مفهوم المسلمين ـ كانت إما نسبة لأحد الأجداد يسمى **بربر**، وإما نعتا لطريقة كلامهم، ولغطهم، وبربرتهم التي لا يفهمها العرب. فالتسمية ـ في هذه الحال ـ جاءت من خارج ذلك المجتمع المعني بالأمر؛ ولم تصدر عن قناعة منه. وعليه فمن حق أبنائه أن يعترضوا على تلك المسميات التعسفية؛ كما أنهم أهلا لكي يطلقوا على أنفسهم الاسم المناسب؛ وبما أن جلهم يحبذوا اسم **أمازيغ**؛ فاليكن لهم ذلك.. إذ الراجح أن تكون هذه هي تسميتهم الحقيقية؛ خاصة عندما نعود إلى ما جاء في الرواية التي تقول بأنهم انتسبوا ـ أمام عمر بن الخطاب ـ إلى جد يدعى **مازيغ**.

على اعتبار أنه اسم لجدهم؛ وهذه إحدى وجهات النظر. أما الرأي الآخر المفسر لمعنى أمازيغ فيقول بأنها تعني صفة من صفاتهم؛ وهي:((**الأحرار النبلاء**)). وهذا يقود إلى تصور الاعتقاد الذي اعتمده بوسكي؛ حين قال باحتمال أن تكون كلمة أمازيغ نسبة رفيعة لشخص أو لفئة أرستوقراطية قديمة[1].. وربما تكون هذه الكلمة كما وردت في النصوص اليونانية واللاتينية ـ السابقة الذكر ـ بهذا المعنى؛ الذي نعت هذا الشعب به نفسه..

ومن جهة أخرى يستحسن الإشارة إلى المعلومات التي ذكرها الباحث محمد على مادون في كتابه عروبة البربر؛ حيث أورد بعض الدلائل التي تنص على استعمال كلمة (**بر**) في العهد الجاهلى؛ بشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام؛ إذ أتت الكلمة في كثير من المرات بعدة معاني؛ منها: كاسم لشخص يدعى **بر**، ومرات تأتي بمعنى (**ابن**). ومما قدمه هذا الباحث بعض النصوص المنحوتة في عينات أثرية؛ مثل: الوثيقة التي أعطاها رقم **4**؛ وهي عبارة عن نقش مدون بالأبجدية الصفائية؛ المتفرعة

Les Berbères, (Que sais-je ?) p p: 10 - 11. [1]

عـن الخـط المعـروف بالمسنـد؛ عثـر عليـه في موقـع عرعـر بشمـال الجزيـرة العربيـة؛ جـاء فيـه مـا نصـه[1] :(2) **(لـ: سعـد بـن أسـد ذ آل بـر)** ومعنـاه: دُوِّنَ هـذا النقـش مـن أجـل **سعـد بـن أسـد من قبيلـة بـر.** وهـذا يـدل عـلى تواجـد قبيلـة ــ في تلـك الجهـات ــ كانـت تـدعى **آل بـر.** كمـا أورد الباحـث اسـم فخـذ مـن قبيلـة لخـم وهـم: **بنـو بـر بـن كعـب بـن غنـم بـن كليـب.** وفي النقـش المسجـل تحـت رقـم: **(**1206**)** ضمـن مدونـة النقـوش العربيـة القديمـة للباحـث نفسـه؛ الـذي عثـر عليـه بمنطقـة الصفـا؛ جنـوب سوريـة؛ جـاء فيـه اسـم قبيلـة أخـرى تـدعى: **ألحـج بـن بـر.** كمـا أورد الباحـث ــ أيضـا ــ عينـات أخـرى تفيـد وقوعهـا بمعـنى **(ابـن)** وهـذا يرجـح الـرأي الـذي قصـده؛ وهـو احتمـال أن تكـون كلمـة **بربـر** هي: **(بـر ــ بـر)** أي: **(بـر ــ ابـن).** أنظـر مـا جـاء في كتـاب عروبـة البربـر؛ هـذا الكتـاب القيـم الـذي نشرتـه المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلـوم.

والآن ما هي حقيقـة هـذا المجتمـع الأمازيـغي؛ الـذي تسبـب في هـذا الجـدل المزمـن..؟ فالمتأمـل في

---

[1] **عروبـة البربـر، ص ص: 18 ـــ 19.**

المصادر التاريخية التي تهتم بالمغرب الإسلامي؛ سيندهش ــ لا محالة ــ عندما يلاحظ ظاهرة؛ قد تكون فريدة من نوعها بين الشعوب؛ تلك الظاهرة هي سعي شعب ــ بمختلف قبائله ــ إلى إثبات انتمائِهِ، وانْتِسَابِهِ إلى شعب آخر؛ قدم إلى بلاده بقوة الاحتلال..! والأمر الذي يزيد المتأمل دهشة..! هو ما عرف عن هذا الشعب من ميل للتمرد، وعدم الخضوع؛ والانقياد للمحتلين.. وكراهيته للغزاة الأجانب، واستنكافه عن الانتماء إليهم.. فما هو السر هنا إذن..؟ فحينما نتتبع حركة الفتح الإسلامي في كامل الديار المفتوحة؛ شرقا، وغربا؛ سيتضح أن شعوبها لم تحاول الانتساب إلى قحطان، أو إلى مضر؛ فما هو السبب يا ترى..؟ قد تكون الإجابة ــ هنا ــ كامنة في النزعة، والغريزة الإنسانية التي لا تقبل بغير طبيعتها.. فلا يمكن لها أن تتنصل عن ذاتها.. كيفما تكون تلك الذات.. كما أنها لا تزج بنفسها في محيط غريب عنها؛ إلا في حالات تحالف، وتزاوج؛ على أن لا يتم خلالهما نفي لكيانها.. وبهذا يمكن تفسير ظاهرة التسابق نحو إثبات الذات؛ التي عرفتها قبائل المغرب الإسلامي؛ بعد أن مرت الصدمة الأولى؛ التي أحدثها الفتح المسلح.

وهكذا وقفوا جميعا موقفا واحدا ـ تقريبا ـ يتفقون فيه على أنهم من أصول عربية، أو بالأحرى مشرقية. وهذا الادعاء وافقهم فيه الفاتحون أيضا.. فلم يرفضوه؛ مع أنهم أشد الخلق تعصبا لجنسهم. كيف سلَّمُوا بذلك.. وهم السادة الأقوياء..؟ الذين احتلوا تلك البلاد عسكريا..؟ يبدو أنهم لو لم تكن لديهم قناعة بذلك الطرح لما قبلوا به.

ومع هذا لا بد من التذكير بأن الخلاف ـ في وجهات النظر بينهم ـ لم ينحصر إلا في تحديد مصدر الهجرة لا غير.. هل كانت من اليمن أم من الشام..؟ ويبدو أن أسباب هذا الخلاف تكمن خلفه التأثيرات المنبعثة عن **العصبية القبلية**؛ التي تجلت في قطبيها: اليمني والمضري. وقد استطاع ابن حزم تلمسها؛ حين أشار إلى ما وصفه بـ **"تكاذيب أهل اليمن"**. وبهذا يمكن أن يكون للصراع بين العصبيتين: المضرية (القيسية)، واليمنية (الكلبية) في بلاد المغرب دور رئيسي؛ في انتشار هذه الأخبار المتضاربة في قحطانية الأمازيغ، أو قيسيتهم. كما أن الصراعات الدامية بين الأمازيغ والعرب؛ في بلاد المغرب والأندلس ـ وهم جميعا إخوة في الدين ـ دفع بأهل الخير والإصلاح؛ من

الطرفين ـ بغرض شريف طبعا ـ إلى تأكيد الأخوة الجنسية، والدينية. وهذا ما حدا بشاعر من أهل الأندلس؛ وهو عبيدة بن قيس العقيلي كي يقول:

أَلاَ أَيُّهَا السَّاعِي لِفُرقَةِ بَيْنَنَا
تَوَقَّفْ هَدَاكَ اللَّهُ سُبلَ الأطَايِبِ
فَأقْسِمُ أنَّا وَالبَرَابِرُ إخْوَةٌ
نَمَانَا وَهُمْ جَدٌّ كَرِيمُ المَنَاصِبِ
أَبُونَا أَبُوهُمْ قَيْسُ عَيْلاَنَ فِي الذرَى
لَهُمْ حُرْمَةٌ تَشْفِي غَلِيلَ المُحَارِبِ
فَنَحْنُ وَهُمْ رُكْنٌ مَنيعٌ وَإخْوَةٌ
عَلَى رَغْمِ أعْدَاءٍ لِئَامِ المَنَاقِبِ
فَإنَّا لِبَرٍّ مَا بَقَى النَّاسُ نَاصِرٌ
وَبَرٌّ لَنَا رُكْنٌ رَفِيعُ المَنَاكِبِ
نُعِدُّ لِمَنْ عَادَى سَوَابِقَ ضُمَّراً
وَبيضاً تَقُطُّ الهَامَ يَوْمَ التَّضَارُبِ
وَبَرُّ بْن قَيْسٍ عُصْبَةٌ مُضَرِيَّةٌ
وَفِي الفَرْعِ مِنْ أَحْسَابِهَا وَالذَّوَائِبِ

وَقَيْــسُ قِــوَامُ الدِّينِ فِيكلِّ بَلْــدَةٍ
وَخَيْــرُ مَعَدٍّ عِنْدَ حِفْظِ المُنَاسِــبِ
وَقَيْــسٌ لَهَا المَجْدُ الَّذِي يُقْتَدَي بــهِ
وَقَيْسٌ لَهَا سَيْفٌ حَدِيدُ المَضَــارِبِ

ويقــول الطرمــاح بــن ساعــدة القيــسي أيضــا:
يَا آلَ بَرِّ بْن قَيْــسٍ مَرْحَبــاً بكُــمُ
قَيْــسٌ أبي وَأَبُوكُم حَيْثُ نَنْتَسِــبُ
مَا قُلْتُ إلاَّ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أعْلَمُــهُ
وَكُلُّ شَيْءٍ إلِىَ وَقْــتٍ لَهُ سَبَــبُ
اللّــهُ يَعْلَــمُ أنِّي مَــا كَذَبْتُكُــمُ
وَالقَوْلُ أقْبَحُــهُ البُهْتَانُ وَالكَــذِبُ
بَــرُّ بْنُ قَيْسٍ وَعِيــلاَنَ لَهُ شَــرَفٌ
عَال إلَيْهِ انْتَهَى الافْضَالُ وَالحَسَــبُ
نَفْسِي فِدَاءُ بَنِي بَــرٍّ وَإنْ غَضِبَــتْ
يَوْماً فَدَامَ لَهَا الإرْغَــامُ وَالغَضَــبُ

تلــك هي وجهــة نظــر بعــض العــرب فيمــا يخــص الأمازيــغ؛ أولئــك العــرب الذيــن يجاهــرون بالانتمــاء الواحــد للأصــل العــربي. والآن فمــا هي وجهــة نظــر الطــرف الآخــر؟ فهــذه قصيــدة لشاعــر أمازيــغي؛ وهــو يزيــد بــن خالــد الزنــاتي الأندلــسي يمــدح فيهــا قومــه:

أَيُّهَــا السَّائِــلُ عَــنْ أحْسَابِنَـــا
قَيْـسُ عِيــلاَنَ بَنُــو العِــزِّ الأَوَلْ

وَبَنُـــو بَــرِّ بْــنِ قَيْـس مَنْ بِــهِ
تُضْــرَبُ الأَمْثَــالُ فِي كُلِّ أهَــلْ

نَحْنُ مَا نَحْــنُ بَنــُو بَــرِّ النَّــدَى
عَــرَفَ المَجْدَ وَفِي المَجْــدِ دَخَــلْ

إنْ نُسبْنَــا فَبَنــُو بَــرِّ النَّــدَى
طَــارِدُ الأزْمَــة نَحَــارُ الأبــلْ

وَابْتَــنَى المَجْــدَ فَــأَوْرَى زَنْــدَهُ
وَكَفَانَــا كُلَّ خَطْــبِ ذِي جَلَــلْ

إنَّ قَيْســاً يَعْتَــزِي بَــــرٌّ لَــهُ
وَلِبَــرٍّ يَعْتَــزِي كُــلُّ بَطَـــلْ

حَسْبُــكَ البَرْبَــر قَــوْمِي إنَهُــمْ
مَلَكُوا الأرْضَ بِأطْـرَافِ الأسَــلْ

وَبِبِيــضٍ تُضْــرَبُ الهَــامُ بِهَـــا
هَــامُ مَنْ كَانَ عَنِ الْحَــقِّ نَكَــلْ

أبْلِغُــوا البَرْبَــرَ عَــنِّي مَدَحـــاً
حِيــكَ مِنْ جَوْهَرِ شِعْــرٍ مُنْتَحَــلْ

هــذه اعتقــادات بعــض الشعــراء مــن الطرفيــن: العــربي والأمازيــغي. أمــا مــا تــراه القبائــل، ويؤمــن بــه الملــوك والأمــراء؛ فقــد كــاد جلهــم يجمعــون عــلى انتسابهــم؛ إمــا لحميــر، وإمــا لمضــر، وإمــا

للعمالقة، أو لبني كنعان. وفي هذا يقول ابن خلدون: ((**وأما نسابة البربر فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب؛ مثل: لواتة؛ يزعمون أنهم من حمير، ومثل هوارة؛ يزعمون أنهم من كندة؛ من السكاسك، ومثل زناتة؛ تزعم نسابتهم أنهم من العمالقة؛ فروا أمام بني إسرائيل؛ وربما يزعمون فيهم أنهم من بقايا التبابعة، ومثل غمارة أيضا، وزواوة، ومكلاتة؛ يزعم في هؤلاء كلهم نسابتهم أنهم من حمير... والحق الذي شهد به المواطن، والعجمة أنهم بمعزل عن العرب؛ إلا ما تزعمه نسابة العرب؛ في صنهاجة، وكتامة. وعندي أنهم من إخوانهم؛ والله أعلم**))[1].

وهكذا ترى الخلط، والتناقض الذي وقع فيهما ابن خلدون. ففي نص سابق؛ يجزم بأنهم من أبناء كنعان بن حام. بينما يسلم ــ في قوله هذا ــ ببعض الاستثناءات المتعلقة بكتامة وصنهاجة؛ مع أنه في مواضع أخرى من كتابه العبر يميل إلى اعتبار زواوة من كتامة؛ بينما يستثنيهم ــ هنا ــ من الانتماء العربي؛ معللا ذلك بالمواطن، والعجمة؛ مع أن

---

[1] العبر، مج: 6 ص: 192.

هـذا التعليـل ينطبـق عـلى صنهاجـة، وكتامـة. ومـن جهـة ثانيـة أيَّـد رأي ابـن حـزم؛ حيـن قـال: **((ولا كـان لحميـر طريـق إلى بـلاد البربـر؛ إلا في تكاذيـب مـؤرخي اليمـن))**؛ ولكنـه غيـر موقفـه هـذه المـرة؛ مـع صنهاجـة، وكتامـة؛ علمـا بـأن هاتيـن القبيلتيـن تشكـلان كتلـة ضخمـة بيـن قبائـل الأمازيـغ؛ ربمـا قـدرت بنصفهـم. وعنـد العـودة إلى مـا قالـه عنهـم في المجلـد السـادس مـن كتـاب العبـر؛ سيظهـر مـدى تناقضـه وتذبذبـه.. والغريـب أنـه لا يصـدق ـ هـذه المـرة ـ مـا قالـه نسابـة الأمازيـغ؛ بينمـا يتحيـز لأقـوال النسابيـن العـرب؛ دون أن يقـدم مبـررا معقـولا.. فمـا هـو السبـب يـا تـرى..؟ هـل هي الثقـة المطلقـة فيمـا يقولـه نسابـة وإخباريـون مثـل: ابـن الكلـبي، وابـن إسحـاق..؟! ومـن علامـات تناقـض ابـن خلـدون وبلبلتـه أنـه ـ مـن جهـة ـ يجـزم بانتسـاب (البربـر) إلى كنعـان بـن حـام، أو إلى العمالقـة؛ ومـن جهـة أخـرى يصـرح ـ في موضـع آخـر ـ بإنكـاره لهـذا الطـرح؛ وذلـك حسـب مـا جـاء في قولـه السابـق الذكـر: **((والبربـر معروفـون في بلادهـم وأقاليمهـم؛ متحيـزون بشعارهـم مـن الأمـم منـذ الأحقـاب المتطاولـة قبـل الإسـلام.**

فما الذي يحوجنا إلى التعلق بهذه الترهات في شأن أوليتهم)). وعليه فما هو السبب في اضطرابه إذن..؟ قد يكون ذلك بسبب حيرته وعدم قدرته على تكوين فكرة واضحة حول الموضوع؛ نظرا لتشعبه وكثرة الآراء فيه؛ وبالمقابل اصطدم بالفراغ المهول في المادة التاريخية المغربية؛ حيث لم ينجز من قبل ما يمكن أن يستند إليه؛ سوى تلك الفرضيات المتزاحمة، والمتناقضة؛ المقدمة من طرف النسابين والإخباريين الأمازيغ والعرب على السواء..

د ـ حديث الحفريات:

وبعد هذا.. ماذا يمكن أن نقول نحن عن الأصول الأولى للأمازيغ.؟ قبل الإجابة؛ علينا ـ أولا ـ التسليم بأن هذه البلاد لم تكن فارغة من الجنس البشري؛ طوال فترة زمنية تمتد إلى عشرات الآلاف من السنين. وحتى ابن خلدون نفسه يعترف بهذا عندما يصرح بأن (البربر) كانوا في ديارهم منذ حقب زمنية بعيدة.. وهذا القول لا يمنع ـ طبعا ـ من قدوم هجرات عديدة إلى بلاد المغرب من جهات مختلفة.. ولترسيخ الفكرة، والتعمق في عرض المعطيات الداعمة للرأي السابق؛ لا بد من

الحديث عن هذا الموضوع في جانبه العلمي المعزز بالمكتشفات الأثرية. ومن هذا المنطلق نبدأ بالحديث عما تم إنجازه في الحفريات المختلفة.

والجدير بالذكر – هنا – هو أن الأبحاث الأثرية التي تمت في أماكن عديدة من الأقطار المغربية؛ وصلت إلى اكتشاف أقدم أثر؛ لما أسموه **إنسان الأطلس** ATLANTHROPES ؛ الذي وصلت الفترة الزمنية التي عاش فيها – بهذه الربوع – إلى 400.000 سنة ق.م؛ ويعتقد المختصون أنه شبيه بالأثر المكتشف في الصين؛ الذي سموه Sinanthrope؛ ثم الذي عثر عليه في جاوة وتانزانيا؛ المسمى Pithecanthrope. وقد عثر على بعض الأدوات الحجرية البسيطة؛ التي كان يستعملها هذا المخلوق. وقدر العلماء الفترة التي عاش خلالها **بالعصر الحجري السفلي** Le Paléolithique inférieur. وتأتي بعد هذا – زمنيا – البقايا الهامة التي اكتشفت في مغارة جبل **أرحود** بالمغرب الأقصى، وبعض المواقع في كل من: الجزائر، وتونس. وهذا الصنف من المخلوقات سماه العلماء بإنسان **نياندرتال** Homme de Néanderthal نسبة إلى منطقة في ألمانيا؛ اكتشف فيها الآثار الأولى لهذا المخلوق. وقد حدد

العلماء زمن وجوده بفترة تنحصر بين 40.000 و 25.000 سنة ق.م. بمعنى أنه عاش خلال **العصر الحجري الأوسط** Le Paléolithique moyen؛ وقد تردد العلماء في الإقرار بإنسانية هذين المخلوقين؛ نظرا للصفات البهيمية التي يتميزان بها؛ غير أن استعمالهما لبعض الأدوات الحجرية؛ جعل بعضهم يعتقدون أنهما يمكن أن ينسبا للإنسان العاقل.

وما هو مؤكد ـــ حتى الآن ـــ أن البقايا الإنسانية التي لا شك فيها؛ يعود تاريخها إلى **العصر الحجري المتأخر** L'Epipaléothique؛ المحدد زمنه بفترة تمتد من 12.320 إلى 6.500 ق.م؛ وهذه البقايا الإنسانية تم اكتشاف العينات الأولى منها في **مشتى العربي** بالجزائر. ثم اكتشفت عينات أخرى في منطقة **قفصة بتونس**؛ سمي صاحبها **إنسان ما قبل المتوسطي** Protoméditerranéen؛ وهو يختلف في تقاطيع جمجمته عن إنسان مشتى العربي. ولا يعرف ـــ حتى الآن ـــ كيف ظهر هذا الإنسان في شمال إفريقيا.. وهكذا بقيت التساؤلات حوله قائمة إلى الآن.. هل قدم إلى هذه الديار مهاجرا..؟ أم انحدر عن الإنسان ذي الصفات البهيمية السابق الذكر..؟ فأما الاحتمال الأخير فقد استبعده العلماء؛ نظرا لكونه

يختلف كثيرا عن النياندرتالي. وعليه فقد رجحوا فرضية أن يكون قدم من الشرق؛ عبر الجنوب التونسي. ويبدو أن هذا ممكن ــ حينها ــ لأن إمكانية الاتصال متوفرة عبر الجنوب الشرقي؛ حيث تتواجد منطقة **التاسيلي** في الجنوب الجزائري؛ تلك المنطقة التي كانت تزخر بالحيويّة، وبالتجمعات البشرية. ومما يعزز هذا الاحتمال؛ هو اتضاح ما للإنسان القفصي من ميول فنية للتعبير عن مشاعره؛ وهذا بالطبع من السمات البارزة في التجمعات الإنسانية بالتاسيلي. بالإضافة إلى ذلك لاحظ المختصون تشابها واضحا بين **إنسان مشتى العربي**، والإنسان المسمى **أيبيرو مغربي** L'Ibéromaurusien؛ وعليه فقد رجحوا انتمائهما إلى فرع واحد؛ انتقل من شمال إفريقيا إلى أوروبا عبر جبل طارق. وهذه الأصناف وُجِدَ أشباهها في الساحل الشرقي من البحر المتوسط. لذا رجحوا فكرة أن يكون هذا الإنسان قدم مهاجرا من تلك الجهات المشرقية؛ وعليه تكون هجرة هذا الإنسان من الشرق إلى الغرب احتمالا وارداً..

أما العصر الحجري الحديث Le Néolithique؛ الذي حدد بحوالي 4.000 سنة ق.م؛ فقد ظل

سائدا ببلاد المغرب؛ حتى ظهور المراكز التجارية الفينيقية الأولى. وقد اكتشفت بقايا هذا العصر في شمال البلاد وجنوبها؛ حيث تميزت بقايا الإنسان المكتشفة بالجنوب (في الهقار، والتاسيلي) باختلاطها بأصول سودانية[1]. وفي هذا العصر بالذات بدأت الصحراء تكشف عن وجهها الشاحب؛ بعد الجفاف الذي أخذ يحل بالبلاد تدريجيا. وعليه يمكن — في هذه الحال — للهجرات أن تحدث؛ هروبا من الجفاف؛ من الجنوب نحو الشمال، ومن الشرق نحو الغرب؛ سعيا وراء المناطق الخصبة أين يسهل العثور على الغذاء. أما الافتراض القائل بحدوث هجرات من الشمال إلى الجنوب؛ في تلك الحقبة التاريخية القديمة؛ فقد استبعده العلماء؛ نظرا للظروف الطبيعية القاسية؛ التي كانت تكتنف قارة أوروبا؛ بعصورها الجليدية. وعليه فقد رجحوا حدوث هجرات بشرية من شمال إفريقية؛ نحو أوروبا بعد نزوح الجليد عنها.

---

[1] للاستزادة بمعلومات أوسع في هذا الموضوع يستحسن الإطلاع على ما جاء في:
L'Homme Avant L'Ecriture, sous la direction de André Varagnac. et L'Homme par Gustav Schenk. et Initiation a la Prehistoire de L'ALGERIE.
وتاريخ إفريقيا الشمالية. لشارل أندري جوليان.

هـ ــ القـول الفصـل:

والسؤال الذي يبقى يبحث عن جواب مقنع هو: لأي جنس أو سلالة ينتمي سكان المغرب الحاليين..؟ بالطبع فالجواب الشافي لا يمكن انتظاره حاليا؛ لكن من السهل تكوين صورة تتميز بشيء من الوضوح في هذا المجال؛ لو أن الدارسين اختاروا الموضوعية، وابتعدوا عن الأحكام المتأثرة بالأهواء والميول الخاطئة. من هنا لا بد من الاعتراف بوجود سكان قدماء جدا في هذه الديار؛ ولكنهم امتزجوا بأجناس عديدة؛ أتت إلى البلاد في موجات بشرية مختلفة منذ حقب موغلة في القدم. وبهذا لا يمكن تكذيب ــ بشكل قطعي ــ الأقوال التي مفادها أن هجرات بشرية أتت من الشام أو من اليمن؛ لأن الحروب والجفاف والكوارث الطبيعية كانت ــ عبر الأحقاب التاريخية ــ أهم العوامل المتسببة في انتقال الموجات البشرية من منطقة إلى أخرى. وهذا ما كان يحدث في المعمورة كلها؛ ولا سبيل إلى نكرانه.. ومع هذا لا يمكن قبول الأساطير كما جاءت؛ دون تمعن فيها أو نقدها. مع أنها وإن لم تكن هي الحقيقة كلها؛ فقد تكون نصفها أو جزءا منها على الأقل..

لـذا؛ فالقـول الفصـل هـو أن سكـان البـلاد المغربيـة مشكليـن مـن مزيـج بشـري؛ تكـون ــ عبـر قـرون وقـرون ــ مـن سـلالات مختلفـة، وأجنـاس متباينـة؛ انتقـل أسلافهـم إلى هـذه الديـار ضمـن موجـات بشريـة عديـدة، وهجـرات إنسانيـة كثيـرة؛ في فتـرات تاريخيـة يتعـذر حصرهـا بالكامـل. وكثيـر مـن الدلائـل العلميـة تثبـت أن سكـان هـذه البـلاد لا يجمعهـم جنـس واحـد. وقـد جمـع شـارل أندريـه جوليـان الأعمـال المخبريـة الـتي قـام بهـا علمـاء مثـل: برتولـون Bertholon وشانتـر Chantre ولوبـلان Leblanc. ثـم خلـص إلى القـول: **((وهـذا البحـث في الأصنـاف الغالبـة مـا زال في بدايتـه؛ وسيكـون ثمـرة المستقبـل؛ إذ أن مقارنـة هـذه الأصنـاف مـن حيـث الشكـل الظاهـري هي وحدهـا الـتي ستسمـح بإقامـة تصنيـف علـمي. وفي الوقـت الحاضـر يكـون مـن الصلـف أن نقـوم بعمـل آخـر غيـر تضميـن النتائـج الحاصلـة الـتي تـدل عـلى تجـزؤ بـلاد البربـر مـن حيـث أجناسهـا. إلا أنـه ــ مـا إن يتيسـر لنـا معرفـة البربـري الـذي يمكـن تسميتـه بحـق: المغـربي ــ حـتى يبـدو صنفـا اجتماعيـا لـه خصائصـه الواضحـة. وبقـدر حرصنـا عـلى طرافـة البربـري؛**

نتمكن من إبراز ضرب من الوحدة لتاريخ بلاد البربر))[1].

ونظرا لكون شبه الجزيرة العربية منطقة معروفة بتصدير الجماعات البشرية المهاجرة منذ قديم الزمان؛ فمن الجائز ــ إذن ــ حدوث بعض الهجرات؛ انطلاقا منها نحو مصر أولا، ثم ينتقل أصحابها بعد ذلك؛ كمرحلة تالية إلى بلاد المغرب؛ التي كانت تعرف ــ آنئذ ــ باسم **لوبيا** أو **ليبيا** La Libye. وكما هو معروف لدى المهتمين عما يمكن أن تحدثه الحروب من: خلخلة واضطراب يشجعان على النزوح، ويتسببان في تشريد الجماعات المهزومة؛ هربا من القتل والاضطهاد والعبودية. لذا فاحتمال هروب فئات من أنصار جالوت المقتول نحو مصر، ثم بلاد المغرب أمر وارد، ولا يستدعي الرفض والنكران.. وعليه فلا غرابة من حدوث تلك الهجرات؛ وإنما الغرابة تكمن في عرضها بتلك الصورة الأسطورية الساذجة؛ المعتمدة من قبل الإخباريين؛ الذين حصروا الهجرات في شخص واحد، أو بعض الأشخاص المحدودين.. وبذلك فلا حرج في الاعتراف باحتمال وجود فئات ــ

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص: 70.

بلاد المغرب ـ تنسب نفسها إلى كنعان أو العمالقة أو الأقباط أو حمير أو مضر.. فمزاعمهم تستحق التقدير ما لم يثبت عكسها..

وجملة القول؛ ففيما اتضح من معطيات تاريخية صحيحة؛ ثبت أن سكان البلاد المغاربية الحاليين هم نتاج مزيج بشري تشكل من: إنسان مشتى العربي، والإنسان القفصي، وعناصر سودانية نزحت من الجنوب؛ وكلما مرت السنوات ازدادت هذه التركيبة البشرية مزجا وتعقيدا؛ بفضل استيعابها واحتوائها لفئات بشرية جديدة؛ قدمت مهاجرة من الشرق، والجنوب والشمال. ومع مرور الزمن تفاعلت تلك الموجات البشرية المهاجرة واندمجت مع غيرها من الجماعات المستقرة من قبل، أو الآتية بعدها؛ فأضحى جميعهم يمثلون مجتمعا واحدا؛ انصهر في بوتقة التاريخ الواحدة؛ التي شكلت عبقرية هذا الشعب المتميزة، والمطعمة بالتجارب الإنسانية المختلفة. فعرف هذا المجتمع ـ عندئذ ـ لدى بعضهم باسم **البربر**، وعند الآخرين باسم **الأمازيغ**. ومن هنا يمكن قبول الأقوال التي تنص على مجيء الجماعات العربية، واليهودية، والحامية من بلاد العرب.. ولكن لا يعني هذا أن جميع من في بلاد المغرب قدموا

ضمن تلك الهجرات.. وهكذا ليس هناك ما يدعو إلى الحرج أو الاستنكار؛ عندما يعتقد بعضهم أنهم ينتسبون إلى قحطان أو كنعان أو غيره.. فكل ذلك محتمل وجائز ما لم يثبت عكسه، أو يظهر ما ينفيه.. وهذه الظاهرة ــ كما هو معلوم ــ لا تختص بها بلاد المغرب فحسب؛ بل عرفتها جل شعوب المعمورة؛ في العالم القديم بقاراته: الآسيوية، والأوروبية، والإفريقية. ومن خلال ما سبق؛ يبدو أن البحث عن حقيقة شعب الأمازيغ لا يكفي القيام بها في بلاد المغرب فحسب؛ بل يستحسن الشروع في أبحاث معمقة في بلاد المشرق؛ كـ: مصر وإثيوبيا واليمن ووسط الجزيرة العربية ومنطقة الهلال الخصيب. فالحقيقة كما يظهر مدفونة في تلك المناطق..

2)ــ لغة الأمازيغ وآدابهم:

لا سبيل إلى نكران أنه كانت للأمازيغ لغة يكتبونها بأبجدية **تيفيناغ**، أو **تفنغ**؛ التي انحدرت عن أبجدية لوبية قديمة؛ وهي ما زالت مستعملة ــ في هذه الأيام ــ ضمن الأوساط **التارقية**؛ وتتميز بكونها لغة صامتة consonnantique؛ وكانت في البداية تكتب منفصلة في الاتجاهات كلها: من اليمين إلى الشمال، ومن الشمال إلى اليمين؛ ثم من الأعلى إلى الأسفل، ومن الأسفل إلى الأعلى. وحروفها ليست كاملة حتى الآن.. وكانت هذه الكتابة (المعروفة بالليبية أو اللوبية) منتشرة في كامل بلاد المغرب القديم. بل تعتبر من أقدم الكتابات في لغات القارة الإفريقية؛ إلى جانب الكتابة الإثيوبية المعروفة بالمَرَوِيَّة[1]. كما أنها مصنفة ضمن أقدم لغات العالم. وقد اختلف المختصون في أصولها الأولى: فمن قائل أنها تنتمي إلى العائلة السامية، إلي قائل بانتمائها إلى العائلة اللغوية الحامية؛ بينما اشتط آخرون في حكمهم بكونها يافثية الأصل..

والحقيقة التي أجمع عليها الثقاة والمحققون هي أنها حامية الأصول، ومتأثرة بالسامية تأثيرا

---

[1] عروبة البربر، الوثيقة رقم: 42، ص: 28. ثم ص ص: 158 ــ 160.

كبيرا..(هذا – بالطبع – إذا صحت هذه التقسيمات التوراتية التقليدية للتراث الإنساني على أنه لا يخرج من حدود ثلاث أسر: سامية وحامية ويافثية) وما يعزز هذا الرأي هو قربها الشديد من اللغة المصرية القديمة. كما أن أبجديتها تلتقي في كثير من الأحيان مع الأبجدية العربية القديمة المعروفة بالمسند؛ بفروعها: الثمودية، واللحيانية، والصفائية[1]. وتعتبر الفينيقية أهم اللغات المؤثرة في اللغة الأمازيغية؛ وهذا ما يمكن استشفافه من أبجدية **تيفيناغ** أو **تفنغ**؛ فاسمها يدل على هذا.. ويبدو أن هذه الأبجدية كانت تجد عناية من طرف أبنائها، أو من قبل فئة منهم في العهد الفينيقي؛ وهذا ما يفسره وجودها بين قبائل التوارق. ومع هذا لم يتم العثور على مؤلفات كتبت بهذه الأبجدية؛ ما عدى بعض مشاهد القبور.. وفي العهد الفينيقي أضحت كتابة **تفنغ** تكتب من اليمين إلى الشمال؛ مثلها مثل الخط الفينيقي. ومن جهة أخرى يعتقد بعضهم أن شيئا من الشبه يجمع بين الأمازيغية (الليبية) وما

---

[1] للمزيد من المعلومات حول تقارب الأبجديتين أرجع إلى كتاب عروبة البربر لمحمد علي مادون؛ فهو يحتوي على مادة غزيرة ومستوفية الشروط؛ يمكنها تعزيز هذا الرأي.

اكتشف من كتابة في جنوب أسبانيا L' Ibérique؛ بالإضافة إلى التشابه بينها وبين خط الاتروسك L'Erusgue وخطوط يونانية فرعية أخرى.. وربما حدث هذا نتيجة الاحتكاكات التي حدثت عبر فترات تاريخية مختلفة. ولكن الراجح فيما ذكر هو الارتباط القوي بين اللغة الأمازيغية واللغات الحامية بالدرجة الأولى، ثم اللغات السامية في درجة ثانية Chamito-Sémitique[2]..

أ ـ البديل الأجنبي:

أما في العهد الروماني؛ فما يهم هو أن بعض الأمازيغ كتبوا مجلدات عديدة؛ مثل: **أبوليوس** الماضوري (آبولي) Apulée؛ ذلك الأديب والخطيب ابن بلدة (مداوروش)؛ الذي تربع ـ في وقته ـ على عرش الآداب والفلسفة؛ وكتب مجموعة من المؤلفات؛ في شتى العلوم، والفنون؛ ولكنها باللغة اللاتينية؛ منها: مجموعة أشعار ضمها كتاب الأزاهير، وقصة الحمار الذهبي التي شاع ذكرها؛ وكان يقول: **((أعترف بأني أوثر من بين الآلات شق القصب البسيط؛ أنظم به القصائد في جميع الأغراض الملائمة**

---

[2] Les Berbères, (Que sais-je ?) p p: 21 - 22.، وقبائل المغرب، ج: 1، ص: 288.

لروح الملحمة أو فيض الوجدان؛ لمرح الملهاة، أو جلال المأساة. وكذلك لا أقصر؛ لا في الهجاء، ولا في الأحاجي؛ ولا أعجز عن مختلف الروايات، والخطب يثني عليها البلغاء؛ والحوارات يتذوقها الفلاسفة؛ ثم ماذا بعد هذا كله؟ إني أنشئ في كل شيء؛ سواء باليونانية، أم باللاتينية؛ بنفس الأمل، ونفس الحماس، ونفس الأسلوب))[1]. ثم يوبا الثاني Juba 2؛ الملك الأمازيغي الذي اغترب وذاب في اللاتينية والإغريقية؛ فكتب مجموعة من الكتب في ميادين كثيرة؛ منها: التاريخية، والجغرافية، واللغوية، والطبيعية، والشعر، والفنون كـ: الموسيقى والتمثيل، والرسم؛ ولكنها ضاعت بكاملها. وربما يكون أحد كتبه المعنون بـ ليبيكا Libyca Les ــ في أجزائه الثلاثة ــ مفيدا في الجوانب التي تخص المجتمع الأمازيغي بعاداته، ولغته وتقاليده؛ ولكنه ــ مع الأسف ــ يبقى بين ما فقد من مؤلفاته[2]. كما أنه كتب كتابا آخر يبحث في تاريخ وجغرافية الجزيرة العربية؛ سماه: آرابيكا Les Arabica؛ واعتناؤه ببلاد العرب يبعث

---

[1] **تاريخ إفريقية الشمالية، ج: 1، ص: 252.**

[2] **نفسه، ص ص: 172 ــ 173.**

على التساؤل.. ثم القديس **أوغسطينوس** (أوغسطين) Saint Augustin (ابن تاجستته أو سوق أهراس) الذي تجاوز صيته حدود بلاد المغرب؛ بل اعتبر من أبرز فلاسفة عصره.. كتب هو الآخر مؤلفاته باللاتينية؛ ومن كتبه: الاعترافات، ومدينة الله؛ وهو الذي قال: **((إن الدولة الرومانية التي تعرف كيف تحكم الشعوب؛ لم تفرض على المغلوبة منها سيطرتها السياسية فحسب؛ بل لغتها أيضا))**[3]. هذا وكانت مدن إفريقية ونوميديا الرومانية تزخر نشاطا وحيوية بحلقات التعليم والخطابة والمحاورات؛ كل ذلك باللغة اللاتينية التي كان الأمازيغ الأثرياء يتعلمونها في مدارس الرومان الخاصة. أما سكان الأرياف فقد ظلوا يجهلون تلك اللغة؛ ويتعاملون فيما بينهم باللغة الأمازيغية غير المكتوبة..

وبالإضافة إلى الذين ذكرناهم من علماء الأمازيغ؛ ثمة ــ أيضا ــ أدباء ومحامون آخرون؛ كانوا يكتبون ويعبرون باللاتينية كذلك؛ منهم: القانوني الشهير **سالفيوس جوليانوس** Salvius Sulianus؛ والشاعر **منيلوس**، والخطيب الفيلسوف

---

[3] تاريخ إفريقية الشمالية، ج: 1، ص: 248.

الرواقي **كرنيتوس**، والخطيب **سبتيموس سواريوس** الذي أصبح حفيده إمبراطورا على روما نفسها، ثم الشاعر والخطيب والمؤرخ **فلوروس**، ثم **فرونتيوس** وهو من مدينة سيرتا؛ وكان أستاذا لأبناء الإمبراطور، وخطيبا، ثم أصبح قنصلا[1]. غير أن شارل أندريه جوليان يبدي بملاحظة خاصة إذ يقول: **((إن هذا التكوين تبدو آثاره في المؤلفين الأفارقة: المسيحيين منهم، والمشركين. ففي قرطاج تعلموا كيف يستسيغون الأفلاطونية الحديثة، والتصوف الفلسفي، وتأملات مدرسة الإسكندرية؛ وفيها تحمسوا لسلسطيوس، وفيها كذلك هذبوا ميلهم الطبيعي إلى الخطابة العنيفة اللاذعة المتحدية. إنهم لم يكونوا بارعين في الكتابة بقدر ما كانوا بارعين في الجدال المرتجل. ولقد نشأ عن طبعهم الذي كان يحملهم إلى الاهتمام بمادة فكرية غير متنوعة ضرب طريف من التفكير والتعبير يزخران حيوية))**[2]. إذن فحتى أندريه جوليان يميل إلى الاعتقاد بأن الأمازيغي يبدع في ميادين الخطابة والارتجال؛

---

[1] تاريخ إفريقية الشمالية، ج: 1، ص: 250.

[2] نفسه، ص: 250.

أكثر منه في الأعمال الكتابية.. وما يمكن إضافته — هنا — إنه إذا لم يكن ما قاله جوليان صحيحا؛ فعلى الأقل فهم يتحملون — عبر التاريخ — مسئوليتهم في عدم العناية بلغتهم، والتراخي في العمل على تطوير أبجديتها الخاصة (التيفيناغ). وهكذا يصبح أصحاب هذه اللغة هم الذين تسببوا في ضياعها وتخلفها؛ وليس الدول التي حكمتهم..

ب — كتابة سكونية:

هذا عن العهود القديمة جدا؛ أما في العهد الإسلامي فقد كان أكثر وضوحا؛ نظرا لما سمحت به الحفريات الضئيلة؛ التي مكنت من رسم تلك الصورة الباهتة في موضوع اللغة الأمازيغية وأبجديتها قديما، وما قدمته المؤلفات باللغة الأمازيغية. وإذا ما راجع الباحثون — موضوع اللغة المستعملة ضمن الكتل الضخمة من القبائل الأمازيغية؛ ومن خلال ما تقدمه المصادر المتوفرة — يجد أن بعض المختصين قد حصروا اللهجات الأمازيغية الكبرى ضمن مجموعات ثلاث؛ تعتبر بمثابة لهجات أساسية؛ يتفرع عنها عدد كبير من اللهجات المحرفة والمعدلة؛ حسب المناطق الجغرافية.. وهذه

اللهجات الرئيسية هي: اللهجات الزناتية، واللهجات المصمودية، واللهجات الصنهاجية[1]. وتنتشر اللهجات الزناتية بشكل واسع في المغربين: الأوسط والأدنى؛ (ويشتملان الآن على: الجزائر وتونس وليبيا)؛ كما توجد بشكل أضعف في المغرب الأقصى. أما اللهجات المصمودية فتتمركز تقريبا في المغرب الأقصى؛ وهي التي كان يسميها أبو بكر بن علي الصنهاجي (البيذق) **باللسان الغربي**؛ ربما كان قوله هذا إشارة منه إلى اختلاف هذا اللسان عن لهجته الصنهاجية[2].. أما اللهجات الصنهاجية فهي منتشرة ـــ هنا وهناك ـــ في مناطق محددة من المغربين: الأوسط والأقصى، وفي المناطق الجنوبية التي تتاخم حدودهما الصحراوية..

وقد اكتفى ابن خلدون بالإشارة في اقتضاب إلى اللهجات الزناتية؛ التي قال أنها تختلف عن بقية اللهجات الأمازيغية. وفي هذا السياق يقول في تمييزه لزناتة: ((**وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها؛ وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر**))[3]. ثم يدخل في

---

[1] Les Berbères, (Que sais-je ?) p p: 19- 21.

[2] أخبار المهدي بن تومرت، ص: 112.

[3] العبر، مج: 7، ص: 3.

بعض الجزئيات؛ حين يتطرق لمعنى كلمة زناتة؛ فيقول: **((فاعلم أن أصل هذه اللفظة؛ التي هي زناتة؛ من صيغة جانا؛ التي هي اسم أبي الجيل كله... وهم إذا أرادوا الجنس في التعميم ألحقوا بالاسم بالمفرد تاء؛ فقالوا: جانات. وإذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن. ونطقهم بهذه الجيم؛ ليس من مخرج الجيم عند العرب؛ بل ينطقون بها بين الجيم، والشين، وأميل إلى السين. ويقرب للسمع منها بعض الصفير؛ فأبدلوها زايا محضة؛ لاتصال مخرج الزاي بالسين؛ فصارت زانات؛ لفظا مفردا؛ دالا على الجنس. ثم ألحقوا به هاء النسبة، وحذفوا الألف التي بعد الزاي؛ تخفيفا لكثرة دورانه على اللسان))**[1].

ومع أن ابن خلدون لم يتطرق إلى موضوع الخط الأمازيغي القديم؛ فإن سلفه الرقيق القيرواني افترض وجوب وجود خط لهذه اللغة؛ وإن كان ــ في حقيقة الأمر لم يعرف عنه شيئا ــ ولكنه رأى أنه من غير المعقول ألا تكون لهذه اللغة حروف كانت تكتب بها في

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 13 ــ 14.

القديم[2]. وقد خصص الحسن الوزان (ليون الأفريقي) في كتابه وصف إفريقيا بعض الفقرات أشار فيها إلى كتابة الأفارقة [أي الأمازيغ] ولغتهم بلهجاتها.

فبخصوص اللغة يقول: ((**إن هذه الشعوب الخمسة** [قسم الأمازيغ إلى خمسة أقسام] **المنقسمة إلى مئات السلالات وآلاف المساكن** [الأسر] **تستعمل لغة واحدة تطلق عليها اسم ((أوال أمزيغ)) أي الكلام النبيل؛ بينما يسميها العرب البربرية. وهي اللغة الإفريقية الأصلية الممتازة والمختلفة عن غيرها من اللغات. ولما كانت مشتملة على عدد من المفردات العربية استدل البعض بذلك على أن الأفارقة ينتمون إلى السبئيين؛ وهم سكان اليمن كما أسلفنا. ولكن أنصار الرأي المخالف يؤكدون أن هذه المفردات إنما أدخلها العرب عندما جاؤوا إلى إفريقية وفتحوها. وكانت هذه الشعوب في حالة من البداوة والجهالة بحيث لم تترك أي كتاب يؤيد إحدى النظريتين؛ على أن هناك**

---

[2] وصف إفريقيا، ج: 1، ص: 71.

اختلافا في اللهجات؛ لا في النطق فحسب؛ ولكن أيضا في معنى كثير من الألفاظ))[3].

وهذا القول يفيد أن المؤرخين ـ في تلك العصور ـ لم يطلعوا على الكتابة التي كانت نساء التوارق تكتب بها.. والسر على ما يبدو يكمن هنا؛ إذ كان الرجال التوارق لا يهتمون كثيرا بتعلم خط التيفيناغ؛ بينما اعتنت به المرأة وحافظت عليه ضد الضياع طوال قرون كثيرة.. وما ذكره الحسن الوزان بخصوص الحالة المزرية التي كان عليها الأمازيغ؛ تلك الحالة التي منعتهم من تقديم أدلة مكتوبة عن أصولهم أو أصول لغتهم لا يمكن تعميمه بهذا الشكل؛ لأن الحقيقة التاريخية تنص على وجود عدد من الأمازيغ كانوا ـ قبل الفتح الإسلامي ـ في مستوى علمي يؤهلهم لإعطاء رأي مكتوب في ذلك؛ ولكنهم لم يفعلوا..!! أو ربما تكون أعمالهم تعرضت للضياع أو التلف.. وفي العهد الروماني أيضا كان كثير من الأمازيغ مولعين بالتأليف والمحاورات الفكرية؛ وإذا لم يصل إلينا حتى الآن ما يفيد أنهم كتبوا عن أوضاعهم وأوضاع

---

[3] وصف إفريقيا، ج: 1، ص: 39.

شعبهم فلا يعني ذلك أنهم لم يكتبوا تماما؛ خاصة إذا علمنا أن كثيرا من إنتاجهم يكون قد ضاع..

ومع هذا فما ذكرناه ــ من قبل ــ لا يجعل الأمازيغ بكاملهم ــ كما قال الوزان ــ تغلبت عليهم البداوة، واستحكم فيهم الجهل؛ فلم يكتبوا كتبا يشرحوا فيها حالهم وأصولهم.. فأما تعميم الجهالة عليهم؛ فغير صحيح، وأما كتابة الكتب فقد كتبوا عشرات المجلدات في العهد الروماني؛ وربما في العهد الفينيقي. ولكن ما عثر عليه حتى الآن ــ حقيقة ــ لا يفي بالحاجة المطلوبة.. كما تميز الأمازيغ في العهد الإسلامي بالثراء الفكري، وغزارة الإنتاج العلمي المكتوب في ميادين عديدة كـ: العلوم الدينية، والفلسفة واللغة والآداب، والتاريخ والجغرافية، والرياضيات، والفلك؛ وغيره من العلوم الدينية والدنيوية. ولم يصلوا ــ في أي عصر كان ــ إلى ما وصلوا إليه في العصر الإسلامي؛ من رقي وسمو في العطاء الأدبي والفلسفي والفني، وفي العلوم كافة؛ بحيث ملئوا الأندلس بإبداعاتهم، وأضاءوا المشرق بآدابهم، وفنونهم، ومبتكراتهم.. وسيأتي الكلام عن هذا بالتفصيل لاحقا..

أما رأي الحسن الوزان بخصوص الأبجدية المستعملة في كتابة اللغة الأمازيغية؛ فهو يقول أن المؤرخين العرب كانوا يعتقدون بعدم وجود كتابة خاصة بالأمازيغية؛ وهم يرون أنها كانت تكتب بالحروف الفينيقية واللاتينية؛ لأن العرب عندما فتحوا إفريقية لم يجدوا سوى اللاتينية. ثم يقول: ((**هم** [أي العرب] **يعترفون بأن للأفارقة لغتهم الخاصة؛ ولكنهم يلاحظون أنهم يستعملون عادة في كتابتها الحروف اللاتينية... وفي الوقت الذي كان حكم إفريقية بيد المبتدعة** [يقصد الفاطميين] **الفارين من خلفاء بغداد؛ أمروا بإحراق جميع كتب الأفارقة المتعلقة بالتاريخ والعلوم... ويذهب فريق آخر من مؤرخينا إلى أنه كانت للأفارقة لغة مكتوبة خاصة بهم؛ لكنهم افتقدوا هذه الكتابة؛ من جراء احتلال الرومان لبلاد البربر... ذلك أن بلاد البربر كلها؛ سواء منها مدن الساحل أو مدن الداخل ــ أعني المدن المشيدة قديما ــ لا تحتوي على أية كتابة في الأضرحة أو في جدران أي بناء إلا وهي بالحروف اللاتينية دون استثناء. ولا أظن أن الأفارقة استعملوا هذه الحروف، واتخذوها**

لكتابة لغتهم الخاصة؛ إذ لا شك أن الرومان لما انتزعوا هذه الأماكن من أيدي أعدائهم؛ محوا ــ حسب عادة المنتصرين ــ جميع النقوش الحاملة لآثار المغلوبين بخطهم الأصلي قصد إذلالهم؛ وجعلوا عوضها كتابتهم الرومانية))[1].

جـ ــ التسامح المطلق:

أما موقف الفاتحين العرب فكان متسامحا في هذا الجانب؛ ولم تكن اللغة الأمازيغية في العصور التي سبقت العهد العثماني مضطهدة، أو مكبوحة؛ لأن الحكومات والدول التي تعاقبت في حكم ديار المغرب كلها؛ كانت جميعها أمازيغية الأصل.. فمنذ سقوط الدولة الأغلبية لم تقم في بلاد المغرب سوى دول من قبائل أمازيغية؛ وحتى قبل سقوط الأغالبة؛ فقد كانت في بلاد المغرب دول أمازيغية قائمة مثل: الدولة الرستمية بتيهارت، والدولة المدرارية بسجلماسة؛ وحتى الدولتين: الإدريسية بفاس، والفاطمية بإفريقية؛ فقد كانتا ــ في حقيقتهما ــ أمازيغية التكوين والمنبت.. وفي هذه الدول كانت الأمازيغية مستعملة في حدود قدراتها

---

[1] وصف إفريقيا، ج:، 1، ص ص: 69 ــ 70.

التعبيرية.. وخلال وجود الدولة الرستمية سجلت بها بعض الكتب الدينية؛ أضف إلى ذلك ما أنجزه ابن تومرت من رسائل في الدين؛ منها: ((التوحيد)) و ((المرشدة)) و((العقيدة))؛ إذ كان ابن تومرت يعمل على تسهيل وصول توجيهاته الدينية إلى عامة السكان؛ لذا فقد حرص على كتابة بعض كتبه الدينية باللغة الأمازيغية؛ التي كتبت بالحروف العربية. ولكنه تجنب ترجمة أصول الدين الإسلامي إلى الأمازيغية (القرآن والحديث).

ولم يحدث ـ في يوم ما قبل الغزو الفرنسي ـ أن قمعت الأمازيغية أو حصل اعترض عليها من طرف أي كان من الناس؛ وإنما كان قصورها، ومحدوديتها التعبيرية هي أساس مشكلتها، والسبب في اجتناب العمل بها في الميادين العلمية والإدارية.. وفي العصر الحديث عرفت اللغة الأمازيغية أيضا اهتماما كبيرا من طرف الدارسين الفرنسيين مثل: رينيه باسيت René Basset وستيفان قزيل Gsell (Steph.) وغوتييه Emile-Félix Gautier وويليم مارسي William Marçais؛ وآخرون.. وكانت دوافعهم في هذه الأبحاث مختلفة: منها ما هو في سبيل العلم والمعرفة، ومنها ما كان لأغراض مشبوهة.؛ تخدم

استعمارهم.. ومع هذا فلم تخرج أبحاثهم عن التعرف على هذه اللغة كعينة أنثروبولوجية؛ لذا فقد بقيت اللغة الأمازيغية محصورة ضمن مناطق معينة، ولم تحظ بعناية جادة لترقيتها، ولا لتدريسها في المدارس أيام الاحتلال؛ مثلها في ذلك مثل اللغة العربية. ولما استقلت الجزائر أصبح الأمر مختلفا بالنسبة للفرنسيين؛ حيث سارعوا إلى تشجيع بعض الموجات المشبوهة؛ مما سمح لبعض المندسين والمغرضين من انتهاز الفرصة المواتية لهم؛ لكي يملئوا ذلك الميدان المهمل؛ بغرض ضرب استقرار البلاد؛ منطلقين من خلف البحار طبعا؛ موهمين الناس بأن ثمة مشكلة لغوية بالجزائر.. والغريب أنهم يصرون على معادات اللغة العربية؛ وتحميلها ما لحق باللغة الأمازيغية من تخلف؛ في الوقت الذي تقف فيه العربية في خندق دفاعي واحد مع الأمازيغية ضد هيمنة الفرنسية.. وبالمقابل يمجد هؤلاء المغرر بهم اللغة الفرنسية؛ ويدافعون عنها دفاعا مستميتا؛ يفوق دفاعهم عن الأمازيغية نفسها.. أو حتى دفاع الفرنسيين عن لغتهم.. وعليه يستبعد أن يخدم هذا السلوك مصلحة الجزائر..

3)ـ الفن الأمازيغي:

يمكن حصر أقدم النماذج الفنية للإنسان المغربي القديم فيما كان ينجزه من نقوش ورسومات على الصخور، وفي بعض الأدوات الضرورية التي يصنعها كـ: الحلي والأواني. وقد يكون ذلك الإنسان ينجز نقوشه ورسوماته بغرض مصلحي؛ وليس لغرض المتعة، أو لدوافع فنية بحتة. كما أن اكتشاف مجموعة من المقابر؛ ذات الشكل الهرمي، والمخروطي يفضي إلى تشكيل تصور متقدم؛ لما وصل إليه ذلك الإنسان القديم من تطور في فن العمران. هذا بالإضافة إلى نشاطات فنية أخرى كالموسيقى والغناء والرقص والتمثيل..

أ ـ لغة النقوش والرسوم:

تعتبر النقوش المنحوتة على الصخور في بلاد المغرب بمثابة السجل المفتوح؛ يسمح للمهتمين بقراءة تاريخ هذه البلاد ـ منذ حقب زمنية قديمة جدا ـ لم يكن الإنسان فيها قد توصل إلى اكتشاف الكتابة بعد.. لذا فقد حاول الإنسان المغربي أن يسجل تاريخه ومعتقداته بوسيلة تعبيرية مبتكرة؛ وتتمثل في لغة الخطوط الهندسية، وألوان الطبيعة المحيطة به؛

فتفنن وأبدع أيما إبداع.. وظل ذلك السجل الثري بالمعلومات المتنوعة، والفنون الرائعة مطويا ومهملا؛ حتى سخر الله له أفواجا من العلماء والباحثين الأوروبيين؛ فنفضوا عنه غبار الزمن المتراكم عبر العصور الطويلة.. إذ انطلقت حملات البحث عن النقوش المنحوتة على الصخور ببلاد المغرب في الربع الأخير من القرن التاسع عشر؛ بمبادرة من جورج بارتليمي فلامون J. B. Flamand؛ الذي واصل أبحاثه طيلة أربعين سنة؛ عبر مناطق عديدة من شمال إفريقيا. ويبدو أن إنجازات هذا الجيولوجي العلمية اختلطت بالأعمال العسكرية الاستعمارية؛ إذ شارك في احتلال عين صالح ضمن الحملة الفرنسية عليها سنة 1899م.. وقد صدر كتابه ((الحجارة المكتوبة)) Les pierres écrites؛ بعد عامين من وفاته؛ أي في سنة 1921م؛ ومنذ هذا التاريخ أخذت أعداد الباحثين تتضاعف؛ جريا وراء ما تقوله النقوش، وما تخفيه من أسرار ضمن سطورها وأشكالها.. وقد تضاعفت قائمة الباحثين الأوروبيين في هذا الميدان؛ بحيث لا يتسع المجال لشرح إنجازاتهم كلها. فمن أولئك الباحثين من اعتنى بما في الصحراء، وتخومها الشمالية مثل: إيميل فليكس غوتييه E. F. Gautier،

وهـــ. بـــروي H. Breuil، وم. ريغـــاس M. Reygasse ، وت. مونـــورد. Th. Monod. ثـــم الذيـــن ركـــزوا أعمالهـــم عـــلى ليبيـــا مثـــل: ب. قرازيـــوزي، P. Graziosi، ول. فروبنيـــوس L. Frobenius. ثـــم مـــن المهتميـــن بالمناطـــق المعروفـــة ببـــلاد البربـــر الشرقيـــة وتونـــس: م. سولينيـــاك M. Soligniac، وآرمبـــورغ Arambourg، والدكتـــور غوبيـــر Dr. Gobert. أمـــا النـــواحي الوهرانيـــة، وشمالهـــا وجنوبهـــا فـــ: ر. فوفـــري R. Vaufrey، وبـــالاري Pallary[1]. وأخيـــرا هنـــري لـــوت Henri Lhote في أعمالـــه القيمـــة بـــ: التاسيـــلي والهقـــار والجنـــوب الوهـــراني[2].

وقـــد لوحـــظ تقـــارب شديـــد بيـــن مـــا عثـــر عليـــه في المناطـــق الصحراويـــة المختلفـــة ومـــا تـــم اكتشافـــه في المناطـــق الجنوبيـــة مـــن وهـــران.. الأمـــر الـــذي يـــدل عـــلى سيـــادة حضـــارة واحـــدة في تلـــك الربـــوع كلهـــا؛ وأغلـــب الباحثيـــن يعـــودون بأقـــدم النقـــوش المنحوتـــة عـــلى الصخـــور ــ في بـــلاد المغـــرب كلهـــا ــ إلى الحضـــارة الـــتي ميـــزت العصـــر الحجـــري المتأخـــر Epipaléothique، والعصـــر الحجـــري الحديـــث Néolithique. وثمـــة مـــن صنـــف وحـــدد النقـــوش

---

[1] تاريـــخ إفريقيـــا الشماليـــة، ج: 1، ص: 58. مدنيـــة المغـــرب العـــربي في التاريـــخ، ص ص: 38 ــ 41.

[2] أنظـــر كتابيـــه: A La découverte des fresques du Tassili, et Vers D'Autres Tassilis.

المنتشــرة في هضبــة التاسيــلي ــ زمنيــا بشكــل نســبي ــ حســب النشاطــات المعيشيــة الــتي كــان يحياهــا أولئــك السكــان القدمــاء؛ مثــل[1]:

ــ **عصــر الصياديــن** الــذي ســاد مــن 5000 ق.م. إلى 3500 ق.م.

ــ **وعصــر الرعــاة** الــذي ســاد مــن 3500 ق.م. إلى 1000 ق.م.

ــ **وعصــر الحصــان** الــذي ســاد في الألــف الأخيــرة قبــل الميــلاد.

ــ **وعصــر الجمــال** الــذي ظهــرت بــوادره خــلال المائــة ســنــة الــتي سبقــت التاريــخ الميــلادي؛ وبالتحديــد في ســنــة 46 ق.م. خــلال معركــة تابســوس (رأس الديمــاس)؛ الــتي دارت بيــن يوليــوس (قيصــر رومــا) والملــك الأمازيــغي يوبــا الأول؛ الــذي تحالــف مــع خصــم سيــزار اللــدود بومــبي (بمبايــوس). عــلى أن باحثيــن آخريــن صنفــوا تلــك الفتــرات الزمنيــة إلى أقســام أخــرى؛ منهــا مــا وصــل إلى خمســة أصنــاف؛ ودلالتهــم عــلى ذلــك مــا كــان يغلــب عــلى الصــور والنقــوش مــن حيوانــات..

---

[1] الصحــراء الكبــرى، ص ص: 41 ــــ 65.

ـ عصر الصيادين:

يسميه باحثون آخرون: فترة الرؤوس المستديرة؛ لأن صور رؤوس الإنسان فيها تظهر في شكل مستدير. وعصر الصيادين هذا تميزه رسوم ونقوش حيوانات مثل: الفيل، والزرافة، ووحيد القرن، والنعامة، والوعل، وجاموس النهر، والتمساح، والسمك؛ والأروية خاصة. ومما يميز هذه الفترة ويمنحها وضوحا أكثر؛ أن الحيوانات المذكورة كانت ترسم منفردة؛ وليست في شكل قطعان. كما كانت تلك الحيوانات في الغالب ترسم بحجمها الطبيعي. وأسلوب التصوير يميل إلى الطبعية. وفي حال النحت تكون الخطوط عميقة وتأخذ الشكل اللاتيني (V)؛ مع ميل إلى الدكنة والقتامة. وقد تخيل بعضهم التقنية التي كان يتبعها ذلك الفنان القديم في إنجاز نقوشه؛ وذلك أنه كان يبدأ برسم الموضوع المراد نقشه؛ أولا بواسطة مادة تظهر ما يريد رسمه؛ ثم يشرع في حفر نقاط متتالية فوق الخطوط المرسومة؛ بواسطة منقاش من عظام الحيوانات، أو من الصوان المدبب؛ وبعد ذلك يكمل عمله بوصل النقاط، حتى تصبح خطا متصلا؛ ثم يجتهد في صقل تلك الخطوط وتعميقها بأداة حجرية صلبة

وحـــادة.. وممـــا يلفـــت النظـــر ـــ في هـــذه الفتـــرة ـــ أن صـــور الإنســـان كانـــت قليلـــة جـــدا؛ ومـــا اكتشـــف منهـــا حـــتى الآن تظهـــر ذلـــك الإنســـان مُلَثَّمـــاً بقنـــاع مـــن جلـــد الحيوانـــات؛ بينمـــا تكـــون أسلحتهـــم عبـــارة عـــن هـــراوات، وعـــصي معقوفـــة. كمـــا يبـــدو الكلـــب كرفيـــق دائـــم لأولئـــك الصياديـــن؛ وعليـــه فقـــد يكـــون هـــو الحيـــوان الأليـــف الوحيـــد الـــذي تظهـــره تلـــك الفتـــرة.

ـــ *عصـــر الرعـــاة:*

أمـــا عصـــر الرعـــاة فيسميـــه آخـــرون: فتـــرة الجامـــوس؛ بسبـــب انتشـــار صورهـــا بشكـــل واســـع. وعصـــر الرعـــاة هـــذا تضـــحى فيـــه الصـــور أصغـــر حجمـــا؛ وتبـــرز النزعـــة الإطلاقيـــة المظهريـــة. وهنـــا تغـــدو الرســـوم متضمنـــة لعينـــات جماعيـــة أكثـــر فساحـــة؛ وبذلـــك يتضـــح التطـــور الـــذي ســـاد؛ بتجـــاوز الصـــور الفرديـــة. وفي هـــذه الفتـــرة ظهـــرت الخطـــوط في شكـــل (U) اللاتينيـــة؛ بعمـــق أقـــل حـــدة وأضعـــف ســـوادا. ومـــن الحيوانـــات المرسومـــة في هـــذه الفتـــرة: وحيـــد القـــرن، والنعامـــة، والغنـــم البـــري، والغـــزال، والخنزيـــر البـــري، والأســـد، وحمـــار الوحـــش، وبقـــر الوحـــش، والسمـــك. وهنـــا بـــدأت صـــور جامـــوس النهـــر تميـــل نحـــو الاختفـــاء؛ بينمـــا

تصبح صورة الثور هي الصورة السائدة والمنتشرة بين رسوم هذا العصر؛ حيث تظهر في شكل قطعان كاملة؛ وإلى جانبها الأغنام والمعز؛ في رعاية الرعاة وحراسة الكلاب. ورسمت جلود تلك الثيران وحوافرها وأذناها بدقة متناهية تبعث على الإعجاب. ومن جهة أخرى تظهر الرسوم تلك الثيران بقرون منوعة؛ منها: المعقوفة نحو الأمام، أو الأسفل؛ بحيث تشبه أنياب الفيل؛ كما تتميز تلك الثيران بالنحافة؛ الأمر الذي يبعث على الاعتقاد بأنها كانت تستعمل لحمل المتاع والأشخاص؛ لما كان عليه رعاتها من ميل إلى الرحلة وانتجاع الكلأ. وكانت أثداء البقر ممتدة إلى الخلف؛ مما يفيد أنها كانت تحلب من خلفها؛ وليس من الجوانب. أما الرعاة فكانت صورهم تظهرهم عراة؛ وأحيانا يكونون مستورين بمآزر؛ وكانوا يظهرون في الرسوم منشغلين بحيواناتهم، أو منهمكين في الأعمال البيتية، أو منهمكين في أداء بعض الطقوس أو منشغلين بالاحتفالات، أو بعض الأعمال الزراعية. أما أسلحتهم فقد أصبحت هي السهام والأقواس. كما تظهرهم بعض الرسوم وهم في وضع القتال؛ وقد اكتشف هنري لوت صورا لبعض المحاربات من النساء؛

كن فيها يظهرن بثدي واحد؛ ولا يعرف إن كان ذلك سببه اختلاط الأمر على الرسام؛ بحيث لم يتمكن من التمييز بين الصورة الجانبية والصورة الكاملة؛ أو أنه كان صادقا في تصويره لنساء تعمدن بتر أحد ثدييهن؛ بهدف إزالة العائق الذي يمنعهن عن استعمال القوس بشكل جيد عند اللزوم. وثمة من يقسم هذا العصر إلى فترة مستقلة تأتي قبل عصر الحصان وتسمى عصر الماعز والغنم؛ لأنهما أخذا يظهران في منتصف هذا عصر الرعاة.

ـ عصر الحصان:

أما العصر الذي نسب إلى الحصان؛ فسمي بذلك نتيجة لكثرة صور هذا الحيوان في الرسوم المنحوتة على الصخور في تلك الفترة الزمنية. وسماه بعض الباحثين أيضا عصر الدبابة (العربة). وبالإضافة إلى الحصان تشتمل رسوم ذلك العصر على صور: الماعز، والغزلان، والنعام، والزرافات، والأسود الصغيرة، والريم؛ على أن صورة الحصان كانت تهيمن على تلك الرسوم. وكان الإنسان يظهر فيها بأسلحة جديدة مثل: الدروع، والرماح. كما

أخذت صور الرجال والحيوانات تبدو في شكل هندسي. وكان الحصان يبرز من خلال العربات التي يجرها. فلتلك العربات عجلتان أو أربع؛ ويجرها جوادان أو أربعة جياد وكانت تظهر باستمرار وهي في حال طراد. وتعلو تلك العربات مظلات تغطي السائق الواقف على منصتها وبيده زمام الخيل.

ـ *عصر الجمل:*

أما عصر الجمل ـ الجمل ذي السنام الواحد طبعا ـ فيظهر فيها هذا الحيوان من خلال رسوم أقل جودة وإتقان فني؛ مما عرف في الفترات السابقة كـ: عصر الصيادين، وعصر الرعاة. ويسمى هذا العصر أيضا بفترة التيفيناغ؛ بسبب وجود هذه الكتابة منقوشة على الصخور؛ إلى جانب الصور المنقوشة والمرسومة. ويبدو أن هذا العصر استمر طويلا؛ بحيث يمكن دمج الفترة الإسلامية ضمنه؛ لأن بعض النقوش أخذت تظهر الحروف العربية إلى جانب حروف التيفيناغ.

ـ متحف الشمس والهواء:

وقد فتنت تلك النقوش والرسومات الفنية المنتشرة عبر هضبة تاسيلي كثيرا من العلماء والفانين؛ واعتبر موقعها المنبسط في الهواء الطلق؛ أضخم وأعظم متحف في العالم. وهذا ما جعل الباحث والرحالة السويسري جورج غيرستر يقول: ((**تذكرت معرض لوت** [هنري] **في باريس؛ فذكرت أن صور تاسيلي قد أغنت العالم بكنوز من الجمال الفني. وقد اكتشف ميدان جديد؛ يدهش عشاق الفن، ويدور برؤوسهم؛ وهو مع ذلك ليس بالميدان المجهول كلية. ووافقني موسو** [رينيه] **على رأيي وقال: "طالما أن عشاق الفن هؤلاء لا يهتمون إلا بالشكل واللون. أما الأخصائي فيستثيره هذا الاكتشاف بالطبع؛ ولكنه لا يشعر بالسعادة الفكرية. فهو يواجه عددا من المشاكل الجديدة التي لا يستطيع حلها والأسئلة التي لا يستطيع الإجابة عليها. فهو أشبه ما يكون بمحاسب يريد أن يصفي حساباته وأن يستخلص نتائجها؛ ولكنه يواجه كل لحظة بندا جديدا من الحساب؛ لم يكن لاحظه في البداية... فقد أضاف لوت**

[هنـري] نفسه مادة جديدة؛ عندما قام بأول جرد منظم للصور الصخرية في وادي جرات [جـراد] في عام 1959م. وقد نقل فريقه أربعة آلاف صورة من مجموع هذه الصور؛ مستخدمين طريقة جديدة استعملوا فيها المطاط السائل. وكان بين هذه الصور؛ أعظم النقوش التي سبقت التاريخ، والتي عرفت حتى الآن؛ تصور زرافات ارتفاعها أكثر من عشرين قدما، وحيوانات وحيد القرن التي يبلغ طولها 25 قدما، والفيلة التي ترتفع خمسة عشر قدما عن الأرض. ولكن بالإضافة إلى اكتشافات لوت؛ فلا يكاد يمضي شهر واحد على الصحراء؛ منذ أن استيقظت من نومها الطويل؛ إلا وتظهر اكتشافات جديدة يزاح فيها الستار عن صور صخرية جديدة. وقد تم اكتشاف نحو من عشرين ألف صورة في السنوات القليلة على الجدران الصخرية في الصحراء. وأعتقد أن هذا الرقم هو ـ على كل حال ـ أقل من الحقيقة"... ويسرد متحف صور الصحراء قصة الحركة، والحضارات المتعاقبة، والأجناس، والشعوب، والقبائل، والعشائر التي أتت معها إلى الصحراء

بفنها؛ أو ورثت عن أسلافها تقاليد فنية كانت قائمة ثم حملت رسالتها. ولكن ماذا تمثل هذه الأساليب الفنية المختلفة؟ وهل يكون كل أسلوب منها تعبيرا عن فنان فرد، أو عن مدرسة، أو عشيرة؟ وهل تطورت هذه الأساليب في وقت متزامن وبصورة مستقلة أو في تسلسل تاريخي؟ وهل في الإمكان تتبع آثار أي نظام متسلسل تاريخيا؛ سواء بصورة نسبية أو مطلقة؟ وأية حضارات أو أجناس أو شعوب أو قبائل أو عشائر لها علاقة بهذه الأساليب؟ وهل كان سكان الصحراء من السود أو السمر أو الحمر أو البيض؟ كانت هذه الأسئلة التي نوجهها إلى بعضنا البعض. أما القائمة الحقيقية فأطول من هذه بكثير))[1].

ب ـ الأثاث والحلي:

النموذج الثاني ـ من الإنجازات الفنية ـ هي الحلي التي كان يتحلى بها ذلك الإنسان المغربي القديم، ثم المتاع والأثاث الذي كان يستعمله في أداء أغراضه الحياتية. والسبب في

[1] الصحراء الكبرى، ص ص: 42 ـ 44.

تصنيف ما ذكر بين النماذج الفنية هو تلك العناية التي كان يخص بها حليه ومتاعه؛ بحيث يتفنن في تصميم أشكالها، ثم يحرص على تزيينها ببعض الزخارف؛ قصد إضفاء شيء من الجمالية عليها. هذا وقد كان ذلك الإنسان المغربي القديم ــ في الحقيقة ــ ينظر إلى ما ينجزه من فنون؛ على أنه عمل عادي تقتضيه الحياة؛ وليس ترفيها، ولا متعة تخص نخبة معينة. أما الحلي ــ فكما هو معروف لدى المختصين ــ فهي مستمدة من أصول قديمة؛ لها علاقة وطيدة بالسحر.

والأدوات التي يستعملها ذلك الإنسان المغربي في النحت والزخرفة هي: أظافره، أو بعض الآلات الحادة المصنوعة من الصوان، والعظام؛ بالإضافة إلى المَغـَرَة التي يلون بها رسوماته، ويضفي عليها ــ بواسطتها ــ جمالا ورونقا. أما الإنجازات الفنية فينجزها على: بيض النعام المزخرف، والأقراط، والقلائد، والأساور المعدنية، والخلاخل، والأواني الفخارية، والجلود، بالإضافة إلى بعض المتاع المصنوع من الألواح الخشبية، وبعض التحف والأسلحة المصنوعة بالمعادن الحديدية والنحاسية، والفضية التي أخذ يتفنن فيها في العصور المتأخرة..

وكان المغربي القديم يستمد مواضيعه الفنية من الطبيعة المحيطة به؛ وتغلب على أعماله الأشكال الهندسية؛ تلك الأشكال المميزة للفن الأمازيغي حتى الآن. ويبدو أنه كان يتجنب رسم الخطوط المنحنية بقدر الإمكان؛ وإن اضطر إليها فقد لا يبدع فيها. وقد أظهرت الأبحاث بأن المرأة لها اهتمامات فنية أكثر مما هو عليه الرجل؛ إذ كانت ــ في معظم الأحيان ــ هي التي تقوم بزخرفة الأواني الخزفية، وما لديها من متاع كالأفرشة مثلا. وجملة القول فالفن الأمازيغي حافظت عليه المرأة؛ وظل هذا التقليد قائما إلى يومنا هذا.. وهو ما تظهره الشواهد بالأوراس، وبلاد القبائل، والهقار، والتاسيلي.. وغيره من المناطق الجزائرية، والمغربية المتعددة..

هذا؛ ولابد ــ هنا ــ من الإشارة إلى أن الفن الأمازيغي ــ بنماذجه كلها ــ قد تطورت أغراضه، ومواضيعه، وتقنياته؛ عبر العصور التي مر بها هذا الشعب العريق؛ إذ تأثرت فنونه بفنون شعوب أخرى؛ جلبها معهم المحتلون لبلاد المغرب؛ من إغريق، وفينيقيين، ورومان، فعرب، وأسبان، وإفرنج إلخ.. هذا بالإضافة إلى ما اكتسبه هذا الشعب من فنون نتيجة

لاختلاط أبنائه بشعوب أخرى كذلك عن طريق الهجرات، والمعاملات التجارية؛ مثل الشعوب السودانية في جنوب البلاد، ومصر في شرقها؛ وشعوب الضفة المقابلة عبر البحر الأبيض المتوسط. وهكذا أضحى الفن الأمازيغي مطعما بالتراث الإنساني؛ الذي أبدعته ثقافات متنوعة؛ كانت معروفة منذ حقب قديمة جدا..

جـ ـ الفن المعماري:

ربما يكون أقدم إنجاز معماري بدائي شيده الإنسان القديم؛ هي تلك المصاطب أو القبور الرابضة في بعض المناطق من بلاد المغرب؛ منها ـ على سبيل المثال ـ القبور التي عثر عليها في منطقة الهقار؛ وهي التي أدهشت الباحث والرحالة السويسري جورج غيرستر؛ حيث وصفها بقوله[1]: **((وينتشر فوق مناجم البلاتين عدد كبير من القبور الحجرية ذات أشكال غريبة؛ فبعضها لا يرتفع أكثر من شبر فوق سطح الأرض، وبعضها على شكل اسطوانة قطرها ثلاث ياردات، وبعضها على شكل "حز" برتقالة** [شقها]**، كما أن بعضها**

---

[1] الصحراء الكبرى، ص: 189.

على شكل زوج من "البوصلات" لكل منها قدمان؛ طول الواحدة منهما عشرون ياردة، ويمتد بينهما حجر مسطح على طول ثلاثين ياردة من الشمال إلى الجنوب، وفي وسطه "نقرة" غير مفتوحة مثل "خرم" الإبرة. ويعزو الطوارق هذه القبور وما شابهها من القبور المماثلة في الصحراء الوسطى إلى مردة [عتاة] **أسطوريين؛ يعتقدون أنهم عاشوا في الصحراء قبلهم. وعلى الرغم من الحفريات التي قام بها غوتييه ومولود؛ إلا أن الخبراء ما زالوا حائرين أمام هذه التماثيل؛ فالقبور تمثل أضرحة تعود إلى ما قبل الإسلام، وتشير إلى نظام متطور في اللحد والدفن. والأكثر من هذا أننا لا نعرف شيئا عن هؤلاء الناس. فقد حافظت القبور على سرها))**.

وحسبما يظهر فقد طرأ تطور تدريجي على تلك القبور البدائية؛ بحيث أضحت تشيد في أشكال هندسية ملفتة للنظر. وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال الهياكل الضخمة التي تجلت في شكل مخروطي، أو على صورة أهرام صغيرة. وقد تطور حجمها، وتصميمها من البساطة إلى أوضاع فنية متقنة. وربما كان قبر

كليوباتــرة سيليـــنــه (ومعناهــا القمــر) بولايــة تيبــازة هـــو الشكـــل الأكثــر تطــورا بيـــن مجموعـــة الأهـــرام المخروطيـــة المنتشـــرة في بـــلاد المغـــرب كلهـــا؛ هـــذا بالإضافـــة إلى مدراســـن القريـــب مـــن باتنـــة، وجـــدار الرابـــض غـــرب تيـــارت. وثمـــة مـــن يـــرى مـــن الباحثيـــن أن أهرامـــات مصـــر مستمـــدة في أصولهـــا مـــن بعـــض هـــذه النمـــاذج اللوبيـــة..

ولابـــد هنـــا مـــن إثبـــات مـــا قالـــه ــ أيضـــا ــ الباحـــث السويســـري جـــورج غيرستـــر عـــن هياكـــل أخـــرى شيـــدت قديمـــا في منطقـــة الهقـــار؛ حيـــث قـــال: **((وتقـــف ثلاثـــة أبنيـــة كاكـــواخ الأسكيمـــو "أغلـــو" فـــوق التـــل في المنطقـــة. إنها مبنيـــة مـــن الحجـــارة المنحوتـــة، وقـــد وثقـــت بعضهـــا بالطيـــن؛ وتشبـــه إلى حـــد كبيـــر ــ عنـــد الفحـــص ــ خلايـــا النحـــل. وأحـــد هـــذه الأبنيـــة خـــال، أمـــا الآخـــران فمغلقـــان. إنها تبـــدو كمخـــازن الـــذرة؛ الـــتي بنتهـــا ــ في الظاهـــر ــ إحـــدى القوافـــل المسافـــرة مـــن الســـودان نحـــو الشمـــال))**[1].

أمـــا بخصـــوص الفنيـــات الـــتي تميـــزت بها مساكـــن المغاربـــة القدمـــاء؛ فيمكـــن استنتـــاج ذلـــك مـــن خـــلال تتبـــع التطـــور الـــذي عرفتـــه تلـــك

---

[1] الصحـــراء الكبـــرى، ص: 189.

الدور؛ من العصور القديمة إلى العصر الإسلامي. فمن الكهوف والأكواخ (ماقاليا) أخذ ذلك الإنسان القديم يتطلع إلى التفنن في مسكنه. غير أن الرحل من أولئك السكان ظلوا متمسكين بمساكنهم المتنقلة؛ إذ كانت سهلة للتفكيك والنقل.. أما الذين اختاروا الاستقرار منهم فقد تفننوا في مساكنهم؛ التي كانت في البداية عبارة عن كهوف زينت ببعض النقوش؛ ثم أضحت أكوخا مبنية بالطين والحجر. وغالبا ما يتم اختيار الأماكن المرتفعة لبناء القلاع والأبراج؛ التي تخصص لحفظ الذخائر ضد السلب والنهب. ومع مرور الوقت أصبحت بيوتهم تظهر في شكل مربع؛ حيث كانت الغرف تشيد على الجوانب الأربعة؛ ويترك وسط الدار معرضا للهواء الطلق. وقد غدت دور الأمازيغ بعد مدة تميل إلى الجمال، وتوفير الراحة لسكانها؛ وذلك نتيجة لاحتكاكهم بعناصر طارئة من حضارات عديدة؛ جاورتهم واختلطت بهم؛ فكان التأثير واضحا جليا؛ وهو ما يمكن تتبعه في هذه الأيام؛ من إنجازات الكيانات، والدول الأمازيغية المختلفة..

وكما استفاد أبناء هذه البلاد من فنون أمم وحضارات عديدة؛ فقد استفادت أمم

أخرى ـ أيضا ـ من الفن المغربي؛ منذ حقب ضاربة في أعماق التاريخ. ويعزز هذا الرأي النص الذي ورد في المختصر الكبير لموسوعة لاروس؛ وترجمته هي: ((**مهما بلغ نمو الرجل النياندرتالي** [الموجود بأوروبا] **فهو لم يعد يظهر في آخر الطور الموستيري إلا في شكل إنسان متأخر؛ وإن هجوم رجال جدد؛ قادمين من إفريقية؛ عن طريق إيطاليا وأسبانيا؛ هو الذي سيبث عقلية مغايرة؛ تبني عليها وتنجر عنها نشأة الفنون**))[1].

د ـ *الموسيقى والغناء والتمثيل:*

تملكتني حيرة؛ مبعثها ما جاء في كتاب ورقات لحسن حسني عبد الوهاب؛ فيما يتعلق بالفنون الجميلة والموسيقى ـ على الخصوص ـ لدى الأمازيغ؛ إذ ينفي هذا الباحث وجود فنون جميلة أو موسيقي لديهم.. وهذا هو قوله بالضبط: ((**مهما تتبع الباحث رسوم الحضارة، والمجتمع البربري؛ الذي يقطن شمال إفريقية ـ من قديم الزمان ـ فإنه لا يجد للفنون**

---

[1] Grand Mémento Larousse - Tome 1 - p: 159.، ومدنية المغرب العربي، ص ص: 42 ـ 43.

الجميلة ــ ومنها الموسيقى ــ أدنى أثر يذكر؛ وغاية ما يقال أن الأهالي الأصليين كانوا يتغنون ببعض ألحان ساذجة بسيطة؛ ربما قلدوا فيها أغاني الزنوج المحيطين بهم من ناحية الجنوب ــ الصحراء الكبرى والسودان ــ فالقبائل المحافظة على بربريتها الأولى مازالت تصوت بألحان أقرب ما تكون إلى إيقاع السودانيين... ويمكن الاستدلال على بساطة الموسيقى ــ لأي شعب كان ــ بآلات الطرب التي يستعملها لهذا الغرض. فالأمم البربرية ليس لها من الأدوات إلا مزمار؛ وهي (الشبابة) يتخذ في الغالب من القصب؛ ينفخ فيه، أو نوع من الرباب ذي وترين لا غير (القمبري)؛ وهو عين ما يوجد عند الزنوج البدائيين. وهذا من أكبر الشواهد على تأخر التلحين عندهم. وكذلك الشأن في الأصوات نفسها، التي تتغنى بها القبائل البربرية مثل: جبل (زواوة) ــ كتامة قديما ــ وبلاد (الريف) وأهل جبال المغرب من (السوس) الأدنى والأقصى؛ فإن الإيقاع فيها بسيط جدا؛ ولا يتجاوز بعض مقامات السلم؛ شبيه ما يشاهد عند السودانيين. وهذه هي الألحان الساذجة التي

وجدها العرب عند عشائر البربر لما فتحوا البلاد عليهم؛ وبقي استعمالها شائعا بين السكان الأصليين إلى أن امتد التعريب في البلاد، ورسخ في البلاد اللوبية؛ فتحولت أوضاعهم بالتدريج إلى أوضاع عربية؛ وانتشرت على مر الزمان من الحواضر العربية أو المتعربة حتى بلغت قرارات البربر))[1].

لقد اندهشت ـ حقا ـ من أقوال هذا الباحث المعروف بالتدقيق والتحقيق. ومما زاد اندهاشي؛ ذلك المزج والخلط بين حقب مختلفة؛ فهو يخلط بين فترة ما قبل التاريخ وبعده. وكان من الأفضل أن يخصص فقرة للحديث عن الموسيقى في ذلك الزمن ـ إن وجدت طبعا من خلال النقوش المكتشفة ـ ثم ينتقل إلى زمن القرطاجيين، ثم العصر الروماني؛ وبعد ذلك يدخل في موضوع الموسيقى في العهد العربي الإسلامي. ولكنه أشار بشكل خاطف لخلو النقوش من أي إشارة للموسيقى؛ ثم انتقل مباشرة إلى الحديث عن العهد العربي. مع أن العصر الروماني لا يخلو من عينات،

---

[1] ورقات، ق: 2، ص ص: 171 ـ 172.

ونماذج تؤكد اهتمام فئة من الأمازيغ بالموسيقى؛ في شكلها المتطور..

والجميع يعلم المجهودات الجبارة التي قام بها يوبا الثاني في نشر الفنون ــ بشتى أنواعها ــ في بلاده؛ مثل الموسيقى التي أنشأ ــ لتدريسها ونشرها ــ معهداً خاصا بشرشال؛ كما قام هو نفسه بتأليف موسوعة موسيقية ضخمة. أما التمثيل فقد أسس يوبا أيضا معهدا لتدريسه في شرشال كذلك. هذا بالإضافة إلى معهد النحت الذي أسسه في عاصمته شرشال. ولم يكن يوبا هو الوحيد المهتم بالفنون الجميلة ببلاد المغرب آنئذ؛ فثمة آخرون كانت لهم الاهتمامات نفسها؛ لأن التأثير الإغريقي والفينيقي والروماني لابد أن يولد اهتماما معينا بين السكان؛ وإذا لم يهتم بذلك السكان كلهم فقد يهتم بعضهم.. وهذا ما حدث في شعوب أخرى؛ فليس أفراد تلك الشعوب بكاملهم فنانين.. وعليه فمجرد وجود تيار فني معين ــ حتى وإن كان خفيفا ــ فذلك يعني حصول النشاط وتوفره. ولكي يتسنى دراسة هذا الميدان بشكل معمق ودقيق؛ يستحسن دراسة، وتمحص الفترتين: الفينيقية والرومانية؛ فلعلهما يمنحاننا معلومات أوسع

وأشمل.. وقد مرّ معنا ما قاله المحامي والأديب الفيلسوف الأمازيغي أبوليوس: **((أعترف بأني أوثر من بين الآلات شق القصب البسيط أنظم به القصائد في جميع الأغراض الملائمة لروح الملحمة أو فيض الوجدان، لمرح الملهاة أو جلال المأساة))**[1]. إذن فالشبابة التي استهان بها حسن حسني عبد الوهاب كانت من الآلات المحببة لذلك الأديب الفيلسوف؛ الذي جال في مصر، وبلاد الإغريق، وبلاد الرومان؛ وسمع ما فيها من آلات متطورة، كما سمع وتعرف على نماذج عديدة من الفنون الموسيقية؛ ولكنه مع ذلك ظل محبا لآلة الشبابة؛ لأنها من تراثه، وقادرة على أداء ما تفيض به نفسه من أغراض..

أما القول بالتأثيرات الزنجية؛ فلا يعني ذلك خلو البلاد من الفنون الموسيقية بالتمام؛ خاصة إذا علمنا أن التأثيرات الزنجية قد تعود بداياتها إلى آلاف السنين.. وهذه التأثيرات هي إحدى سنن الكون؛ فالشعوب كلها تتأثر وتقتبس من غيرها؛ وبذلك تتبادل الإنسانية الخبرات والتجارب، وهكذا تمتزج الثقافات،

---

[1] **تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص: 252.**

وتلقح الحضارات بعضها بعضا؛ ومن هنا يأتي التنوع والثراء.. وقد مر أيضا ما جاء في موسوعة لاروس التي تنص على التأثيرات الفنية لبلاد المغرب على أوروبا في الحقب الحجرية: **((وإن هجوم رجال جدد؛ قادمين من إفريقية؛ عن طريق إيطاليا وأسبانيا؛ هو الذي سيبث عقلية مغايرة؛ تنبني عليها وتنجر عنها نشأة الفن)).** ((une invasion d'hommes nouveaux venant d'Afrique, par L'Italie et L'Espagne, répandra une mentalité différente, provoquant la naissance de l'art.))[1] . إذن فالتأثير متبادل، والتأثير قديم ــ أيضا ــ قدم الإنسانية نفسها.. فما العيب في ذلك..؟

4)ــ النظام القبلي:

تدرج المجتمع المغربي القديم ــ منذ عصور قديمة جدا ــ في تنظيم حياة أبنائه، وتطويرها بالانتقال من شكل الأسرة الأغنية (العائلة)؛ إلى صورة أوسع؛ وذلك عندما تكاثر أفراد النموذج المذكور من الأسرة. وبمرور الزمن أصبحت تلك الأسر تشكل ما صار يعرف الآن بالعشيرة، أو القبيلة.. وكغيرهم من المجتمعات

---

1 Grand Mémento Larousse - Tome 1 - p: 159.، ومدنية المغرب العربي، ص ص: 42 ــ 43.

القديمة اضطرتهم الحياة القاسية للانسياق وراء هذا النهج الاجتماعي؛ الذي فرضته الطبيعة والمعروف بالقبلية أو القبيلية.. فالمشهور عن المجتمع الأمازيغي أنه كان مؤلفا من قبائل لا تحصى؛ مقسمة بدورها إلى أجزاء أصغر؛ يمكن أن تكون بمثابة بطون وأفخاذ وعشائر؛ كما كان عليه التقسيم القبلي عند العرب.. وقد تشكلت تلك القبائل من الأسر (العائلات) المتطورة، ومن مجموعات أخرى؛ تكون قد انضمت إليها بواسطة الحلف والجوار. ومن جهة أخرى يمكن أن تكون الحروب قد اضطرتهم إلى التكتل ضمن أحلاف أوسع من مستوى القبيلة؛ فتضحى في شكل جمهرات كبرى؛ ينتج عنها كيانات قد تقوم مقام الدول؛ مثل الأحلاف التي شكلت كيانات في المناطق الشمالية من بلاد المغرب؛ وهي: مورطانيا، ومازيسولة، وماسولة.. وللاستدلال على هذا ــ من خلال النصوص القديمة التي وردت عن الإغريقيين والرومانيين ــ يمكن تلخيص ما تمت معرفته عن القبائل المغربية قديما بسرد أسماء بعض منها مثل: **ماسايسيلي** Masaseli، **وباينوراي** Banivrae، **وأوتولولي** Autoles، **وكاناري** Canarii، **والجيتول** Gaetulia، **والقارمونت**

(كارمانـــتي) Garamantes، **وأيثيوبيـــا** Aethiopia، **وماسيـــلي** Massili، **وفـــزاني** Phazonii، **وماكـــاي** Macae، **وناسامـــوني** Nasamones، **ومارمايـــداي** Marmaridae، **وماريوتـــاي** Mareotae، **ولواتـــه** Louatah[1].

وطبعـا ليسـت هـذه كـل مـا في ديـار المغـرب مـن قبائـل.. فقـد كتـب هيرودوتـس واصفـا بـلاد المغـرب الجنوبيـة بقولـه: ((**فهنـاك في الداخـل؛ صحـراء ليبيـا؛ وعلـى أرض هـذه القفـار؛ تقـوم مساحـات واسعـة مـن الرمـال تمتـد مـن طيبـة في مصـر إلى أعمـدة هرقـل... ويعيـش العمونيـون علـى بعـد عشـرة أيـام مـن طيبـة؛ وعلـى بعـد عشـرة أيـام أخـرى منهـا إلى الغـرب؛ تقـع العقيلـة؛ وهي واحـة يـزرع فيهـا أهـل نسامـون أشجـار النخيـل... وعلـى بعـد عشـرة أيـام أخـرى مـن العقيلـة؛ جبـل رمـلي آخـر؛ فوقـه ينبـوع وواحـة مـن أشجـار النخيـل كغيرهـا مـن الواحـات. وفي هـذه المنطقـة يعيـش شعـب قـوي وعظيـم يـدعى القارمونـت. وهـذا الشعـب يغطـي الأرض بالملـح ثـم يـزرع القمـح..؟؟! وهنـا تعيـش أيضـا الثيـران الـتي تـرعى الكـلأ وهي تسيـر إلى الـوراء للسبـب التـالي: فقرونهـا ملويـة إلى الأمـام؛**

---

[1] عروبـة البربـر، ص ص: 178 ـــ 179.

ولـــذا فـــهي تضطـــر إلى المسيـــر إلى الخلـــف عندمـــا تـــرعى الكـــلأ... ويطـــارد هـــؤلاء القرامونـــت الأحبـــاش ــ الذيـــن يعيشـــون في الكهـــوف ــ بعربـــات تجرهـــا جيـــاد أربـــع. ويعتبـــر هـــؤلاء الأحبـــاش الذيـــن يعيشـــون في الكهـــوف أســـرع النـــاس عـــدوا. لكـــن ساكـــني الكهـــوف يأكلـــون الأفـــاعي والسحـــالي وغيرهـــا مـــن الحيوانـــات الزاحفـــة. ولا تشبـــه اللغـــة الـــتي يتحدثـــون بهـــا لغـــة أي شعـــب آخـــر؛ فهـــم يهـــذرون مثـــل الوطـــواط))[2].

فـــإذا مـــا دقـــق الباحـــث فيمـــا ورد ضمـــن المصـــادر الإغريقيـــة والرومانيـــة سيتضـــح لـــه أن أولئـــك الأحبـــاش أو الإثيوبييـــن؛ كمـــا تسميهـــم تلـــك المصـــادر (ومعـــنى الكلمـــة بالإغريقيـــة: الرجـــال الذيـــن أحرقتهـــم الشمـــس)؛ ليســـوا مـــن الزنـــوج؛ فهـــم بلـــون بـــني؛ وتقاطيـــع وجوههـــم تختلـــف عـــن التقاطيـــع الزنجيـــة.. وربمـــا كانـــوا منتشريـــن في كامـــل الصحـــراء؛ ومنهـــم حسبمـــا يبـــدو الشعـــوب الـــتي عرفـــت بـــ: **البافـــور، والتيبـــوس**[1]. أمـــا شعـــب القارمونـــت فهـــو مـــن الجنـــس الأبيـــض؛ وقـــد كـــان

---

[2] الصحـــراء الكبـــرى، ص ص: 49 ـــ 50.

[1] نفسه، ص ص: 52 ـــ 54.

محط اهتمام كثير من المؤرخين والباحثين؛ بدءا بهيرودوتس.. غير أن غموضا كثيفا بقي يكتنف أصوله؛ إذ لا يعرف المختصون ــ حتى الآن ــ من أين أتت الأفواج الأولى منه إلى هذه الديار. وإلى أي جهة نزحوا واختفوا فيما بعد.. وثمة من يرى أن لهم علاقة ما مع الشعوب البحرية القادمة من البحر الأسود؛ بينما يرى آخرون أن لهم علاقة ــ وإن مازالت غير واضحة المعالم ــ مع شعب الهكسوس؛ الذي احتل مصر في عام 1700 ق.م.

أما نزوحهم فيرى بعضهم أن الفتح الإسلامي أجبرهم على النزوح جنوبا؛ حيث تمركزوا في التاسيلي والهقار؛ وبذلك قد يكون أحفاد القارمونت هم الطوارق. وهذا الرأي ربما حظي بقدر من الصحة[2]. ويبدو أن هذا الشعب انضم إلى صف القرطاجيين في حروبهم ضد روما؛ إذ كانوا ضمن جيش حنبعل في تلك الحروب؛ وقد كانوا معه في حصاره لروما أيضا. ولما تغلبت روما على قرطاجة؛ بقي القارمونت مصدر إزعاج لها بمناوشاتهم، وغزواتهم المفاجئة.. وعندما تطاردهم جيوش

---

[2] الصحراء الكبرى، ص ص: 51 ـــ 55.

روما؛ ينسحبون إلى أعماق الصحراء؛ ويغلقون آبار المياه خلفهم. وبمرور الوقت استطاعت روما ترويضهم وكسبهم إلى صفها؛ إذ غدوا ـــ في القرن الأول الميلادي ـــ ضمن جيشها المسلط على الصحراء. والراجح أن النواحي التي سيطرت عليها قبائل القارمونت هي مناطق: فزان والتاسيلي والهقار. ويقال أن نفوذهم امتد غربا حتى شواطئ المحيط الأطلنطي، وجنوبا إلى النيجر.

وكما نسبت الفترة الفنية ـــ التي تصنف نقوش وصور الصخور ـــ إلى الحصان والعربة؛ فإنها كانت تسمى أيضا بفترة القارمونت. مع أن لا شيء يثبت انهم هم الذين زخرفوا ونقشوا تلك الصخور بصور الجياد وعرباتها؛ ذلك أنه ثبت أن جماعات أخرى ـــ غير القارمونت ـــ كانت تجوب الصحراء المغربية؛ بواسطة عربات تجرها الخيول. ويحاول الباحث جورج غيرستر أن يضع معالم تكشف له الطريق الغامض فيقول[1]: **((ولكن الدليل قد قام على أن الليبيين الذين كانوا دائمي الإغارة على حدود مصر الغربية كانوا**

---

[1] الصحراء الكبرى، ص ص: 54 ـــ 55.

يستخدمون الخيول في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وتذكر أسطورة عن دولة الفراعنة الحديثة أن جنود الفرعون وضعوا أيديهم في معركة دارت عام 1229 ق.م. على أربع عشرة عربة فردية العجلات؛ غنموها من زعيم ليبي وأولاده. ويظهر هذا الدليل؛ أن الحصان والعربة قد وصلا إلى البلاد الواقعة إلى الغرب من مصر لا من وادي النيل؛ بل من الشمال. ففي القرون الأخيرة من الألف الثاني قبل الميلاد جاءت موجة من الشعوب التي تسمى بالبحرية مقتحمة حوض البحر الأبيض المتوسط؛ وقادمة من البحر الأسود. ومن المحتمل أن يكون هؤلاء الأقوام قد هبطوا في برقة، وكانوا مسئولين عن دفع الليبيين شرقا ضد مصر. ومن المحتمل أن يكون القارمونت قد شكلوا جزءا من هذا الغزو. ويوضح هذا الافتراض الملامح البحر ـ متوسطية في الصخور الصحراوية القارمونتية كـ : ملابس الرجال والنساء، وأفخاذ سائقي العربات الضيقة وأكتافهم العريضة، وكذلك الجياد وهي في حالة غارة)).

وقبل الانتقال إلى فترة ما بعد الرومان؛ لابد من الإشارة — ولو بشيء من الإيجاز؛ بسبب ضحالة المعلومات — إلى بعض القبائل التي تردد ذكرها — دون أن تتعمق المصادر في الكلام عن أوضاعها الاجتماعية والسياسية — منها: **قبيلة جدالة، وقبيلة المزالمة.** فقبيلة جدالة كانت تحتل السهوب الجنوبية لنوميديا؛ وقد شغلت جيوش الرومان، وأقضت مضاجعهم في ديار المغرب زمنا طويلا. أما قبيلة المزالمة فكانت تجاور المقاطعة القرطاجية الرومانية؛ وبالتحديد بمحاذاة ضفاف وادي ملاق؛ وكانت قد انتفضت ثائرة ضد الحكم الروماني عدة مرات.. هذا بالإضافة إلى عدد من القبائل التي كانت محاطة بغموض كثيف؛ وكل ما يعرف عنها؛ أنها قامت بثورات ضد الرومان والوندال مثل القبائل التي ثارت في جبال البابور Bavares؛ بين سكيكدة وقسنطينة، ثم التكتل القبلي الذي عرف بالحلف الخماسي Les Quinquégentiens؛ وهو عبارة عن خمس قبائل تحالفت في المنطقة المحصورة بين دلس وبجاية؛ بالإضافة إلى قبيلة أخرى بزعامة **فاركسن**؛ انضمت إليهم؛ قادمة من مرتفعات بلعباس غربا. ثم القبائل الأوراسية التي ثارت في عهد

الوندال بزعامة **يوضاس**؛ الذي تمكن من الاستيلاء على منطقة واسعة غربي الأوراس بمحاذاة سهل الحضنة. هذا إلى جانب الممالك القبلية التي تشكلت في: بلاد النمامشة، والحضنة بإمرة **أرثياس**، وآلطاوة Altava؛ المعرفة الآن بحجر الروم؛ شرق تلمسان، وصافار جنوب وهران؛ بقيادة الإغليد **مازونة**، ثم المملكة التي نشأت جنوب شرشال بزعامة **ماستيناس**.

هذا ما أمكن ذكره فيما يخص العصور التي سبقت الفتح الإسلامي. أما الفترة الزمنية التي تدخل ضمنها الأحداث التي حصلت بعد الفتوحات الإسلامية؛ فهي أكثر وضوحا من الفترات الماضية؛ لأن المصادر العربية كانت أكثر عناية بالسكان الأصليين، وأوسع حديثا عن القبائل الأمازيغية. وكان الكتاب العرب يعتمدون في أخبارهم على روايات أمازيغية؛ مصدرها النسابة الأمازيغ أنفسهم.

وإذا اعتمدنا على ما ذكره النسابون عن الأمازيغ، وما نقله المؤرخون العرب عنهم؛ نجد أن القبائل الأمازيغية تنتشر عبر بلاد المغرب كلها؛ بما فيها جزر الكناري (الجزر الخالدات)؛ بالإضافة إلى مساحات واسعة من الأجزاء الشمالية للبلاد السودانية؛ المعروفة الآن:

بالسينيغال ومالي والنيجر والتشاد؛ ثم الجزء الغربي من الصحراء المصرية. وكانوا مهيكلين ضمن قبائل كثيرة؛ لا يمكن معرفة عددها بالتحديد. غير أن النسابة والمؤرخين حصروها ضمن فئتين عظيمتين. قد تصل في كثافتها، وتشعبها إلى مرتبة شعب، أو جذم؛ حسب البناء القبلي المتبع لدى النسابة العرب. وعند مراجعة ما كتبه ابن خلدون يتضح أنه صنف القبائل الأمازيغية إلى صنفين؛ وجعل كل فئة منهما في مرتبة **جذم**؛ وهما:

ـ **جذم البتر**؛ نسبة إلى **مادغيس الأبتر**.

ـ **جذم البرانس**؛ نسبة إلى **برنس**.

وقد اختلف النسابة في أمرهما. فمن قائل: بأنهما ينتميان إلى أب واحد، وقائل بخلاف ذلك. وكل الذي يستحق الذكر ـ هنا ـ هو أن علي بن حزم ـ الذي كان محل تقدير واحترام من طرف ابن خلدون ـ قد سرد آباء، وأجداد مادغيس الأبتر؛ وصمت عن ذكر **آباء برنس**. غير أنه أشار ـ في موضع آخر ـ إلى احتمال عودتهما إلى أب واحد؛ هو بر؛ إذ قال: **((فولد بر: مادغس،**

وبرنـــس...))[1]. أمـــا ابـــن خلـــدون نفســـه فينسبهمـــا جميعـــا إلى أب هـــو **مازيـــغ بـــن كنعـــان.**

وربمـــا تســـاءل بعضهـــم؛ مـــا هـــو العائـــق الـــذي منـــع المجتمـــع الأمازيـــغي مـــن تطويـــر نظمـــه الاجتماعيـــة؛ عـــلى الرغـــم مـــن احتكاكـــه بمجتمعـــات أخـــرى متطـــورة؛ **كالفراعنـــة، والإغريقييـــن، والفينيقييـــن، والرومانييـــن.؟** ومبعـــث هـــذا التســـاؤل ـــ حسبمـــا يبـــدو ـــ هـــو أنـــه لوحـــظ عـــلى الأمازيـــغ تمسكهـــم بالنظـــم القبليـــة؛ في الوقـــت الـــذي تربـــض إلى جوارهـــم **الإمبراطوريـــة القرطاجيـــة** الكبـــرى؛ الـــتي كانـــت تتفاخـــر بمؤسساتهـــا المدنيـــة، والعسكريـــة، والعمرانيـــة. وبعـــد سقـــوط الإمبراطوريـــة القرطاجيـــة؛ خلفتهـــا إمبراطوريـــة أخـــرى؛ قامـــت بـــزرِع **مستعمـــرات رومانيـــة** عديـــدة بيـــن الأمازيـــغ، وفي عمـــق مَوَاطنهـــم؛ تستنـــد إلى نظـــم مدنيـــة متطـــورة؛ ولا تعـــرف القبليـــة لهـــا طريقـــا. ومـــع هـــذا بـــقي الأمازيـــغ عـــلى حالهـــم؛ الـــذي يهيمـــن عليـــه **النظـــام القبـــلي المتحجـــر.**

وعـــلى الرغـــم مـــن الاجتهـــادات المحـــدودة الـــتي قـــام بهـــا **ماسينيســـا**؛ العاهـــل الأمازيـــغي الشهيـــر كتشجيع القبائـــل عـــلى الاستقـــرار، والعمـــل بالفلاحـــة،

---

[1] **جمهـرة أنسـاب العـرب، ص: 495.**

وتشييد دولة بمؤسسات جديدة؛ لا تعمل بمنطق القبلية؛ فإنه فشل في تغيير التركيبة الاجتماعية؛ أو حتى بعث حركة قوية تستطيع الاستمرار في النهج الذي شرع فيه[1]. والعلة في ذلك تتمثل — كما يبدو — في عاملين اثنين: أحدهما خارجي، والآخر داخلي. فأما الخارجي فهو الوجود **الفينيقي، والروماني**؛ ذلك الوجود الأناني، القمعي، المستبد؛ وإن اختلف وجهيهما، وتباينت مواقفهما.

فالوجود الفينيقي بدأ في شكل محطات تجارية شيدت على طول الساحل؛ بدءا بسنة 1101 ق.م؛ وهي السنة التي تم فيها تأسيس مركز **أوتيكة**؛ في خليج تونس. ثم تطور — فيما بعد — حتى أضحى كيانا قريبا من الدولة. ثم دولة لها اعتبارها؛ فإمبراطورية عظمى؛ سيطرت على البحر الأبيض المتوسط بكامله. مع العلم أنهم ظلوا يقدمون الضرائب السنوية للأمازيغ أو الليبيين؛ طيلة ثلاثة قرون ونصف. وعندما استفحل أمرهم؛ وجد الأمازيغ

---

[1] **ش. جوليان؛ تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 134. والجيلالي؛ تاريخ الجزائر العام، ج: 1، ص: 62. M. Kaddache, L'Algerie dans L'Antiquite, pp: 68-72. F. Decret et Mhamed Fantar, L'Afrique du Nord dans L'Antiquité, p: 132-139.**

أنفسهم تحت سلطان من كانوا تحت حمايتهم. ولّما كان الفينيقيون في **قرطاجة** يعيشون في ظل مؤسسات الدولة المنظمة؛ فقد تفوقوا على الأعداد الهائلة من الأمازيغ، واستخدموهم، وسخروهم لمصالحهم، ومصالح دولتهم؛ كمقاتلين؛ وكعمال، وكمستهلكين لبضائعهم. وعلى الرغم من الفترة الزمنية الطويلة التي استوطنوا خلالها بلاد الليبيين؛ فإنهم ظلوا متقوقعين على أنفسهم، وحريصين على ضمان عدم اختراق الأمازيغ لمجتمعهم المحصن بالنظم الأرستقراطية المنيعة.

أما الرومان فكانوا ينظرون ــ منذ مجيئهم ــ إلى الأمازيغ نظرة متعالية؛ وبالمقابل كانوا يرصدون بلادهم بعيون مشحونة بالأطماع في ثرواتها. وعندما سنحت الفرصة المواتية؛ انقضوا على فريستهم. ولم يشذ سلوك الرومان عما عرف في تاريخ الإنسانية؛ عن سلوكيات الغزاة المحتلين؛ إذ اهتموا بما تدره البلاد عليهم من خيرات؛ دون الالتفات إلى ما ينفع سكانها. ثم انهم توغلوا في عمق البلاد؛ أكثر مما ذهب إليه الفينيقيون. فبينما اكتفى هؤلاء بالشريط الساحلي، وبعض المناطق الداخلية؛ فيما يعرف ــ الآن ــ بتونس؛ نرى الرومان قد زرعوا

معسكراتهم في داخل البلاد؛ حتى وصلوا بها إلى مشارف الصحراء. وعلى الرغم من تواجدهم بين السكان الأصليين للبلاد؛ فإنهم حرصوا على عدم الاختلاط بهم، وتجاهلوا مساعدتهم على تطوير نظمهم، أو ترقيتهم: **ثقافيا**، **واقتصاديا.** وبذلك حالوا بين السكان، وبين ما يمكن أن ينفعهم حضاريا.

هذا عن العامل الخارجي؛ أما العامل الداخلي فيتمثل في **علل نفسية**، **وثقافية**؛ عجز أبناء هذه البلاد عن التخلص منها أو تهذيبها. ويمكن حصر هذه العلل فيما عرف **بالعصبية القبلية.** ونظرا لضيق المجال هنا؛ أحيل القارئ الكريم إلى كتابي الذي سيصدر ضمن هذه السلسلة؛ بعنوان: **العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية**؛ ففيه ما يفي بالحاجة عن نظرية العصبية. وما يمكن الإشارة إليه في هذا المجال؛ هو ما تمت ملاحظته على المجتمع الأمازيغي؛ من عدم اكتراث بما كان يتحرك حوله من نظم، ومظاهر حضارية يتميز بها المحتلون، أو المجاورون لهم. والأغرب من ذلك كله أنهم احتكوا ـــ قبل معرفتهم للفينيقيين، والرومان ـــ بحضارة **مصر الفرعونية**؛ التي

توصل بعض الأمازيغ (الليبيين) إلى التربع على عرشها؛ لفترة معينة من التاريخ[1]. ومع هذا لم يجلبوا معهم إلى بلادهم شيئا هاما من حضارتها، أو نظمها؛ التي تجاوزت مرحلة العصبية القبلية. ما عدا بعض المظاهر الجنائزية، والدينية المحدودة.

ولما قدم العرب ـ خلال الفتح الإسلامي ـ إلى هذه الديار؛ وجدوا في المجتمع الأمازيغي تشابها كبيرا بالمجتمع العربي. من ذلك: التقسيمات القبلية، والإفرازات النفسية للعصبية، وأسلوب العيش، وحب الغزو.. وغير ذلك. وبالمقابل لم يجد الأمازيغ لدى العرب ـ ما يمكن أن يأخذوه منهم ـ سوى **الدين الإسلامي** الحنيف؛ لما وجدوا فيه من تعاليم سمحة، وعادلة، وصادقة؛ لذا فقد سارعوا إليه، وعضوا عليه بالنواجذ؛ حتى أضحوا أكثر تمسكا به من بعض العرب الوافدين إلى بلاد المغرب أنفسهم.

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 71 ـ 72. Mhamed Fantar, F. Decret et L'Afrique du Nord, p p: 42- 46

5)ـ الهجـــــرات:

قبـــل البـــدء بالحديـــث عـــن أنســـاب القبائـــل البتريـــة؛ أو البرنسيـــة يستحســـن التوقـــف عنـــد ظاهـــرة مهمـــة؛ وهي ظاهـــرة هجـــرة بعـــض الأحيـــاء الأمازيغيـــة، وانتقالهـــا مـــن مكـــان إلى آخـــر؛ في داخـــل بـــلاد المغـــرب، أو خـــارج إطـــار مواطنهـــم الأصليـــة؛ وذلـــك بانتقالهـــم إلى الأندلـــس، أو بـــلاد المشـــرق مثـــلا. فباستقـــراء مصـــادر تاريخيـــة مختلفـــة يتضـــح أن الأمازيـــغ كانـــوا ــ منـــذ فتـــرات تاريخيـــة قديمـــة ــ عـــلى اتصـــال مـــع غيرهـــم؛ مـــن شعـــوب البـــلاد المحيطـــة بهـــم؛ في الشـــرق، والشمـــال، والجنـــوب.

أ ــ الهجـــرة مـــن وإلى الشـــرق:

فـــفي الجانـــب الشـــرقي تبـــرز **مصـــر**؛ الـــتي تكـــون قـــد احتكـــت **بالأمازيـــغ** (الليبييـــن) حـــوالي 3300 سنـــة قبـــل الميـــلاد؛ حيـــث عرفـــوا ــ آنئـــذ ــ باســـم **التهينـــو** Tehenou. فمنـــذ هـــذا التاريـــخ بـــدأت تتكلـــم عنهـــم نقـــوش الفراعنـــة، ولوحاتهـــم الأثريـــة؛ **كلوحـــة نارميـــر، والأنشودتيـــن: الرابعـــة، والخامســـة** للآلهـــة الفرعونيـــة **نايـــت** Neit ، والآثـــار الأخـــرى الـــتي تشخـــص المقاتليـــن الليبييـــن؛ ممتشقيـــن أسلحتهـــم. كمـــا استعـــان **رمسيـــس الثـــاني** بمقاتليـــن

من **الأمازيغ**؛ في بداية القرن الثالث عشر؛ لصد هجمات **الحتيين**. واضطر **رمسيس الثالث** أيضا إلى مهادنتهم حوالي سنة 1189 ق.م؛ حيث أسكن **((عشرات الآلاف))** منهم بالدلتا.

وفي هذا الباب يقول شارل أندري جوليان: **((واستغل أحد القواد الليبيين المرتزقة الفوضى التي تبعت ذلك؛ فبسط نفوذه على هرقلة Hierakléopolis في مصر الوسطى. وغزا خليفته السابع شيشنق الأول Sheshonq1 الدلتا، وقسم الأرض بين الليبيين، وأسس الأسرة الثانية والعشرين_950 ق ــ م. ويصور لنا الفن الشعبي لأول مرة؛ مجتمعا شغوفا بالمعارك؛ مخالفا تمام المخالفة للمجتمع المصري. وخلافا لما اعتقد المؤرخون طويلا؛ فإن أحفاد رسل الإله آمون القدامى ليسوا هم الذين أسسوا مملكة نباطة Napata التي اتسعت رقعتها في أواخر القرن الثامن من الشلال الأول إلى الحبشة. وأثبتت حفريات ريسنار Reisner أن الليبيين هم الذين بسطوا نفوذهم على أرض الكوش؛ كما فعل ليبيو الشمال بالنسبة للدلتا. لقد كانوا فرسانا متحمسين لجيادهم؛ لا سائقي عربات كالفراعنة. ولم يوجد أطوع**

لتعاليم آمون، وكهنته من هؤلاء الأجانب المستوطنين بمصر. ولا شك أن المدنية المصرية أشعت بواسطتهم على الليبيين الغربيين؛ وربما بلغت أنوارها المترامية أقصى غرب إفريقيا))[1].

هذا ما سمح به المجال؛ بخصوص هجرة بعض الفئات الأمازيغية إلى مصر؛ واستقرارها في تلك الديار في العصور الفرعونية. وبالطبع لم تكن تلك الهجرة هي الأخيرة؛ بل حدثت هجرات أخرى في عصور تلتها؛ منها: انتقال القبائل التي كانت تشكل **الجيوش الفاطمية** إلى مصر؛ في مراحل عديدة. ومن بين تلك القبائل: **كتامة، وصنهاجة، وزواوة**. كما انتقلت أحياء من قبائل أخرى؛ إلى مصر تلقائيا؛ بحكم الجوار طلبا للمنفعة، وتحسين العيش؛ ومن بينهم: جماعات من قبيلة **لواتة**، وجماعات من قبيلة **هوارة**[2]. هذا بالإضافة إلى بعض الأفراد الذين اختاروا الاستقرار في الديار المصرية؛ في فترات متفاوتة؛ بعد أداء فريضة الحج. وتغلب على هؤلاء الناس صفة العلم، والمعرفة؛ فهم في الغالب **علماء**. ولم تقتصر إقامتهم في الديار

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص: 72.

[2] للتوسع أنظر موسى لقبال؛ دور كتامة.

المصرية فحسب؛ بل استقروا ــ أيضا ــ في بلاد الشام، وفلسطين.

وكما حصلت هجرات من الغرب إلى الشرق؛ حدثت ــ أيضا ــ هجرات أخرى من الشرق إلى الغرب؛ حيث كانت مصر هي المعبر الرئيسي؛ نحو بلاد الأمازيغ. فوجود جالية من الأمازيغ ببلاد النيل؛ منذ عدة قرون قبل الميلاد؛ يدعم الافتراض القائل بوجود اتصالات بين المصريين القدماء، والأمازيغ. وهذا الاتصال لا بد أن يتأثر، ويؤثر. كما أنه لا يتوقف في حدود معينة. وعليه يمكن أن يمتد التأثير ــ بواسطة الاتصال بين هذين الشعبين ــ إلى شعوب أخرى؛ من الجهة الأخرى؛ التي يفترض أنها ليست على اتصال مباشر مع الطرف الأول. وبذلك أصبحت مصر مركز الوسط؛ وبواسطته اتصل الأمازيغ بشعوب أخرى في المشرق. مثل: **الكنعانيين، والعبرانيين، والعرب.** ومن هنا.. عرفت هذه البلاد هجرات في الاتجاه المعاكس؛ من الشرق إلى الغرب؛ حيث قدم **الفينيقيون** في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد؛ في وقت كان الفينيقيون متأثرين، ومتصلين بالحضارة المصرية؛ التي كانت تضم بين أحضانها فئات من بلاد الأمازيغ.

وكتجار نشطين؛ لابد للفينيقيين من الاستطلاع؛ بواسطة الاستفسارات الشفهية أولا؛ وهو ما يوفره الأمازيغ المتواجدون معهم في المشرق. وعليه يمكن أن تكون مصر واسطة ـ بدون قصد ـ في الهجرة الفينيقية.

أما الهجرات العبرانية، والكنعانية الأخرى؛ التي ربما تكون حدثت؛ انطلاقا من فلسطين، والشام؛ فلم يظهر لها سند تاريخي قوي حتى الآن؛ وإن كانت كتب المؤرخين العرب تتكلم عنها؛ نقلا عن **نسابة البربر**، أو **نسابة العرب**؛ ولكن دون تقديم أدلة فاصلة. ومع هذا تواجدت في بلاد المغرب فئات تنتحل الديانة اليهودية؛ ويزعم أعضاؤها بأنهم من العبرانيين. مع أن وجود جماعات متدينة بالديانة اليهودية؛ لا يعني ـ بالضرورة ـ وجود جنس من اليهود العبرانيين. فكما دخلت المسيحية إلى هذه البلاد كدين؛ يمكن لليهودية أن تأتي كدين هي الأخرى. خاصة وأن المصادر التاريخية تتحدث عن قبائل من أصل أمازيغي دانت باليهودية؛ وهذا ابن خلدون يقول: **((وكذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية؛ أخذوه عن بني إسرائيل عند**

استفحال ملكهم؛ لقرب الشام وسلطانه منهم؛ كما كان جراوة؛ أهل جبل أوراس؛ قبيلة الكاهنة؛ مقتولة العرب لأول الفتح، وكما كانت نفوسة؛ من برابر إفريقية، وقندلاوة، ومديونة، وبهلولة، وغياثة، وبنو فازان؛ من برابرة المغرب الأقصى؛ حتى محا إدريس الأكبر الناجم بالمغرب؛ من بني حسن بن الحسن؛ جميع ما كان في نواحيه من بقايا الأديان والملل))[1]. ولكن هذه الأقوال لا تمنع حدوث هجرات ــ بالفعل ــ وإن غابت الأدلة القاطعة.

والهجرات العربية ــ بدورها ــ غزتها مجموعة من الأساطير؛ التي شوهت الحقيقة، ووضعتها في مسار يسوقنا إلى متاهات؛ لا تخدم التاريخ الصحيح لهذه البلاد. فإن كنا نشك في صحة كثير مما جاء في المصادر العربية؛ عن علاقة الأمازيغ بـ: **إفريقش بن صيفي، وتبع، ويقشان ابن إبراهيم الخليل، والغساسنة، ولخم، وجذام، وحمير بن سبأ، وجالوت، والعماليق، وقيس ابن عيلان**؛ فليس معنى هذا النفي القاطع لوجود آثار ما؛ تتعلق بهجرة بعض

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 214.

الجماعات من الشرق؛ إلى بلاد الأمازيغ، واختلاطهم بسكانها، واندماجهم بهم. فكما هاجر الفينيقيون؛ يمكن لغيرهم أن يهاجروا كذلك. وعليه.. ستبقى هذه النظريات قابلة للنقاش؛ حتى يظهر ما يعزز إحداها، أو ينفيها جميعا. والحقيقة الثابتة ــ حتى الآن ــ بخصوص الهجرات العربية؛ هي: **هجرة العرب الفاتحين** في العهد الإسلامي، **وهجرة الجيوش التي بعث بها الأمويون، والعباسيون** لإخماد ثورات الأمازيغ المتتالية، **وهجرة قبائل هلال وسليم** في العهد الفاطمي. وقد استقر كثير من هؤلاء الجند، والمهاجرين في بلاد المغرب، والأندلس. وكما سبق ذكره.. فهذه الهجرات كلها؛ جاءت عن طريق مصر؛ سواء القادمة من **جزيرة العرب**، أو من **الشام**، أو من **العراق**، **وفارس**.

ب ــ الهجرة من وإلى الجنوب:

هذا ما سمح به المجال بخصوص الهجرات الآتية من الشرق، والذاهبة إليه. أما الهجرات الجنوبية؛ فعرفت ــ هي الأخرى ــ أخذا، وعطاء؛ من الشمال إلى الجنوب، ثم العكس؛ وإن تم في

الحال الأخيرة بشكل أقل حدة، وأكثر غموضا. فالزاحفون من الأمازيغ نحو الجنوب؛ ربما وصلوا حتى **بلاد السنغال**؛ التي يقال أن اسمها اشتق من كلمة **صناكة** أي (صنهاجة). لأن الاسم المعروف ــ سابقا لتلك الديار ــ هو **غانة** أو (غانية). ثم إلى الشرق منها **صُوصُو، ومالي، وكَوْكَوْ** أو (كاغو)، ثم **التكرور، وزغاي** أو (زغاوة). وتقع هذه البلاد كلها جنوب مَوَاطن الأمازيغ. وتعرضت لزحفهم؛ في فترات متفاوتة من التاريخ. ويبدو أن القبائل الأمازيغية التي نزحت إلى الجنوب هي: **صنهاجة، ولمطة، ومسوفة، وهوارة.** ويقول ابن خلدون: **((ثم إن أهل غانية** [غانة] **ضعف ملكهم، وتلاشى أمرهم، واستفحل أمر الملثمين؛ المجاورين لهم من جانب الشمال؛ مما يلي البربر كما ذكرناه؛ وعبروا على السودان، واستباحوا حماهم، وبلادهم؛ واقتصوا منهم الإتاوات، والجزي، وحملوا كثيرا منهم على الإسلام؛ فدانوا به))**[1]. وبالمقابل يبدو أنه حدث الشيء نفسه؛ بانتقال فئات من السودان إلى شمال مواطنهم. وإخضاعهم للأمازيغ

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 413.

المتواجدين في عمق الصحراء. وهذا ما يشير إليه ابن خلدون؛ حين تكلم عن **منسا موسى** سلطان مالي: **((لمَا كان عليه منسا موسى؛ من استفحال ملكه بالصحراء الموالية لبلد واركلا؛ وقوة سلطانه))**[2]. ووجود عناصر سوداء البشرة بمواطن الأمازيغ؛ خير دليل على انتقالهم إلى هذه البلاد؛ منذ حقبة موغلة في القدم.

جـ ــ الهجرة من وإلى الشمال:

بقي علينا ــ الآن ــ التعرف على الهجرات التي تمت من المناطق الشمالية؛ نحو بلاد الأمازيغ. ويبدو أن كل ما توصل إليه الباحثون ــ في هذا الباب ــ هو أن البوادر الأولى لهذا الاتصال؛ ربما كانت بواسطة **الإغريقيين**؛ وإن كان هذا الافتراض يحتاج إلى بحث أوسع؛ لإزالة الغموض الذي خلفته الأساطير اليونانية القديمة. والثابت ــ حتى الآن ــ هو تمكن بعض الإغريقيين ــ خلال القرن السابع قبل الميلاد ــ من إقامة عدد من المستعمرات الساحلية في المنطقة المحصورة بين مصر، وطرابلس؛ تلك

---

[2] العبر، مج: 6، ص: 415.

المنطقة المعروفة في القديم باسم بلاد **القريني** Cyrénaique. وعن هذا يقول شارل .أ. جوليان: **((ولم يستقر الدوريطانيون على نجد بلاد القريني** Cyrénaique **إلا حوالي سنة 631 ق.م. وكانت لهم مع الليبيين معارك عنيفة متكررة. ولكنهم اختلطوا بهم اختلاطا وثيقا، وتبنوا تقاليدهم الجنائزية، وعقائدهم، وسعوا إلى التزوج بالجميلات من نسائهم. ولئن هم أسسوا مدينة برقة في أوائل القرن السادس؛ فقد اصطدموا بقرطاج عندما كرروا محاولاتهم التوسعية))**[1]. ونتيجة لأنانية التاجر؛ التي يتميز بها القرطاجيون؛ فإنهم حرصوا على منع الاتصالات المباشرة بين الأمازيغ، والإغريقيين. ولم يتم ذلك بوضوح إلا بعد سقوط قرطاجة.

هذا عن اتصالات الأمازيغ بالإغريق. أما احتكاكهم **بالرومان**؛ الذين قدموا ــ دون قصد ــ إلى إفريقية بواسطة القرطاجيين؛ الذين مكنوهم ــ بعد هزائمهم الحربية أمامهم ــ من احتلال قرطاجة، والتعرف ــ عن قرب ــ على ثروات بلاد الأمازيغ الطبيعية. ومن هنا بدأت

---

[1] **تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 73ــ74.**

الفصول الأولى؛ للاحتلال الروماني، ثم الوندالي، ثم البيزنطي؛ ودام هذا من سنة 204 ق.م؛ السنة التي وطئت فيها أقدام القائد الروماني **شيبيون** أرض إفريقية؛ وحتى سنة 429 ميلادية؛ السنة التي نزلت فيها جيوش **الوندال** أرض الأمازيغ؛ حيث بقوا في هذه الديار حتى سنة 534م؛ سنة زحف **البيزنطيين**؛ الذين دام حكمهم لبلاد الأمازيغ؛ حتى قدوم الفاتحين **العرب**؛ بدءا بفتح برقة التي سقطت في أيديهم لأول مرة في سنة 642م. وخلال هذه الفترة الطويلة من الزمن؛ عرفت البلاد ــ التي أصبحت تسمى فيما بعد المغرب؛ نظرا لموقعها من بلاد العرب ــ تعرضت لملاحم، وأحداث في منتهى الأهمية؛ قامت القبائل الأمازيغية فيها بالأدوار الرئيسة. ولكن الحديث عنها بإسهاب يخرجنا عن مجال هذه الدراسة؛ لذا نتركها لمن شاء البحث فيها.

أما هجرات الأمازيغ؛ انطلاقا من بلادهم؛ في اتجاه الشمال؛ فيبدو أنهم عرفوا ــ منذ آلاف السنين؛ قبل الميلاد ــ شعوبا عديدة؛ تسكن شمال وطنهم. مثل: **الإغريق**، **والرومان**، **والوندال**، **والإفرنج**، **والجرمان**، **والقوط**،

والصقالبة.. وغيرهم. وهذا ما تشير إليه بعض النصوص التاريخية؛ التي تسجل وجود فئات أمازيغية ضمن الجيوش المشكلة من شعوب البحر؛ منذ بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد؛ وفي هذا يقول ش .أ. جوليان أنهم كانوا: **((ضمن اتحاد شعوب البحر العظيم. وهو رد فعل ضد التوسع الهندي الأوربي. وقد تحالف اللوبيون أو الليبيين مع قراصنة الشمال الليسيين، وسردان سارده أهل سغلوس Sagalos، وترسين أهل لمنوس، والآخيين؛ فكانوا أغلبية الجيش الذي هاجم الدلتا؛ بدون نتيجة 1227. وقد يكون أصل هؤلاء اللوبيين من الأطلس. فقد لوحظ أن أسماء قوادهم تذكر بالضبط أسماء النوميديين الوارد ذكرهم في التاريخ المألوف A. Moret . ومهما يكن من أمر فهم الذين أطلق اسمهم على ليبيا، ولعبوا في تاريخ مصر فيما بعد دورا رئيسيا؛ متزعمين كتلة غير منسجمة من التهانو Tehenou، والهندو الأوروبيين))**[1]. من هنا يحق لنا التساؤل: كيف وجدوا ضمن هذا الحلف؛ إن

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 71ــــ 72.

لـــم تكـــن لهـــم اتصـــالات مسبقـــة مـــع أعضـــاء ذلـــك الحلـــف..؟

والهجـــرات الأمازيغيـــة المنطلقـــة نحـــو الشمـــال؛ والـــتي ثبتـــت ــــ حـــتى الآن ــــ هي الهجـــرات الـــتي حدثـــت خـــلال حـــروب قرطاجـــة ضـــد شعـــوب أوربـــا؛ إذ كـــان الفرســـان النوميديـــون يشكلـــون جـــزءا كبيـــرا مـــن جيشهـــا؛ منهـــم مـــن كـــان بقيـــادة ماسينيســـا قبـــل اعتلائـــه عـــرش نوميديـــا. وقـــد كـــان ــــ أيضـــا ــــ إلى جانـــب الرومـــان في تلـــك الديـــار الشماليـــة؛ لمـــا تغلبـــوا عـــلى قرطاجـــة. أمـــا في العصـــر الإســـلامي؛ فكانـــت شبـــه الجزيـــرة الأيبيريـــة مسرحـــا مفتوحـــا للقبائـــل الأمازيغيـــة؛ إذ كانـــوا أول مـــن دخلهـــا في العهـــد الإســـلامي. وتمـــت هـــذه الهجـــرات عـــلى مراحـــل عديـــدة؛ بـــدءا بالحملـــة العسكريـــة الأولى الـــتي قادهـــا القائـــد الأمازيـــغي **طـــارق بـــن زيـــاد**؛ في سنـــة 92هـ؛ حيـــث بـــقي أعضاؤهـــا في تلـــك الديـــار المفتوحـــة. وإذا علمنـــا أن تلـــك الحملـــة؛ كانـــت تتألـــف بالكامـــل ــــ تقريبـــا ــــ مـــن عناصـــر **أمازيغيـــة**؛ سيتضـــح عندئـــذ أن أول المقيميـــن ــــ مـــن المسلميـــن ــــ في ديـــار الأندلـــس؛ كانـــوا مـــن الأمازيـــغ. وقـــد أجمعـــت المصـــادر التاريخيـــة عـــلى هـــذا؛ وإن اختلفـــت في تحديـــد عددهـــم بالضبـــط. ولكـــن أكثـــر الأقـــوال تقـــدر

عددهم باثني عشر ألفا من الأمازيغ؛ ما عدا بعض الأفراد؛ الذين لا يتجاوز عددهم العشرين. وفي هذا يقول حسين مؤنس: **((إن الجيش الذي أرسله موسى كان بربريا صرفا؛ أو يكاد)). ((ففاض سيل البربر على الأندلس، وأخذوا يستقرون في النواحي المفتوحة)). ((لأن البربر انتشروا، واستقروا من أول الأمر في كل ناحية؛ وكانت غالبية هذه الأفواج الأولى؛ من البربر المهاجرين؛ من زناتة؛ لأن الزناتيين كانوا أول البربر إسلاما، وانضماما للعرب؛ وكان طارق بن زياد منهم)). ((من الواضح أن أعدادَ من اشترك من البربر في فتح الأندلس، وفي فتوح غالة كانت تزيد عن أعداد العرب أضعافا؛ وأن هذه الأعداد لم تقتصر على من اشترك في الجيوش الغازية؛ إذ أن تيارا من الهجرة البربرية اتصل، واستمر عقب الفتح مباشرة؛ وأن شبه الجزيرة لم يلبث أن امتلأ بهؤلاء المهاجرين))**[1]. ولم تتوقف هجرات الأمازيغ عند سنوات الفتح فحسب؛ بل استمر نزوحهم إلى ديار الأندلس حتى سقوطها نهائيا في أيدي النصارى عام 897هـ.

---

[1] فجر الأندلس، ص ص: 68. 75. 128. 378.

بخلاف العرب؛ الذين توقفت هجراتهم الجماعية إلى الأندلس بانتهاء عصر الولاة؛ وبقيت تجرى بشكل فردي؛ لا غير.

وقد توفرت فرص عديدة للهجرة الأمازيغية؛ ضمن مجموعات كبيرة؛ بفضل زحف الجيوش الضخمة؛ التي انتقلت إلى تلك البلاد؛ للجهاد، أو لنجدة بعض الحكام، أو للاستيلاء عليها؛ مثل: القبائل الأمازيغية التي استنجد بها ابن أبي عامر؛ في أواخر العهد الأموي، **وجيوش المرابطين، وجيوش الموحدين**؛ التي خضعت بلاد الأندلس تحت سلطانهما، **وجيوش بني مرين** التي نهضت مرات عديدة لنجدة الأندلسيين. بالإضافة إلى الذين هاجروا هروبا من حكومات بلاد المغرب، أو من انتقام شيوخ بعض القبائل. والمصادر التاريخية تتكلم عن عدد كبير ممن هاجر بسبب ذلك. وقد ذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب[1] بعض الأسر الأندلسية؛ التي تنتمي في أصولها إلى قبائل أمازيغية عديدة؛ مثل:

---

[1] ص ص: 498 ـــ 502.

ـ **أوربة:** ومنها **أسرة صبرون**؛ التي أسندت إليهم **أليشة**؛ كصبرون بن شبيب، وابنه وكيل ابن صبرون.

ـ **زناتة:** ومنها **بنو الخروبيّ**؛ من **لقنت**؛ **وبنو الليث**؛ من **شنت فبلة**؛ كيحيى بن محمد ابن... الليث بن شبل. **وبنو عزون**؛ أمراء **شنت برية**؛ وهم أبناء سعيد؛ ((الذي ينسب إليه فحص سعيد بقرب شوذر)).

ـ **زواوة:** منهم **بنو مُشرِف الشقنديون.**

ـ **كتامة:** منهم **بنو مهلب**؛ أصحاب **قرْذَ يَرة**، **وأشْبَرَغِيَّرَة**؛ التابعتين **لإلبيرة**؛ ((ومنهم كان محمد بن مهلب؛ كاتب مفرج الوزير)). **وبنو قاسم**؛ أصحاب **البونت.**

ـ **صدينة:** منهم **بنو عبدوس**؛ أمراء **سُرِتَة.**

ـ **صنهاجة:** منهم **بنو الغليظ**؛ وإليهم ينتسب الأديب أبو عبد الله محمد بن عبد الأعلى. **وبنو دراج**؛ وهم أهل الشاعر الفحل أبي عمرو أحمد بن محمد بن دراج القسطلي، ومحمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان؛ من بني ذر بن عيسى بن دراج. و يحيى بن ضريس؛ ببُلكونة؛ ((الذي صدم ابن حفصون؛ فأبطل يده بالضربة المشهورة؛ فلم يأكل ابن حفصون بيمينه

بعدها، وعاش بعد ذلك نحو ثلاثين سنة)). وبنو عبد الوهاب؛ بأشبونة؛ وينتمون إلى ميمون ابن جميل؛ ابن أخت طارق بن زياد؛ ((وكانت لهم ثروة، وعدد؛ وكان منهم قواد، وكتاب، وفقهاء))؛ بقي ممن يتحلون بالنشاط منهم ــ في وقت ابن حزم ــ عبد الوهاب ابن محمد بن عبد القدوس؛ خطيب جامع قرطبة؛ وله كتاب سجل فيه رحلته إلى الحجاز. **وبنو طاهر بن مناع**؛ من **أشُونَة**.

ــ **مديونة**: قبل التطرق للأسر المديونية ــ هنا ــ يستحسن الإشارة إلى أن ابن حزم قد أدرج ضمنهم بعض الأسر التي يرى آخرون بأنهم من **نفزة**. منهم بنو الزجالي؛ الوزراء. ومنذر ابن سعيد السوماتي؛ القاضي. وبنو طرينة بن غزلون؛ أمراء تيروال؛ وهم من ألهاصة بن يطوفت بن نفزاو. أما البقية فالراجح أنهم من مديونة حقا؛ وهم: خال بني ذي النون؛ ثابت بن عامر المديوني. **وبنو هذيل**؛ أمراء **شنت برية**. **وبنو الخليع**؛ **بتاكُرُنَّا**. وزغلل بن يعيش بن فرانك؛ صاحب أم جعفر بالجوف؛ وهو ((الذي ينسب إليه مسجد فرانك بقرطبة)). **وبنو عميرة**؛ **بشاطبة**. **وبنو نعمان**؛

بشنت برية؛ وهم ((رهط عامر بن فرج بن نعمان)).

ــ **مصمودة:** منهم **بنو سفيان بن عبد ربه**؛ الحاجب. **وبنو يحيى ابن كثير**؛ ((صاحب مالك؛ وكانت لهم ثروة، وعدد)). **وبنو طريف**؛ من **أشونة**؛ ((ومنهم الذي تنبأ ببرغواطة؛ فاتبعوه على دينه)). ((ومحمود، وجميلة أخته؛ التي ذاع صيتها، واشتهرت بالشجاعة، والفروسية؛ وهما ابنا عبد الجبار بن زاقلة؛ القائم بماردة)). **وبنو دانس بن عوسجة**؛ أصحاب **قُلُنْبَيْرة**؛ **وقصر دانس بالجوف**؛ ينسب إلى جدهم. ونضيف إلى هذا ما جاء في كتاب فتح الأندلس؛ حيث ذكر أنه كان **بتاكُرُنا** (في جبال رندة) أمير بربري يدعى عبد الرحمن بن عوسجة؛ وهو جد **بني دانس، وبني عوسجة** المذكورين؛ وقد تكاثرت أعدادهم ــ بعد ذلك ــ في الجنوب من **شنت برية الغربية**؛ حتى أصبحت تسمى بلاد عوسجة. **وبنو** تاجيت؛ أصحاب ماردة؛ ومنهم مسعود بن تاجيت بن **محمد بن تاجيت**؛ ((هو وأبوه وجده؛ كانوا أصحاب **قورية، ولَجْدانية**؛ ففروا؛ إذ غلب النصارى

على تلك الجهة)). **وبنو مَضَى بن تِيهَلْت**؛ أمراء **قصر مَضَى. وبنو رسين**؛ من **قصر مضى** أيضا. **وبنو سالم**؛ وتنسب إليهم **مدينة سالم**؛ **وبنو الفرج**؛ **بوادي الحجارة**؛ وتنسب إليهم **مدينة الفرج**؛ نسبة إلى فرج بن سالم. **وبنو أران.** وقال ابن القوطية أن زعيم الأمازيغ بجهات **مرور** ــ لدى قدوم عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس ــ كان يسمى إبراهيم بن شجرة؛ وهو من **مصمودة.**

ــ **مغيلة:** منهم **بنو إلياس**؛ أمراء **شوذنة**؛ وهم أهل أحمد بن إلياس. **وبنو زروال**؛ أمراء **المُنتانية.**

ــ **مَكناسة:** منهم **بنو وانسوس**؛ أهل الوزير سليمان بن وانسوس.

ــ **ملزوزة:** منهم **عوسجة**؛ وإليه ينسب **بلاط عوسجة بشنت برية** ((ومنهم كان إبراهيم بن براح؛ قاتل أزهر ابن مهلب المولد؛ الفارس المشهور الذكر؛ من أهل **والبة**؛ من عمل **شنت برية**)). **وبنو تيه** أو (نبيه)؛ أمراء **شنت برية. وبنو أبي الأخطل**؛ أمراء **شنت برية** أيضا. **وآل عامر بن وهب**؛ صاحب **وَبْذة،** وما يتبعها.

ــ **نفــزة:** منهــم **بنــو عميــرة**؛ أمــراء **شاطبــة**، **وبــلال**؛ أمــراء **هوتوتــة**؛ وينتسبــون جميعــا إلى **بطــن ألهاصــة** أو (ولهاصــة).

ــ **هــوارة:** ومنهــم **بنــو القمَــرَاطيّ**؛ وهــم رهــط أبي معــدن طالــوت بــن بسطــام بــن العــاصي. **وبنــو ذي النــون**؛ أمــراء **أقْليــش، ووَبْــذة**. **وبنــو رَزيــن**؛ أمــراء **السَّهْلــة**. **وبنــو فَرْفَريــن**؛ ولاة **مَدَلِّيــن، ومــاردة**؛ ((وكــان لهــم ثــروة، وعــدد. منهــم: خطــار بــن سعيــد بــن فرفريــن، وأبــو عمــرو بــن هاشــم بــن فرفريــن؛ كلهــم ولي مَدَلّيّــن)). **وبنــو جَهْــوَر المَرْشانيــون**؛ ((وهــم مــن ولــد أبي مــوسى عبــد الرحمــن بــن مــوسى الفقيــه؛ المشبــه بالشعــبي في زمانــه؛ وكــان لهــم عــدد، وثــروة؛ وبقيــت منهــم الآن بقيــة صالحــة)). كمــا نزلــت بعــض الجماعــات مــن هــوارة؛ في عصــر الــولاة ــ حســب ابــن القوطيــة ــ بالقــرب مــن جيــان.

ــ **وُزْداجــة:** ومنهــم **بنــو دُليَــم**؛ الفقهــاء.

وأورد حسيــن مؤنــس ــ نقــلا عــن كتــاب منــازل البربــر في الأندلــس ــ لسيــزار دوبلــر César E. Dubler بعــض الأماكــن؛ الــتي سميــت بأسماء للقبائــل

الأمازيغية؛ مما يوحي بأنها كانت منازل قديمة لتلك القبائل. من هذه المنازل[1]:

— **Villa Nova de Oureni** مكان موجود الآن في **البرتغال**؛ نسبة إلى **أمازيغ وهران**.

— **Tunis** مكان يوجد حاليا؛ في **البرتغال**؛ نسبة إلى **الأمازيغ من تونس**.

— **Alquerubim** يوجد الآن في **البرتغال**؛ نسبة إلى **أمازيغ القيروان**.

— **Arzila** يوجد في **البرتغال**؛ نسبة إلى **أمازيغ أصيلا**.

— **Adzenata** يوجد في الشرق بالقرب من **قسطليون Castellon**

نسبة إلى **زناتة**.

— **Sanet** أو **Senet** بالقرب من **لاردة**؛ نسبة إلى **زناتة**.

— **Benisanet** بالقرب من **طركونة**؛ نسبة إلى **زناتة**.

— **Butsenit** بالقرب من **لاردة**؛ نسبة إلى **زناتة**.

---

[1] فجر الأندلس، ص ص: 381 — 382.

— **Barasal** بالقرب من **جواردا** في **البرتغال**؛ نسبة إلى **بني برزال من زناتة**.

— **Mequinenza** في **الثغر الأعلى**؛ عند **الابرة**؛ نسبة إلى **مكناسة**.

— **Ceneja** قرب **قسطليون**؛ نسبة إلى **صنهاجة**.

— **Cenija** إحدى ضواحي **سرقسطة**؛ نسبة إلى **صنهاجة**.

— **Azinhaga** في **البرتغال**؛ نسبة إلى **صنهاجة**.

— **Cotanes** بالقرب من **بلد الوليد**؛ نسبة إلى **كتامة**.

— **Cotanillos** أحد أحياء **شقوبية**؛ نسبة إلى **كتامة**.

— **Cotimos** و **Alcoutim** في **البرتغال**؛ نسبة إلى **كتامة**.

— **Benigomar** بناحية **أنكا**؛ نسبة إلى **غمارة**.

— **Gomara** بناحية **صورية** **Soria**؛ نسبة إلى **غمارة**.

— **Gomeriz** و **Gomeris** في **جليقية**؛ نسبة إلى **غمارة**.

— **Albornos** بناحية **أبله**؛ نسبة إلى **البرانس**.

وقد اشتملت هذه الدراسة القيمة على كثير من العينات الأخرى؛ التي تثبت الحجم الكبير الذي وصلت إليه هجرات الأمازيغ إلى بلاد الأندلس؛ واستقرارهم بها. وثمة مواضع كثيرة في بلاد الأندلس بقيت تحمل أسماء قبائل أمازيغية؛ من ذلك مثلا: **لماية** التي سمي باسمها **إقليم لماية**؛ التابع لكورة **ريه.** ويوجد في ذلك الإقليم وادي؛ يسمى ـ أيضا ـ **بوادي لماية.** ثم **صدينة** التي سميت بها المدينة المتواجدة في كور **شذونة.** ثم **مدينة أوربة** التابعة إلى **دانية.** ثم **لواتة** التابعة لأعمال **فِرِّيش.** ثم ناحية **جراوة** وهي من أعمال **فحص البلوط.** ثم **تاكرنا** التي كان يسمى بها **إقليم رندة.** ثم **أندارة** في شرق الأندلس؛ قبل أن تخرب أثناء الفتنة. وثمة أماكن بأسماء قبائل أمازيغية كثيرة في الأندلس ـ يضيق هذا المجال عن تعدادها ـ وبالطبع.. سميت هذه الأماكن بهذه الأسماء؛ نسبة إلى القبائل الأمازيغية التي تغلبت عليها، واستوطنتها.

ويبدو أن جل المناطق الشمالية التي تسمى بالثغر؛ كانت منازل للأمازيغ؛ نظرا لكون معظم أمراء تلك النواحي كانوا منهم؛ بل

تحدثنا المصادر التاريخية؛ أن المدعو **مانوسة البربري** كان يتولى إمارة الثغر الشمالي الغربي بكامله؛ **((من حدود البرت إلى المحيط))**[1]. وعن منازل الأمازيغ في الأندلس يضيف حسين مؤنس: **((وقد ذكرنا هذه المواضع على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر؛ لنستنتج أن البربر انتشروا ـ منذ العصر الأول ـ في نواحي شبه الجزيرة كلها. وقد اكتفينا بذكر المواضع المتطرفة؛ في أقصى الشمال الشرقي، والشمال الغربي؛ وتركنا غير ذلك؛ من مواضع الوسط، والجنوب، والجنوب الشرقي، والجنوب الغربي؛ إذ لا تكاد تخلو ناحية من هذه النواحي، أو مدينة من مدنها من منازل بربرية... بيد أننا نستطيع القول: بأن المواضع التي قامت فيها إمارات بربرية فيما بعد؛ أو التي ولي عليها أمراء بني أمية، وخلفاؤهم ولاة من البربر؛ كانت منازل بربرية من قديم الزمان؛ لأن الأمراء لا يولون أميرا بربريا على ناحية معظم سكانها عرب، أومن أهل البلاد. ومن غير الممكن كذلك أن تقوم إمارة بربرية في ناحية لا يغلب على سكانها العنصر**

---

[1] فجر الأندلس، ص: 384.

البربـــري؛ لأن حكـــم هـــذه النـــواحي كـــان لا يقـــوم إلا عـــلى عــــزْوَة، وعصـــب متأصليـــن))[1].

ثـــم يكمِّـــل حسيـــن مؤنـــس قولـــه؛ معلقـــا عـــلى مـــا كتبـــه ابـــن حـــزم عـــن أمـــراء الثغـــر مـــن الأمازيـــغ: **((أضـــف إلى ذلـــك؛ أن مجموعـــة منـــازل البربـــر الـــتي ذكرهـــا ابـــن حـــزم تكَـــوِّنُ خطـــاً واحـــدا؛ يبـــدأ مـــن نـــواحي جبـــال ألبـــرت؛ عنـــد لاردة، ووشقـــة؛ ثـــم ينحـــدر إلى ناحيـــة مدينـــة سالـــم (قاعـــدة الثغـــر الأوســـط فيمـــا بعـــد)؛ فقـــد نزلهـــا بنـــو سالـــم مـــن البرانـــس، وأعطوهـــا اسمهـــم؛ وسكـــن إلى جوارهـــم بنـــو الفـــرج، وبنـــو عوسجـــة. وفي الدائـــرة الواسعـــة الـــتي تحيـــط بمدينـــة سالـــم؛ والـــتي تضـــم شنتبريـــة، والسهلـــة، ووادي الحجـــارة؛ نجـــد كتلـــة بربريـــة ضخمـــة تعمـــر هـــذه النـــواحي كلهـــا إلى أحـــواز طليطلـــة؛ وهـــذه الكتلـــة تتكـــون مـــن بـــني الفـــرج، وبـــني سالـــم، وبـــني عوسجـــة، وبـــني صبـــرون بـــن شبيـــب، وآل وهـــب بـــن عامـــر الهواريـــين؛ وكـــل هؤلاء مـــن البرانـــس؛ ثـــم بـــني عـــزون، وبـــني بـــلال، وبـــني نعمـــان؛ وكلهـــم مـــن البتـــر. وتمتـــد هـــذه الكتلـــة البربريـــة شرقـــا؛ فتشمـــل تيـــروان؛ حيـــث نـــزل بنـــو غزلـــون،**

---

[1] فجـر الأندلـس، ص ص: 382 ـــ 383.

وناحية البونت؛ حيث نزل بنو قاسم؛ ثم تتصل هذه السلسلة البربرية ــ بناء على البيانات التي يقدمها صاحب الأخبار المجموعة ــ فتشمل مناطق طلبيرة (جنوب طليطلة)، ومماردة، وقورية؛ بين التاجه، والدويرة؛ ثم تصل إلى ساحل المحيط؛ عند قلنبيرة؛ حيث نجد فرعا من بني عوسجة، وبني دانس؛ عند قصر أبي دانس. ويذكر ابن حزم فرعا من بني الفرج استقروا في طرسونة؛ أي فيما يلي جبال ألبرت؛ من نواحي غالة؛ وهذه الجماعة إن هي إلا بقية من البربر الذين كانوا يعمرون النواحي القصية من الأندلس؛ والذين كانوا يمتدون بحذاء خليج بسكاية؛ ويعمرون حوض نهر المنيو، ويتوغلون في جليقية))[1].

ومع مرور الزمن اندمج أمازيغ الأندلس بأهل تلك الديار؛ واختلطوا بهم، وبالعرب المقيمين هناك؛ وتزاوجوا فيما بينهم، وارتووا جميعهم بثقافة واحدة؛ تعذر بعدها الفرز بين من هو مولد من الأندلسيين، ومن هو عربي من الفاتحين، أو هو من الأمازيغ المهاجرين؛ فأضحوا يطلقون على أنفسهم اسم **البلديين**؛

---

[1] فجر الأندلس، ص ص: 384 ــ 385.

تفريقا بينهم وبين **المهاجرين** الجدد. وكان الأمازيغ أسرع للاندماج مع أهل البلاد الأصليين من العرب. ويعود السبب في ذلك ــ كما يقول حسين مؤنس ــ إلى **العصبية** المهيمنة على سلوك العرب.

هذا ما سمح به المجال في هذا الباب. وبقي علينا الانتقال إلى الحديث عن القبائل الأمازيغية؛ **بتقسيماتها**، **وأنسابها**، **ومواطنها**، **وأعيانها**، **والأدوار الهامة** التي قامت بها؛ عبر التاريخ. ونظرا لما سبق ذكره عن سلسلة نسب مادغيس الأبتر، وبرنس؛ وما توصلنا إليه من عدم ثبوت سلسلة الآباء؛ لما بعد **مادغيس الأبتر**، **وبرنس**؛ وتضارب الأقوال في هذا الأمر؛ فإنني سأكتفي بذكر أهم القبائل التي تفرعت عن هذين الجذمين: **البتر**، **والبرانس**. علما بأن التقسيمات الاصطناعية، والمراتب المتداولة بين النسابين العرب؛ لا يمكن إتباعها بدقة؛ في هذا المجال؛ بسبب عدم وضوحها في المجتمع القبلي الأمازيغي. وكل ما يمكن تقريره هنا.. هو اعتبار المراتب المتفرعة عن البتر، والبرانس بمثابة **أحلاف** أو **جمهرات**؛ تتفرع بدورها إلى قبائل، ثم بطون، وأفخاذ.

وهـــذه المتسميـــات ــ بالطبـــع ــ مجازيـــة؛ وليســـت اصطلاحـــات ثابتـــة. والغـــرض مـــن استعمالهـــا ــ هنـــا ــ هـــو الرغبـــة في التوضيـــح، وتسهيـــل الفهـــم.

....

القبائل البترية

فإذا كان النسابة الأمازيغ، والعرب قد أسندوا عبارة **أبتر** إلى **مادغيس**؛ فإن بعض الباحثين المحدثين لا يخفون شكهم في صحة ذلك؛ إذ منهم من يعتقد أن هذه التسمية؛ من مبتكرات العرب؛ الذين أطلقوها على القبائل الأمازيغية التي كانت ترتدي لباسا قصيرا، وأبترا. وبذلك أضحت هذه التسمية علما يختصون به. وهذا التفسير ـ وإن كان منطقيا ـ فهو يفتقر إلى السند التاريخي. وقال آخرون أن **براً** أنجب ولدين: علوان، ومادغيس؛ فمات علوان في صغره، وبقي مادغيس فريدا؛ فلقب بالأبتر؛ أي أصبح مبتورا، ومقطوعا. وهذه الحكاية تدخل في سياق ما أشرنا إليه من أساطير. ومنهم من يصر ـ أيضا ـ على اعتبار القبائل البترية قبائل وبرية؛ تجري وراء النجعة. ويعتقد هؤلاء بأن هذه القبائل تشكلت؛ من خلال اتحادات قبلية؛ تعتمد في عيشها على الجمال، والرحلة من مكان إلى آخر؛ بتشجيع، ومباركة الأباطرة الرومان. وعليه تكون القبائل البترية ـ في نظرهم ـ هي **قبائل**

وبرية؛ بينما يضعون القبائل البرنسية في عداد **القبائل المدرية**؛ التي تركن إلى الاستقرار. ويبدو أن مرجعهم في هذا التعليل يستند إلى الكلمتين اليونانيتين: **Botros بوتروس**؛ التي تعني البدو، والرعاة. ثم **Baranos برانوس** التي يقصد بها أولئك الذين اختاروا حياة الاستقرار. ومع أن هذا التفسير فيه كثير من الصحة في شكله العام؛ إلا أنه لا ينطبق على القبائل البترية كافة؛ حيث ثبت أن بعض البطون البترية اختارت حياة الاستقرار، وسكنى المدر؛ منها بطون من: **نفزاوة، ومطغرة، ولواته، وكومية، ومغلية، ومديونة**...الخ. ويبدو أن مبعث هذا الاعتقاد؛ هي النظرة الأولية لتلك القبائل؛ التي تميزت في العصور الأولى بظاهرتي: البداوة، والترحال. غير أن بعض البطون اختارت ــ فيما بعد ــ الحياة المستقرة.

ونظرا لغياب الدليل القاطع؛ يستحسن التسليم بالرأي القائل بوجود أبٍ للقبائل البترية؛ يدعى **مادغيس الأبتر**؛ لأن النسابة الأمازيغ أنفسهم أجمعوا على هذا. على أنه يمكن اعتبار كلمة أبتر؛ صفة لأسلوب عيش مادغيس، وأبنائه؛ ذلك الأسلوب الذي يتميز

بالبداوة. والأخذ بهذا الرأي لا يعني التسليم بالتعليل اللغوي؛ الذي يفسر الكلمة باللباس الأبتر؛ أو أسطورة تلقيب مادغيس بالأبتر؛ بعد موت أخيه علوان. كما أميل ـ أيضا ـ إلى رواية النسابين الأمازيغ؛ التي تفيد بأنه كان لمادغيس الأبتر ولد يدعى **زحيك** أو (زجيك)؛ وعنه تفرعت قبائل أربع؛ هي من الكبر؛ والضخامة؛ إلى حد يمكن وضع كل حي منها في مرتبة أعلى من مستوى قبيلة. قد يكون في مستوى **شعب**، أو **جمهرة.** وذلك في حال إتباع الترتيب الاصطناعي المعروف لدى النسابين. وهكذا.. فالأحياء التي تفرعت عن زحيك تنتسب إلى أبنائه الأربعة؛ وهم: **أداس**، **وضرا** أو (ضري)، **ولوا**، **ونفوس.** وهذه الأحياء هي: **أداسة**، **وضريسة**، **ونفوسة**، ثم أبناء **لوا الأكبر** (لواتة، ونفزاوة).

....

1 ـ أداسة:

وهم أبناء **أداس بن زحيك بن مادغيس الأبتر**. وقد التحقت قبائل أداسة، وبطونها بأحياء هوارة البرنسية؛ لأن أم أداس تزوجت ـ بعد زحيك ـ بوالد هوار (أوريغ بن برنس)؛ حسب الرواية المنسوبة إلى نسابة الأمازيغ. وقد تفرعت عن أداسة بطون، وأفخاذ عديدة؛ لا يعرف عنها الكثير؛ بسبب التحامها بقبائل هوارة؛ فتداخلت أخبارهم جميعا. وعليه.. سنكتفي بذكر أسمائها؛ وهي: أندارة، **وأوطيطة، وترهونة، وصنبرة، وهداغة، وهترولة، وشتاتة.**

***

ـ ***مواطنهم***: ذكر ابن خلدون ـ نقلا عن المسعودي والبكري ـ أن مواطن **بني أداس** تدخل في **موطن هوارة**؛ بحكم الجوار، والحلف. وكانت مواطن هوارة عند الفتح الإسلامي في جهات **طرابلس**، وما يليها إلى **برقة**. وكان بعضهم مستقرا في أوساط مَدَرِّيَّة، وبعضهم الآخر أهل وبر وظواعن؛ طلبا للنجعة. وعليه.. فقد توغلت أحياء منهم في القفار؛

قاطعة المفازة الكبرى؛ متجاورة، ومتشاركة — في تلك الربوع — مع أحياء **لمطة**؛ بمحاذاة **السودان**[1]. وما يقال عن هوارة يصح قوله عن قبائل **أداسة**.

....

2 — ضريسة:

تنسب قبيلة ضريسة إلى **ضري بن زحيك ابن مادغيس الأبتر**. وعن ضري تفرعت: القبائل المعروفة **ببني فاتن بن تمصيت بن ضري**، والقبائل المنسوبة إلى **يحيى بن ضري**. فقبائل **فاتن** هي: **درنة، وصدينة، وصطفورة** (التي عرفت فيما بعد باسم كومية)، **وكشاتة، ولماية، ومديونة، ومطغرة، ومطماطة، ومغيلة، وملزوزة**. أما قبائل **يحيى بن ضري** فهي: **زناتة، وزوارة، وزواغة، ومكناسة**. وسيقتصر كلامنا على القبائل التي لها ذكر في تاريخ المغرب؛ أما القبائل الأخرى فنتركها؛ لعدم الفائدة منها[2]. ومن أعيان ضريسة المذكورين؛

---

[1] ابن خلدون؛ العبر، مج: 6، ص ص: 170 . 229 — 230.

[2] نفسه، ص ص: 180 — 181.

والذين احتفظوا باسم القبيلة الأم؛ النسابة الشهير **هاني بن بكور الضريسي**.

....

أ ـ بنو فاتن:

تكاد القبائل البترية بكاملها تجتمع ضمن جمهرتين عظيمتين: تنتمي الأولى إلى **فاتن بن تمصيت بن ضري**، وتنتسب الأخرى إلى **يحيى ابن ضري**. وقد انتشرت هاتان الجمهرتان ـ بقبائلهما ـ عبر بلاد المغرب كلها. وكان لهما أثر كبير في تاريخ المغرب الإسلامي. واختصت قبائل بني فاتن ـ قديما ـ بمواطنها الأولى في المغرب الأقصى؛ ثم تفرقت جموعهم ـ فيما بعد ـ عبر المغربين: الأوسط، والأدنى. كما توغلوا في القفار الداخلية. وأهم قبائلهم هي:

....

(1) ـ كوميـــة:

هـــم مـــن أبنـــاء **فاتـــن**. وكانـــت هـــذه القبيلـــة تعـــرف ـــ في القديـــم ـــ باســـم **صطفـــورة**. وتفرعـــت عنهـــا ثـــلاث عمائـــر؛ هـــم: **بنـــو يلـــول، وصغـــارة، وندرومـــة**. وكوميـــة ـــ كمـــا هـــو معلـــوم ـــ هي قبيلـــة عبـــد المؤمـــن بـــن عـــلي (ت: سنـــة 558هـ/1162م)؛ مؤســـس الدولـــة الموحديـــة. وهـــو مـــن بيـــت **بـــني عابـــد**؛ المتوطنيـــن **بحصـــن تاجـــرا**؛ بالجبـــل المشـــرف عـــلى مدينـــة **هنيـــن**؛ في ناحيتـــه الشرقيـــة. هـــذا وقـــد تميـــزت هـــذه القبيلـــة ـــ في العهـــد الموحـــدي ـــ بكثـــرة العـــدد، ومضـــاء الشوكـــة؛ حيـــث كانـــت تشكـــل القـــوة الضاربـــة، والرادعـــة في عهـــد عبـــد المؤمـــن. فـــهي درعـــه، وعصبتـــه. ولمـــا كانـــت الدولـــة تعتمـــد عـــلى هـــذه القبيلـــة في صـــد المخاطـــر كافـــة، وقمـــع أهـــم الفتـــن، والثـــورات؛ فقـــد أهلكـــت أبناءهـــا الحـــروب، وأكلتهـــم الأقطـــار الواسعـــة؛ فانقرضـــوا مـــع مـــرور الوقـــت. وبقيـــت منهـــم ـــ في عهـــد ابـــن خلـــدون ـــ فئـــات صغيـــرة؛ بمواطنهـــم الأولى؛ **كبـــني عابـــد، وبـــني سنـــوس**؛ وهـــم جميعـــا ـــ في تلـــك الآونـــة ـــ مـــن القبائـــل الغارمـــة؛ بعـــد أن أذلتهـــم قبائـــل زناتـــة، وإماراتهـــا[1].

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص ص: 257 ـــ 261.

وذكـــر عبـــد الواحـــد المراكـــشي؛ في كتابـــه المعجـــب؛ هـــذه القبيلـــة؛ فقـــال بأنهـــا كانت قبـــل ظهـــور الموحديـــن قبيلـــة كثيـــرة العـــدد؛ ولكنهـــا لـــم تصـــل إلى مرتبـــة الرئاســـة مـــن قبـــل؛ حيـــث كـــان أبناؤهـــا يعملـــون في الفلاحـــة، والـــرعي، والتجـــارة البسيطـــة بالأســـواق[2]. بذلـــك يمكـــن تصنيفهـــم مـــن بيـــن أهـــل المـــدر؛ مـــن سكـــان الأريـــاف.

! ! !

ـ ***أعيانهـــم:*** سِجـِـلٌّ هـــذه القبيلـــة يزخـــر بالأعيـــان، وعظمـــاء الرجـــال؛ منهـــم الملـــوك، والقـــادة، والرؤســـاء. كمـــا نبـــغ مـــن بينهـــم رجـــال علـــم، وأدب؛ نبـــدأ بهـــم:

ـ هـــاني بـــن مصـــدور بـــن مَريـــس بـــن نقـــوط. وهـــو النسابـــة الذائـــع الصيـــت في أقطـــار المغـــرب كلهـــا.

ـ ثـــم أبـــو محمـــد عبـــد المؤمـــن بـــن عـــلي بـــن مخلـــوف بـــن يعـــلى بـــن مـــروان الكـــومي (تـــوفي بربـــاط ســـلا سنـــة 558هـــ)؛ بينمـــا كـــان متجهـــا إلى الأندلـــس للجهـــاد. وهـــو المؤســـس الفعـــلي للدولـــة

---

[2] المعجـــب، ص: 339.

الموحدية ببلاد المغرب. ولد ببلدة تاجرت (تاجرا) بالقرب من تلمسان؛ من والدين بسيطين؛ إذ كان والده صانع فخار. خرج من بلدته سعيا وراء العلم؛ فالتقى بابن تومرت في طريقه؛ قرب بجاية؛ فلازمه؛ وتحالفا على الإطاحة بالدولة اللمتونية. ثم عاد أدراجه مع ابن تومرت نحو المغرب؛ أين أشعلا الثورة على المرابطين. وبموت ابن تومرت أسند إليه الموحون مهام الخلافة؛ فأورثها بنيه؛ بعد تشييده الدولة الموحدية الكبرى؛ التي امتدت من الأندلس شمالا إلى المفازة الصحراوية جنوبا، ومن المحيط الأطلسي غربا إلى برقة شرقا. ولم تقتصر مناقبه على براعته في الحكم وإدارة الدولة، وقيادة الجيوش فحسب؛ بل يعتبر من العلماء؛ في الشريعة، كما كان ضليعا في فنون الأدب. وقد أورد المراكشي قصيدة له قالها مستنفرا عرب هلال؛ حاثا إياهم على الغزو ببلاد الأندلس: غير أن عبد الملك بن صاحب الصلاة ينسبها لكاتب عبد المؤمن عبد الملك ابن عياش؛ وإن كانت شاعرية عبد المؤمن حقيقة لا تنكر[1].

[1] المعجب، ص: 225. تاريخ المن بالإمامة، ص: 415.

أقِيمُوا إلى العَلْيَاءِ هُـــوجَ الرَّوَاحِـــلِ
وَقودُوا إلى الهَيْجَاءِ جُرْدَ الصَّوَاهِـــلِ
وَقُومُوا لِنَصْـــرِ الدِّين قَوْمَـــة ثَائِـــرٍ
وَشُدُّوا عَلىَ الأعْدَاءِ شَـــدَّة صَائِـــلِ
فَمَا العِـــزُّ إلاَّ ظَهْرُ أجْـــرَدَ سَابـــحٍ
يَفُوتُ الصَّبَـــا فِي شَدَّةِ المُتَوَاصِـــلِ
وَأبْيَـــضَ مَأثُـــور كَـــأنَّ فِرنْـــدَهُ
عَلَىَ المَـــاءِ مَنْسُوجٌ وَلَيْسَ بسَائِـــلِ
بَنِي العَمِّ مِنْ عُلْيَـــا هِلاَل بْنِ عَامِـــرِ
وَمَا جَمَعَتْ مِنْ بَاسِلٍ وَابْنِ بَاسِـــلِ
تعَالَوْا فَقَدْ شُدَّتْ إلىَ الغَـــزْوِ نِيَّـــة
عَوَاقِبُهَـــا مَنْصُـــورَة بالأوَائِـــلِ
هِيَ الغَزْوَة الغَرَّاءُ وَالمَوْعِـــدُ الَّـــذِي
تَنَجَّـــزَ مِنْ بَعْدِ المَـــدَى المُتَطَـــاوِلِ
بِهَا تُفْتَح الدنْيَـــا، بِهَـــا تُبْلَغُ المُـــنَى
بِهَا يُنْصَفُ التَّحْقِيقُ مِنْ كُلِّ بَاطِـــلِ
أهَبْنَا بِكُمْ لِلْخَيْـــرِ وَاللَّـــهُ حَسْبُنَـــا
وَحَسْبُكُمُو وَاللَّـــهُ أعْـــدَلُ عَـــادِلِ
فَمَـــا هَمُّنَـــا إلاَّ صَلاَحُ جَمِيعِكُـــمْ
وَتَسْرِيحِكُمْ فِي ظِلٍّ أخْضَرَ هَاطِـــلِ
وَتَسْوِيغُكُمْ نُعْمَى تَـــرِفُّ ظِلاَلُهَـــا
عَلَيْكُمْ بِخَيْرٍ عَاجِـــلٍ غَيْـــرَ آجِـــلِ

فَـــلاَ تَتَوَانَـــوا فَالبِـــدَارُ غَنِيمَـــــةٌ
وَلِلْمُدْلِجِ السَّارِي صَفَـــاءُ المَنَاهِـــلِ

ومـع حـب عبـد المؤمـن للعلـم والعلمـاء، ومشاركاتـه الشعريـة، والأدبيـة؛ إلاَّ أنَّ عشقـه للحـرب، وفنونهـا مَلَـكَ عليـه مشاعـره. وفي هـذا أورد المراكـشي خبـرا عـن أبي جعفـر أحمـد بـن عطيـة؛ وزيـر عبـد المؤمـن؛ قـال: **((دخلـت علـى عبـد المؤمـن؛ وهـو في بسـتان لـه قـد أينعـت ثمـاره، وتفتحـت أزهـاره، وتجاوبـت علـى أغصانهـا أطيـاره، وتكامـل في كـل جهـة حسنـه؛ وهـو قاعـد في قبـة مشرفـة علـى البسـتان؛ فسلمـت، وجلسـت، وجعلـت أنظـر يمنـة، وشمـأة؛ متعجبـا ممـا أرى مـن حسـن ذلـك البسـتان؛ فقـال لي: يـا أبـا جعفـر؛ أراك كثيـر النظـر إلى هـذا البسـتان؛ قلـت: يطيـل اللـه بقـاء أميـر المؤمنيـن؛ واللـه إن هـذا لمنظـر حسـن... فسكـت عـني؛ فلمـا كـان بعـد يوميـن أو ثلاثـة؛ أمـر بعـرض العسكـر؛ آخـذي أسلحتهـم؛ وجلـس في مكـان مطـل؛ وجعلـت العسكـر تمـر عليـه؛ قبيلـة بعـد قبيلـة، وكتيبـة إثـر كتيبـة... فلمـا رأى ذلـك التفـت إلي وقـال: يـا أبـا جعفـر؛ هـذا هـو المنظـر الحسـن؛**

لا ثمارك، وأشجارك))[1]. ويقال أهم وجدوا على ظهر كتاب الحماسة؛ الذي كان يطالعه؛ أبياتا بخط يده جاء فيها:

وَحَكِّمِ السَّيْفَ لاَ تَعْبَأ بعَاقِبَةٍ
وَخَلِّهَا سِيرَةً تَبْقَى عَلَى الحِقَبِ
فَمَا تُنَالُ بِغَيْرِ السَّيْفِ مَنْزِلَة
وَلاَ تُرَدُّ صُدُورُ الخَيْلِ بِالكُتُبِ

ومن شعره قصيدة بعث بها ـ ضمن رسالة ـ مبشرا ابنه بانتصاره على النصارى، وفتحه للمهدية؛ قال فيها:

وَلَمَّا قَضَيْنَا بالَمَشَارِق أمْرَنَا
وَتَمَّ مُرَادُ اللَّهِ فِي كلِّ مَطْلَبِ
وَأشْرَقَتِ الشَّمْسُ المُنِيرَة فَوْقَنَا
وَأصْبَحَ وَجْهُ الحَقِّ غَيْرَ مُحَجَّبِ
وَطُهِّر هَذَا الصُّقْع مِنْ كُلِّ كَافِر
وَعَادَ بِهَا الإسْلاَمُ بَعْدَ تَغَيُّبِ
وَكُسِّرَتِ الصُّلْبَانُ فِي كلِّ بَيْعَةٍ
وَنَادَى مُنَادِي الحَقِّ فِي كُلِّ مَرْقَبِ
أشَرْنَا بأعْنَاق المَطِيِّ إلَيْكُم
فَطَارَ بِهَا شَأوُ السُّرُور بِمَغْرِبِ

---

[1] المعجب، ص ص: 201 ـ 202.

فَابْشِــرْ أبَا حَفْصٍ بنَصْــرِ مُــؤَزَّرٍ
كَفِيلٍ بما تَبْغِيــهِ فِي كُلِّ مَذْهَــبِ
وَلاَ بُــدَّ فِي يَوْمِ أغَــرَّ مُحَجَّــلٍ
يُسيلُ دِمَاءَ الكُفْرِ فِي كُلِّ مَذْهَــبِ
وَتُشْــفى صُدُورُ المُؤْمِنيــنَ بغَــزْوَةٍ
تَكُونُ عَلىَ حُكْمِ الحُسَامِ المُــدَرَّبِ
وَيَغْزُو بِلاَدَ الرُّوم جَيْــشٌ عَرَمْــرَمٌ
تُخُيِّــرَ مِنْ قَيْسٍ وَأبْنَــاءُ يَعْــرُبِ
تَصُولُ بِهِ مِنْ عُصْبَة الحَــقِّ مَعْشَــرٌ
بجُمْلَــةِ مَا يَلْقَاهُ خَيْــرُ مُجَــرَّبِ
فَيُدْمَــغُ بِالصَّمْصَــامِ كُلُّ مُجَاهِــرٍ
وَيُقْطَــعُ بالبُرْهَــانِ كُلَّ مُشَغِّــبِ
فَطُوبَى لأهْلِ الغَــرْبِ مَاذَا يَرَوْنَــهُ
مِنَ النَّصْــرِ وَالفَتْحِ المُبِينِ المُقَــرَّبِ

وهكــذا تــرى؛ كيــف كــان عبــد المؤمــن يعتقــد في انتمائــه ــ هــو، ومــن معــه ــ إلى العــرب؛ الممثليــن بقيــس عيــلان، ويعــرب بــن قحطــان. ومــع هــذا.. لــم يقتصــر في معاناتــه الشعريــة عــلى أغــراض الحماســة فحســب؛ بــل يقــال أنــه خــرج يومــا؛ مــع وزيــره أبي جعفــر ابــن عطيــة في نزهــة؛ وشاهــد أثنــاء عودهمــا جاريــة في منتــهى الجمــال؛

خلف شباك من الخشب تنظر إليه؛ فقال مرتجلا:

قَدَّتْ فُؤَادِي مِنَ الشُّبَّاكِ إِذْ نَظَرَتْ

فأجاز أبو جعفر بقوله:

حَوْرَاءُ تَرْنُو إِلَى العُشَّاقِ بِالْمُقَلِ

فقال عبد المؤمن:

كَأَنَّ لَحْظَهَا فِي قَلْبِ عَاشِقِهَا

فقال أبو جعفر:

سَيْفُ الْمُؤَيَّدِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِي

ـ ثم **أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الكومي** (ت: سنة 580هـ/1184م)؛ أحد سلاطين الدولة الموحدية العظماء. كان ـ إلى جانب منصبه السياسي ـ عالما بالعلوم الشرعية، والأدبية؛ وكان ملما بالحكمة، والفلسفة؛ ومحبا للعلماء، وأهل الفكر؛ إذ جلب إلى بلاطه نخبة من علماء عصره آنذاك؛ مثل: ابن الطفيل، وابن رشد، وابن زهر وغيرهم. ووصفه المراكشي بقوله: **((كان أحسن الناس ألفاظا بالقرآن، وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض**

مسائل النحو، وأحفظهم للغة العربية... مع إيثار للعلم شديد، وتعطش إليه مفرط. صح عندي أنه كان يحفظ أحد الصحيحين ــ الشك مني: إما البخاري، أو مسلم؛ وأغلب ظني أنه البخاري ــ حفظه في حياة أبيه بعد تعلم القرآن؛ هذا مع ذكر جمل من الفقه؛ وكان له مشاركة في علم الأدب، واتساع في حفظ اللغة، وتبحر في علم النحو حسبما تقدم؛ ثم طمح به شرف نفسه، وعلوّ همته إلى تعلم الفلسفة؛ فجمع كثيرا من أجزائها؛ وبدأ من ذلك بعلم الطب؛ فاستظهر من الكتاب المعروف بالملكي أكثره؛ مما يتعلق بالعلم خاصة؛ دون العمل؛ ثم تخطى ذلك إلى ما هو أشرف منه من أنواع الفلسفة؛ وأمر بجمع كتبها؛ فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المنتصر بالله الأموي.))[1]. وكانت علامته ((الحمد لله وحده))؛ وسك الدنانير اليوسفية.

[1] المعجب، ص ص: 237 ــ 238.

ـ ثم أبو يوسف المنصور يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن الكومي (ت: سنة 595هـ/1198م)؛ كان من أعظم سلاطين الدولة الموحدية؛ ترك بصماته بارزة في نظام الدولة، ومؤسساتها الإدارية، والعسكرية، والثقافية، والدينية. فهو إلى جانب حزمه، ودهائه، وحنكته السياسية، والعسكرية؛ يتمتع بمزايا علمية، وثقافية لا بأس بها؛ ولكنه يتميز بالتعصب إلى مذهبه، وبقمع الأفكار المتجددة النيرة، وبكبحه لكل مبادرة أو اجتهاد. وفي عهده شهدت الدولة الموحدية تحولات مذهبية خطيرة؛ منها: إحراق كتب الفروع، والتضييق على الفقهاء من المالكية؛ حيث ألزمهم حدودا سطرها بنفسه في الإفتاء؛ حاصرا ذلك فيما نص به القرآن الكريم، وما ثبت في الصحاح من كتب الحديث. وقد تطرق المراكشي في كتابه المعجب لتلك الأحداث بقوله[2]: **((وفي أيامه انقطع علم الفروع، وأمر بإحراق كتب المذهب؛ بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقرآن؛ ففعل ذلك، فأحرق منها جملة في سائر البلاد؛ كمدونة**

---

[2] المعجب، ص ص: 278 ـــ 279.

سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد، ومختصره، وكتاب التهذيب لبراذعي، وواضحة ابن حبيب، وماجانس هذه الكتب، ونحا نحوها. لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس؛ يؤتى منها بالأحمال؛ فتوضع ويطلق فيها النار؛ وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي، والخوض في شئ منه؛ وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة؛ وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة: (الصحيحين، والترميذي، والموطأ، وسنن أبي دود، وسنن النسائي، وسنن البرار، ومسند ابن أبي شيبة، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي) في الصلاة، وما يتعلق بها؛ على نحو الأحاديث التي جمعها محمد بن تومرت في الطهارة؛ فأجابوه إلى ذلك؛ وجمعوا ما أمرهم بجمعه؛ فكان يمليه بنفسه على الناس، ويأخذهم بحفظه؛ وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب، وحفظه الناس من العوام، والخاصة؛ فكان يجعل لمن حفظه الجعل السني؛ من الكسا، والأموال؛ وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك، وإزالته من المغرب مرة واحدة؛ وحمل

الناس على الظاهر من القرآن، والحديث؛ وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه، وجده)).

ومن منجزات المنصور التنظيمية، والعمرانية: أنه أول من خط العلامة بيده من سلاطين الموحدين؛ وهي: **((الحمد لله وحده))**، وسك الدنانير اليعقوبية، وشيد الجامع الأعظم بمراكش، وبنى عددا كبيرا من المدارس، والمساجد، والصوامع، والقناطر، والمستشفيات بالأندلس، والأقطار المغربية كلها؛ كما حفر آبار المياه، وخصص للعلماء، وطلبة العلم مرتبات ثابتة، وهو الذي بنى مدينة رباط الفتح.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن أحمد سعيد بن عبد الله الشنت مري الكومي** المعروف بقنون أو (جنون) (ت: سنة 599هـ/1202م)؛ كان من المحدثين والحفاظ؛ الذين يظهرون عناية بعلمهم؛ من مؤلفاته: البستان في علم القرآن، وفتح المنغلق وجمع المفترق، والزلفة والإرشاد إلى ما قرب وعلا من الإسناد، وغيره.

ـ ثم الأمير الشاعر **أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي** (ت: سنة 604 هـ/1207م)؛ كان واليا على بجاية؛ أين انهمك في محاربة ابن غانية، ومطاردته بسهوب إفريقية؛ ولما ولي سجلماسة سهر على مطاردة قطاع الطرق التجارية، ولصوص الصحراء، واعتنى بتمهيد السبل نحو إفريقية السوداء. ونقل المقري عن كتاب رحلة ابن حمويه السرخسي؛ خَبَرَ لِقَائِهِ بأبي الربيع؛ جاء فيه[1]: **((فرأيته شيخا بهيَّ المنظر، حسن المخبر، فصيح العبارة باللغتين: العربية، والبربرية؛ ومن كلامه في جواب رسالة إلى ملك السودان بغانة؛ ينكر عليه تعويق التجار؛ قوله: نحن نتجاور بالإحسان؛ وإن تخالفنا في الأديان، ونتفق على السيرة المرضية، ونتألف على الرفق بالرعية؛ ومعلوم أن العدل من لوازم الملك في حكم السياسة الفاضلة؛ والجور لا تعانيه إلا النفوس الشريرة الجاهلة؛ وقد بلغنا احتباس مساكين التجار، ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده؛ وتردد الجلاَّبة إلى بلد مفيد لسكانها، ومعين على التمكن من استيطانها؛**

---

[1] نفح الطيب، ج: 3، ص: 105.

ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية؛ لكنا لا نستصوب فعله، ولا ينبغي لنا أن ننهَى عن خلق ونأتي مثله؛ والسلام)). ولأبي الربيع كتاب مختصر الأغاني، وديوان شعر. ويزعم المراكشي؛ في معجبه؛ أن بعض شعره قد يكون منحولا. ومن شعره؛ مقطع أرسله لابن عمه؛ الخليفة يعقوب المنصور؛ بعد جفوة حدثت بينهما؛ فانتهز مناسبة قدوم وفد من العرب، والغز؛ من بلاد الشام؛ فاستأذنوا المثول بين يدي الخليفة؛ فكتب إليه أبي الربيع هذه الأبيات:

يَا كَعْبَةَ الجُودِ التِي حَجَّتْ لَهَا
عَرَبُ الشَّآمِ وَغُزُّهَا وَالدَّيْلَمُ
طُوبَى لِمَنْ أمْسَى يَطُوفُ بِهَا غَداً
وَيَحِلُّ بالبَيْتِ الحَرَامِ وَيَحْرِمُ
وَمِنَ العَجَائِبِ أنْ يَفُوزَ بنَظْرَةٍ
مَنْ بالشَّآمِ وَمَنْ بمَكَةَ يُحْرَمُ

فاستحسن المنصور قوله، وعفا عنه. وفي مناسبة أخرى قال يخاطب المنصور:

فَلأمْلأنَّ الخَافِقَيْنِ بذِكْرِكُمْ
مَا دُمْتُ حَيًّا نَاظِماً وَمُرَسِّلاَ

وَلأ بْذلَنْ نُصْحِيلَكُمْ جَهْدِي وَذا
جَهْدَ المُقلِّ وَمَا عَسَى أنْ أفْعَـــلاَ
وَلأخْلِصَنَّ لَكَ الدُّعَاءَ، وَمَا أنَــا
أهْـــلٌ لَــهُ، وَلَعَلَّــهُ أنْ يُقْبَــلاَ

ولمـــا فتحــت قفصــة؛ قـــال هـــذه القصيـــدة؛ مهنئـــا بهـــا الخليفـــة المنصـــور:

هَبَّـــــتْ بِنَصْرِكُــمُ الرِّيَــاحُ الأرْبَــعُ
وَجَــرَتْ بسَعْدِكُــمُ النُّجُــومُ الطُّلَّــعُ
وَاسْتَبْشَــرَ الفُلَــكُ الأثِيــرُ تَيَقُنــاً
إنَّ الأمُـــورَ إلَى مُـــرَادِكَ تَرْجِــــعُ
وَأمَــدَّكَ الرَّحْمَــنُ بالفَتْــحِ الَّــذي
مَـــلأ البَسِيطَــةَ نُـــورُهُ المُتَشَعْــشِــعُ
لــِم لاَ وَأنْــتَ بَذلْــتَ فِي مَرْضَاتِــهِ
نَفْســاً تُفَدِّيهَـــا الخَلائِـــــقُ أجْمَــعُ
وَمَضَيْتَ فِي نَصْــرِ الإلَــهِ مُصَمِّمــاً
بعَزِيمَــةٍ كَالسَّيْــفِ بَــلْ هِيَ أقْطَــعُ
لِلــَهِ جَيْشُكَ وَالصَّــوَارِمُ تُنْتَــضَى
وَالخَيْــلُ تَجْــرِي وَالأسِنَّــة تَلْمَــعُ

إلى أن يقـــول في وصـــف انهـــزام الأعـــداء:

إنْ ظَـــنَّ أنَّ فِـــرَارَهُ مُنْــجٍ لَــهُ
فبِجَهْلِــهِ قَدْ ظَــنَّ مَا لاَ يَنْفَــعُ

أيْنَ المَفَــرُّ وَلاَ فِــرَارَ لِهَــارِب
وَالأرْضُ تُنْشَرُ فِي يَدَيْكَ وَتُجْمَعُ

أخَلِيفَــةَ اللَّــهِ الــرِّضَى هُنِّيتَــهُ
فَتْــحٌ يُمَدُّ بِمَا سِــوَاهُ وَيَشْفَــعُ

فَلَقَدْ كَسَوْتَ الدِّينَ عِزاً شَامِخــاً
وَلَبسْتَ مِنْهُ أنْــتَ مَا لاَ يُخْلَــعُ

هَيْهَاتَ سِرُّ اللَّــهِ أودِعَ فِيكُــمُ
وَاللَّــهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَــعُ

لَكُمُ الهُدَى لاَ يَدَّعِيــهِ سِوَاكُــمُ
وَمَن ادَّعَــاهُ يَقُولُ مَا لاَ يُسْمَــعُ

إنْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ الخَلائِــقِ كُلِّهَــا
فَإلَيْكَ يَا يَعْقُوبُ تُومِي الإصْبَــعُ

إنْ كُنْتَ تَتْلُو السَّابِقِيــنَ فَإنَّمَــا
أنْتَ المُقَــدَّمُ وَالخَلائِــقُ تُبَّـــعُ

خُذْهَا أمِيــرَ المُؤْمِنِيــنَ مَدِيحَــةً
مِنْ قَلْبِ صِدْقٍ لَمْ يَشِنْهُ تَصَنُّــعُ

فَالْمَدْحُ مِنِّي فِي عُــلاَكَ طَبِيعَــةٌ
وَالمَدْحُ مِنْ غَيْرِي إلَيــْكَ تَطَبُّــعُ

ولــه أيضــا هــذه الأبيــات المشهــورة:

أقُولُ لِرَكْبٍ أدْلَجُــوا بِسُحَيْــرَةٍ
قِفُوا سَاعَــةً حَتَّ أزُورَ رِكَابَهَــا

وَأمْلأُ عَيْنِي مِنْ مَحَاسِنِ وَجْهِهَـــا
وَأشْكُو إلَيْهَا أنْ أطَالَتْ عِتَابَهَـــا
فَإنْ هِيَ جَادَتْ بِالْوِصَال وَأنْعَمَتْ
وَإلاَّ فَحَسْبِي أنْ رَأيْـــتُ قِبَابَهَـــا

وكتـــب أبـــو الربيـــع توقيعـــا إلى عامـــلٍ لديـــه؛ كثـــرت شكـــاوى النــــاس منـــه: **((قـــد كثـــرت فيـــك الأقـــوال، وإغضـــائي عنـــك رجـــاء أن تتيقـــض؛ فتنصلـــح الحـــال؛ وفي مبـــادرتي إلى ظهـــور الإنكـــار عليـــك؛ نسبـــة إلى شـــر الاختيـــار، وعـــدم الاختبـــار؛ فاحـــذر فإنـــك عـــلى شفـــا جـــرف هـــار))**[1].

ـــ ثـــم الأميـــر الشاعـــر **أبـــو الحســـن عـــلي بـــن عمـــر بـــن عبـــد المؤمـــن الكـــومي** (كـــان معاصـــرا لأبي الربيـــع)؛ ولي هـــو الآخـــر تلمســـان، وبجايـــة؛ ولكنـــه عـــزل عنهـــا؛ بسبـــب مـــا اتهـــم بـــه مـــن إهمـــال، وغفلـــة، وميلـــه إلى شهواتـــه، ومجالـــس الطـــرب. وكـــان أديبـــا، وشاعـــرا؛ كتـــب يومـــا إلى السلطـــان يعقـــوب المنصـــور يمدحـــه، ويطلـــب عونـــه؛ لتسديـــد ديونـــه؛ فقـــال:

---

[1] نفـــح الطيـــب، ج: 3، ص: 105.

وُجُـــوهُ الأمَـــاني بكُـــمْ مُسْفِـــرَهْ
وَضَاحِكَـــة لِـــيَ مُسْتَبْشِـــــرَهْ
وَلِي أمَـــلٌ فِيكُـــمُ صَـــــادِقٌ
قريـــبٌ عَـــسَى اللَّـــهُ قَدْ يَسَّـــرَهْ
عَـــلَيَّ دُيُـــونٌ وَتَصْحِيفُهَـــا
وَعِنْدَكُـــمُ الجُـــودُ وَالمَغْفِـــرَهْ

ونقـل صاحـب نفـح الطيـب[2] عـن السرخـسي: **((كـان هـذا السيـد أبـو الحسـن قـد ولي مملكـة تلمسـان، وبجايـة؛ ولـه حكايـات في الجـود برمكيـة، ونفـس عاليـة زكيـة؛ كتـب إليـه السيـد أبـو الربيـع يومـا:**

اليَوْمُ يَوْمُ الجُمُعَـــهْ يَوْمُ سُـــرُورٌ وَدَعَـــهْ
وَشَمْلُنا مُفْتـــرَقٌ فَهَلْ تَرَى أنْ نَجْمَعَـــهْ

فأجابـه بقولـه:

اليَوْمُ يَوْمُ الجُمُعَـــهْ وَرَبُّنَا قَدْ رَفَعَـــهْ
وَالشُّرْبُ فِيهِ بدْعَة فَهَلْ تَرَى أنْ نَدَعَهْ)).

---

[2] نفـح الطيـب، ج: 3، ص: 109.

ـ ثم الفقيه المحقق القاضي **أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني الكومي** (في بغية الرواد: البطوي) (ت: سنة 625هـ/1227م)؛ فقيه مالكي؛ قال عنه ابن الأبار: ((**سمع من أبيه، وتفقه به... وولي قضاء بلده. وكان حميد السيرة؛ مشاركا في الفقه، وعلم الكلام، معتنيا بالحديث، وروايته؛ معظما عند الخاصة، والعامة؛ وجمع من الدواوين شيئا عظيما. وله كتاب في غريب الموطأ، وكتاب المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار؛ في عشرين سفراً؛ في نحو ثلاثة آلاف ورقة، وغير. ذلك. وحدث، ودرس**))[1]. من مؤلفاته التي لم يذكرها ابن الأبار: التسلي عن الرزية والتحلي برضى باري البرية، ونظم العقود ورقم الحلل والبرود، والإقناع في كيفية الأسماع، والفيصل الجازم في فضيلة العلم والعالم، وفرقان الفرقان وميزان القرآن. وكعينة من نظمه؛ وإن دخلت في سياق النظم لا الشعر؛ بيتان أجمل فيهم أحاديث البخاري:

جَمِيعُ أحَادِيثِ الصَّحِيحِ الذِي رَوَى
البُخَارِي خَمْسَة وَسَبْعُونَ فِي العَدَدِ

1 التكملة لكتاب الصلة، ج: 2، ص: 623.

وَسَبْعَــةِ آلاَفٍ تُضَــافُ وَمَــا بَــقِي
إلاَّ مَائَتيْـــنٍ عَـــدَّ ذَاكَ أولُـــوا الجَـــدِّ

ـ ثـم **أبـو العـلاء المأمـون إدريـس بـن يعقـوب ابـن يوسـف بـن عبـد المؤمـن الكـومي** (ت: سنـة 630هـ/1232م)؛ فعـلى الرغـم مـن سعـة معارفـه، وفصاحتـه، وشاعريتـه، وتمكنـه مـن العلـوم الشرعيـة، والأدبيـة، ومعرفتـه بالقـراءات، وضبطـه للروايـات، وحسـن تلاوتـه، وقدرتـه عـلى الحفـظ، واستيعابـه لكتـب الحديـث ـ إذ كـان يُقـْرِئ كتبهـا أيـام حكمـه؛ مثـل: الموطـأ، وصحيـح البخـاري، وسنـن أبي داود ـ وعـلى الرغـم مـن بلاغتـه، وجـودة إنشائـه، وتضلعـه في علـوم اللغـة العربيـة وآدابهـا؛ ومـا كـان عليـه مـن شجاعـة، وإقـدام؛ إلا انـه اتصـف أيضـا بالطغيـان، والجبـروت، والتعطـش إلى سفـك الدمـاء. وكـان أول مـن أدخـل الفرنجـة إلى بـلاد المغـرب؛ بغـرض قمـع المناوئيـن لـه؛ مقابـل شـروط ثقيلـة؛ منهـا: تنازلـه عـن عـدد مـن الحصـون والقـلاع بالأندلـس، والسمـاح ببنـاء كنيسـة للنصـارى بمراكـش. ولمـا افتـك الحكـم بمساعـدة جنـد الإفرنـج؛ قبـض عـلى خصومـه مـن شيـوخ الموحديـن؛ وقتلهـم عـن آخرهـم. ثـم غيـر رمـوز الدولـة المُنوِّهَـة بالإمـام المهـدي؛ مـن:

سكـــة، وخطبــة...الخ وفي عهـــده بـــدأت الدولـــة الموحديـــة تتفكـــك. وهـــذا نـــص كتبـــه صاحـــب الأنيـــس المطـــرب بـــروض القرطـــاس؛ يعطينـــا صـــورة عـــن هـــذه الشخصيـــة المتناقضـــة؛ لهـــذا السلطـــان الدمـــوي[1]: **((فصعـــد المنبـــر، بجامـــع المنصـــور، وخطـــب النـــاس، ولعـــن المهـــدي وقـــال: أيهـــا النـــاس لا تدعـــوه بالمعصـــوم وادعـــوه بالغـــوي المذمـــوم؛ أنـــه لا مهـــدي إلا عيـــسى؛ وأنا قـــد نبذنـــا أمـــره النحيس... وأمـــر بإسقـــاط اسـم المهـــدي مـــن الخطبـــة، وإزالتـــه عـــن الدنانيـــر والدراهـــم، ودور الدراهـــم المركنـــة الـــتي كـــان ضربهـــا المهـــدي... فأمـــر بقتـــل جميـــع أشيـــاخ الموحديـــن، وأشـــرافهـــم؛ فقتلـــوا عـــن آخرهـــم، ولـــم يبـــق منهـــم أحـــد، ولـــم يـــراع والـــدا ولا ولـــد؛ حـــتى أنـــه أوتي بولـــد أختـــه وهـــو صـــبي صغيـــر ابـــن ثـــلاث عشـــرة سنـــة، وكـــان قـــد حفـــظ القـــرءان؛ فلمـــا قـــدم ليقتـــل قـــال لـــه يـــا أميـــر المؤمنيـــن أعـــف عـــني لثـــلاث؛ قـــال مـــا هي؟ فقـــال: صغـــر سـني، وقـــرب رحـــمي منـــك، وحفـــظي لكتـــاب اللـــه العزيـــز؛ فنظـــر إلى القـــاضي المكيـــدي كالمستشيـــر لـــه؛ ثـــم قـــال لـــه: كيـــف رأيـــت قـــوة جـــأش**

---

[1] ص ص: 167 ــــ 168.

هذا الغلام، وإقدامه على الكلام في هذا المقام؟ فقال له القاضي: يا أمير المؤمنين إنك إن تذرهم يضلوا عبادك، ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا؛ فأمر به فقتل. ثم أمر بتعليق الرؤس على أسوار المدينة؛ فعلقت بدائرها؛ فكانت حسبتها أربعة فاجرا كفارا؛ فأمر به فقتل. ثم أمر بتعليق الرؤس على أسوار المدينة؛ فعلقت بدائرها؛ فكانت حسبتها أربعة آلاف رأس وست مائة رأس؛ كان زمان الصيف؛ فنتنت منها المدينة؛ وتأذى الناس من روائحها؛ فرفع إليه ذلك؛ فكان من جوابه أن قال: هنا مجانين، وتلك رؤس لهم أحراز؛ لا يصلح حالهم إلا بها؛ وإنها لعطرة عند المحبين، ونتنة عند المبغضين؛ ثم أنشد إرتجالا:

أهْلُ الحَرَابَةِ وَالفَسَادِ مِنَ الوَرَى
يُعْزَوْنَ فِي التَّشْبِيهِ لِلذُّكَارِ
ففَسَادُهُ فِيهِ الصَّلاَحُ لِغَيْرِهِ
بالقَطْعِ وَالتَّعْلِيقِ بِالأشْجَارِ
مَرْآهُمُ ذِكْرى إذَا مَا أبْصَرُوا
فَوْقَ الجُذُوعِ وَفِي ذُرَى الأسْوَارِ

وَكَذَا القِصَاصُ حَيَاة أرْبَاب النُّهَى
وَالعَدْلُ مَألُوفٌ بِكلِّ جِوَارِ
لَوْ عَمَّ حِلْم اللَّهِ كَافَّة خَلْقِهِ
مَا كَانَ أكْثَرُهُمْ مِنْ أهْلِ النارِ)).

ـ ثم **شمس الدين محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن علي التلمساني الكومي** الشهير بابن العفيف التلمساني (توفي بدمشق في حياة والده سنة 688هـ/1289م)؛ وكان شاعرا رقيق الطبع، لطيف المعنى، حسن السبك. جاء في كتاب فوات الوفيات؛ نقلا عن القاضي شهاب الدين بن الفضل قوله فيه: **((لم يأت إلا ما خف على القلوب، وبريء من العيوب؛ رق شعره فكاد أن يشرب، ودق فلا غرو للقضب أن ترقص والحمام أن يَطْرَب، ولزم طريقة دخل فيها بلا استئذان، وولج القلوب ولم يقرع باب الآذان؛ وكان لأهل عصره ومن جاء على آثارهم افتتان بشعره؛ وخاصة أهل دمشق؛ فإنه بين غمائم حياضهم رُبِيَ؛ وفي كمائم رياضهم حُبِيَ؛ حتى تدفق نهره، وأينع زهره؛ وقد أدركت جماعة من خلطائه لا**

يرون عليه تفضيل شاعر، ولا يرون له شعرا إلا وهم يعظمونه كالمشاعر... وأكثر شعره ـ لا بل كله ـ رشيق الألفاظ؛ لا يخلو من الألفاظ العامية، وما تحلو به المذاهب الكلامية؛ فلهذا عَلَق بكل خاطر، وولع به كل ذاكر))[1]. هذا.. وله ديوان شعره تم نشره مرات عديدة، كما أخرج له حجي خليفة مقامات العشاق في ورقتين. وهذه بعض المقاطع من شعره:

بِلاَ غَيْبَةٍ لِلْبَدْرِ، وَجْهُكَ أجْمَلُ
وَمَا أنَا فِيمَا قُلْتُهُ مُتَجَمِّلُ
وَلاَ عَيْبَ عِنْدِي لَوْلاَ صِيَانَة
لَدَيْك بهَا كُلُّ امْرِيءٍ يَتَبَذلُ
لِحَاظُك أسْيَافٌ ذكُورٌ فَمَا لَهَا
كَمَا زَعَمُوا مِثْلِ الأرَامِلِ تغْزلُ
وَمَا بَالُ بُرْهَانِ العذار مُسَلِّماً
وَيَلْزَمُهُ دُورٌ وَفِيهِ تَسَلْسُلُ
وَعَهْدِيَ أنَّ الشَّمْسَ بالصَّحْوِ آذنَتْ
فَمَا بَالُ سُكْرَى مِنْ مُحَيَاك يُقْبِلُ
كَأنَّك لَمْ تُخْلَقْ لِغَيْرِ نَوَاظِرِ
تُسَهِّدُهَا وَجْداً وَقَلباً تُعَلِّلُ

---

[1] فوات الوفيات ج: 3، ص: 373.

حَبيبي لِيَهْـــنِ الحُسْــنَ أَنَّكَ حُزتــَهُ
وَيَهْـــنِ فُـــؤَادِي أَنَّـــهُ لـــَكَ مَنْـــزِلُ
إذا كُنتَ ذَا ودٍّ صَحِيـــحٍ فَلَمْ يَكُـــنْ
يَضُـــرُّنيَ العُـــذالُ حَيْـــثُ تقَوَّلُـــوا
رَأَوْا مِنْكَ حَظِّي فِي المَحَبَّـــة آخـــراً
لِــــذَا حَرَّفُوا عَنِّي الحَدِيـــثَ وَأَوَّلُـــوا

ولـــه أيضـــا:
بعَيْنَيْـــك هَذِي الفَاتِرَاتُ الَّتِي تسْـــبي
يَهُـــونُ عَلَيَّ اليَوم قَتْـــلِيَ يَا حُـــبِّي
إذَا مَا رَأَتْ عَيْـــني جَمَالَكَ مُقْبـــلاً
وَحَقِّكَ يَا رَوحِي سَكِرْتُ بِلاَ شُرْبِ
وَإنْ هَـــزَّ عَطْفَيْكَ الصَّبَـــا مُتَمَايـــلاً
أضَاعَ الهَوَى نُسكِي وَغُيِّبْتُ مِنْ لُـــبِّي
فَدَعْنِي وَهَذَا الخَـــدَّ أعْصِـــرُ فِي فَمِي
عَنَاقِيـــدَ صُدْغَيْهِ وَحَسْبِي بِهِ حَسْـــبِي
لَوَ أنَّ تُجَارَ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْب شَاهَـــدُوا
ثَنَايَاك مَا عَنُوا عَلَى اللُّؤ لؤِ الرَّطْـــبِ
أَيَا سَـــاقِيَ الكَأسِ الَّذِي زَادَ خَـــدُّه
عَلَيْهَا احْمِرَاراً عد بالكَأسِ عَنْ صحْبِي
وَمَـــا ذَاكَ بُخْـــلاً بالمُـــدَام وَإنَّمَـــا
إذَا لُحْت لَمْ آمَنْ عَلَيْهمْ مِنَ السَّلْـــبِ

وَباللَّهِ قُلْ لِي أيُّهَا الظَّبْيُ كَيْفَ قَــدْ
تَعَلَّمْتَ صَيْد الأسْدِ فِي شَرَكِ الهــدْبِ
وَمَا الّذِي قَدْ بعْتَ فَاسْتَرْهَنْـــتَ بـــهِ
لَدَيْكَ الربى رَهْنـــاً كَثِيباً مِنَ الكثْـــبِ
فَخُذْ قِصَّة الشَّكْوَى مِنَ الأعْيُنِ الَّــتِي
نَفَيْـــتَ لَذِيذَ النَّـــوْم عَنْهَا بِلاَ ذنْـــبِ
وَلاَ تَعْتَبَـــنْ صَبًّـــا تَهَتَـــكَ سِتْـــرُهُ
عَلَيْكَ فَهتْكُ السّتْرِ ألْيَـــقُ بِالصَّـــبِّ

وقـــال أيضـــا:

أعَـــزَّ اللَّـــهُ أنْصَـــارَ العُيُـــونِ
وَخَلَّـــدَ ملْكَ هَاتِيـــكَ الجُفُـــونِ
وَضَاعَفَ بالفُتـــُور لَهَا اقْتِـــدَاراً
وَإنْ تَكُ أضْعَفَتْ عَقْلِي وَدِيـــنِي
وأبْـــقَى دَوْلَة الأعْطَـــافِ فِينـــا
وَإنْ جَارَت عَلىَ القَلْبِ الطَّعِيـــنِ
وَأسْبَـــغَ ظلَّ ذَاكَ الشّعْـــر يَوْمـــاً
عَلَى قَدّ بـــهِ هَيَـــفُ الغُصُـــونِ
وَصَـــانَ حِجَاب هَاتِيكَ الثَّنَايَـــا
وَإنْ ثَنَتِ الفُـــؤَادَ إلَى شُجُـــونِ

وقـــال أيضـــا:

أسِيـــرُ أَلْحَـــاظٍ لِخَـــدٍّ أسِيـــلْ
كَلِيمُ أحْشَـــاءِ لِطَـــرْفٍ كَلِيـــلْ

فِي حُـــبِّ مَنْ حَظِّيكَشعْـــر لَـــهُ
لَكِنْ قَصِيـــرٌ ذَا وَهَـــذَا طَوِيـــلْ

لَيْـــسَ خَلِيـــلاً لِـــي وَلَكِنَّـــهُ
أضْرَمَ فِي الأحْشَاءِ نَـــارَ الخَلِيـــلْ

يَا رِدْفَـــهُ جُـــرْتَ عَلَى خَصْـــرِهِ
رِفْقـــاً بِهِ مَـــا أنْـــتَ إلاَّ ثَقِيـــلْ

وقـــال أيضـــا:

لَمْ أنْـــسَ لَمَّـــا زَارَنـــي مُقْبِـــلاً
أوْلاَنِيَ الوَصْـــلَ وَمَـــا ألْـــوَى

وَقعْـــتُ بالرَّشْـــفِ عَلَى ثَغْـــرِهِ
وَقـــع المَسَاطِيـــلِ عَلَى الحلْـــوَى

وقـــال أيضـــا:

يَا مَنْ أطَالَ التَّجَنِّي وَقَدْ أسَا فِي التَّـــوَخِّي
أسْرَفْتَ تِيهاً وَعُجْباً وَكُثْرَة الشَّدِّ يُـــرْخِي

ـ ثـــم أبـــو الربيـــع عفيـــف الديـــن سليمـــان بـــن علـــي بـــن عبـــد اللـــه بـــن علـــي التلمســـاني الكـــومي؛ (تـــوفي بدمشـــق سنـــة 690هـــ/1291م)؛وهـــو

كاتب، وأديب؛ وكان من الكتاب، والأدباء البارزين؛ إذ كان يجيد النظم، والنثر؛ وله اتجاه صوفي؛ يتبع فيه طريقة ابن عربي (محمد بن علي)؛ غير أن بعضهم يتهمه بالزندقة؛ وله مؤلفات عديدة؛ منها: شرح مواقف النفزي، وشرح الفصوص لابن عربي، وكتاب في العروض، وديوان شعر. ومن شعره:

إنْ كَانَ قتْلِي في الهَوَى يَتعيَّنُ
يا قاتلي فَبسَيْفِ طرْفِكَ أهْوَنُ
حَسْبي وَحَسْبُكَ أنْ تكونَ مَدامِعي
غُسْلي وفي ثَوْبِ السَّقامِ أُكفَّنُ
عَجَباً لِخَدِّكَ وَرْدَة في بانةٍ
وَالوَرْدُ فَوْقَ البَانِ مَا لا يُمْكِنُ
أدْنَتْهُ لي سِنَةُ الكَرَى فلثمْتُهُ
حَتَّ تَبَدَّلَ بالشَّقيقِ السَّوْسَنُ
وَوَرَدْتُ كَوثَرَ ثغْرِهِ فَحَسَبْتُني
في جَنَةٍ مِنْ وجْنَتَيهِ أسْكُنُ
مَا رَاعَنِي إلاَّ بِلالُ الخَالِ فَوْ
ق الخَدِّ في صُبْح الجَبينِ يُؤَذنُ
فَنَشَرْتُ مِنْ خَوْفِ الصَّبَاحِ ذؤابة
هِيَ كَالدُّجَى وَظَلَلْتُ فِيهَا أكمُنُ

وقـــال في مـــدح بعـــض بـــني الزبيـــر الـــوزراء:

وَبَنُو الزُّبَيْرِ كَمَا عَلِمْت حَدِيثُهُـــمْ
وَقَدِيمُهُمْ سَـــادَ الأَنَـــامَ وَطَالُـــوا
أَوْلادُ عَمَّـــاتِ النَّبيِّ أَمَـــا تَـــرَى
أَخْلاقهُـــمْ لا يَعْتَرِيهَـــا الحَـــالُ
أَقْعَدَهُمْ شُغِلُـــوا بنيـــرَانَ القِـــرَى
وَلَهُمْ بِنِيـــرَان الـــوَغَى أَشْغَـــالُ

ومـــن شعـــره الصـــوفي:

مُحَيَّـــاكَ يَهْوَاهُ الْمُحَيَّـــا أمَا تَـــرَى
حَشَـــا الكَأسِ فِيهِ جَمْـــرَة تَتَوَقّـــَدُ
وَلَوْلاَ بُكَاهَا مَا بَـــدَا فَوْقَ خَدِّهَـــا
دُمُـــوعٌ حَكَاهَـــا اللُّؤْلُـــؤُ الْمُتَفَـــرِّدُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي فِتْنَة الفِسْق فِعْلهَـــا
إلَى أَنْ رَأتْ عَيْنَايَ حُسْنُك يَبْعُـــدُ
إِنَّمَا ارْتَشَفْتُ الرَّاحَ مِنْ ثغْرِ كَأسِهَا
أَلَسْتَ تَرَاهَا نَحْوَ وَجْهِكَ تَسْجُـــدُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاكَ فِي الكَوْنِ مُطْلَقاً
لَدَلَّ عَلَيْهِ مِنْـــكَ حُسْـــنٌ مُقَيَّـــدُ
لَمَّا أبْصَرَتْ عَيْنِي جَمَالَكَ جَهْـــرَة
وَمَنْ لَمْ تُشَاهِدْ عَيْنُهُ كَيْفَ يَشْهَـــدُ
عَجِبْتُ لِكَأسٍ قَدْ صَحَوْتُ بشُرْبهَـــا
أَبْـــرَأَ صَحْـــواً عَـــلي يُعَرْبِـــدُ

وقــال في رثــاء ولــده شمــس الديــن؛ الــذي تــوفي قبلــه. وأثنــاء ذلــك أشــار إلى أخيــه الميــت أيضــا:

مَــالِي بِفَقْــدِ المُحَمَّدَيْــنِ يَــدُ
مَــضَى أخِي ثُمَّ بَعْدَهُ الوَلَــدُ
يَا نَــار قَلــْبِي وَأَيْنَ قَلْــبِيَ أَوْ
يَا كَبدِي لوْ يَكُونُ لِي كَبَــدُ
يَا بَائــِعَ المَوْتِ مُشْتَرِيــهِ أنــَا
فَالصَّبْرُ مَا لاَ يُصَابُ وَالجَلَــدُ
أيْــنَ البَنَــانُ الَّتِي إِذَا كَتَبَــتْ
وَعَايَــنَ النَّاسُ خَطَّهَا سَجَــدُوا
أيْــنَ الثنَايَــا التِي إِذَا ابْــتَسَمَتْ
أوْ نَطقَــتْ لاَحَ لُؤلُــؤ نَضَــدُ
مَا فَقَدَتْكَ الإِخْــوَانُ يَا وَلَــدِي
وَإِنَّمَا شَمْــسَ أنْسِهِمْ فَقَــدُوا
مُحَمَّــدٌ يَــا مُحَمَّــدٌ عَــدَداً
وَما لَمَــا لَيْــسَ يَنْتَــهِي عَــدَدُ

إلى أن يقــول:

مَاذَا عَلَى الغَاسِلِينَ إذَ قــَرُبَ الأمــْ
ــلاَكُ مِنْــهُ لــَوْ أَنَّهُــمْ بَعــدُوا
قَدْ حَمَلَتْ نَفْسُــهُ العُلــُومَ إِلَى الــ
فِرْدَوْسِ وَالنَّعْــشُ فَوْقَــهُ الجَسَــدُ

أَبْكَيْتَ خَالاَتك الضَّوَاحِكِ مِنْ
قَبْلُ وَمَا مِنْ صِفَاتِكَ النَّكَدُ
بِي كِبَرٌ مَسَّنِي وَأُمُّكَ قَدْ
شَاخَتْ فَمِنْ أَيْنَ لِي يُرَى وَلَدُ
وَهَبْهُ قَدْ كَانَ لِي فَمِثْلُكَ لاَ
يُرْجَى وَأَيْنَ الزَّمَان وَالأَمَدُ

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن يحيى الكومي الندرومي** (ت: حوالي 775هـ/1373م)؛ أحد علماء المالكية؛ له ثبت تكلم فيه عن شيوخه، وإجازاتهم له.

ـ ثم الفقيه **أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن عمر بن شعيب السنوسي** (ت: سنة 895هـ/1489م)؛ وهو من كبار علماء تلمسان في عهده؛ عالج في مؤلفاته علوما شتى؛ دينية، ودنيوية؛ وله باع طويلة في علوم: التفسير، والتوحيد، والحديث؛ ومن مؤلفاته: كتاب عقيدة أهل التوحيد؛ ويسمى العقيدة الصغرى، ثم كتاب العقيدة الوسطى، ثم شرح صغرى الصغرى، وشرح صحيح البخاري؛ لم يكتمل، وشرح الأسماء الحسنى، وشرح جمل الخونجي؛ في المنطق، وشرح مقدمات الجبر والمقابلة؛ لابن الياسمين، والعقد الفريد في حل مشكلات

التوحيد، وشرح للامية الجزائري، ومختصر في علم المنطق، وشرح كلمتي الشهادة، ومكمل إكمال الإكمال، والمقدمات في التوحيد، وتفسير سورة ص وما بعدها من السور، ونصرة الفقير في الرد على أبي حسن الصغير، وشرح التسبيح وبر الصلوات، وشرح قصيدة الحباك في الإسطرلاب، ومختصر بغية السالك في أشرف المسالك؛ للساحلي، وشرح جواهر العلوم؛ في علم الكلام، وشرح مشكلات البخاري، ومختصر الزركشي على البخاري، ومختصر حاشية التفتازاني على الكشاف، ومختصر ابن عرفة، وشرح رجز ابن سينا في الطب؛ لم يكتمل، ومختصر في القراءات السبع، وشرح الشاطبية الكبرى؛ لم يكتمل، وشرح الوغليسية؛ في الفقه؛ لم يكتمل، ومختصر الروض الآنف؛ للسهيلي؛ لم يكتمل، وشرح المرشدة والدر المنظوم؛ في شرح الأجرومية، ونظم في الفرائض، واختصار الرعاية؛ للمحاسبي، وتفسير القرآن؛ إلى قوله: أولئك هم المفلحون، وتعليق على فرعي ابن الحاجب، وشرح إيساغوجي؛ في المنطق، ومختصر لمسلم؛ في سفرين، وشرح أبيات الإمام الأليري؛ في التصوف، والمقرب المستوفي؛ شرح على الحوفية، وأم البراهين في العقائد، والحقائق في

تعريفات مصطلحات علماء الكلام، والمنهج السديد في شرح كفاية المريد؛ للجزائري.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الغماري الكومي** (ولد بعد عام 940هـ/1533م)؛ فقيه، وخطيب بمكناسة؛ وإلى جانب الفقه فهو نحوي، ويستظهر مختصر خليل؛ وله أيضا مشاركة في علمي: الحساب، والفرائض؛ إذ كان أستاذا فيهما.

OOO

أما الذين عرفوا بالأدوار السياسية، والعسكرية، ومهام الحكم فمنهم:

ـ الوزير **عبد السلام بن محمد الكومي** المعروف بالمقرب (توفي مقتولا بسجنه سنة 557هـ/1161م)؛ عرف بالمقرب بسبب تقريب عبد المؤمن إياه؛ أو للقرابة التي بينهما؛ ومع هذا لم يستنكف هذا السلطان الدموي عن قتله؛ حيث أرسل من قتله بسجنه خنقا، أو بواسطة مسهل قضى عليه تدريجيا كما يقال.

ـ ثم الوزير **عمر بن عبد السلام بن محمد الكومي**؛ الذي خلف والده في منصب الوزارة بعد مقتله؛ وبقي في منصبه حتى وفاة عبد المؤمن.

ـ ثم **الحسن بن حيون المعابدي الكومي** (توفي مقتولا بتلمسان سنة 624هـ/1226م)؛ كان من عمال الدولة الموحدية؛ فتآمر على قبيل بني عبد الواد؛ الأمر الذي أوصله إلى القتل؛ وفتح الباب أمام رؤساء القبيل إلى الاستبداد بتلمسان؛ وتعتبر هذه الخطوة ممهدة لقيام الدولة العبد الوادية.

ـ ثم **أبو العلاء الواثق بالله إدريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن الكومي** المعروف بأبي دبوس (توفي بمراكش سنة 667هـ/1268م)؛ وهو من ملوك بني عبد المؤمن؛ وبعد قتله ـ من طرف بني مرين ـ بظاهر مراكش أشرفت الدولة الموحدية على نهايتها.

ـ ثم **إسحاق بن إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن الكومي** (توفي بفاس مقتولا سنة 674هـ/1275م)؛ وهو آخر الملوك من بني عبد المؤمن؛ بويع في تنملل؛ بعد سقوط مراكش، ومقتل أبي دبوس.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عثمان بن إدريس بن محمد الكومي** المعروف بابن أبي دبوس؛ والده السابق الذكر (توفي بفاس سنة 762هـ/1360م)؛ ولد بالقاهرة؛ ولما كبر انتقل إلى بلاد إفريقية والمغرب طمعا في استرجاع ملك آبائه؛ فأعلنها ثورة في تلك الديار؛ ولكنه فشل.

ـ ومنهم أيضا الداعية الثائر بالزاب؛ المسمى **أبا عبد الله بن خديجة الكومي** (كان حيا سنة 724هـ/1323م)؛ وهو من ولد عبد المؤمن ابن علي؛ وكان يدعوا للفاطمي المنتظر.

***

ـ ***مواطنهم:*** كانت مواطن **كومية** الأولى في المغرب الأوسط؛ وبالتحديد ضمن منطقة **أرشكول، وتلمسان**؛ وذلك.. على امتداد شاطئ البحر، **وجبال ترارة** التي تربض شمال غرب تلمسان. ولما استولى الموحدون على **مراكش**، واتخذوها حاضرة لسلطانهم؛ استدعى عبد المؤمن بن علي قبيلته كومية؛ إلى تلك الربوع؛ ليكونوا درعا له، وعصابة يشد بها أزره.

....

(2) ـ لمـايـة:

وهـم مـن **بـني فاتـن** أيضـا. وتعتبـر **لمايـة** مـن أكبـر قبائـل **ضريسـة**، وأوسعهـا بطونـا. وقـد لعبـت هـذه القبيلـة دورا بـارزا في تاريـخ المغربيـن: الأوسـط، والأدنى؛ حيـث اعتنـق أبناؤهـا المذهـب الإبـاضي، وشاركـوا في حركـة أبي الخطـاب عبـد الأعـلى ابـن السمـح؛ عنـد تملكـه طرابلـس، وعنـد استيلائـه عـلى القيـروان؛ بغـرض إخـراج ورفجومـة منهـا. ولمـا قتـل أبـو الخطـاب؛ لجـأ عاملـه عـلى القيـروان (عبـد الرحمـن بـن رستـم) إلى **قبيلـة لمايـة**؛ بالقـرب مـن **جبـل كـزول**؛ في المغـرب الأوسـط؛ نظـرا لكـون هـذه القبيلـة مـن حلفائـه وحلفـاء أميـره أبي الخطـاب. وبالفعـل أجارتـه لمايـة، وحمتـه مـن كـل مكـروه. كمـا قامـت لمايـة ببنـاء مدينـة **تيهـرت** الثانيـة؛ في سفـح **جبـل كـزول**؛ جاعلـة منهـا دار ملـك للإباضييـن؛ بإمـرة عبـد الرحمـن بـن رستـم؛ بعـد أن بايعتـه بالإمامـة. وظلـت هـذه القبيلـة سنـدا قويـا للدولـة الرستميـة حـتى سقطـت. فتشتـت ـ إثـر ذلـك ـ أبنـاء لمايـة في الأقطـار، وانقـرض معظمهـم؛ بسبـب الحـروب. ولـم يبـق سـوى بعـض الفئـات المتفرقـة، والموزعـة بيـن قبائـل أخـرى. ومـن بيـن بقايـا

لماية **جربة**؛ التي سميت بها الجزيرة المعروفة الآن؛ في **ساحل تونس.** وسكانها حتى عهد ابن خلدون كانوا من لماية. كما توجد في جربة — حتى الآن — قبيلة تسمى **آلْمَاي**[1]؛ يعتقد محمد علي دبوز أنهم من بقايا لماية؛ ولكن اسمها أصابه التحريف؛ وقد يكون إسمها هذا هو الصحيح. كما أن قرية **لماية** التي تتوسط الطريق بين **طرابلس، وزوارة**؛ تنسب هي الأخرى إلى هذه القبيلة. وقد نقل الشيخ مبارك الميلي عن ((أبوراس)) ما مفاده.. أن أهل **فرندة، والحوارث** من **لماية**؛ ولكنهم تركوا المذهب الخارجي[2]. كما تنسب إليهم مقاطعة لماية؛ المتواجدة ببلاد الأندلس؛ وتعتبر مدينتها إحدى حصون مالقة[3]. وهي كغيرها من مقاطعات الأندلس التي سميت باسم القبائل الأمازيغية التي استقرت بها. وينسب إليها عدد من العلماء، والأدباء.

! ! !

[1] تاريخ المغرب الكبير، ج: 3، ص: 259.

[2] تاريخ الجزائر، ص: 596.

[3] الحميري؛ الروض المعطار، ص: 511.

ـ ***أعيانهم:*** من المنتسبين إلى لماية ببلاد الأندلس:

ـ الشاعر الفحل والكاتب النِّحْرير الوزير **أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائي**؛ (توفي بمالقة سنة 654هـ/1256م). وهو من فحول الشعراء بالأندلس. كان وزيرا لعلي بن حمود؛ أمير مالقة؛ أيام ملوك الطوائف. ولما دفن؛ كتبت على قبره أبيات من نظمه هي:

بَنَيْتُ و لم أسْكُن وحَصَّنْت جَاهداً
فَلمَّا أتى المَقْدُورُ صَيَّرَهُ قَبْري
و لم يَكُ حظِّي غَيْر ما أنْتَ مُبْصِرٌ
بعَينَيْكَ مَا بَيْنَ الذرَاعِ إلى الشِّبْرِ
فَيَا زائِراً قَبْري أوصِيكَ جَاهِداً
عَلَيْكَ بتقْوَى اللهِ في السر والجَهْرِ
فَلا تُحْسِنَنَّ بالدَّهْرِ ظَنَّا فإنَّمَا
مِنَ الحَزْم ألاَّ يُسْتَنام إلى الدَّهْرِ

وحاول بعض أصحابه الترويح عليه؛ أثناء مرضه؛ فأجابهم مرتجلا:

رَوَّحَني عائِدِي فَقُلْتُ لَهُ
لاَ لاَ تَزِدْني عَلىَ الَّذِي أجِدُ
أمَا تَرَى النَّارَ وَهِيَ خامِدَة
عِنْدَ هُبُوبِ الرِّياحِ تَتَّقِدُ

ومـــن شعـــره أيضـــا:

قَدْ قُلْـــتُ إِذْ سَـــارَ السَّفِيـــنُ بـــهِ
والبَيْـــنُ يَنْهَـــبُ مُهْجَـــتِي نَهْبَـــا
لَـــوْ أنَّ لِي مُلْكـــاً أصُـــولُ بـــهِ
لأخَـــذْتُ كُـــلَّ سَفينَـــةٍ غَصْبَـــا

ويقـــول كذلـــك:

غَنِيٍّ وَلِلإيقَـــاعِ فَـــوْ قَ بَيَانِ مَنْطِقِـــهِ بَيَـــانُ
وَكَأَنَّمَـــا يَـــدُهُ فَـــمٌ وقَضِيبُـــهُ فِيهَـــا لِسَـــانُ

ـــ ثـــم الفقيـــه **أبـــو الحســـن عـــلي بـــن عبـــد اللـــه ابـــن داود اللمـــائي**؛ المعـــروف بالمـــالطي (ت. سنـــة 538هـــ/1143م)؛ وهـــو مـــن أهـــل المريـــة؛ ولـــه تأليـــف جمـــع فيـــه بيـــن كتـــابي: المنتـــقى للبـــاجي، والاستذكـــار لابـــن عبـــد البـــر. ولا نـــدري حـــتى الآن مـــدى انتمـــاء هذيـــن العالميـــن إلى لمايـــة؛ بحيـــث بـــقي التســـاؤل قائمـــا: هـــل ينتميـــان إلى القبيلـــة أصـــلا؛ أم ينتميـــان إلى المقاطعـــة الأندلسيـــة لا غيـــر. ونظـــرا لمـــا عرفنـــاه؛ عـــن استيطـــان القبائـــل الأمازيغيـــة جماعـــات، جماعـــات؛ كـــل منهـــا في منطقـــة خاصـــة بهـــا؛ فإننـــا لا نستبعـــد انحـــدار هذيـــن العالميـــن مـــن القبائـــل المستوطنـــة فيهـــا. ومـــن جهـــة أخـــرى فقـــد تعـــذر الحصـــول عـــلى معلومـــات كافيـــة تخـــص أعيـــان

هذه القبيلة، وعلمائها ببلاد المغرب؛ وهذا عائد إلى الطابع البدوي المتفشي بين أبنائها، وإلى السلوك السلبي الذي اتبعه المؤرخون السنيون آنئذ؛ إذ كانوا يتجاهلون أخبار العلماء من الإباضيين؛ وغيرهم ممن يخالفونهم مذهبيا؛ وهذا بالطبع يدخل في باب **العصبية المذهبية**. ومع هذا فقد تضمن كتاب الدرجيني؛ طبقات المشائخ بالمغرب؛ أخبارا عن بعض علماء لماية؛ على قلتهم؛ وهم:

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن مانوج اللمائي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ ويقال أنه لم يكن يحفل بدينه في شبابه؛ ولم يتب إلا في كبره؛ حيث توجه إلى جزيرة جربة؛ أين تلقى العلم؛ حتى أصبح من علماء المذهب الإباضي البارزين؛ وهو أحد العلماء السبعة الذين اعتكفوا في **غار أمجاج**، أين صنفوا فيه تصنيفا يتناول موضوع الفقه الإباضي؛ وهو في اثني عشر جزءا.

ـ ثـم **أبـو محمـد عبـد اللـه بـن الأميـر اللمـائي** (مـن أعـلام النصـف الأول مـن القـرن الخامـس للهجـرة)؛ وهـو مـن علمـاء المذهـب الإبـاضي أيضـا.

***

ـ ***مواطنهـم:*** يضـع ابـن خلـدون **لمايـة** في عـداد **القبائـل الرحـل**؛ الـتي تتنقـل عبـر بـلاد إفريقيـة، والمغـرب؛ طلبـا للنجعـة. عـلى أن جمهورهـم كـان يرتـع في مراتـع المغـرب الأوسـط؛ في السهـوب المتاخمـة للصحـراء. ثـم يحـدد تلـك المواطـن؛ **بـأرض السرسـو؛ جنـوب منـداس، وإلى الغـرب أرض زواغـة.** وفي **الشمـال، والشـرق تتواجـد مطماطـة، ومكناسـة، وزناتـة**[1].

....

(3) ـ مديونـة:

وهـم مـن **بـني فاتـن** أيضـا. وتذكـر المصـادر التاريخيـة؛ بـأن فئـات مـن هـذه القبيلـة تكـون قـد لعبـت أدوارا هامـة في تاريـخ الأندلـس؛

---

[1] العبـر، مج: 6، ص ص: 246 ـــ 250.

بعد أن أجازوا إليها أيام الفتح. ويبدو أن هجرتهم إلى الأندلس قد قلصت سطوتهم بديار المغرب؛ لذا نجدهم أضحوا في موقف ضعيف؛ عندما تغلبت قبائل: **بني راشد، وبني توجين** (من زناتة) على ربوع المغرب الأوسط؛ حيث مدوا سلطانهم على مواطن مديونة الضعيفة؛ بسبب افتراق أتباعها، وتضاؤل عددهم؛ نتيجة للحروب، والهجرة. وعليه.. فقد ألزمت زناتة قبيلة مديونة بدفع الضرائب، وإعطاء المغارم. كما زاحمتها في مواطنها؛ مما أدى بهم إلى الإنحياز إلى **حصون جبل تسالة، وجبل وجدة**؛ المعروف بهم. ومع الأيام.. بقي منهم من يتعاطى حرفة الفلاحة؛ بينما ظل آخرون موزعين بين القبائل. وبقي حي منهم ــ أيام ابن خلدون ــ بين **فاس، وصفروي**؛ إذ كانوا مجاورين **لمغيلة**[2].

! ! !

[2] المصدر السابق، مج: 6، ص ص: 256 ــ 257.

ـ ***أعيانهم:*** أنجبت مديونة عددا كبيرا من العلماء، والصالحين؛ منهم:

ـ **أبو عبد الله محمد بن أسود بن شعيب المديوني**؛ فقيه؛ ولي القضاء بإفريقية. ربما كانت له علاقة ما مع محمد بن أسود؛ قاضي المرية؛ الذي انتدب لمحاورة المهدي أمام السلطان المرابطي علي بن يوسف؛ في مراكش.

ـ ثم **أبو عمر أحمد بن خلف بن محمد ابن فُرْتُون المديوني** (ت: سنة 377هـ/948م)؛وهو من الرواة، والزهاد؛ كان يسكن في مدينة الفرج؛ قال عنه ابن بشكوال[1]: **((سمع الناس منه؛ وكان خيرا، فاضلا، زاهدا، ثقة فيما رواه. ومن روايته عن وهب بن مسرة؛ قال: دخلت على محمد بن وضاح بين المغرب والعشاء مودعا؛ فقلت له: أوصني رحمك الله؛ فقال: أوصيك بتقوى الله عز وجل، وبر الوالدين، وحزبك من القرآن فلا تنسه، وفرّ من الناس؛ فإن الحسد بين اثنين، والنميمة بين اثنين؛ والواحد من هذا سليم))**.

---

[1] الصلة، ج: 1، ص: 6.

ـ ثم **أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني** (ت: سنة 768هـ/1366م)؛ فقيه، وقاضي. وهو والد عائشة المديونية؛ أم ابن مرزوق الحفيد؛ استعمله أبو الحسن في خطة تنظر في سماع الشكايات، وفي جمع الزكاة؛ ثم ولاه أبو عنان خطة القضاء بتلمسان.

ـ ثم **عبد الرحمن بن محمد بن عطية المديوني**؛ المعروف بالجادري (تضاربت الآراء حول تاريخ وفاته بين: 818 و 839 و 840 هـ/1415 و 1435 و 1436م)؛ وهو فقيه، ومحدث، وميقاتي؛ وصاحب منظومة روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار، كما قام بتأليف فهرسة ضمت معلومات عن شيوخه، وكتاب في شرح البردة، وكتاب اقتطاف الأنوار، ومختصر الاقتطاف، وكتاب اشتمل على طريقة العمل بالإسطرلاب مع الصفيحة الشاكرية وربع الدائرة، والعمل بالحساب والجدول؛ اشتمل على 42 بابا، وكتاب تنبيه الأنام على ما يحدث في أيام العام، وأرجوزة بعنوان النافع في أصل حرف نافع، وكتاب المذكر والمؤنث.. وغيره.

ـ ثم **يحيى بن محمد المديوني** المعروف بأبي السادات الأكبر (من أعلام النصف الأول من القرن العاشر للهجرة)؛ فقيه، وصوفي.
ـ ثم **محمد بن يحيى المديوني المعرف** بأبي السادات الأوسط توفي بعد سنة 950هـ/1543م). فقيه، ومدرس؛ تصدر للإفتاء بتلمسان.
ـ ثم **أحمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن يحيى المديوني** المعروف بابن جيدة الجهبرزي الوهراني (ت سنة 951هـ/1544م)؛ وهو من الصوفيين الصالحين.
ـ ثم **محمد بن محمد بن يحيى بن محمد المديوني** العروف بأبي السادات الحفيد (ت: سنة 981هـ/1573م)؛ فقيه، ومحقق؛ تصدر للتدريس.
ـ ثم **محمد بن عبد الله المديوني** (توفي بعد عام 960هـ/1552م)؛ فقيه، وخطيب؛ له اهتمام بالعلوم العقلية، والنقلية. وهو من مدينة الفرج بالأندلس.
ـ ثم **أحمد بن موسى المديوني.** فقيه.
ـ ثم **محمد بن أحمد بن محمد المليتي المديوني**؛ (توفي سنة 985هـ/1577م)؛ مدرس؛ وهو والد ابن مريم.

ـ ثم **عائشة بنت أحمد بن الحسن المديوني** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة)؛ وهي أم الإمام ابن مرزوق الحفيد؛ الذي قال في شرحه على البردة: أنها ألفت مجموعا من الأدعية؛ وكانت من النساء الصالحات؛ واشتهرت بتعبير الرؤيا؛ إذ تمكنت من هذا الفن؛ بفضل إطلاعها الواسع.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني التلمساني**؛ المعروف بابن مريم (كان حيا سنة 1025هـ/1616م)؛ وهو فقيه مالكي، ومؤرخ؛ ألف 12 كتابا في علوم الدين، والتراجم؛ أشهرها كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، كتاب كشف اللبس والتعقيد عن عقيدة أهل التوحيد، وتعليق على رسالة خليل.

ـ ثم **محمد بن بلال المديوني**. فقيه، وصوفي؛ ملم بالإقراء.

ـ ثم **أحمد بن رقية المديوني**؛ الضليع في العلوم العقلية، والنقلية.

ooo

ومن أمراء مديونة الذين كان لهم ذكر في التاريخ:

ـ **جرير بن مسعود** (من أعلام النصف الأول من القرن الثاني للهجرة)؛ المنضم إلى أبي قرة، وأبي حاتم؛ في ثورتيهما ضد ولاة القيروان.

ـ ثم **هلال بن أبزيا** (من أعلام القرن الثاني للهجرة)؛ وهو الذي خرج على عبد الرحمن الداخل بشنت برية بالأندلس؛ متحالفا بذلك مع الثائر البربري شقيا المكناسي.

ـ ثم **نابتة بن عامر**(من أعلام القرن الثاني للهجرة)؛ هو الذي خلف هلال بن ابزيا على قيادة قومه من مديونة بشنتبرية.

***

ـ **مواطنهم:** يحدد ابن خلدون مواطن جمهور مديونة **بأطراف تلمسان**. وبالتحديد.. ما بين **جبل بني راشد** (جبل العمور حاليا) وبين **جبل مديونة**؛ جنوب وجدة. ويقول أنهم كانوا ظواعن؛ يرتحلون عبر هذه الضواحي، والجهات. ومواطنهم مجاورة لبني يلومي، وبني

يفرن؛ من جهة الشرق، وإلى الغرب منهم مكناسة؛ أما جهة الساحل فكومية، وولهاصة.

....

(4) ــ مطغــــرة:

ينتسبون إلى **بني فاتن**. ويتميز هذا الحي بوفرة أعداده. وتعتبر **مطغرة** من بين القبائل المدرية؛ التي اختارت حياة الاستقرار؛ في الأرياف، وفي بعض الواحات، والقصور الجنوبية. ولعبت هذه القبيلة أدوارا خطيرة؛ في تاريخ المغرب الإسلامي؛ حيث تزعمت الحلف القبلي الأمازيغي؛ ضد ولاة بني أمية؛ بعد أن اعتنقت ــ مع حلفائها ــ المذهب الخارجي؛ الصفْري. وشبت ثورتهم جميعا؛ بقيادة **ميسرة المطغري**؛ ما بعد العقد الثاني من القرن الثاني للهجرة؛ حيث أشعلت ثورة تلك القبائل المتحالفة المغرب الإسلامي كله بنيران الحرب، والعصيان؛ الأمر الذي كاد أن يزيل الوجود العربي تماما من هذه الربوع. وقد انتهى الحال بقبيلة مطغرة ــ أخيرا ــ إلى الفرقة، والضعف؛ فاندرجت ضمن **قبيلة كومية** ــ في العهد الموحدي ــ بحكم الجوار، والحلف؛ ثم أضحت

ـ بعد ذلك ـ في عداد القبائل الخاضعة لأحكام الدولة، والدافعة للضرائب[1].

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** أنجبت مطغرة كغيرها من القبائل عددا من العلماء والأدباء؛ منهم:

ـ **عبد الله بن عمر المطغري** (توفي بدرعة سنة 927هـ/1520م)؛ فقيه، وفرضي؛ له إلمام بالحساب. كان من الحفاظ، والناثرين، والناظمين؛ وهذه عينة من منظوماته؛ ذات الطابع التعليمي:

عَلْقَمَة وَامْرُؤُ القَيْسِ وَالنَّابغَة
عَنْتَرَةَ طَرَفَة وَزهَيْرٌ أوفا
هَؤُلاَءِ السِّتَة شَهدُوا عِنْدَنَا
لِفَصَاحَةِ شِعْرِهِمُ الْمُقْتَفىَ

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن فارس المطغري** (ت: حوالي 950هـ/1543م)؛ كان أديبا، وشاعرا، وأستاذا. وكما هو معروف؛

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 239 ـ 245.

ففي بلاد الغرب يلقب بالأستاذ كل المتمكنين من فنون الأدب، وعلوم اللغة، والنحو.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن موسى بن علي ابن هارون المطغري** (ت: سنة 951هـ/1544م)؛ وهو من كبار فقهاء المالكية؛ له إلمام بالتفسير، وعلوم: اللغة، والفرائض، والحسبان.

ـ ثم **عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر المطغري** (كان حيا سنة 960هـ/1552م). كان ينظم الشعر؛ من نظمه:

صَحَوْتُ وَعُدْتُ قَبْلَ يَفضَحَني السُّكْرُ
وَنِلْتُ الهَوَى جَهْلاً فَأدَّبَنِي الدَّهْرُ
وَبَيْتِي لَزِمْتُ وَانْفِرَادِي أَلِفْتُهُ
وَسِيَّانِ عِنْدِي وَصْلُ مَيَّة والهجْرُ
فَدِينِي التعَامِي والتَّجَاهُلُ سيرَتِي
وَلَسْتُ أبَالِي جَاءَ زَيدٌ وَلاَ عَمْرُ

وقال في المواضع التي تكون فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مكروهة:

عَجِبْتُ لِمَنْ صَلىَّ بعَثْرَةِ بَائِعٍ
وَحَاجَةِ عَطَّاسٍ وَذَبْحِ مُجَامِعِ
لِذَا سَبْعُهَا دَعِ الصَّلاَة عَلىَ النَّبِيِّ
وَصَلِّ عَلَيْهِ فِي سِوَاهَا وَتَابِعِ

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المطغري**؛ المعروف بابن رحمة (ت: سنة 1001هـ/1592م). كان فقيها، ومن الصوفية.

ooo

ومن أعيان مطغرة، وقادتهم الذين اشتهروا بالسياسة، وشئون الحكم فيهم:

ـ أميرهم **ميسرة المطغري** (قتله أصحابه سنة 122هـ/739م)؛ ويقال أنه كان يعمل في السقاية؛ لذا عرف أيضا بالسقاء. تولى قيادة الصفرية في ثورتهم على ولاة بني أمية بالمغرب؛ وتطلع بعد انتصاراته الأولى إلى رتبة الخلافة؛ فأعلن نفسه خليفة، وبايعه أنصاره بتلك الرتبة؛ ولكنهم خلعوه، وقتلوه بتهمة سوء السيرة.

ـ ثم **يحيى بن حارث المطغري** (من أعلام النصف الأول من القرن الثاني للهجرة)؛ وهو الذي خلف ميسرة في رئاسة قبيلة مطغرة بعد مقتله؛ وتحالف بعد انفضاض الصفرية؛ مع أمير مغراوة محمد بن خزر.

ـ ثم **بهلول بن عبد الواحد المطغري** (كان حيا سنة 197هـ/812م)؛ وهو زعيم مطغرة في عهد الأدارسة؛ كان في البداية من المقربين إلى إدريس الثاني؛ بل تولى رعاية شئونه، وشئون دولته؛ بعد موت راشد الوصي على إدريس؛ ومع هذا تغير موقفه حين أغراه ابن الأغلب؛ وتمت بينهما مراسلات عديدة انتهت إلى انحراف بهلون عن إدريس؛ ومما وصلته من وعود ما جاء في هذا البيت الشعري لابن الأغلب شعرا:

وَبَائِعْ لِهَارُون الإمَامِ بطَاعَةٍ
تَجِدْهُ عَلَىَ الإسْلاَمِ خَيْرَ مُكَافِي

وكان جواب بهلول شعرا كذلك:

فَعَجّلْ عَلَيَّ رَدّ رَأيي فَإنَّني
أرُدُّ الهَوَى لِلْحَقِّ حِينَ يُوَافِي

وبالفعل تم الاتفاق بينهما. وقد أشار صاحب الأنيس المطرب بروض القرطاس إلى هذا الموضوع بقوله[1]: **((وكان بهلول بن عبد الواحد معظما في قومه؛ وكان من خاصة**

---

[1] ص ص: 11 ـ 12.

إدريس؛ فكاتبه ابن الأغلب؛ عامل الرشيد على إفريقية، واستهواه بالمال؛ فمال إليه، وبايع الرشيد؛ فكتب إليه إدريس بن إدريس:

أَبَهْلُول قَدْ شَمَّمَتْ نَفْسُكَ خُطَّة
تَبَدَّلْتَ مِنْهَا صَوْلَةً برَشَادِ
أضَلَّكَ إبْرَاهِيمُ مِنْ بُعْدِ دَارِهِ
فَأصْبَحْتَ مُنْقَاداً بِغَيْرِ قِيَادِ
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَع بمَكْرِ ابنِ الأغْلَب
وَقَدْ تَرَامَى بالْكَيْدِ كُلَّ بِلاَدِ
وَمِنْ دُونِ مَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ خَالِياً
وَمَنَّكَ إبْرَاهِيمُ شَوْكَ قَتَادِ)).

ـ ثم **هارون بن موسى بن خليفة المطغري** (توفي في الأندلس بعد سنة 672هـ/1272م)؛ كان رئيسا على قبيل مطغرة في وقت قيام دولة بني عبد الواد؛ إذ تولى **يغمراسن بن زيان** بمطاردته؛ بعد أن حاول الاستقلال بندرومة؛ فلجأ إلى بني مرين، ثم هاجر إلى الأندلس؛ بغرض الجهاد؛ فاستشهد بتلك الديار. فخلفه على رئاسة مطغرة أخوه **تاشفين.**

ـ ثم **تاشفين بن موسى بن خليفة المطغري** (ت: سنة 703هـ/1303م)؛ هو الذي توارث أبناؤه زعامة القبيلة؛ فيما بعد.

***

ـ ***مواطنهم:*** لقد تعددت مواطن هذه القبيلة، وتنوعت؛ إذ منها ما هو **بالتلول**، **والجبال**، ومنها ما هو في الواحات، **والقصور الصحراوية**. ففي البداية.. استوطن جمهورهم المغربين: الأوسط، والأقصى؛ ثم انتقل جمع منهم إلى الأندلس؛ أثناء الفتح؛ فاستقروا هناك. وبقي الآخرون في تلول المغرب، وصحرائه. ومواطنهم التلية محاذية للبحر؛ **بجوار كومية**؛ حيث شيدوا حصنهم المعروف **بتاونت**. كما أن محاولتهم إقامة إمارة في ندرومة؛ تدل على وقوعها ضمن مواطنهم؛ خاصة في العهد الذي تحالفوا فيه مع جيرانهم من كومية.

ويرى ابن خلدون أن بعض الأحياء من مطغرة تسكن بجبل يسمى باسمهم؛ **جنوب مدينة فاس**. كما يوجد **بأطراف سجلماسة** جمع كبير منهم. ثم يقول في سياق حديثه:

((وربما حدثت بها عصبية من جراهم)).
ويذكر ـ أيضا ـ أن أعدادا كبيرة منهم تنتشر في الصحراء؛ يحترفون فلاحة النخيل؛ على الطريقة العربية. كما يتواجدون في شريط عريض من القصور المتتالية؛ في الصحراء؛ من سجلماسة إلى توات، إلى قليعة، فيقول: **((ومنهم في قبلة تلمسان؛ وعلى ست مراحل منها؛ وهي قصور متقاربة بعضها من بعض؛ ائتلف منها مصر كبير، مستبحر بالعمران البدوي؛ معدود في آحاد الأمصار بالصحراء؛ ضاح من ظل الملك، والدول؛ لبعده في القفر. ورئاسته في بني سيد الملوك منهم. وفي شرقيها، وعلى مراحل منها؛ قرى أخرى متتابعة على سمتها؛ متصاعدة قليلا إلى الجوف؛ آخرها على مرحلة من قبلة جبل راشد...وفي جهة الشرق عن هذه القصور؛ وعلى خمس مراحل منها؛ دامعة، متوغلة في القفر تعرف بقليعة. والآن يعتمرها رهط من مطغرة هؤلاء...))**[1].

....

[1] العبر، مج: 6، ص: 245.

(5) ـ مطماطـــة:

وهـــم مـــن **بـــني فاتـــن** كذلـــك. ومطمـــاط لقـــب لأبيهـــم؛ أمـــا اسمـــه فهـــو **مصكـــاب.** ولهـــذا الـــحي بطـــون كثيـــرة جـــدا؛ منتشـــرة في ربـــوع المغـــرب، وإفريقيـــة. هـــذا.. وقـــد كـــان لمطماطـــة دور هـــام بالمغـــرب؛ في عهـــد الدولـــة الزيريـــة؛ حيـــث استفحـــل أمرهـــم في أواخـــر الدولـــة. وظهـــر أثرهـــم جليـــا؛ خـــلال فتنـــة حمـــاد بـــن بلكيـــن، مـــع باديـــس ابـــن المنصـــور. ورئيـــس مطماطـــة ــ آنئـــذ ــ هـــو **عُزانـــَة؛** الـــذي قـــاد قومـــه في الحـــروب، والفتـــن الـــتي دارت بينهـــم وبيـــن جيرانهـــم؛ مـــن **لواتـــة،** وغيرهـــم. وبعـــد موتـــه خلفـــه ابنـــه **زيـــري؛** الـــذي أجـــاز ــ فيمـــا بعـــد ــ إلى الأندلـــس؛ عندمـــا تغلبـــت لمتونـــة عـــلى بـــلاد المغـــرب؛ فاستضافـــه ابـــن أبي عامـــر، ثـــم اصطنعـــه مـــع مـــن انضـــم إليـــه مـــن أمـــراء الأمازيـــغ[1].

! ! !

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص ص: 250 ـــ 254.

ـ ***أعيانهم:*** من أشهر أعيان مطماطة، وعلمائها:

ـ **عبد الله بن إدريس المطماطي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة)؛ ولي كتابة خراج الدولة الفاطمية؛ في عهد عبيد الله المهدي.

ـ ثم النسابة الشهير **كهلان بن أبي لوا بن يصلاصن** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من علماء مطماطة، ومن النسابين المشهورين؛ أجاز إلى الأندلس؛ ونزل على الناصر لدين الله الأموي.

ـ ثم النسابة الذائع الصيت **سابق بن سليمان ابن حراث بن صولات بن دوفاس**؛ الذي وصفه ابن خلدون بـ((**كبير نسابة البربر؛ ممن علمناه**)).

ـ ثم **أبو عمران المطماطي**. فقيه؛ من أهل الصلاح.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي** (توفي بتلمسان حوالي سنة 680هـ/1281م)؛ فقيه؛ قال عنه ابن مريم: ((**انتهت إليه رئاسة التدريس، والفتوى**

في أقطار المغرب كلها...وله شرح على التلقين؛ لعبد الوهاب في عشر أسفار))[2].

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد المطماطي** المعروف بالبزاز؛ له رواية عن مالك؛ غير أن المحققين أنكروها.

ـ ثم **أبو علي بن أحمد بن إبراهيم السلاوي المطماطي** (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه، وأستاذ.

ـ ثم **علي بن موسى بن إسماعيل السلاوي المطماطي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة). فقيه.

OOO

ومن الرؤساء، والشيوخ الذين ذكروا في أحداث المغرب:

ـ **إرهاص بن عصفراصن**؛ وهو الذي أخرج منداس من موطنهم، وأسكن مطماطة فيه.

ـ ثم **عزانة المطماطي** السابق الذكر (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة).

---

[2] البستان، ص ص: 66 ـــ 67.

ـ ثـم ولـده **زيـري بـن عزانـة المطمـاطي** أعـلام النصـف الأول مـن القـرن الخامـس للهجـرة)؛ وهـو الـذي خلـف والـده في زعامـة مطماطـة

***

ـ ***مواطنهـم:*** تنتشـر مواطـن **مطماطـة** في ربـوع المغـرب الإسـلامي كلـه. فبعـض الأحيـاء منهـم ـ كمـا يقـول ابـن خلـدون ـ كانـوا مستقريـن بـ: **((هـذه شعـوب مطماطـة ـ كمـا ذكـر نسابـة البربـر؛ سابـق وأصحابـه ـ وهـم مفرقـون في المواطـن؛ فمنهـم مـن نـواحي فـاس؛ مـن قبلتهـا؛ في جبـل هنالـك معـروف بهـم؛ مـا بيـن فـاس وصفـروي. ومنهـم بجهـات قابـس؛ والبلـد المختـط عـلى العيـن الحاميـة؛ مـن جهـة غربهـا؛ منسـوب إليهـم. ولهـذا العهـد يقـال حمـة مطماطـة... وبقياهـم أوزاع مـن القبائـل. وكانـت مواطـن جمهورهـم بتلـول منـداس؛ عنـد جبـل وانشريـس، وجبـل كـزول؛ مـن نـواحي تاهـرت.وكـان لهـم بتلـك المواطـن أخريـات دولـة صنهاجـة استفحـال، وصولـة...وبقيـة هـؤلاء القـوم لهـذا**

العهـــد بجبــل وادَشنيـــش.[ربمــا وانشريـــس]]))[1]. ثـــم ذكـــر أن قبيلـــة مطماطـــة نزحـــت عـــن **منـــداس**؛ بعـــد إخراجهـــا منهـــا بواسطـــة بـــني توجيـــن؛ حيـــث لجـــأت إلى **جبـــل وانشريـــس**؛ أيـــن أصبحـــت في عـــداد القبائـــل الغارمـــة.

....

(6) ـــ مغيلـــــة:

هـــم ـــ بدورهـــم ـــ مـــن **بـــني فاتـــن.** وقـــد لعـــبت هـــذه القبيلـــة أدوارا خطيـــرة في القـــرون الأولى مـــن الفتـــح؛ حيـــث كانـــت في مقدمـــة القبائـــل الثائـــرة عـــلى ولاة القيـــروان. وثمـــة قـــول يجعـــل أبـــا قـــرة؛ زعيـــم الثـــوار مـــن مغيلـــة؛ وإن كانـــت أقـــوال أخـــرى أصـــدق؛ تنكـــر ذلـــك. وبعـــد انحســـار الفتنـــة الصفريـــة؛ وقامـــت مغيلـــة ـــ أيضـــا ـــ بنشـــر دعـــوة **إدريـــس الأكبـــر** إلى جانـــب أوربـــة، وصدينـــة، والقبائـــل المنضويـــة تحـــت سلطانـــه؛ حيـــث أخضعـــوا جـــزءا مـــن المغـــرب الأقـــصى لدولتـــه. وتنـــدرج ضمن قبيلـــة مغيلـــة أخواتهـــا؛ الـــتي التحقـــت بهـــا مثـــل: **درنـــة، وكشاتـــة، وملـــزوزة.** وربمـــا اندمجـــت بهـــم ـــ

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص ص: 251 ـــ 254.

أيضا ـ قبيلة **صدينة**؛ حليفتهم في عهد الأدارسة. وبذلك أضحت هذه القبائل في عداد مغيلة، ومنسوبة إليها[1].

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** أنجبت مغيلة نخبة متميزة من العلماء؛ منهم:

ـ **عمر بن حمدون الأموي المغيلي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ وهو من سكان رية بالأندلس؛ وكان عالما، حافظا للمسائل؛ عاش في عهد عبد الرحمن بن معاوية.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد المغيلي القرطبي** (ت: سنة 334هـ/945م)؛ وهو أحد علماء الحساب، والزراعة.

ـ ثم **أبو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد المغيلي القرطبي** (توفي سنة 362هـ/972م)؛ وهو أديب، وكاتب بليغ؛ متمكن من علوم العربية، وفن الشعر، ومحدث بارع؛ كانت له ردود شعرية مع أبي الحسن جعفر بن عثمان

---

[1] المصدر السابق، ج: 6، ص ص: 254 ـ 256.

المصحفي. ومن شعره الوعظي مقطوعة وجهها إلى أحد معارفه (هو أبو بكر اللؤلئي)؛ إثر علة ألمت به:

تَبَيَّنْ فَقَدْ وَضَحَ المَعْلَمُ
وَبَانَ لَكَ الأمْرُ لَوْ تَفْهَمُ
هُوَ الدَّهْرُ لَسْتَ لَهُ آمِناً
ولاَ أنْتَ مِنْ صَرْفِهِ تَسْلَمُ
وَإنْ أخْطَأتْك لَهُ أسْهُمٌ
أصَابَتْك بَعْدُ لَهُ أسهُمُ
لَيَالِيهِ تُدْنِي إلَيْكَ الرَّدَى
دَوَائِب فِي ذَاكَ مَا تَسْأمُ
أتَفْرَحُ بِالبُرْءِ بَعْدَ الضَّنَا
وَفِي البُرْءِ دَاؤُكَ لَوْ تَعْلَمُ
فَأيْنَ المُلُوكُ وَأتْبَاعُهُمْ
وَدُنْيَاهُمُ أدْبَرَتْ عَنْهُمُ
فَهَذِي القُبُورُ بِهِمْ عُمِّرَتْ
وَتِلْكَ القُصُورُ خَلَتْ مِنْهُمُ
لَقَدْ صَرَّحَ الحَقُّ عَنْ غَيْبِهِ
وَبَانَ لَكَ الحَزْمُ لَوْ تَعْزِمُ
فَحَتَّ مَتَى أنْتَ طَوْعَ الرَّدَى
وَتَعْصَى الإلَهَ وَلاَ تَنْدَمُ
إلَى اللَّهِ نَشْكُو قُلوُباً قَسَتْ
وَنَشْكُو مَدَامِعَ مَا تَسْجُمُ

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان بن حارث القسَّام المغيلي القرطبي** (ت: سنة 377هـ/987م)؛ فقيه؛ عمل لدى القضاة كعدل؛ وكان ظريفا، خفيف الظل، كثير الدعابة، مقرب من السلطان.

ـ ثم **أبو بكر خلف بن يوسف بن نصر المغيلي** (توفي بطلبيرة سنة 396هـ/1005م)؛ فقيه؛ مستوعب لعلوم الفقه، والحديث.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد بن خلف الشاطبي المغيلي**؛ قال عنه الأوسي المراكشي: **((رَوَى عن أبي عبد الله بن بركة، وحكى عنه أبو عمر بن عياد؛ وهو في عداد أصحابه؛ وكان ثقة خيرا))**[1].

ـ ثم **أبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم المغيلي** (من أعلام النصف الأول من القرن السابع للهجرة). فقيه.

ـ ثم **أبو الفضل محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي** (توفي بتلمسان سنة 720هـ/1320م)؛ وهو من الأدباء، والكتاب، وأعلام الفقه؛ تصدر للتدريس في تلمسان؛ وقد يكون هو الذي أشار إليه ابن الخطيب في الإحاطة؛ حين

---

[1] الذيل والتكملة، سفر: 5، قسم: 1، ص: 304.

ترجم الى عبد الله بن علي بن سَلْمون الكناني؛ ولكنه كناه أبا غالب.

ـ ثم **عيسى بن مخلوف بن عيسى المغيلي** (توفي بمصر سنة 746هـ/1345م)؛ وولي قضاء المالكية بالديار المصرية؛ فكان حميد السيرة.

ـ ثم الشيخ الفقيه **أحمد بن علي بن أحمد المغيلي السلاوي** (ت: بعد 810هـ/1407م).

ـ ثم **عبد الرحمن بن يحي بن محمد بن صالح المغيلي** (كان حيا سنة 816هـ/1416م)؛ وهو من علماء الفقه المالكي؛ أعد شرحا على التلمسانية.

ـ ثم **أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي** (ت: سنة 833هـ/1429م). فقيه؛ وولي القضاء.

ـ ثم **محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي**؛ الشهير بالجلاب التلمساني (ت: سنة 875هـ/1470م)؛ فقيه؛ قال عنه الشيخ السنوسي: ((**إنه حافظ لمسائل الفقه**)) وكان من المختصين بالإفتاء.

ـ ثم **أبو زكرياء يحي بن موسى بن عيسى المغيلي** (ت: سنة 883هـ/1478م)؛ فقيه. ولي قضاء مازونة.

ـ ثـــم أبـــو عبـــد اللـــه محمـــد بـــن عبـــد الرحمـــن المغيـــلي (ت: بعـــد 884هــ/1479م)؛ فقيـــه؛ ولي القضـــاء بأزمـــور؛ وكـــان يقـــرض الشعـــر؛ ومـــن شعـــره هـــذه الأبيـــات الـــتي يصـــف فيهـــا فـــاس؛ إذ كـــان متشوقـــا إليهـــا؛ بعـــد أن انتقـــل إلى أزمـــور:

يَا فَاسُ حَيَّا اللَّهُ أَرْضَكِ مِنْ ثَـــرَى
وَسَقَاكِ مِنْ صَوْبِ الغَمَامِ المُسْبِـــلِ
يَا جَنَّـــةَ الخُلْـــدِ الَّتِي أَرْبَـــتْ عَلَى
عَـــدْنٍ بِمَنْظَرِهَا البَـــهِيِّ الأَجْمَـــلِ
غُرَفٌ عَلَى غُرَفٍ وَيَجْرِي تَحْتَهَـــا
مَاءٌ أَلَـــذُّ مِنَ الرَّحِيـــقِ السَّلْسَـــلِ
وَبَسَاتِينُ مِنْ سُنْـــدُسٍ قَدْ زُخْرِفَـــتْ
بِجَـــدَاوِلٍ كَالأَيْـــمِ أَوْ كَالفَيْصَـــلِ
وَبِجَامِعِ القَرَوِيِّينَ شَـــرَّفَ ذِكْـــرُهُ
أُنْـــسٌ تَذَكُّـــرُهُ يُهِيـــجُ تَمَلْمُـــلِ
وَبِصَحْنِـــهِ زَمَنَ المَصِيفِ مَحَابِـــسٌ
فَمَعَ العَشِيِّ القُـــرْبَ فِيهِ اسْتَقْبِـــلِ
وَاجْلِسْ إِزَاءَ الخُصَّـــةِ الحَسْنَـــا بِـــهِ
وَارْكَعْ بِهَا عَـــنِّي فَدَيْتُـــكَ وَانْهَـــلِ

ـ ثم **أبو غالب محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي.** فقيه.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أبي غالب بن حسان المغيلي** (ت: سنة 898هـ/1492م)؛ خطيب، ونائب في الأحكام الشرعية.

ـ ثم **أبو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني** (ت: سنة 909هـ/1503م)؛ وهو من كبار فقهاء المالكية، ومن المتكلمين، وأصحاب التفسير. له مؤلفات كثيرة في الفقه، والتوحيد، والتفسير، والحديث، والمنطق، والعربية، والآداب السلطانية، والشعر؛ تصل إلى 18 تأليفا تقريبا؛ أهمها: البدر المنير في علوم التفسير، وشرح بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب، ومختصر تلخيص المفتاح، وشرحه في البلاغة، وشرح الجمل للخونجي، ومقدمة في المنطق، ومنظومة فيها ـ أيضا ـ بعنوان منهج الوهاب؛ خصها بثلاثة شروح، وتنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين؛ وهو نقد للمتصوفين؛ حسبما يبدو، ومقدمة في العربية، وكتاب الفتح المبين، وشرح خطبة المختصر، ورسالة مصباح الأرواح في أصول الفلاح؛ التي بعث بها إلى علماء أقطار المغرب؛ لحثهم على

مناهضة اليهود، والتصدي لهيمنتهم. وحدث بينه وبين جلال الدين السيوطي خلاف؛ حول شرعية تعاطي علم المنطق؛ فأرسل إليه هذه المنظومة؛ مدافعا فيها عن هذا العلم، ومعارضا لموقف السيوطي؛ الذي ينهى عنه. ومن هنا يتبين تفوق المنهج العلمي عند المغيلي؛ الذي يستند إلى المنطق؛ الفاصل بين ما هو حق وما هو باطل؛ بالاستناد إلى أسس عقلية. وهذه أبيات من منظومة المغيلي:

سَمِعْتُ بأمْرٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ
وَكُلُّ حَدِيثٍ حُكْمُهُ حُكْمُ أصْلِه
أيَمْكِنُ أنَّ المَرْءَ في العِلْمِ حُجَّة
وَيَنْهَى عَنِ الفُرْقَانِ في بَعْضِ قَوْلِه
هَلِ المَنْطِقُ المَعْنِيُّ إلاَّ عِبارَة
عَنِ الحَقِّ أوْ حَقِيقَة حِينَ جَهْلِه؟
مَعانيه في كلِّ الكَلامِ فَهَلْ تَرَى
دَليلاً صَحيحاً لا يردُّ لشكلِه؟
أريني هَداك اللَّهُ مِنْهُ قَضيَّة
عَلى غَيْرِ هذا تنْفِها عَنْ مَحلِّه
ودَعْ عَنْكَ ما أبْدَى كَفُورٌ وذمُّه
رجال وإن أثْبَت صِحَة نقْلِه

خُذ الحقَّ حتىَّ منْ كفور ولا تقِمْ
دَليـــلاً على شَخْص بمذْهَـــب مِثلـــه
عَرَفْناهُمُ بالحَقِ لا العَكْسَ فاسْتبنْ
بـــهِ لا بهـــم إذْ هُـــمْ هُـــداة لأجلِـــه
لئِنْ صحَّ عَنْهُمْ ما ذَكَرْت فَكَمْ هُمُ
وكْم عالِـــمٍ بالشَّـــرْع باحَ بِفَضْلِـــه؟

فأجابـــه السيـــوطي بمنظومـــة أيضـــا:
حَمدتُ إلَهَ العَرْشِ شُكْـــراً لِفَضْلِـــهِ
وأهْـــدي صـــلاةً للنَّـــبيِّ وأهْلِـــه
عجبْـــتُ لِنَظْـــم ما سَمعْتُ بمِثلِـــهِ
أتَـــانيَ عـــن حَبْـــرٍ أقِـــرُّ بِنُبْلـــه
تَعَجَّـــبَ مِنِّي حينَ ألفـــتُ مُبْدعـــاً
كتابـــا جموعـــا فيه جـــمٌّ بنقلـــه
أقـــرِرُ فيه النـــَّهْيُ عن علْمِ مَنْطِـــقٍ
وما قالَـــهُ من قال من ذمِّ شكْلِـــه
وسمَّـــاهُ بالفرقان ياليْـــتَ لم يَكُـــنْ
فـــذا وصْفُ قُـــرْآنٍ كَريمٍ لِفَضْلِـــه
وقـــدْ قـــال مُحْتجا بغيـــر روايَـــةٍ
مَقـــالاً عجيباً نائيـــاً عَـــنْ مَحَلـــِّه
ودَعْ عنك ما أبْدَى كفور وبَعْـــدَ ذا
خُـــذِ الحَقَّ حَتيَّ مِنْ كفور بِختَلِـــه

وقدْ جاءَتِ الآثارُ في ذَمِّ مَنْ حَـوَى
عُلُـومَ يَهُـودٍ أوْ نَصارَى لأجْلِـه

يَحُـوزُ بِـهِ عِلمـاً لدَيْـهِ وإنَّـهُ
يُعَـذبُ تَعْذيـاً يَليـقُ بِفِعْلِـه

وقَدْ مَنَـعَ المُخْتار فاروق صَحْبَـه
وقَدْ خَطَّ لَوْحاً بَعْدَ تَـوْراةِ أهْلِـه

وكَمْ جَاءَ مِنْ نَهْيٍ اتِّبَـاعِ لِكافِـرِ
وإنْ كانَ ذاكَ الأمْرُ حَقـاً بأصْلِـه

أقَمْت دَليلاً بالحَديـثِ ولَـمْ أقِـمْ
دَليلاً عَلى شَخصٍ بمَذْهَـبِ مِثلِـه

سَـلامٌ عَلى هذا الإمام فَكَـمْ لَـهُ
لَـدَيَّ ثنـاءٌ واعْتِـرافٌ بِفَضْلِـه

هـذا وكانـت لمحمـد بـن عبـد الكريـم المغيـلي مواقـف مثيـرة للجـدل؛ تجـاه يهـود تـوات؛ هاجـر بعدهـا إلى بـلاد السـودان **(تكـدة، وكشـن، وكانـو، والتكـرور، وكاغـو)**؛ وكـان لـه تأثيـر عجيـب عـلى سلاطيـن تلـك البـلاد؛ حيـث ألـف لبعضهـم بعـض الكتـب في الديـن، وفي الأحكـام السلطانيـة. ومـن مأثـور نظمـه:

كُلُّ العَـــدَاوَةِ قَدْ تُــرْجَى مَوَدَّتِهَـــا
إلاَّ عَـــدَاوَةَ مَنْ عَـــادَاكَ فِي الدِّيـــنِ

OOO

ومـــن زعمـــاء **مغيلـــة** ورؤسائهـــا المتمرسيـــن في شئـــون السياســـة، والحكـــم:

ـ **إليـــاس الغيـــلي** (مـــن أعـــلام النصـــف الثـــاني مـــن القـــرن الأول للهجـــرة)؛ وهـــو أحـــد أعـــلام الأمازيـــغ الداخليـــن إلى الأندلـــس؛ مـــع الفاتـــح طـــارق بـــن زيـــاد.

ـ وقـــد ســـرد ابـــن خلـــدون اسمـــاء بعـــض رؤسائهـــم بقولـــه:**((مـــن رؤسائهـــم مـــوسى بـــن خُلَيْـــد، ومليـــح بـــن عُلـــوان، وحســـان بـــن زروال الداخـــل مـــع عبـــد الرحمـــن. وكـــان منهـــم أيضـــا دلـــول ابـــن حمـــاد؛ أميـــرا عليهـــم في سلطـــان يعـــلى بـــن محمـــد اليفـــرني؛ وهـــو الـــذي اختـــط بلـــد إيكـــري عـــلى اثـــني عشـــر ميـــلا مـــن البحـــر؛ وهي لهـــذا العهـــد خـــراب))**[1].

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص: 255

ـ ثم **أحمد بن محمد بن إلياس المغيلي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو الوزير القائد؛ في عهد عبد الرحمن الناصر.

وبما أن **صدينة، وملزوزة** ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ اندمجتا في **مغيلة**؛ فكل أعيان هاتين القبيلتين يتبعان مغيلة أيضا. وعليه يصبح منهم:

ـ **أبو حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي** (ت: سنة 155هـ/771م)؛ هو ذلك الثائر الإباضي المتحالف مع أبي قرة اليفرني؛ ضد ولاة بني العباس بالقيروان؛ فزحف إليها، وافتكها لبعض الوقت؛ ولكنه خسر معركته أمام يزيد بن حاتم؛ الذي قتله.

ـ ثم **أبو هارون موسى بن يحيى الصديني الفاسي** (توفي بفاس سنة 388هـ/998م). فقيه.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن حسن الصديني الفاسي** (ت: بعد سنة 600هـ/1203م)؛ كان من أصحاب الدراية، والبراعة في علوم النحو العربية والفقه؛ فأهلته معارفه وسيرته الحميدة لتولي قضاء غرناطة والتدريس بها.

ـ ثم **أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملزوزي** المعروف بعزوز (قتل خنقا بسجن فاس سنة 697هـ/1297م)؛ شاعر الأمراء المرينيين. قال عنه ابن الخطيب في الإحاطة: **((كان شاعرا مكثرا سيال القريحة؛ منحط الطبقة، متجندا، عظيم الكفاية والجرأة، جسورا على الأمرا، عَلِق بخدمة الملوك من آل عبد الحق وأبنايهم، ووقف أشعاره عليهم، وأكثر النظم في وقايعهم وحروبهم، وخلط المُعَرَّب باللسان الزناتي في مخاطبتهم، فعرف بهم، ونال عريضا من دنياهم، وجما من تقريبهم))**[1]. ولي في دولة بني مرين خطة الحسبة؛ من شعره قصيدة طويلة قالها في بيعة أبي يعقوب يوسف المريني بمدينة سلا؛ نسجل بعضها هنا:

يَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ قَدْ بَرِحَ الخَفَا
إِنِّي صَبَرْتُ عَلَى فِرَاقِكِ مَا كَفَى
كَمْ قَدْ عَصَيْتُ عَلَى هَوَاكِ عَوَاذِلِي
وَأَنَابُ بِالتَّبْعِيدِ مِنْكِ وَبِالجَفَا
حَمَّلْتِنِي مَا لا أُطِيقُ مِنَ الهَوَى
وَسَقَيْتِنِي مِنْ غُنْجِ لَحْظِكِ قرقفا

[1] الإحاطة: ج: 1، ص: 21.

وَكَسَوْتِني ثَوْبَ النُّحُول فَمَنْظَــرِي
لِلنَّاظِرِيــنَ عَــنِ البَيَــانِ قَدِ اخْتَــفىَ
هَــذَا قَتِيلــكِ فَارْحَمِيــهِ فَإِنَّــــهُ
قَدْ صَارَ مِنْ فُرُطِ النــُّحُولِ عَلىَ شَفَــا
لَهْــفِي عَلى زَمَــنٍ تَقَضَّى بالحِمَــا
وَعَــلِىَ مَحَــلٍّ بالأُجَيْــرِعِ قَدْ عَفَــا
أَتُــرَى يَعُودُ الشَّمْلُ كَيْفَ عَهِدْتُــهُ
وَيَصِيــرُ بَعْــدَ فِرَاقِــهِ مُتأَلِّقَـــا
لِلَّــهِ دَرَّكِ يَا سَــلاَ مِــنْ بَلْــدَةٍ
مَنْ لَمْ يُعَايِــنْ مِثلَ حُسْــنِكِ مَا اشْتَفَــا
قَدْ حُزْتِ بَــرًّا ثُمَّ بَحْــراً طَامِيًــا
وَبِــذَاكَ زِدْتِ مَلاَحَــــةً وَتَزَخْرُفَــا
فَإِذَا رَأَيْــتَ بهَا القَطَائِــعَ خِلْتَهَــا
طَيْــراً يَحُــومُ عَلىَ الوُرُودِ مُرَفْرِفَــا
وَالجَاذِفِيــنَ عَلىَ الرَّكِيــمِ كَأَنَّهُــمْ
قَوْمٌ قَــدِ اتَّخَــذُوا إِمَامــاً مُسْرِفَــا
جَعَلَ الصَّــلاَةَ لَهُمْ رُكُوعاً كُلَّهَــا
وَأَتىَ لِيَشْــرَعَ فِي السُّجُــودِ مُخَفِّفَــا
وَالمَــوْجُ يَــأْتِي كَالجِبَــال عُبَابُــه
فَتَظُنُّــهُ فَــوْقَ المَنَــازِلِ مُشْرِفَـــا
حَتَّ إِذَا مَا المَــوْجُ أَبْصَــرَ حَــدَّه
غَضَّ العِنَــانَ عَنِ السُّــرَى وَتَوَقَّفَــا

فَكَأَنَّــهُ جَيْــشٌ تَعَاظَــمَ كَثْــرَةً
قَدْ جَــاءَ مُزْدَحِمــاً يُبَايِــعُ يُوسُفَــا
مَلِــكٌ بِهِ تَرْضَى الخِلاَفَــةُ وَالعُــلاَ
وَبِــهِ تُجَــدِّدُ فِي الرِّيَاسَــةِ مَا عَفَــا

ولــه أيضــا أرجــوزة طويلــة جــدا؛ نظمهــا في عــام 684هـــ/1285م؛ وموضوعهــا هــو الأحــداث التاريخيــة الــتي عرفتهــا بــلاد المغــرب الإســلامي؛ مــع التركيــز علــى دولــة بــني مريــن؛ سماهــا بنظــم السلــوك في الأنبيــاء والخلفــاء والملــوك؛ فقيمهــا ابــن الخطيــب بقولــه: **((لــم يقصــر فيهــا عــن إجــادة))**.

ومــن هــذه الأرجــوزة مــا قالــه عــن المرابطيــن:

مُرَابِطُــونَ أصْلُهُــمْ مِنْ حِمْيَــر
قَدْ بَعُــدَتْ أنْسَابُهُــم عَــنْ مُضَــر
وَإنَّ صَنْهَــاجَ سَلِيــلُ حِمْيَــر
وَهُــوَ ابْنُــهُ لِصُلْبِــه لاَ العُنْصُــر
أكْــرِمْ بِهِ مِنْ نَسَــب صَرِيــح
فَقُلْــهُ لاَ تُخْفِــهِ بِالتَّصْرِيــح
وَعَدْلُهُــمْ وَفَضْلُهُــمْ مَشْهُــور
وَمَجْدُهُــمْ وَسَعْدُهُــمْ مَذْكُــور

ومــا قالــه عــن زناتــة، وبــني مريــن:

فَجَــاوَرَتْ زِنَاتَــة البَرْبَــرَا
فَصَيَّــرُوا كَلاَمَهُمْ كَمَــا تَــرَى

مَا بَدَّلَ الدَّهْــرُ سِوَى أَقْوَالَهُــمْ
وَلَمْ يُبَــدِّلْ مُنْتَــهَى أَحْوَالِهــمْ

بل فعلهم أربى على فعل العرب
فِي الحال وَالإِيثارِ ثــمَّ فِي الأَدَبْ

فَانْظُرْ كَــلاَمَ العُرْبِ قد تَبَــدَّلاَ
وَحَالُهُــمْ عَــنْ حَالِــهِ تَحَــوَّلاَ

لاَ يَعْرِفُونَ اليَــوْمَ مَــا الكَــلاَمُ
وَمَــا لَهُــم نُطْــقٌ وَلاَ إِفْهَــامُ

وَإِنْ تَمَــادَتْ بِهــمُ الأَحْــوَالُ
لَمْ تَبْقَ فِي الدَّهْــرِ لَهُمْ أَقْــوَالُ

كَذَاكَ كَانَــتْ قَبْلَهُــمْ مَرِيــنُ
كَلاَمُهُــمْ كَالــدُّرِ إِذْ يَبِيــنُ

فَاتَّخَــذُوا سِوَاهُــمُ خَلِيــلاَ
فَبَدَّلُــوا كَلاَمَهُــمْ تَبْدِيــلاَ

إلى أن قــال:

فِي عَــامِ عَشَــرَةٍ وَسِتُمِيَّــــة
أَتَــوْا إِلَى الغَــرْبِ مِــنَ البَرِيَّــة

جَاءُوا مِنَ الصَّحْرَاءِ والسَّبَاسِــبْ
عَلَى ظُهُورِ الخَيْــلِ وَالنَّجَائِــبْ

كَمِثْـــلِ مَا قَدْ دَخَـــلَ الْمُلَثَّمُـــونْ
مِنْ قَبْلِ ذَا وَهُـــمْ لَــهُ مَيْمُـــونْ

ثـــم تطـــرق إلى تـــولي محمـــد بـــن عبـــد الحـــق إمـــارة بـــني مريـــن:

ثُـــمَّ وُلِيَ مِـــنْ بَعْـــدِهِ مُحَمَّـــدُ
وَكَـــانَ فِي أمُـــورِهِ يَسْتَنِـــــد
فَكَـــان لاَ يفْتِـــرُ عَـــنْ قِتَـــالِ
مُوَاظِبـــاً لِلْحَـــرْبِ وَالنِّـــــزَالِ
كَمْ عَسْكَـــرٍ لاَقَى وَكَمْ جُنُـــودِ
وَمِنْ جُمُـــوعٍ جَمَّـــة الْحُشُـــودِ
وَكَمْ مِنْ جَيشٍ جَاءَ مِنْ مَرَاكِش
أفْنَـــاهُ بالْحُـــرُوبِ وَالتَّنَـــــاوُش
نَهَـــارُهُ وَلَيْلُـــــهُ طِعَـــــانْ
لَكِنَّـــــه مُؤَيَّـــــدٌ مُعَـــــانْ

وهكـــذا يتبيـــن مسعـــاه للتنويـــه بنســـب زناتـــة، وبـــني مريـــن العـــربي؛ مـــع أنـــه ملـــزوزي النســـب، وحكـــام بـــني مريـــن ينتسبـــون ــ أيضـــا ــ لقبيلتهـــم الأمازيغيـــة.

***

ـ **مواطنهم:** يمكن حصر مواطن **مغيلة** في منطقتين: الأولى بالمغرب الأوسط؛ حول مصب **نهر شلف**؛ بضواحي **مازونة**. ومن هذه المنطقة أجاز عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس. أما المنطقة الثانية فهي بالمغرب الأقصى؛ وتمتد من **مدينة فاس إلى صفروي، فمكناس، وتازة.** وقد إختلطت بهم ـ طبعا ـ أحياء صدينة، وملزوزة.

....

ب ـ بنو يحيى:

هذا ما أمكن ذكره عن أبناء فاتن بن تمصيت بن ضري. أما **أبناء يحيى بن ضري** فيتفرعون إلى ثلاثة فروع هم: **بنو زانا** (أو شانا أو جانا). وهم: زناتة، وبنو سمكان، وبنو ورصطف. وجميعهم أولاد يحيي بن ضري. أما **أبناء زانا** فسيأتي ذكرهم في مكان لاحق؛ بعد الكلام عن بعض قبائل **ورصطف**، وأخيه **سمكان**. وثمة قبائل أخرى نتركها؛ لعدم أهميتها.

....

(1) ـ ورصطـــــف:

هـــو **ورصطـــف بـــن يحـــيى بـــن ضـــري.** ويتفـــرع أبنـــاؤه إلى ثلاثـــة أحيـــاء هي: **أوكتـــة، ومكناســـة، وورتنـــاج.** وسيقتصـــر الحديـــث هنـــا عـــلى مكناســـة؛ بسبـــب دورهـــا الهـــام؛ في تاريـــخ المغـــرب الإســـلامي. أمـــا أوكتـــة، وورتنـــاج؛ فقـــد اندمجتـــا في مكناســـة، وأضحتـــا جـــزءا منهـــا. وعليـــه.. فالكـــلام عنهمـــا لا يفيـــد شيئـــا.

....

ـ مكناســــة:

وهـــم **أبنـــاء مكنـــاس بـــن ورصطـــف بـــن يحـــيى.** ونظـــرا لكبـــر مكناســـة، وتشعـــب أحيائهـــا؛ يمكـــن وضعهـــا في **مرتبـــة شعـــب،** أو **جمهـــرة.** وبطونهـــا كثيـــرة جـــدا؛ وعليـــه.. نكتـــفي منهـــم بذكـــر أسمـــاء: **بـــني حـــوّات، وقنصـــارة، وبـــني ورفـــلاس، وورنيفـــة، وبـــني وريـــدوس، ووريفلتـــة.** أمـــا الباقـــون فمندمجـــون ضمـــن البطـــون المذكـــورة. هـــذا.. وقـــد لعبـــت هـــذه القبيلـــة أدوارا هامـــة، وعديـــدة في تاريـــخ المغـــرب الإســـلامي، والأندلـــس. وقـــد كانـــت لأبنائهـــا عصبـــة معتبـــرة في الأندلـــس، كمـــا كانـــت لهـــم أيـــام، وثـــورات؛ استهدفـــت

إنشاء دولة مكناسية في تلك الديار؛ مثل **ثورة شقيا بن عبد الواحد المكناسي**؛ الذي تلقب بالفاطمي. ويبدو أن **عصبية مكناسة** في بلاد المغرب أخذت تقوى، وتشتد؛ بدءا بمنتصف القرن الثاني للهجرة؛ إذ أصبحت تهيمن على أرياف المغرب الأقصى، وصحرائه. ونتج عن نمو، وعنفوان هذه العصبية؛ أنها تمكنت من إخضاع قبائل عديدة لسلطانها، وإرادتها. وهكذا تدرج قبيل مكناسة ـ بفضل عصبيته المتماسكة ـ نحو إقامة دول متتالية؛ في المغربين: الأقصى، والأوسط. ففي المغرب الأقصى تمكنت بعض أحياء مكناسة من إقامة دول، وإمارات؛ منها: **إمارة بني واسول الصفرية؛ بسجلماسة، وإمارة موسى بن أبي العافية بن أبي باسل؛ بتازا، وتسول، وكرسيف. وإمارة مصالة بتيهرت.**

فدولة بني واسول، أو (بني مدرار) نشأت بعد تجمع فئة من صفرية مكناسة؛ في منطقة نائية؛ جنوب بلاد المغرب الأقصى؛ أين شرعوا في بناء مدينة **سجلماسة**؛ التي أصبحت حاضرة لدولتهم[1]. أما **دولة بني أبي العافية** فقد نشأت بعد استفحال عصبية مكناسة؛ في المغرب

[1] المغرب، ص ص: 148 ـ 152. العبر، مج: 6، ص ص: 267 ـ 273.

الأقصى؛ بنواحي **تازا، وتسول، وكرسيف.** وكانت الرئاسة في مكناسة ــ آنئذ ــ بيد أبي **باسل بن أبي الضحاك بن أبي يزول.** وكان هذا الحي ظواعن؛ بين ملوية، وكرسيف، ومليلة، وما يتصل بها من التلول المنبسطة؛ في جهات تازا، وتسول. ومع مرور الزمن؛ أصبحت هذه القبيلة تتطلع إلى إقامة دولة؛ بحكم عصبيتها المتغلبة على تلك المناطق؛ فأخذت تزاحم نفوذ الدولة **الإدريسية؛ بفاس،** وإمارة **بني سليمان بن عبد الله؛ بتلمسان.** وبالفعل.. فقد تمكنت هذه القبيلة من زعزعة صرح دولة فاس؛ منتهزة فرصة؛ أخذت فيها بوادر الهرم تتسرب إلى الدولة الإدريسية. وعليه.. فقد شرع شيخ قبيلة مكناسة **(موسى ابن أبي العافية)** في التآمر على الأدارسة؛ بفاس، وبني سليمان؛ في تلمسان؛ حيث شن عليهم حروبا، ووقائع لا هوادة فيها؛ انتهت بسقوط الدولتين، وبروز دولة جديدة هي **دولة بني أبي العافية.** تم ذلك بفضل عون، ودعم الفاطميين الذين بعثوا جيوشهم إلى المغرب الأقصى؛ بقيادة **مصالة بن حبوس بن منازل المكناسي.** وبالطبع.. فقد اقتضت **العصبية** أن يتحالف أبناء

العــم؛ ضــد سلطــان بــني إدريــس. وعليــه فقــد عمــل مصالــة عــلى تعزيــز قــوة قومــه مكناســة؛ بتوسيــع نفوذهــم، وبســط سلطاهــم عــلى مقاطعــات جديــدة؛ لــم تكــن لهــم مــن قبــل[2]. وكــان بنــو أبي العافيــة ــ في بدايــة أمرهــم ــ أتباعــا **للفاطميــين**، ثــم نقضــوا عهدهــم ــ بعــد ذلــك ــ وحولــوه إلى **الأمويــين** بالأندلــس؛ ممــا أدى بالفاطميــين إلى إرســال حملــة تأديبيــة ضدهــم. فتذبــذب حــال المكناسيــين؛ في الــولاء للفاطميــين حينــا، وللأمويــين حينــا آخــر. غيــر أنهــم ثبتــوا أخيــرا عــلى الدعــوة للأمويــين؛ بفضــل تحالفهــم مــع قبيلــة **مغــراوة**؛ المتغلبــة عــلى المغــرب الأوســط. ولكــن أضحــت مغــراوة ــ فيمــا بعــد ــ قــوة نافــذة؛ بحيــث تغلبــت عــلى مكناســة نفسهــا، وأزاحتهــا عــن حكــم المغــرب الأقــصى. وعندمــا ظهــر بلكيــن بــن زيــري في مســرح الأحــداث بالمغــرب الأوســط؛ انقلبــت الكفــة؛ وعــادت مكناســة إلى البــروز؛ بفضــل تحالفهــا مــع حكــام **الدولــة الحماديــة**. وبــقي الحــال هكــذا؛ حــتى ظهــرت عصبيــة أخــرى؛ أكثــر قــوة، وعنفوانــا؛ وهي **العصبيــة اللمتونيــة**؛ المعــززة **بالتعاليــم الدينيــة**؛ فقضــت عــلى حكــم **مكناســة، ومغــراوة**؛

---

[2] الأنيــس المطــرب، ص ص: 50 ــــ 53.العبــر، مج: 6، ص ص: 273 ــــ 280.

معـــا، وأزالـــت نفوذهمـــا مـــن ربـــوع المغربيـــن: الأقـــصى، والأوســـط؛ وذلـــك سنـــة 463هــــ.

أمـــا الإمـــارة الثالثـــة لمكناســـة؛ فـــهي **إمـــارة مصالـــة بـــن حبـــوس بـــن منـــازل؛ بتيهـــرت**، والمغـــرب الأوســـط. وهـــذه الإمـــارة ــ في الحقيقـــة ــ عبـــارة عـــن ولايـــة؛ تابعـــة للدولـــة الفاطميـــة؛ وهي منحـــة، وهبـــة للمكناسييـــن؛ ممثليـــن في شخـــص مصالـــة؛ الـــذي كـــان أحـــد قـــادة الدولـــة الفاطميـــة الأفـــذاذ؛ فكـــوفئ عـــلى خدماتـــه؛ بتنصيبـــه واليـــا عـــلى تيهـــرت، والمغـــرب الأوســـط. ثـــم خلفـــه ــ بعـــد مماتـــه ــ أخـــوه **يصلتـــن بـــن حبـــوس**، ثـــم تـــلاه ولـــده **حميـــد بـــن يصلتـــن**؛ الـــذي تنكـــر **للفاطمييـــن**، وأعلـــن دعوتـــه **لبـــني أميـــة**، وتحالـــف ــ في ذلـــك الأمـــر ــ مـــع بـــني خـــزر المغراوييـــن. ولمـــا تـــوفي؛ خلفـــه ابنـــه **يصـــل**، ثـــم **فياطـــن بـــن يصلتـــن**، ثـــم **عـــلي بـــن مصالـــة**. وكانـــوا جميعهـــم مواليـــن **لبـــني أميـــة؛ بالأندلـــس**[1].

! ! !

[1] العبـــر، مج: 6، ص: 266.

ــ **أعيانهم:** ومن علماء مكناسة وأعيانها المذكورين:

ــ **أبو القاسم سمغون** (أو سمكو) **بن واسول** (ت: سنة 167هـ/783م)؛ وهو يصلي؛ وكان عالما، وفقيها في الدين، وهو شيخ الصفرية في بلاد المغرب، وكبير مكناسة؛ يقال أنه ذهب إلى **المدينة المنورة**؛ أين تلقى العلم من عند **عكرمة**؛ مولى ابن عباس رضي الله عنه.

OOO

ومن دخل التاريخ من مكناسة أيضا:

ــ **أبو قرة وانسوس** (كان حيا سنة 138هـ/755م)؛ وهو ذلك الشيخ الأمازيغي؛ الذي اختفى عنده **عبد الرحمن بن معاوية**؛ قبل دخوله الأندلس؛ غير أن أحمد المقري نسبه إلى **مغيلة**؛ حيث قال: **((وحكى غير واحد؛ أنه لما هرب من الشام إلى إفريقية قاصدا الأندلس؛** [أي عبد الرحمن] **نزل بمغيلة؛ فصار بها عند شيخ من رؤساء البربر يدعى وانسوس، ويكنى أبا قرة؛ فاستتر عنده وقتا... فلما دخل الأندلس، واستتب أمره به؛ سار إليه أبو قرة وانسوس البربري؛**

فأحسن إليه، وحظي عنده، وأكرم زوجته تكفات البربرية التي خبأته تحت ثيابها؛ عندما فتشت رسل ابن حبيب بيتها عنه. فقال لها عبد الرحمن مداعبا؛ حين استظلت بظله في الأندلس: لقد عذبتني بريح إبطيك يا تكفات على ما كان بي من الخوف، أعطتني بأنتن من ريح الجيف؛ فكان جوابها له مسرعة: بل ذلك كان والله يا سيدي منك خرج، ولم تشعر به؛ من فرط فزعك؛ فاستظرف جوابها؛ وأغضى عن مواجهتها بمثل ذلك))[1].

OOO

ومن المكناسيين الذين أقاموا ببلاد الأندلس؛ أو ولدوا بها:

ـ أصْبَغ بن عبد الله بن وانسوس (توفي بقرطبة سنة 192هـ/807م)؛ كان أحد قادة الجيش الأموي في عهد الأمير الحكم بن هشام الربضي؛ وكان يترأس على نواحي ماردة؛

[1] نفح الطيب، ج: 1، ص ص: 333 ـــ 334.

وأسند إليه الحكم مهمة مطاردة عمه سليمان ابن عبد الرحمن؛ فأنجز المهمة، وقبض عليه.

ـ ثم **أبو الربيع سليمان بن محمد بن أصْبَغ بن وانسوس** (ت: سنة 292هـ/904م)؛ وزير، وأديب. وهو حفيد القائد **أصبغ بن وانسوس**؛ الذي كان أميرا على الثغر **بوادي الحجارة**؛ وكانت لأسلافه ـ كما سبق ـ رئاسة في مدينة **ماردة**. وجدهم الأول هو **أبو قرة وانسوس**؛ الذي اختبأ عنده عبد الرحمن الداخل؛ بإفريقية؛ خوفا من عبد الرحمن بن حبيب؛ ومع هذا.. هناك من ينسب وانسوس هذا إلى مغيلة؛ غير أن أهل الثقة منهم ـ كابن حزم ـ ينسبونه إلى مكناسة. وقد أورد الحميدي حكاية طريفة عن **وانسوس الوزير**؛ جاء فيها: ((**كان الوزير سليمان بن وانسوس رجلا جليلا، أديبا؛ من رؤساء البربر؛ كان أثيراً عند الأمير عبد الله بن محمد؛ فدخل عليه يوما؛ وكان عظيم اللحية؛ فلما رآه مقبلا جعل الأمير ينشد:**

مَعْلُوفَة كأنَّهَا جَوَالِقُ

نَكْداءُ لاَ بَارَكَ فِيهَا الخَالِقُ

لِلْقَمْــلِ فِي حَافَتِهَــا نَقَانِــقُ
فِيهَــا لِبُلُــوغِي الْمُتَّكَــا مَرَافِــقُ
وَفِي احْتِدَامِ الصَّيْفِ ظِلٌّ رَائِقُ
إِنَّ الَّـــذِي يَحْمِلُهَــا لَمَائِـــقُ

ثــم قــال لــه: اجلــس يــا بُرَيْبَــريُّ؛ فجلــس وقــد غضــب؛ فقــال: "أيهــا الأميــر إنمــا كــان النــاس يرغبــون في هــذه المترلــة ليدفعــوا عــن أنفسهــم الضّيْــم؛ وأمــا إذا صــارت جالبــة للــذل؛ فلنــا دُورٌ تسعنــا، وتغنينــا عنكــم؛ فــإن حلتــم بيننــا وبينهــا؛ فلنــا قبُــور تسعنــا، ولا تقــدرون علــى أن تحولــوا بيننــا وبينهــا"؛ ثــم وضــع يديــه في الأرض، وقــام؛ مــن غيــر أن يسلــم، ونهــض إلى مترلــه...فغضــب الأميــر، وأمــر بعزلــه، ورفــع دستــه الــذي يجلــس عليــه؛ وبــقي كذلــك مــدة. ثــم إن الأميــر عبــد اللــه وجــد فقــدَه؛ لغَنائــه، وأمانتــه، ونصيحتــه؛ وفضــل رأيــه؛ فقــال للــوزراء: "لقــد وجــدت لفقــد سليمــان تأثيــراً؛ وإن أردتُ استرجاعــه ابتــداء منــا كــان ذلــك غضاضــة علينــا؛ ولــودِدت أن يبتدئنــا بالرغبــة". فقــال لــه الوزيــر محمــد بــن الوليــد بــن غانــم: "إن أذنــت لي في المسيــر إليــه؛ استنهضتــه إلى هــذا"؛ فــأذن لــه،

فنهض ابن غانم إلى دار ابن وانسوس، فاستأذن. وكانت رتبة الوزارة بالأندلس ــ أيام بني أمية ــ ألا يقوم الوزير إلاّ لوزير مثله؛ فإنه كان يتلقاه، ويُترله معه إلى مرتبته، ولا يَحجُبه أولاً لحظة؛ فأبطأ الإذن على ابن غانم حيناً؛ ثم أذِن له، فدخل عليه، فوجده قاعداً؛ فلم يتزحزح له، ولا قام إليه. فقال له ابن غانم: "ما هذا الكِبْر؟ عهدي بك ــ وأنت وزيرُ السلطان، وفي أبَّهة رضاه ــ تتلقّاني على قدم، وتتزحزحُ لي عن صدر مجلسك؛ وأنت الآن في مَوْجدَته؛ بضد ذلك". فقال له: "نعم! لأني كَنت حينئذ عبداً مثلك، وأنا اليوم حُرٌّ"...فيئس ابن غانم؛ وخرج، ولم يكلمه، ورجع إلى الأمير فأخبره. وابتدأ الأمير بالإرسال إليه، وردّه إلى أفضل ما كان عليه))[1]. وقد وردت بعض العينات من شعر وانسوس هذا في مصادر عديدة متفرقة؛ منها: المقتبس؛ لابن حيان، وكتاب المُغْرب في حُلَي المَغْرب؛ لابن سعيد؛ منها:

الحبُّ عَلَّمَ مُقْلَتِي أنْ تَسْهَرَا
وقَضَى عَلَيَّ بأنْ أذِلَّ وأصْبِرَا

---

[1] جذوة المقتبس، ص ص: 226 ــ 227.

يَا مُشْبِـــهَ القمَرَينِ مَالكَ مُعْرِضا
عَـــنِيِّ وإنِـــيِّ لا أزَالُ مُحَيَّــــرَا

ويقـــول أيضـــا:
كَيْفَ لِي أنْ أعِيشَ دُونَك يَا بَدْ
رَ الدَّيَـــاجِي وأنْـــتَ مِـــنِّي بَعِيـــدُ
إنَّ يَوْمـــًا أرَاكَ فِيـــهِ لَيَـــوْمٌ
فِي حِسَابِي مَـــدَى الزَّمَـــانِ سَعِيـــدُ
ومُـــرَادِي ألاَّ أرَاكَ تُـــدَانِي
غَيْـــرَ وَصْـــلِيَ وذَاكَ مَـــالاَ تُرِيـــدُ

ووصفه ابن حيان في تاريخه؛ مع إيراد حكاية عنه؛ إذ قال: **((أصله من البرابر؛ وله فيهم بيت شرف بالأندلس؛ وكان جده رئيسا بماردة مطاعا؛ وكان قد ثار بها على الأمير الحكم بن هشام؛ وجرت له خطوب كبار؛ في حالي: المعصية، والطاعة. وتمهد ابن ابنه سليمان هذا مهاد الطاعة؛ من بعد نزوات سلفه؛ وعلق بحبال الخدمة؛ فتصرف للسلطان في أعمال كثيرة؛ إلى أن ارتقى الذروة؛ وولي خطة الوزارة للأمير عبد الله ابن محمد؛ وصارت له حظوة؛ وكان أديبا متفننا،**

وشاعرا مطبوعا، حسن البيان، بليغا، حصيفا، داهية... وذكروا أن الأمير عبد الله بن محمد؛ عندما عزل جهور بن عبد الملك البختي من عمل كورة إلبيرة؛ لتظلم الرعية منه؛ قدم عنها بمال كثير مما غله؛ وتاحف منه جماعة من الوزراء؛ وأغفل سليمان بن وانسوس؛ وهو منهم؛ فأحقده على نفسه. وخلا الأمير عبد الله بالوزراء، وشاورهم في إغرام جهور؛ فكلهم دافع عنه، وثنى الأمير عن همومه به؛ إلاَّ سليمان؛ فإنه زمَّ (أي سجل) به كتابا؛ فقال له الأمير: "ما لك لا تقول يا سليمان"؟ فقال: "إن قلت خالفتهم؛ لكني سوف أكتب بما عندي دونهم؛ وفضل الرأي للأمير". فلما أن خرج إلى بيت الوزارة؛ أكب على رقعة كتب فيها إلى الأمير بهذه الأبيات:

جَاءَ الحِمَارُ حِمَارُ الوَحْشِ مُحْتَشِياً
مِمَّا أَفَادَ مِنَ الأَمْوَالِ وَالطَّرَفِ
خَلِيَّ لَبِيرَةَ قَدْ أَوْدَى بِسَاكِنِهَا
بِقُبْحِ سِيرَتِهِ وَالعُنْفِ وَالسَّرَفِ
فَاحْمِلْ عَلَى العَيْرِ حِمْلاً يَسْتَقِلُّ بِهِ
وَاتْرُكْ لَهُ سَبَباً لِلتِّبْنِ وَالعَلَفِ

فلما قرأ الأمير عبد الله أبياته؛ أمر بإدخاله إليه؛ فضحك منه، وقال له: "يا سليمان؛ لو زدتنا في الأبيات لزدنا الحمار في الغرم؛ وأمر بإغرامه ثلاثة آلاف دينار))[1].

ويبدو أن أبيات ابن وانسوس علقت في الذاكرة الأدبية ــ آنئذ ــ إذ التصق بأبناء عبد الملك البختي اسم الحمار؛ فنبزوا به بين العامة، والخاصة؛ من ذلك أبيات قالها أحمد بن شهيد؛ في عبد الملك بن بختي بن عبد الملك؛ يهجوه فيها:

أَتَيْناكَ لاَ عَنْ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَنَا
إِلَيْكَ وَلاَ قَلْبِ إِلَيْك مُشَوَّقِ
وَلَكِنَّنَا زُرْنَا بِفَضْلِ حُلُومِنَا
حِمَاراً تَوَلَّى بِرَّنَا بِعُقُوقِ

ــ ثم **أبو محمد عبد الله بن حماد المكناسي** المعروف بابن زَغْيُوج (كان حيا سنة 567هـ/1171م)؛ قال عنه ابن الأبار: **((كان من أهل المعرفة والنباهة))**[1].

---

[1] المقتبس، ص ص: 189 ــ 193.

[1] التكملة، ج: ص ص: 918 ــ 919.

ـ ثم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد السلمي الأندلسي المكناسي (توفي بمراكش سنة 571هـ/1175م)؛ وهو أديب، وشاعر؛ متفنن في كتاباته؛ له ديوان رسائل تناقله الناس، وتهافتوا عليه، وله ـ أيضا ـ مقامات في عدة أغراض؛ وقالوا فيه: ((ختمت البلاغة به في الأندلس))[2].

ـ ثم أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمود المكناسي (ت: سنة 573هـ/1177م)؛ إمام الحرم الشريف؛ وكان ورعا وزاهدا في الدنيا؛ دمث الأخلاق، حسن السيرة.

ـ ثم أبو الحسن علي بن أبي جَلاًّ المكناسي (ت: سنة 746هـ/1345م)؛ قال عنه ابن الخطيب: ((كان شيخا ذكيا، طيب النفس، مليح الحديث، حافظا للمسائل الفقهية، عارفا لها، قائما على كتاب المدونة... حسن المذاكرة، مليح المجلس أنيسه، كثير الحكايات؛ إلا أنه كان يحكي غرائب شاهدها تملحا، وأنسا؛ فينمقها عليه الطلبة؛ وربما تعدو ا ذلك إلى الافتعال على وجه المزاح، والمداعبة؛ حتى لجمعوا من ذلك كثيرا في جزء سموه بـ"السلك المحلاًّ في أخبار ابن جلاًّ"؛ فمن

---

[2] الزركلي؛ الأعلام، ج: 4، ص: 104.

ذلك ما زعموا أنه حدث بأنه كانت له هرة؛ فدخل البيت يوما؛ فوجدها قد بلت أحد كفيها، وجعلته في الدقيق حتى علق به؛ ونصبته بإزاء كوة فأر في الجدار، ورفعت اليد الأخرى لصيده؛ فناداها باسمها؛ فردت رأسها، وجعلت إصبعها في فمها على هيئة المشير بالصمت؛ وأشباه ذلك كثير))[3]. ألا ترى معي..؟ أنه قد ابتكر ما يعرف الآن بقصص الأطفال، والحكايات التي يمكن أن تصلح أفلاما كرتونية؛ لو كانت السينما قد اكتشفت آنذاك..

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الفاسي المكناسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السابع للهجرة)؛ فقيه، ومحدث من أهل الحفظ.

ـ ثم الفقيه القاضي **علي بن أحمد بن أبي العافية المكناسي** (ت: بعد سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه ولي قضاء مكناسة.

---

[3] الإحاطة، ج: 4، ص ص: 184 ـــ 185.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن سعيد القَيْجَمِيسي الورزيغي المكناسي** (توفي بفاس سنة 870هـ/1465م)؛ فقيه، وأديب؛ له مؤلفات منها: كتاب نظم مسائل ابن جماعة؛ وهو في البيوع.

ـ ثم الفقيه القاضي **أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي** (توفي بفاس سنة 955هـ/1548م)؛ ولي خطة القضاء بمكناسة.

ـ ثم **محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي** (ت: سنة 962هـ/1554م)؛ كان أستاذا في النحو وعلوم العربية، وحافظا لمختصر ابن الحاجب، الرسالة.

ـ ثم **محمد بن محمد بن أحمد بن علي ابن أبي العافية المكناسي** (ت: سنة 981هـ/1573م)؛ وهو والد مؤلف درة الحجال. كان فقيها، نوازليا، متمكنا من علمي: الحساب، والفرائض.

ـ ثم **عبد بن أحمد بن محمد بن عبود علي بن أبي العافية المكناسي** (ت: سنة 987هـ/1579م)؛ كان من الحفاظ، فقيه؛ كان يستظهر مختصر خليل، والرسالة.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي العافية المكناسي** المعروف بالأحول (كان حيا سنة 824هـ/1421م)؛ فقيه. عرضت عليه خطة الخطبة بمكناسة؛ فزهد عنها؛ فأسندت إلى أخيه أبي العز.

ـ ثم **أبو العز بن أحمد بن أبي العافية المكناسي** (كان حيا سنة 824هـ/1421م)؛ فقيه. ولي الخطابة والقضاء في مكناسة.

ـ ثم **أبو القاسم محمد بن محمد بن قاسم ابن علي بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي** (ولد سنة 960هـ/1552م)؛ فقيه؛ ومن المشتغلين بعلم النحو؛ أعد تعليقا على المرادي، وكتب شرحا على ألفية ابن مالك في مجلدين كبيرين، كما أعد شرحا آخر على مقدمة ابن آجروم في مجلد ضخم؛ وهو أيضا ملم بالقراءات، والفقه، والحساب، والفرائض.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي** الشهير بابن القاضي (ت: سنة 1025هـ/1616م)؛ له إلمام بعلوم شتى؛ منها: التفسير، والفقه، والحديث، والتاريخ، واللغة، والأدب، والمنطق، والهندسة، والحساب، والفرائض، ونظم الشعر؛ له مؤلفات كثيرة؛ منها: درة

الحجال في غرة أسماء الرجال، والمنتقى المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور، وغنية الرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض، المدخل في الهندسة، ونيل الأمل فيما به جرى بين المالكية العمل، ونظم تلخيص بن البناء، ونظم منطق السعد، وتقاييد على جداول الحوفي، والفتح النبيل لما تضمنه من أسماء العدد التتزيل، وفهرسة، ولقط الفرائد في تحقيق الفوائد، ودرة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك، وجذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس؛ وهو تاريخ سياسي، وعمراني، وثقافي لمدينة فاس. ومن شعره قصيدة بعث بها إلى سلطان المغرب؛ أبي العباس المنصور يستصرخه لافتدائه من أسر الأسبان؛ نذكر منها:

تَجَلَّتْ عَنِ العَانِي الأسِيرِ المُكَبَّلِ
هُمُومٌ سَرَتْ في الجِسْمِ في كُلِّ مفصلِ
بذِكْرِ الإمَامِ الهَاشِمِيِّ الذي سَمَا
بِسيمَةِ خَيْرِ الخَلْقِ في كُلِّ مَحْفَلِ

إلى أن يقول:

بِحَقِّ الَّذي أوْلَاكَ مُلْكاً فَنَجِّني
مِنَ الهُلْكِ يا قَصْدَ السبيل المُكبَّلِ

وَكُنْ يا إمامَ العَدْلِ في عَوْنِ خائِرٍ
أسيرٍ كَسيرٍ ذي جَناحٍ مُذلَّلِ

ooo

أما رجال السياسة، والسيف؛ من مكناسة فهم:

ـ **أبو المنصور اليسع بن سمغون المكناسي** (ت: سنة 208هـ/823م)؛ وهو الأمير الثالث في دولة بني واسول؛ قام بإنجازات هامة خلال حكمه لسجلماسة؛ إذ أكمل بناء سجلماسة، واختط بها المصانع، والقصور؛ وفي عهده استفحل ملك بني سمغون.

ـ ثم **مدرار بن اليسع بن سمغون المكناسي** (ت: سنة 253هـ/867م)؛ هو أشهر حكام سجلماسة؛ إذ باسمه سميت الدولة.

ـ ثم **اليسع بن مدرار بن اليسع بن سمغون المكناسي** (قتله الشيعي سنة 296هـ/908م)؛ إذ دخل في عهده عبيد الله المهدي إلى بلاد المغرب؛ حيث لجأ إلى سجلماسة؛ هاربا من عيون بني الأغلب؛ فقبض عليه اليسع، وسجنه عنده؛ بإيعاز من الخليفة ببغداد. لذا فقد بذل عبد الله الشيعي (داعية الشيعة) جهده في

سبيل غزو سجلماسة، وتخليص المهدي؛ وبالفعل تم له ذلك؛ بمعونة جيوش كتامة، حيث استولى عليها، وطارد اليسع حتى قبض عليه، وقتله؛ وأقام على المدينة واليا كتاميا من قبله.

ــ ثم **الفتح بن ميمون بن مدرار المكناسي** (ت: سنة 300هـ/912م)؛ ثار على والي مدينة سجلماسة؛ الذي نصبه أبو عبد الله الشيعي؛ واستعاد ملك أجداده المكناسيين لفترة؛ ثم جاءت ــ من جديد ــ جيوش الشيعة؛ فاستردتها من أخيه الذي خلفه بعد وفاته؛ ولكن أسندت إمارة المدينة هذه المرة ؛إلى أمراء من بني مدرار؛ تحت طاعة الفاطميين.

ــ ثم **محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار المكناسي** (توفي بسجن المهدية بعد 347هـ/958م)؛ افتك إمارة سجلماسة من ابن عمه الوالي؛ التابع للفاطميين سنة 322هـ/933م؛ وأعلن الدعوة إلى العباسيين؛ آخذا بمذهب السنة؛ نابذا بذلك مذهب آبائه الصفريين، ومذهب حكام المغرب من الشيعة. وفي سنة 342هـ/953م تسمى بأمير المؤمنين، وتلقب بالشاكر لله؛ ثم سك السكة التي عرفت بالشاكرية؛ وقد وصفه ابن حزم بقوله: **((وكان في غاية العدل))**. ولكن تغلبت

عليه جيوش كتامة، وصنهاجة الشيعية هو الآخر؛ حيث اقتادوه إلى سجن المهدية؛ أين مات.

ــ ثم **مصالة بن حبوس المكناسي** (ت: سنة 312هـ/924م)؛ من أكبر القادة العسكريين في الدولة الفاطمية؛ كان ــ في بداية أمره ــ رئيسا على بعض أحياء مكناسة؛ ثم انضم إلى الأحلاف القبلية المنحازة للفاطميين؛ حيث أسندت إليه قيادة جيش الدولة؛ المكلف بالزحف نحو غرب البلاد؛ وكان له دور أساسي في الإطاحة بالدولة الإدريسية، وتقزيم دورها؛ بعد دعمه لبني عمه بني أبي العافية المكناسيين؛ ضد نفوذ الأدارسة.

ــ ثم **موسى بن أبي العافية بن أبي باسل بن أبي الضحاك بن يزول المكناسي** (ت: سنة 341هـ/952م)؛ هو الذي أسس إمارة مكناسة بجهات مراكش. وكانت ضمن مملكته: مكناسة، وتسول، وتازا، وكرسيف؛ ولما زحف مصالة ابن حبوس المكناسي إلى غرب البلاد؛ لإخضاع الأدارسة؛ منح ابن عمه موسى بن أبي العافية ضواحي المغرب بكاملها؛ مقتطعا إياها من سلطان الأدارسة. وظل ابن أبي العافية يناجز الأدارسة؛ حتى استولى على ملكهم بالكامل

تقريبا. وعندما أحس بقوته، و بعد غياب تأثير ابن عمه مصالة؛ الذي مات؛ حول ابن أبي العافية ولاءه إلى بني أمية بالأندلس؛ الأمر الذي أغضب سلطان الدولة الفاطمية؛ فبعث إليه عدة حملات تأديبية؛ انتهت بقتله في الصحراء.

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن إبراهيم المكناسي** (ت: سنة 363هـ/973م)؛ هو رابع أمراء بني أبي العافية المكناسيين، وآخرها؛ إذ انقرضت دولتهم بوفاته.

ـ ثم **القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن موسى ابن أبي العافية المكناسي** (ت: بعدسنة 462هـ/1069م)؛ هو أحد رؤساء مكناسة؛ تولى قيادة زناتة في محاربة المرابطين سنة 460هـ/1067م؛ فهزمهم، وافتك منهم مدينة فاس؛ بعد أن تمكنوا من فتحها؛ ولكنهم أعادوا الكرة في سنة 462هـ، واحتلوها من جديد.

***

ـ ***مواطنهم:*** أما مواطن مكناسة؛ فتمتد على طول **وادي ملوية؛ من أعلاه؛ عند سجلماسة؛ وحتى مصبه في البحر الأبيض المتوسط**؛ مشتملة على **نواحي تازا، وتسول.** وكان جمهور مكناسة ظواعن؛ عبر تلك المواطن؛ يرتحلون فيها طولا، وعرضا. وقد سميت بهم مدينة مكناسة المغربية. ويقول عبد الوهاب بن منصور أن بعض البقايا من مكناسة مازالت حتى الآن بالقرب من **تازا**؛ وتدعى بهذا الاسم. كما أن قبيلة أخرى تدعى مكناسة؛ مازالت حتى الآن ـ كذلك ـ بالقرب من مدينة **عمي موسى؛ بولاية وهران**[1]. بالإضافة إلى بعض الأوزاع منهم هنا وهناك؛ في بلاد المغرب كله. أما ابن خلدون فيختم الحديث عن مكناسة بخلاصة؛ ذكر فيها ما وصل إليه حالهم. فذكر أنهم ـ في عهده ـ كانوا متواجدين في **جبال تازا**؛ بعد أن استكانوا لسلطان الدولة؛ فأعطوا الجباية بوفرة، ومدوا الدولة بالمقاتلين، وبالخيل. كما توزع بعضهم ضمن قبائل أخرى؛ **بإفريقية، والمغرب الأوسط.**

....

[1] قبائل المغرب، ج: 1، ص: 312.

(2) ــ زناتـــــة:

وبعـــد **أبنـــاء ورصطـــف بـــن يحـــيى بـــن ضـــري**؛ يـــأتي دور أبنـــاء **زانـــا** (أو جانـــا أو شانـــا) **بـــن يـــحي ابـــن ضـــرى**. ويعرفـــون باســـم **زناتـــة**؛ وهـــم حســـب قـــول ابـــن حـــزم ثلاثـــة أحيـــاء: **الدّيديـــت**، **وورسيـــج**، **وفريـــني**[2]. وعنـــد ابـــن خلـــدون: **الديـــرت**، **وورسيـــك**، **وفـــرني**. وقـــد تناسلـــوا، وتكاثفـــت أحياؤهـــم؛ إلى حـــدٍ أصبحـــوا بـــه في مرتبـــة قبائـــل، أو شعـــوب؛ طبقـــا لـــرأي ابـــن خلـــدون؛ الـــذي يصفهـــم بصفـــات تتعـــدى صفـــات البطـــون. وبهـــذا يحتلـــون مراتـــب أعـــلى مـــن مرتبـــة بطـــن؛ وذلـــك حينمـــا نعتمـــد عـــلى الترتيـــب المتبـــع لـــدى النسابيـــن العـــرب. فابـــن خلـــدون عندمـــا يتكلـــم عـــن زناتـــة؛ يجعلهـــا في مرتبـــة **جيـــل**. كمـــا يكثـــر مـــن قـــول: ((**شعـــوب زناتـــة**)). وهـــذا كلـــه يـــدل عـــلى ضخامـــة زناتـــة، وكثافـــة أحيائهـــا، وتشعبهـــا. أضـــف إلى ذلـــك أنـــه خَصَـــص لزناتـــة حيـــزا كبيـــرا مـــن كتابـــه العبـــر؛ إذ يشملـــه المجلـــد السابـــع بكاملـــه تقريبـــا. بينمـــا خصـــص المجلـــد الســـادس لبقيـــة الأمازيـــغ، مـــع بـــني هـــلال، وسليـــم. وبالموازنـــة؛ تظهـــر أهميـــة **زناتـــة**. غيـــر أن قوتييـــه E. F. GAUTIER

---

[2] **الجمهـرة، ص ص: 495 ـــ 496.**

ينسب ذلك إلى كون الزمن الذي كتب فيه ابن خلدون كتابه؛ كانت زناتة مهيمنة على الحكم في بلاد المغرب؛ مثل بني عبد الواد، وبني مرين، وغيرهم[1].

ـ مدلول زناتة ونسبها: يستعمل ابن خلدون كلمة زناتة بأسلوب يوحي أنها تقابل كلمة أمازيغ، وتتكافأ معها. ففي المقدمة يقول: **((وهؤلاء هم العرب؛ وفي معناهم ظعون البربر، وزناتة بالمغرب، والأكراد، والتركمان، والترك بالمشرق))**[2]. ويقول أيضا في كتاب العبر: **((فأما أولية هذا الجيل** [زناتة] **بإفريقية، والمغرب؛ فهي مساوقة لأولية البربر؛ منذ أحقاب متطاولة؛ لا يعلم مبدأها إلا الله تعالى... وملك الإفرنجة بها يومئذ جرجير؛ فظاهره زناتة، والبربر على شأنه))**[3]. وثمة أمثلة أخرى من هذا النوع؛ لدى ابن خلدون، وغيره من المؤرخين المسلمين.

ويبدو أن ابن خلدون ساير التعبير المتبع لدى نسابة زناتة؛ الذين كانوا يقابلون زناتة بالبربر؛ نظرا لاعتقادهم في نسبهم العربي. وذلك

---

[1] **Le Passé de L'Afrique du Nord, pp: 217- 218.**

[2] **ج: 2، ص: 583.**

[3] **العبر: مج: 7، ص ص: 14 ــ 15.**

من خلال المزاعم السائدة بين قبائل زناتة؛ ومفادها أنهم ينتمون إلى العرب؛ لذا فهم عندما يتكلمون عن سكان المغرب؛ يقولون: **زناتة، والبربر.** فزناتة ــ كما سبق ــ تنسب إلى **زانا** أو (جانا) **بن يحي بن ضري بن مادغيس الأبتر.** وثمة من يعود بسلسلة الأسماء إلى المدعو **بر.** ومنه تنطلق السلسلة التي يزعمون أنها تربطهم بالنسب العربي؛ أي بقيس عيلان، أو بحمير. ولكن ابن حزم، وابن خلدون ينكران ــ كما سبق ــ تلك الأقوال؛ ويرجحان القول بانتسابهم إلى كنعان بن حام؛ مثل ما هو الحال بالنسبة لكثير من الأمازيغ. أما الظاهرتان المميزتان لزناتة عن غيرها من الأمازيغ؛ فيحددهما ابن خلدون؛ في **أسلوب العيش، وفي اللهجات.**

***

ــ ***أسلوب العيش:*** تعتمد زناتة في عيشها على النجعة، والظعن؛ عبر السهوب، والفيافي. فهم كالأعراب؛ يتخذون الخيام مساكن لهم، ويتلهفون على اكتساب الإبل، والخيل. وفي ذلك يقول ابن خلدون: **((وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب: في سكنى الخيام،**

واتخاذ الإبل، وركوب الخيل، والتغلب في الأرض، وإيلاف الرحلتين، وتخطف الناس من العمران، والإباية عن الانقياد للنصفة. وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها؛ وهي مشتهرة بنوعها؛ عن سائر رطانة البربر))[1].

إذن.. فثمة تشابه كبير في أسلوب العيش؛ بين زناتة والأعراب. وحتى النزعة المتطرفة؛ التي تميل إلى تجاهل حق الآخرين، والانسياق وراء الغزو، والإغارة على العمران، والاعتداء على ممتلكات الناس؛ هي من خصائصهم أيضا؛ مثل ما هو حال الأعراب.

***

ـ ***اللهجات:*** إن اللهجات التي تتكلم بها زناتة تختلف عن لهجات الأمازيغ الأخرى. وهذا ما ذكره ابن خلدون في النص السابق الذكر. وثمة أبحاث تقول بأن لهجاتهم تنتمي إلى أصول لسانية حامية ـ سامية، وتلتقي مع اللغة العربية في بعض الخصائص المشتركة. وبالطبع.. فإن هاتين الظاهرتين: **(أسلوب العيش، واللهجات)** تبعثان على الاعتقاد في احتمال نزوح زناتة من المشرق إلى بلاد المغرب؛ في

[1] العبر: مج: 7، مج: 7، ص: 3.

عهود ليست بعيدة جدا. وربما تزامنت مع ظهور الإبل في هذه الربوع؛ وقد يكون ذلك في أواخر القرن الثالث، وبداية القرن الربع للميلاد[2]. ولكن ابن خلدون يرى غير هذا؛ حين يقول: ((**أما أولية هذا الجيل** (أي زناتة) **بإفرقية فهي مساوقة لأولية البربر منذ أحقاب متطاولة لا يعلم مبدأها إلا الله تعالى**)).

ومعنى كلمة زناتة عالجه ابن خلدون في بعض الفقرات من كتاب العبر؛ حيث قال: ((**ونطقهم بهذه الجيم؛ ليس من مخرج الجيم عند العرب؛ بل ينطقون بها بين الجيم، والشين، وأميل إلى السين. ويقرب للسمع منها بعض الصفير؛ فأبدلوها زايا محضة؛ لاتصال مخرج الزاي بالسين؛ فصارت زانات؛ لفظا مفردا؛ دالا على الجنس. ثم ألحقوا به هاء النسبة، وحذفوا الألف التي بعد الزاي؛ تخفيفا...**))[1].

---

[2] Gautier, Le Passé de L’Afrique du Nord, p: 227. وللتوسع يمكن الرجوع إلى كتاب بن عميرة؛ دورة زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي.

[1] العبر، مج: 7، ص: 14.

وإذا كــان اســم زناتــة معروفــا لــدى مــؤرخي العهــد الإســلامي؛ فإنهــا بالمقابــل غُلفــت بغمــوض كثيــف؛ خــلال الأحقــاب التاريخيــة السابقــة للفتــح الإســلامي. ومــع هــذا.. فــلا يستبعــد وجــود هــذه التسميــة في العهــد البيزنــطي. لأنــه حيــن تــم العثــور عــلى بعــض التسجيــلات التاريخيــة؛ في **شلــف، وشرشــال**؛ اتضــح أن أحــد الأسمــاء المسجلــة يــدل عــلى شخــص منســوب إلى **زناتــة**؛ هــو **(كلوديــوس زناتــوس)** CLAUDIUS ZENATUS. ولا نعــرف إن كــان هــذا الاســم يكــفي للدلالــة عــلى تــداول اســم زناتــة في الحقبــة التاريخيــة البيزنطيــة[2]. فشــاهد واحــد ــ كهــذا ــ لا يجــلي الحقيقــة كلهــا. غيــر أن ابــن خلــدون يــرى بــأن أوليــة زناتــة تعــود إلى حقبــة موغلــة في التاريــخ. وهي متماشيــة ــ في القــدم ــ مــع أزليــة الأمازيــغ كافــة. وذكــر أن زناتــة كانــت تــؤدي ــ بصــورة مــن الصــور ــ للبيزنطييــن (الإفرنــج كمــا يسميهــم) فــروض الطاعــة؛ عــلى شكــل خــراج مؤقــت، ومقاتليــن؛ يحاربــون إلى جانبهــم، **((ويمتنعــون عليهــم فيمــا ســوى ذلــك))**[3].

---

[2] Gautier, Le Passé de L'Afrique du Nord, p: 228. وبــن عميــرة؛ دور زناتــة، ص: 15

[3] العبــر، مج: 7، ص: 15.

إذن.. فقد تكون زناتة معروفة في العهد البيزنطي؟ وربما كانت في عداد القبائل الجمالة؛ ذات النجعة الموغلة في الصحراء؛ والتي ظهرت في أواخر العهد الوندالي. تلك القبائل التي استعملت الجمال في حربها ضد الوندال، والبيزنطيين. وجملة القول.. أن اسم زناتة ـ في المغرب ـ لم يبدأ في الظهور بوضوح إلا بعد الفتح الإسلامي؛ حيث أصبح هذا الاسم يتردد في كتابات المؤرخين. فابن خلدون مثلا يبرز دور زناتة؛ أثناء حديثه عن الفتح الإسلامي **لسبيطلة**؛ حاضرة القائد البيزنطي GREGOIRE **(جرجير)**. ثم ينتقل إلى المقاومة التي قامت بها الكاهنة؛ التي تنتسب إلى زناتة[1]. ودور **زناتة** في المغرب الإسلامي؛ يمكن إجماله ضمن الأدوار التي قامت بها بعض فروعها؛ مثل: **جراوة، وبني يفرن، ومغراوة، وبني عبد الواد، وبني مرين، وبني توجين.**

***

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 16 ـ 18.

ـ ***مواطنهم:*** حدد ابن خلدون مواطن زناتة ـ بصورة عامة ـ ضمن ما يعرف **بالمغرب الأوسط**؛ لأنه منسوب إليها، ومعروف بها. ومع هذا فقبائل زناتة متواجدة في أقطار المغرب كلها. على أن جمهورهم يتواجد في المناطق التي تنبت فيها **النخيل**؛ ما **بين غدامس، والسوس الأقصى.** كما يتواجد ـ أيضا ـ بتلول **إفريقية، وطرابلس، وجبل أوراس.** **((ومواطنهم في سائر مواطن البربر؛ بإفريقية، والمغرب... والأكثر منهم بالمغرب الأوسط؛ حتى أنه ينسب إليهم، ويعرف بهم؛ فيقال: وطن زناتة. ومنهم بالمغرب الأقصى أمم أخرى. وهم ـ لهذا العهد ـ أهل دول، وملك؛ بالمغربين. وكانت لهم فيه دول أخرى في القديم))**[2].

....

[2] العبر، مج: 7، ص ص: 3 ـ 4.

ـ جــــراوة:

وهـــم أبنـــاء **جـــراو بـــن الديـــرت بـــن جانـــا (زانـــا)**. وقـــد بـــرز دور جـــراوة منـــذ بدايـــة الفتـــح الإســـلامي؛ وذلـــك مـــن خـــلال المقاومـــة الـــتي تزعمتهـــا هـــذه القبيلـــة؛ بقيـــادة **الكاهنـــة (دُهيـــا بنـــت تابتـــة)**. وربمـــا كـــان مقتـــل عقبـــة بـــن نافـــع بإيعـــاز منهـــا؛ كمـــا قـــال ابـــن خلـــدون؛ نقـــلا عـــن النسابـــة هـــاني بـــن بكـــور الضريـــسي؛ إذ تكـــون قـــد حرَّضَـــتْ سكـــان هـــودة عـــلى قتـــال المسلميـــن. ولمـــا كـــان المسلمـــون يعرفـــون ذلـــك؛ فإنهـــم سارعـــوا ــــ بعـــد مقتـــل كَسيلـــَة ــ إلى غزوهـــا؛ في عقـــر دارهـــا؛ بجبـــل أوراس. فتمكنـــت جـــراوة مـــع حلفائهـــا؛ مـــن القبائـــل البتريـــة ــــ في بدايـــة الأمـــر ــــ مـــن صـــد المسلميـــن؛ ولكنهـــا خســـرت الحـــرب؛ في نهايـــة الأمـــر؛ حيـــث قتـــل المسلمـــون منهـــم عـــددا كبيـــرا؛ يزعـــم ابـــن خلـــدون أنـــه وصـــل إلى مائـــة ألـــف[1]. وبعـــد هـــذه الهزيمـــة؛ تفـــرق شمـــل جـــرواة، واندثـــر أمـــرهم؛ إذ توزعـــوا بيـــن القبائـــل الأمازيغيـــة الأخـــرى؛ ومنهـــم الفئـــة الـــتي حلـــت **بسواحـــل مليلـــة؛ بالمغـــرب الأقـــصى**؛ حيـــث أقامـــوا في المدينـــة المنسوبـــة إليهـــم. ومنهـــم البطـــن المشهـــور بعلمائـــه،

---

[1] العبـــر، مج: 7، ص ص: 16 ــــ 18.

وأدبائه؛ وهم **بنو غفجوم**، بجهات **تادلا.** وفي ديارهم الجديدة بالمغرب الأقصى؛ برز مرة أخرى؛ دور جراوة في مسرح الأحداث؛ خاصة عندما استجار بهم الحسن بن أبي العيش؛ أمير تلمسان؛ بعد هزيمته أمام أمير مكناسة؛ ابن أبي العافية.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** ومن رجالات جراوة المشهورين بعلمهم، وآدابهم:

ـ **أبو سعيد خلف بن مسعود المالقي الجراوي**؛ المعروف بابن أمينة (توفي مذبوحا بقرطبة سنة 400هـ/1009م)؛ فقيه؛ ولد بمليلة؛ قال عنه ابن بشكوال: **((قدم قرطبة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة؛ فحمل عنه بها علم كثير. وكان له من القاضي ابن ذَكْوان خاصة. وأغْرِي به العامة؛ فأضجعوه، وذبحوه؛ حين ثورة الأندلس بالبرابرة؛ عند قيام المهدي؛ وقتل العامة البرابرة سنة أربعمائة. وقيل بل شَدَخُوا رأسه بالحجارة؛ وأنه سألهم**

أن يمهلوه حتى يصلي ركعتين؛ ففعلوا رحمه الله. وكان ذلك بمالقة))[2].

ـ ثم أبو عمر أحمد بن محمد القيسي الإشبيلي الجراوي (توفي بمصر سنة 407هـ/1016م)؛ وهو من شيوخ الإقراء؛ إذ تصدر للإقراء بإشبيليا، ومصر.

ـ ثم عبد الله بن محمد الجراوي (توفي بالقيروان سنة 415هـ/1024م)؛ قال عنه ابن رشيق القيرواني: ((تأدب بجراوة داخل المغرب، قدم إلى الحضرة سنة سبع وأربعمائة متعلقا بالخدمة. وكان شاعرا فحلا، قويا، وصَّافاً، دَرِباً بالخبر والنسب، جيد الفكر والخاطر، تحسب بديهته رَوِيَّتَهُ، عميدي الترسيل، يتحَدَّرُ كلامُهُ كالسيل. وكان حسن الخلق، جميل العشرة، مدمنا على الشراب، متغارقا فيه، مزَّاحاً. سأله أيوب [ربما يكون أيوب بن يطوفت الصنهاجي] مرة: أي بروج السماء لك؟ فقال: واعجباً منك؛ ما لي في الأرض بيتٌ؛ يكون لي برجٌ في السماء. فضحك، وأمر له بدار جواره))[1].

---

[2] الصلة، ج: 1، ص: 178.

[1] أنموذج الزمان، ص ص: 216 ـــ 217.

وأرجع ابن رشيق سبب قتله إلى وشاية من خصومه؛ توجهوا بها إلى القائد حماد بن بلكين؛ فبعث من قتله ليلا. وبلغ عمره يوم وفاته نيفا وأربعين سنة؛ ويقال أن أحد الجراويين زعم أنه شاهده في المنام يقول له شعرا:

قَتَلُوهُ لاَ لِخِيَانَةٍ عُرِفَتْ لَهُ
إلاَّ لِفَضْلِ بَرَاعَةِ الشُّعَرَاءِ
أمَرُوا بِهِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ وَاجِبٍ
أَكَذَا تَكُونُ صَنَائِعُ الأمَرَاءِ

ولما وصل البيتان إلى حماد أسف على الجراوي. ومن شعره في وصف شرفة المنزل؛ (أو المنظرة، أو الفسقية):

قَدْ كُلِّلَتْ دُرًّا أَفَارِيزٌ لَهَا
فَتَبَرَّجَتْ فِيهَا بِكُلِّ طَرِيقِ
وَكَأَنَّمَا القَصْرُ الُمعَظَّمُ عَاشِقٌ
قَدْ حَارَ وَهْيَ لَدَيْهِ كَالَمعْشُوقِ
يَرْنُو إِلَيْهَا بَاهِتاً شُرُفَاتُهُ
نَظَرَ الحَمام لِلقْوةٍ فِي نِيقِ
وَكَأَنَّمَا النَّهْر الَذِي قُدَّامَهَا
جريا تَسِيلُ عَلىَ رِقَابِ النُّوقِ

وقـــال ابـــن رشيـــق في هـــذه الأبيـــات: **((قـــد نـــاب هـــذا الخبـــر عـــن العيـــان؛ فـــأدى الصفـــة عـــلى تحقيقهـــا، وملـــّكـــهـــا أوفى حقوقهـــا))**[1].

وأورد لـــه ابـــن رشيـــق أيضـــا هـــذه المقطوعـــة الـــتي يصـــف فيهـــا الديـــك:

وكَائِنٍ نَفى النّـَـوْمَ عَنْ عُتْرُفَــانِ
بَدِيـــعُ المَلاَحَـــةِ حُلْــوُ المَعَــانِي
بأجْفَــانِ عَيْنَيْــهِ يَاقُوتَتَـــانِ
كَــأنَّ وَمِيضَهُمَـــا جَمْرَتَـــانِ
عَلىَ رَأسِـــهِ التَّــاجُ مُسْتَشْرِفــاً
كَتَـــاجِ ابْنِ هُرْمُـــزَ فِي المَهْرَجَـــانِ
وَقِرْطَـــانِ مِنْ جَوْهَـــرٍ أحْمَـــرٍ
يَزِينَانِـــهُ زَيْـــنَ قِـــرْطِ الحِصَـــانِ
لَـــهُ عُنُـــقٌ حَوْلَهَـــا رَوْنَـــقٌ
كَمَا حَوَتِ الخَمْـــرَ إحْدَى القنـــانِي
وَدَارَ بُرَائِلُـــــهُ حَوْلَهَـــا
كَمَـــا نَـــوَّرَتْ شَعْـــرَةَ الزَّعْفَـــرَانِ
وَدَارَتْ بِجُؤْجُئِـــهِ حُلَّـــــة
تَـــرُوقُ كَمَـــا رَاقَـــكَ الخُسْـــرُوَانِي
فَقَـــامَ لَـــهُ ذَنَـــبٌ مُعْجِـــبٌ
كَبَاقَـــةِ زَهْـــرٍ بَـــدَتْ مِنْ بَنَـــانِ

[1] أنمـــوذج الزمـــان، ص ص: 216 ـــ 220.

وَقَــاسَ جَنَاحــاً عَــلىَ سَاقِــةِ
كَمَــا قِيــسَ سِتْــرٌ عَلىَ خَيْــزُرَانِ
وَصَفَــقَ تَصْفِيــقَ مُسْتَهْتِـــــر
بِمُحْمَــرَّةٍ مِــنْ بَنَــاتِ الدِّنَــانِ
وَغَــرَّدَ تَغْرِيــدَ ذِي لَوْعَــةٍ
يَبُــوحُ بِأشْوَاقِـــهِ لِلْغَـــوَانِي

ومــن شعــره أيضــا:
وَالأعْوَجِيَّــاتُ الجِيَـــا
دُ تُثِيرُهَــا الأسْــدُ الغِضَــابُ
وَالسَّابِــرِيُّ كَأنَّـــهُ
وَدَكَّــاءُ مُذْكِيَــة سَـــرَابُ
مُتَرَقْــرِقٌ كَالْمَــاء إذْ
يَعْلُــوهُ فِي النَّهْــر الحُبَــابُ
وَالنِّيــلُ يَحْــكِي ألْسُــنُ الْــ
ــحَيَّاتِ أعْوَزَهَــا الشَّــرَابُ

ـ ثــم **أبــو عمــران مــوسى بــن عيــسى بــن أبي حجــاج الغــفــجُــومي الجــراوي** (تــوفي بالقيــروان ســنــة 430هـــ/1038م)؛ فقيــه؛ مــن كبــار أهــل العلــم بالقيــروان؛ وكــان مــن أحفــظ النــاس، وأدركهــم للفقــه، والحديــث، والقراءات السبــع؛ ولــه بعــض

المؤلفات منها: كتاب علق فيه على المدونة، كما سجل من أحاديثه حوالي مائة ورقة.

ـ ثم **أبو القاسم خلف بن أحمد بن جعفر الجراوي** (توفي بالمرية سنة 475هـ/1082م)؛ فقيه؛ كانت له عناية بالعلوم؛ فهو راوية، وخطيب بجامع المرية.

ـ ثم **أبو بكر محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي الوادي آشي** (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ كان من كبار كتاب المرابطين بغرناطة. وهو فقيه، وأديب، وشاعر مطبوع؛ له اهتمامات بالطب، وبفنون عديدة؛ مدح الأمير علي ابن يوسف اللمتوني بقصيدة طويلة جاء فيها:

رَحلُوا الرَّكايبَ موهِنا
فأذاع عُرْفُهُمُ السَّنَا
والحَلْي قَدْ أغرَى بهمْ
لَّما تَرَنَّمَ مُعْلِنَا
كَمْ حَفَّ حَوْل حِماهُمُ
مِنْ كُلِّ خطَّارِ القَنَا

و مــن قولــه في الرثــاء:

حَنانَيكَ قَدْ أبْكَيْتَ حَتى الغَمائِمــَا
وشققْــتَ عــَنْ أزْهارِهِــنَّ الكَمائِمَــا
وَأدْمَيْــتَ خَدًّا للبُرُوق بلَطْمِهَــا
وَخلفــتَ مِنْ نَــوْحِ الرُّعــُودِ مَآتِمَــا
وَلَمْ يَبْــقَ قَلْبٌ لا يُقَلِّبُــهُ الأسَى
وَأشْجَيْــتَ في أغْصَانِهِــنَّ الحَمَائِمــَــا

ـ ثــم **أبــو عبــد اللــه محمــد بــن داود بــن عطيــة ابــن سعيــد العــكي الجــراوي** (تــوفي بفــاس سنــة 525هــ/1130م)؛ فقيــه، ومحــدث؛ كــان أبــوه قــد استوطــن القلعــة؛ تــولى قضــاء تلمســان، وإشبيليــة، وفــاس.

ـ ثــم **أبــو العبــاس أحمــد بــن حســن بــن سيــد المالــقي الجــراوي** (ت: سنــة 560هــ/1164م)؛ كــان نحويــا بارعــا، وأديبــا متفننــا، وشاعــرا مطبوعــا. مــن شعــره الــذي أورده ابــن الأبــار:

وبَيْــنَ ضُلوعِي للصَّبَابَــةِ لوْعَــة
بُحُكــْم الهَــوَى تقْضي عَليَّ ولا أقــْضِي
جَنَىَ نَاظِر مِنْها عَلى القلب ما جَنَى
فَيــا مَنْ رأى بعضاً يُعِيــن عَلى بــعض

ـ ثم **أبو محمد يسكر بن موسى الغَفَجومي الجراوي** (توفي بفاس سنة 598هـ/1201م)؛ فقيه صوفي؛ أعد بعض الحواشي على المدونة؛ ولد في تاجنيت بتادلا.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عبد السلام الغَفَجومي الجراوي** (توفي بإشبيلية سنة 609هـ/1212م)؛ وأصله من تادلا؛ ثم سكن مراكش؛ كان من علماء اللغة، والأدب، وكان شاعرا فحلا، وله ديوان شعر؛ وألف كتابا سماه: صفوة الأدب ونخبة كلام العرب؛ في موضوع الحماسة؛ وقد أثنى على هذا الكتاب عدد من العلماء. وهذه أبيات من قصيدة مدح بها عبد المؤمن:

أعْلَيْتَ دِينَ الوَاحِدِ القَهَّارِ
بالمَشْرَفِيَّةِ وَالقَنَا الخَطَّارِ
وَرَأى بِهِ الإسْلاَمُ قُرَّة عَيْنِهِ
وَغَدَتْ بِكَ الغَرَاءُ دَارَ قَرَارِ
وَمَلَكْتَ مِنْ طُرُق الهِدَايَةِ لاَحِقاً
طُوبَى لِمَنْ يَمْشِي عَلىَ الآثَارِ
وَجرَتْ مَعَالِمُكُمْ إلىَ الأمَدِ الذي
بَعُدَت مَسَافَتُهُ عَلىَ الأسْفَارِ

لاَ غَــرْوَ أنْ كُنْتَ الأخِيرَ زَمَانــهِ
فَالفَضْــلُ لِلآصَــال وَالأسْحَــــارِ
وَافَيْـــتَ أنْدَلُســـاً فَآمَـــنَ خَائِـــفٌ
وَسَمَـــا لأخَـــذِ الثـــَّارِ رَبُّ الثـــَّارِ

إلى أن يقـــول:
أخَلِيفَـــةَ المَهْدِيِّ دُمْـــتَ مُؤَيَّـــداً
باللَّـــهِ مُنْتَقِمــــاً مِـــنَ الكُفَّــــارِ
تـــَرْمِي شَيَاطِينَ الأعَادِي فِي الوَغَى
برجُـــوم خَيْـــلِ مِنْ سَمَـــاءِ غُبَـــارِ
رَوَّعْتَ كُلَّ مُرَوِّعٍ وَحَفِظْتَ كُـُـ
ــلَّ مُضَيَّـــعٍ وَحَمَيْـــتَ كُلَّ ذِمَـــارِ

ومـــدح يوســـف بـــن عبـــد المؤمـــن بقولـــه المبالـــغ فيـــه؛ ومـــع ذلـــك قبلـــه يوســـف:
عَنْ أمْرِكـــُمْ يَتَصَـــرَّفُ الثَّقَـــلاَنِ
وَبنَصْرِكـــُمْ يَتَعَاقَـــبُ المَلَـــوَانِ
وَبِمَا يَسُـــوءُ عَدُوَّكُمْ وَيَسُرُّكُـــمْ
تَتَحَـــرَّكُ الأفْـــلاَكُ فِي الـــدَّوَرَانِ
جَاهَدْتُمـُ فِي اللَّـــهِ حَقَّ جِهَـــادِهِ
وَنَهَضْتُـــمُ بحِمَايَـــةِ الإيمَـــانِ
وَتَرَكْتـــُمُ أرْضَ العِـــدَا وَقُلُوبَهُـــمْ
فِي غَايَـــةِ الرَّجَفَـــانِ وَالخَفَقَـــانِ

إلى أن يقـــول:

هَذَا مَقَــامُ المُصْطَفىَ يَا فَوْزَ مَـــنَ
حَـــازَ النِّيَابــَةَ فِيـــهِ عَنْ حَسَّـــانِ
مَنْ يَعْرَفِ الرَّحْمَنُ حَقًّا يَعْتـَـرِفْ
بِحُقُوقِـــهِ لِخَلِيفَــةِ الرَّحْمَــــــنِ

فـــإذا كـــان السلطـــان يوســـف قـــد صمـــت عـــن هـــذه المبالغـــات، ولـــم يعتـــرض عـــلى مـــا جـــاء في هـــذه القصيـــدة؛ فـــإن ابنـــه يعقـــوب ــ المحافـــظ ــ قـــد استنكـــر أقـــوال الجـــراوي؛ الـــتي كانـــت تحمـــل معـــانٍ شيعيـــة؛ تضـــفي بعـــض الصفـــات الإلهيـــة عـــلى الإمـــام؛ مثـــل: **التصـــرف في الجـــن، والإنـــس، والتحكـــم في الليـــل، والنهـــار، والتأثيـــر في الأفـــلاك العليـــا**. كمـــا أنـــه وضـــع يوســـف في **مرتبـــة المصطـــفى**؛ بينمـــا تمـــنى لنفســـه **منزلـــة حســـان مـــن المصطـــفى**. ويقـــال أن يعقـــوب بـــن يوســـف غضـــب عليـــه بسبـــب ذلـــك. وممـــا قالـــه في مـــدح يعقـــوب؛ بعـــد الانتصار الـــذي حققـــه في موقعـــة الأرك:

هَذَا الفَتحُ أعْيَا وَصْفهُ النَّظْمَ وَالنَّثْـرَا
وَعَمَّـــتْ جَمِيـــعَ المُسْلِمِينَ بِهِ البُشْـرَى
وَأَنْجَدَ فِي الدُّنْيَـــا وَغَـــار حَدِيثـُــهِ
فَرَاقــَتْ بِهِ حُسْنـــاً وَطَابَـــتْ بِهِ نَشْـرَا

تَمَيَّـــزَ بِالآحْجَـــالِ وَالغُـــرَرِ الَّـــتِي
أَقَلَّ سَنَاهَـــا يُبْهِـــرُ الشَّمْـــسَ وَالبَـــدْرَا
لَقَدْ أَوْرَدَ الأَدْفُونْشُ شِيعَتُهُ الـــرَّدَى
وَسَاقَهُمْ جَهْـــلاً إِلَى البَطْشَـــةِ الكُبْـــرَى

ومـــن شعـــره؛ الـــذي ورد في نفـــح الطيـــب؛ هـــذه القصيـــدة الـــتي يهجـــو فيهـــا قومـــه بـــني غفجـــوم؛ ناقـــلا هجـــاءه إلى بـــني الملجـــوم بفـــاس:

يابْنَ السَّبِيـــلِ إذا مَـــرَرْتَ بِتَـــادَلا
لا تَنْزِلَـــنَّ عَلَـــى بَـــنِي غَفَجُـــومِ
أَرْضٌ أَغَارَ بِهَا العَـــدُوُّ فَلَنْ تَـــرَى
إِلاَّ مُجَاوَبَـــةَ الصَّـــدَى لِلْبُـــومِ
قَوْمٌ طَـــوَوْا ذِكْرَ السَّماحَةِ بَيْنَهُـــمْ
لكِنَّهُـــمْ نَشَـــروا لِـــواءَ اللُّـــومِ
لاَ حَـــظَّ فِي أَمْوالِهِـــمْ ونَوالِهِـــمْ
لِلسَّائِـــلِ العَـــافِي ولاَ المَحْـــرومِ
لاَ يَمْلِكونَ إذا اسْتُبيـــحَ حَريمُهُـــمْ
إِلاَّ الصُّـــراخَ بِدَعْـــوَةِ المَظْلُـــومِ
يَا لَيْتَـــنِي مِنْ غَيْرِهِـــمْ وَلَوْ أَنَّـــنِي
مِنْ أَرْضِ فَـــاس مِنْ بَنِي المَلجُـــومِ

ومـن شعـره في هجـاء أهـل فـاس:

مَشى اللؤْمُ في الدنْيَا طَرِيداً مُشَـرَّدَا
يَجُـوبُ بِـلادَ اللـهِ شَرْقـاً وَمَغْرِبَـا
فَلمَّـا أتى فَاسـاً تَلَقَّـاهُ أهْلهَـا
وقالُـوا لَهُ: أهْـلاً وسَهْـلاً ومَرْحَبَـا

وقـال عنـه ابـن خلكـان: ((**وكـان هـذا الأديـب نهايـة في حفـظ الأشعـار القديمـة، والمحدثـة. وتقـدم في هـذا الشـأن، وجالـس بـه عبـد المؤمـن، ثـم ولـده يوسـف، ثـم ولـده يعقـوب... كانـت لـه نـوادر نـادرة، وملـح مستظرفـة عنـد أهـل الأدب؛ فمـن ذلـك أنـه حضـر يومـا إلى بـاب دار الأميـر يوسـف المذكـور؛ وهنـاك الطبيـب سعيـد الغمـاري... فقـال الأميـر يوسـف لبعـض خدمـه: "أنظـر مـن بالبـاب مـن الأصحـاب"؛ فخـرج الخـادم إلى البـاب ، ثـم عـاد إليـه فقـال: "أحمـد الجـراوي، وسعيـد الغمـاري"؛ فقـال الأميـر يوسـف: "مـن عجائـب الدنيـا؛ شاعـر مـن جـراوة، وطبيـب مـن** غمـارة"؛ **فبلـغ ذلـك الجـراوي فقـال: "وضـرب لنـا مثـلا ونـسي نفسـه" "يـس:** 87"؛ **"أعجـب منهمـا واللـه خليفـة مـن كوميـة". فيقـال إن الأميـر يوسـف**

لما بلغه ذلك قال: **"أعاقبه بالحلم عنه، والعفو؛ ففيه تكذيبه"))**[1]. وكان يوسف بن عبد المؤمن حليما ومتسامحا؛ على خلاف ابنه يعقوب؛ الذي يميل إلى التشدد؛ خاصة فيما يتعلق بالخلق الديني؛ لذا فإنه أبعد الجراوي عن ديوانه؛ بسبب أفكاره التي تميل إلى التصريح بعصمة الإمام؛ وهذه الفكرة بالذات لا يستسيغها يعقوب. وذكر المقري حكاية؛ تكشف عما يكنه السلطان يعقوب من كراهية للجراوي؛ وخلاصتها أن الجراوي تصدى للشاعر يحيى بن مجبر الفهري؛ عندما أنشد قصيدة؛ مدح فيها السلطان يوسف؛ جاء فيها:

إنَّ خَيْرَ الفُتُوحِ مَا جَاءَ عَفْواً
مِثْلُ مَا يَخْطُبُ الخَطِيبُ ارْتِجَالا

فقاطعه الجراوي — من فرط حسده — وقال: ((**"يا سيدنا اهتدم بيت وضاح:**

خَيْرُ شَرَابٍ مَا كَانَ عَفْواً
كَأَنَّهُ خُطْبَةُ ارْتِجَالِ

[1] وفيات الأعيان، ج: 7، ص ص: 136 — 137.

فَبَدَرَ المنصور ــ وهو حينئذ وزير أبيه، وسنه قريب من العشرين ــ وقال: " إن كان اهتدمه؛ فقد استحقه؛ لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف؛ فسر أبوه بجوابه، وعجب الحاضرون))[2]. ولما توفي السلطان يعقوب؛ وخلفه ابنه الناصر؛ استعاد الجراوي بعض مكانته؛ ففي قصيدة يمدحه فيها المح إلى معاناته، والتمس منه إعادته لسابق عهده:

لَبِسَتْ بِهِ الدُّنْيَا جَمَالاً كُنْهَهُ
أعْيَا عَلىَ الأفْكَارِ وَالأوْهَامِ
فَكَأَنَّهَا دَارُ السَّلاَمِ نَعِيمُهَا
مُتَأبِدٌ، وَدُخُولُهَا بِسَلامِ

إلى أن يقول:

فَارَقْتُ مَا قَدْ كُنْتُ فِيهِ كَأَنَّهُ
طَيْفٌ رَأَتْهُ العَيْنُ فِي الأحْلاَمِ
فَعَسَى أرَي وَجْهَ الرِّضَا فَلَطَالَمَا
أمِّلْتُ رُؤْيَتَهُ مَعَ الأعْوَامِ

---

[2] نفح الطيب، ج: 3، ص: 238.

ـ ثم أبو **يحيى عتبة بن محمد بن عتبة الوادي آشي الجراوي** (ت: سنة 635هـ/1237م)؛ فقيه، وعالم بالنحو، والأدب؛ ولاه محمد بن هود خطة قاضي الجماعة بالأندلس.

***

ـ ***مواطنهم:*** مواطن جراوة الأولى كانت **بإفريقية**، **والمغرب الأوسط**؛ ثم نزحوا إلى **المغرب الأقصى**؛ وهم ـ حتى عهد ابن خلدون ـ يقيمون بتلك الديار، ويندرجون ضمن قبيلة **يطوفت**، وغيرها من أحياء **غمارة**.

....

ـ ***بنو يفرن:***

وهم أبناء **يفرن بن يصلتين**. وجدهم الأكبر هو **زانا بن يحيى**. وإخوانهم هم: مغراوة، وبنو يرنيان، وبنو واسين. وأهم الأحياء المتفرعة عنهم: **بنو واركوا**، **ومرنجيصة**. وكان بنو يفرن ـ في بداية الفتح الإسلامي ـ ضمن القبائل الأمازيغية المتحالفة مع جرواة؛

بهدف مقاومة المسلمين. وبعد هزيمة ذلك الحلف، ومقتل الكاهنة، وافتراق شمل القبائل في أقطار المغرب، تعرض بنو يفرن للمصير نفسه. ولكنهم سرعان ما ظهروا للمرة الثانية؛ ضمن أحلاف أمازيغية جديدة؛ قامت بالثورة ضد ولاة بني أمية، وبني العباس؛ بقيادة ميسرة المطغري، وخالد بن حميد الزناتي، **وأبي قرة اليفرني.** كما ظهروا أيضا ضمن أحلاف قبلية أخرى؛ ثارت على الدولة الفاطمية؛ **بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني؛** وهو من **بني واركو.** وقد بلغ تأثير هذه الثورة في الدولة الفاطمية؛ درجة كادت بسببها أن تسقطها نهائيا؛ لولا بعض التصرفات السلبية؛ التي تسببت في تفرق جل القبائل عن أبي يزيد.

ومع هذا فقد استطاعت قبيلة بني يفرن أن تصل برؤسائها إلى **مرتبة الملك؛** حيث أقامت دولا عديدة؛ في المغربين: الأوسط، والأقصى؛ وفي الأندلس؛ زمن الطوائف؛ وهذه الإمارات هي: **إمارة أبي قرة اليفرني؛** وهي في الحقيقة إمارة بدوية؛ قامت في شكل حلف قبلي. ثم إمارة **يعلى بن محمد بن صالح اليفرني بافكان.** ثم **إمارة بني يعلى بن محمد اليفرني بسلا؛**

من المغرب الأقصى. ثم **إمارة أبي نور بن أبي قرة اليفرني برندة**؛ من إقليم **تاكرُنّا بالأندلس**. أضف إلى ذلك.. الكتلة القبلية التي **ترأسها أبو يزيد**؛ والتي يمكن اعتبارها إمارة حرب؛ تجمع بعض الأحلاف القبلية الزناتية؛ وهي ــ في الحقيقة ــ تتشابه مع التجمع القبلي الذي قاده أبو قرة اليفرني. وما يستحق الملاحظة ــ هنا ــ هو تمكن تلك الإمارات من الصمود ــ لبعض الوقت ــ أمام تكالب الدول القوية؛ في المنطقة؛ إذ كانت تستميت؛ طمعا في البقاء، والاستقلال؛ ولكن تعذر عليها الاستمرار في صمودها طويلا؛ نظرا لتضارب المصالح بين القبائل، والبطون الزناتية؛ إذ لم تتمكن أية عصبية؛ من احتواء العصبيات الصغرى الأخرى. ومع مرور الزمن؛ مال حال بني يفرن إلى الضعف، والتفكك؛ بعد العز، والسلطان؛ فتفرقت أحياؤهم عبر بلاد المغرب، والأندلس[1].

---

[1] أنظر ابن خلدون؛ العبر، مج: 7، ص ص: 22 ــ 50.

وقد عرف ابن خلدون حياً من أحيائهم بإفريقية؛ ما بين القيروان، وتونس؛ من بقايا قبيلة **مرنجيصة**؛ بعد أن **وهنت عصبيتهم**، وضاع عزهم؛ فأضحوا في عداد القبائل الغارمة. ويقول عنهم أنهم كانوا ظواعن في تلك الجهات؛ ينتجعون الكلأ، ويرعون الشاء، والبقر؛ كما يتعاطون الفلاحة؛ في بعض الحالات. وكانت الدولة الموحدية قد ألزمتهم بدفع المغارم، وتقديم حصة من المقاتلين للدولة؛ عند الحاجة. وفي زمن ابن خلدون؛ تسلط عليهم حي من بني سليم؛ يسمى الكعوب؛ كانت الدولة الحفصية قد استنجدت بهم؛ لصد قبيلة الدواودة؛ من أحياء رياح؛ فأقطعتهم المنطقة ما بين قابس، وباجة. فأضحت مرنجيصة ــ بذلك ــ ضمن إقطاعاتهم؛ فألزموها بدفع الخراج، والمغارم إليهم؛ دون الدولة؛ بل فرضوا على هذا الحي تقديم حصة من المقاتلين؛ عند الحاجة؛ لتكون معهم في حروبهم.

! ! !

ـ **أعيانهم:** من علماء بني يفرن المعدودين:

ـ **أبو عبد الله محمد بن المَعِزِ اليفرني المايورقي** (ت: سنة 607هـ/1210م)؛ مقرئ، ومحدث؛ ولي خطة الشورى، والقضاء بميورقة.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى اليفرني** (ت: سنة 701هـ/1301م)؛ وهو من الفقهاء.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني** الشهير بالمكناسي وبالطنجي (ت: سنة 734هـ)؛ فقيه؛ من الأعلام اليفرنيين الذين ارتبط اسمهم بمدينة مكناسة؛ كان إماما في علمي: الفرائض، والحساب في زمنه.

ـ ثم **أحمد بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني** (توفي بفاس سنة 753هـ/1352م)؛ فقيه. وهو أخو أبي الحسن الطنجي؛ واشتهر بالمكناسي؛ بسبب إقامته بتلك المدينة لبعض الوقت.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليفرني** الشهير بالمكناسي (ت: سنة 818هـ/1415م)؛ وهو من الضالعين في العلوم الفقهية، وعلم الفرائض.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد اليفرني** الشهير بالمكناسي (توفي بفاس سنة 856هـ/1452م)؛ فقيه؛ ومن علماء: الحساب، والفرائض.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله اليفرني**؛ الشهير بالمكناسي أيضا (توفي بفاس سنة 917هـ/1511م)؛ فقيه؛ ولي القضاء بفاس لمدة تعدت الثلاثين سنة؛ وهو من ذرية أبي الحسن الطنجي؛ له مؤلفات منها: مجالس القضاة والحكام، والتنبيه والإعلام فيما أفتاه به المفتون وحكم به القضاة من الأحكام.

ooo

أما أعيان بني يفرن وأمرائهم، ورجال السياسة فيهم؛ فهم:

ـ **أبو قرة اليفرني** (كان حيا سنة 148هـ/765م)؛ وهو من قادة الصفرية الثائرين على ولاة القيروان.

ـ ثم **أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني** (ت: سنة 335هـ/946م)؛ الإباضي، النكاري، الثائر على الفاطميين؛ فإلى جانب اشتغاله بأمور السياسة، والحكم؛ فهو ـ أيضا ـ من علماء المذهب الإباضي؛ ولكنه نكاري الإتجاه.

ـ ثم **محمد بن صالح اليفرني** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو أبو السلاطين من بني يفرن؛ وإن كان شأنه قبلهم لا يتعدى حدود رئيس القبيلة.

ـ ثم **يعلى بن محمد بن صالح** (ت: سنة 347هـ/958م).

ـ ثم **يدوي بن يعلى بن محمد** (توفي بعد 383هـ/993م).

ـ ثم **حمامة بن زيري بن يعلى اليفرني** (توفي بعد 406هـ/1015م).

ـ ثم **أبو الكمال تميم بن زيري اليفرني** (ت: سنة 446هـ/1054م).

ـ ثم **أبو نور هلال بن أبي قرة بن دوناس اليفرني** (ت: سنة 450هـ/1058م). وهو الذي استبد بمنطقة تاكرُنّا؛ بالأندلس؛ حيث شيد فيها إمارة استقل بها ـ أيام حكم الطوائف ـ واتخذ من رندة حاضرة لإمارته.

ـ ثم ولده **أبو نصر فتوح بن هلال** (ت: سنة 457هـ/1064م)؛ وبموته انتهت دولتهم برندة؛ وسقطت في أيدي ابن عباد.

***

ـ ***مواطنهم:*** كانت مواطن **بني يفرن** ـ في البداية ـ **بإفريقية، وجبال أوراس، وجهات تلمسان، وتيهرت.** ثم انتقل جمهورهم إلى **المغرب الأقصى**؛ حيث أقاموا **دولة في فاس، وسلا.**

....

ـ ***مغرواة:***

وهم أبناء **مغراو بن يصلتين.** وجدهم الأكبر هو **زانا بن يحيى.** وهم اخوة بني يفرن، وبني يرنيان، وبني واسين. ومن أهم بطون مغراوة: **لقواط** أو (لغواط)، **وريغة، وبنو سنجاس، وبنو ورا.** ويقال أن أميرهم ـ أثناء الفتح ـ كان يسمى **صولات بن وزمار**؛ ذهب إلى المدينة المنورة؛ إما موفدا، وإما أسيرا؛ فقابل عثمان رضي الله عنه؛ فأكرمه؛ بعد إسلامه، وعقد له على قومه. فأصبح صولات؛ هو وقومه مغراوة ـ منذئذ ـ من موالي عثمان، وبني أمية. وبعد قيام الدولة الإدريسية انحازت إليها مغراوة، وسلمت إليها قيادة الأمور في تلمسان. واكتفى أمراؤها بمرتبة الرئاسة على قومهم عبر الأرياف، والبوادي.

ولما تطلع حكام الأندلس؛ من بني أمية؛ إلى بلاد المغرب؛ نقل المغراويون ولاءهم إليهم. نظرا لظهور الدولة الفاطمية؛ التي تهددهم جميعا، وتبعا لهرم الدولة الإدريسية؛ العاجزة عن حماية كيانها، وردع أعدائها. هذا.. وقد عرفت مغراوة فتنا عديدة، وصراعات شديدة؛ بينها وبين الدول المتواجدة ــ آنئذ ــ بالمغرب الإسلامي مثل: الدولة الفاطمية، والدولة الصنهاجية؛ بشقيها: (الزيرية، والحمادية). هذا.. بالإضافة إلى الحروب الطاحنة؛ بينهم وبين اخوتهم من بنى يفرن؛ وذلك بسبب أنهم ــ جميعا ــ يسعون إلى إقامة دولة؛ تخضع إليها **العصبيات الزناتية** كلها. ولما كانت العصبيتان متكافئتين؛ فقد تعذر حسم الصراع لصالح أحدهما. ومع هذا فقد تمكن كل طرف من إنشاء بعض الإمارات، والدول في المغربين: الأقصى، والأوسط، ثم طرابلس؛ مثل: **إمارة محمد بن خزر** بتلمسان، **وإمارة آل زيري ابن عطية** بفاس، **وإمارة بني خزرون** بسجلماسة، **وإمارة بني خزرون** بطرابلس، **وإمارة بني يعلى** أولاد خزر بتلمسان، **وإمارة لقوط بن**

يوسف بن علي المغراوي بأغمات، **ثم إمارة بني منديل** بشلف ومازونة[1].

وبنو سنجاس منهم؛ وهم منتشرون في إفريقية، والمغربين: الأوسط، والأقصى؛ أين تركوا أثرا كبيرا؛ نتيجة لحروبهم المضنية ــ إلى جانب أبناء عمومتهم من زناتة ــ ضد صنهاجة؛ حيث اشتد عيثهم، وتضاعف فسادهم في المدن، والمسالك. وبقدوم بني هلال؛ ضعف أثرهم؛ وانسحب جمعهم إلى الحصون، والمعاقل؛ حيث أعطوا ــ صاغرين ــ المغارم إلى شيوخ القبائل الهلالية المتغلبة على تلك الجهات أحيانا، وإلى الدولة أحيانا أخرى.

أما **بنو ريغة** فيتفرعون إلى أحياء عديدة؛ توزعوا في الأقطار؛ بعد افتراق الأحلاف الزناتية: فمنهم من اختار سكنى القياطن؛ عند **جبل عياض**، وفي السهوب الممتدة إلى **نقاوس**؛ منصاعين، وخاضعين لإعطاء المغارم للدولة، أو للقبائل المتغلبة. ومنهم من اطمأن إلى بيوت الطين، والحجر؛ في **قصور الزاب، ووادي ريغ، وورگلا**؛ مستسلمين للدولة، وضرائبها. **أما لقواط** فهم كذلك فخذ من مغراوة. اشتهروا

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 50 ــ 101. 131 ــ 146.

بالإباء، والنجدة، والامتناع عن الدولة، والأعراب؛ في المناطق النائية. **وأما بنو ورا** فمتفرقون بين: **مراكش، والسوس، وقسنطينة، وشلف.** قابلين بإعطاء المغارم، والمقاتلين للدولة. وبعد أفول الدولة الموحدية؛ نهض حي من مغراوة في **جهات شلف**؛ وهم **بنو منديل**؛ أمراء تلك الجهات[1].

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** برز من مغراوة علماء، وأمراء، وقادة؛ كان لهم ذكر، وشهرة؛ منهم:

ـ **أبو علي منصور بن الخير بن يعقوب ابن يملا المالقي المغراوي** المعروف بالأحدب (توفي بمالقة سنة 526هـ/1131م)؛ وهو عالم بالقراءات؛ فاعتنى بها، وبرواياتها، وطرقها؛ وجمع فيها كتبا؛ لقنها لغيره.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن محمد التونسي المغراوي** (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ وهو ممن سمع منهم ابن الخطيب بالمدينة المنورة.

---

[1] أنظر العبر، مج: 7، ص ص: 131 ـ 146.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المغراوي** (ت: سنة 820هـ/1427م)؛ من أعلام الفقه المالكي، والأصول، والنحو. ويقال أنه كان يعارض عبد الرحمن ابن خلدون، ويفتي عليه؛ كما حدث بينه وبين البساطي جدال علمي تحول إلى مشاجرة، ومشاتمة.

ـ ثم **أحمد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني** الشهير بابن زاغو (ت: سنة 845هـ/1441م)؛ فقيه، وصوفي؛ له مؤلفات عديدة منها: تفسير الفاتحة، وشرح التلمسانية في الفرائض؛ وله أيضا فتاوى عديدة في مختلف العلوم والأغراض؛ سجل معظمها في معيار المازوني.

ـ ثم **واضح بن عثمان بن محمد بن عيسى بن فركون المغراوي** (ت: سنة 856هـ/1452م)؛ فقيه وقاضي، ومن أعلام الفقه، والبيان.

ـ ثم **أحمد بن القاضي البجائي المغراوي** (توفي قبل سنة 920هـ/1514م)؛ من الفقهاء العاملين بجبل زواوة.

ـ ثم **أبو عبد الله شقرون محمد بن أحمد ابن أبي جمعة** (ت: سنة 930هـ/1523م)؛ مقرئ،

وأستاذ، ومتكلم؛ وله بعض المؤلفات؛ منها: الجيش الكمين في الكر على من يكفر عوام المسلمين.

ـ ثم **محمد بن يحيى بن موسى المغراوي التلمساني الراشدي** دارا؛ فقيه. وصوفي؛ من أهل التفسير، والتوحيد؛ له شرح على أرجوزة أبي زيد عبد الرحمن السنوسي.

OOO

ومن أهم رؤساء مغراوة وأمرائها العاملين في شئون الحكم، والسياسة:

ـ **صولات بن وزمار** (من أعلام القرن الأول للهجرة)؛ وهو كبير مغراوة وأميرها خلال الفتح الإسلامي؛ كما سبق ذكره.

ـ ثم ابنه **حفص بن صولات بن وزمار** (من أعلام القرن الأول للهجرة).

ـ ثم **خزر بن حفص بن وزمار** (من أعلام القرن الأول للهجرة). أمير مغراوة؛ في عهده.

ـ ثم **محمد بن خزر بن حفص**. أمير مغراوة في وقته.

ـ ثم **خزرون بن فلفول بن خزر**(توفي بعد 366هـ/976م)؛ وهو مؤسس إمارة مغراوة بسجلماسة.

ـ ثم **سعيد بن خزرون بن فلفول** (ت: سنة 381هـ/991م)؛ وهو أمير طبنة؛ تحت طاعة السلطان المنصور ابن بلكين الصنهاجي.

ـ ثم **زيري بن عطية بن عبد الله بن خرز بن حفص المغراوي** (ت: سنة 391هـ/1000م)؛ عرف عهده اضطرابات عديدة، ووقائع بينه وبين مختلف القوى المتواجدة آنذاك ببلاد المغرب؛ كبني أمية، وبني حماد، وبني يفرن.

ـ ثم ولده **فلفول بن سعيد بن خزرون** (ت: سنة 400هـ/1009م)؛ كان أميرا على طبنة؛ ثم نشبت بينه وبين بني زيري الصنهاجيين فتن، وخلافات؛ انجر عنها احتلاله لطرابلس؛ أين أقام فيها إمارة للمغراويين.

ـ ثم **المعز بن زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر المغراوي** (ت: سنة 417هـ/1026م)؛ كان في البداية منضويا إلى بني أمية؛ ولما اضطرب حالهم؛ مال إلى الاستبداد، وعدم الرجوع إليهم.

ـ ثم **أبو العطاف حمامة بن المعز بن زيري ابن عطية** (ت: سنة 433هـ/1041م)؛ يعتبر من أجَلِّ أمراء مغراوة؛ علما، وسلطانا؛ كان محبا للأدب، ومشجعا للشعراء؛ الذين يتسابقون إلى بلاطه ببلاد المغرب؛ وافدين إليه من الأندلس.

ـ ثم **دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي** (ت: سنة 452هـ/1060م)؛ تولى إمارة فاس بعد وفاة أبيه؛ وعرف عهده هدوءا، ورخاء؛ نمت، وعظمت فاس بسببهما؛ وأضحت قبلة للتجار، وأصحاب الصنائع؛ كما تضاعف عمرانها؛ ببناء أسوار المدينة، وتشييد المساجد، والفنادق، والحمامات، ومختلف المنشآت، والمرافق.

ـ ثم **الفتوح بن دوناس بن حمامة بن المعز ابن عطية المغراوي** (ت: سنة 457هـ/1064م)؛ في عهده سقطت دولة مغراوة بفاس؛ بواسطة جيوش المرابطين؛ وإليه ينتسب باب الفتوح الموجود الآن بفاس.

ـ ثم **منديل بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الصمد الخزري المغراوي** (ت: سنة 623هـ/1226م). صاحب إمارة مغراوة بشلف.

***

ــ ***مواطنهــم:*** تمتــد مواطــن مغــراوة ضمــن بــلاد المغــرب الأوســط؛ **مــن تلمســان إلى شلــف، وحــتى جبــال مديونــة.** ثــم هيمنــوا ــ بعــد ذلــك ــ عــلى المغــرب الأوســط كلــه تقريبــا، **وبعــض الأقطــار مــن المغــرب الأقــصى.** وبعــد أن أخرجهــم الصنهاجيــون مــن المغــرب الأوســط. عــادوا إلى الظهــور فيــه؛ أواخــر الدولــة الموحديــة؛ عبــر مناطــق **شلــف، ومتيجــة**، وبعــض المناطــق الداخليــة. وحــدد ابــن خلــدون بعــض مواطــن بطونهــم المعروفــة بقولــه: ((**فأمــا بنــو سنجــاس فلهــم مواطــن في كــل عمــل مــن إفريقيــة، والمغربيــن؛ فمنهــم قبلــة المغــرب الأوســط؛ بجبــل راشــد، وجبــل كريكــرة؛ بعمــل الــزاب، وبعمــل شلــف...[و] بعمــل قسنطينــة... ومــن بــني سنجــاس مــن نــزل بالــزاب...[و] بــأرض المشنتــل؛ مــا بيــن الــزاب، وجبــل راشــد؛ أوطنــوا جبالــه... أمــا بنــو ريغــة فكانــوا أحياء متعــددة. ولمــا افتــرق أمــر زناتــة؛ تحيــز منهــم إلى جبــل عيــاض، ومــا إليــه مــن البسيــط إلى نقــاوس؛ وأقامــوا في قياطينهــم... ونــزل أيضــا الكثيــر منهــم مــا بيــن قصــور الــزاب ووركــلا؛ فاختطــوا قــرى كثيــرة؛ في عــدوة وادٍ ينحــدر مــن الغــرب إلى الشــرق،**

ويشتمل على المصر الكبير، والقرية المتوسطة، والأطم؛ قد رف عليها الشجر، ونضدت حفافيفها النخيل، وانساحت خلالها المياه، وزهت بنابعها الصحراء، وكثر في قصورها العمران؛ من ريغة هؤلاء. وبهم تعرف لهذا العهد...وأكبر هذه الأمصار تسمى تقرت... ثم بعد مدينة تقرت بلد تماسين...وأما لقواط وهم فخذ من مغراوة أيضا؛ فهم في نواحي الصحراء؛ ما بين الزاب وجبل راشد[1]. ولهم هناك قصر مشهور بهم؛ فيه فريق من أعقابهم؛ على سغب من العيش؛ لتوغله في القفر... وبينهم وبين الدوسن؛ أقصى عمل الزاب مرحلتان؛ وتختلف قصودهم إليه؛ لتحصيل المرافق منه...وأما بنو ورا فهم فخذ من مغراوة أيضا...وهم متشعبون، ومفترقون بنواحي المغرب: فمنهم بناحية مراكش والسوس، ومنهم ببلاد شلف، ومنهم بناحية قسنطينة...))[1].

....

[1] جبل عمور حالياً.

[1] المصدر السابق، ص ص: 96 ـــ 100.

ـ *بنو يرنيـــان:*

وهـــم **بنـــو يرنيـــان بـــن يصلتيـــن**. جدهـــم الأكبـــر هـــو **زانـــا بـــن يحـــيى**. ومـــن اخوتهـــم: بنـــو يفـــرن، ومغـــراوة. عرفنـــا مـــن بطونهـــم ـ حـــتى الآن ـ **بـــني وطـــاط**. وكـــان بنـــو يرنيـــان مـــن أشـــد القبائـــل شكيمـــة، وأخلصهـــم جهـــادا؛ حيـــث أمـــدوا الدولـــة الأمويـــة بالأندلـــس بأقـــوى الجنـــود، وأفحـــل المجاهديـــن. ولمـــا حدثـــت الفتنـــة الـــتي أجهـــزت عـــلى الدولـــة الأمويـــة؛ **ثـــار بنـــو خـــزرون**؛ الذيـــن ينسبهـــم بعـــض المؤرخيـــن إلى بـــني يرنيـــان؛ **بقلشانـــة** سنـــة 402هـــ/1011م؛ فتمكنـــوا بعدهـــا مـــن التغلـــب على **أركـــش**؛ وأعلنـــوا دولتهـــم بهـــا. غيـــر أنـــي أشـــك في انتمـــاء بـــني خـــزرون هـــؤلاء إلى بـــني يرنيـــان؛ وأعتقـــد أنهـــم مـــن مغـــراوة، وينحـــدرون عـــن الجـــد المدعـــو **عبـــدون بـــن الخيـــر بـــن محمـــد بـــن خـــزر المغـــراوي**؛ القـــادم إلى الأندلـــس مـــع جعفـــر بـــن عـــلي؛ في جملـــة زعمـــاء الأمازيـــغ[1].

---

[1] ابـــن حيـــان؛ المقتبـــس، القطعـــة المحققـــة مـــن طـــرف حـــجي، ص ص: 39 ـــ 40. العبـــر، مج: 4، ص ص: 324. 339.

ويبدو أن الالتباس حدث بسبب كونهم من حلفاء مغراوة؛ ــ كما ذكر ابن خلدون ــ ولما كانت أعداد بني يرنيان متغلبة؛ على غيرهم من حماة إمارة بني خزرون؛ فأن بعض الناس ظنوا أن أمرائهم هم بدورهم من بني يرنيان؛ مع أنهم ــ كما يبدو لي ــ من مغراوة؛ حلفاء بني يرنيان آنذاك. وقبولهم بحكمهم؛ يرجع إلى أنهم كانوا يصنفون ضمن **أهل النصاب الملكي**؛ لما كانوا عليه أيام بني أمية. ومما يعزز هذا الرأي أن ابن خلدون لم يشر كما هي عادته ــ عند حديثه عن بني يرنيان إلى إمارتهم بالأندلس؛ بينما نراه يشير إلى إمارات أخرى لبني يفرن، وبني دمر، وبني برزال..ألخ وعلى الرغم من شكي؛ فسأضعهم مع بني يرنيان حتى يأتي اليقين بخلاف هذا.

أما في بلاد المغرب؛ فكان **بنو يرنيان** أتباعا، وأعوانا لإخوانهم مغراوة أيام الملك. وفي العهود الأخيرة تحالفوا مع بني مرين، وجاوروهم بالقفر؛ خلال عهدي: المرابطين، والموحدين؛ وكانوا سندا قويا لهم عند إسقاط الدولة الموحدية. وعليه.. فقد أشركهم بنو مرين في مناصب الدولة؛ حيث أسندوا إلى بعض

بيوتهم مرتبة الوزارة، كما عُين آخرون على رأس المقاطعات، والعمالات[2].

! ! !

ــ *أعيانهم:* نبدأ بمن نسب إليهم في الأندلس؛ علما بأني سأبقى متحفظا ــ كما سبق أن أشرت ــ وعليه.. يمكن أن يكون منهم:

ــ **أبو عبد الله محمد بن خزرون بن عبدون الخزري** (توفي حوالي عام 420هـ/1029م)؛ قال عنه ابن عذاري: **((ثم غلب على أركش؛ وهي أعظم معاقل الأندلس؛ فملكها، وأقام ملكها، ضابطا لها، مثمرا لأموالها؛ وكان فتاكا، هتاكا، قتالا، سفاكا))**[1].

ــ ثم **عبدون بن محمد بن خزرون** (توفي حوالي عام 445هـ/1053م)؛ خلف والده على إمارة أركش؛ وضم إليها ما جاورها من البلاد؛ كقلشانة، وشريش؛ وفي عام 445هـ غدر به ابن عباد؛ حين دعاه مع محمد بن نوح

---

[2] العبر، مج: 7، ص ص: 101 ــ 103.

[1] البيان المغرب، ج: 3، ص: 294.

إلى زيارته بإشبيلية؛ ولما قدما إليه؛ قبض عليهما، وقتلهما في سجنهما.

ـ ثم **محمد بن محمد بن خزرون** (ت: سنة 461هـ/1068م)؛ تولى حكم أركش بعد موت أخيه عبدون؛ حيث سارع إلى تحصين بلاده؛ تحسبا لصد هجمات ابن عباد؛ ولكن هذا الأخير طاوله، واستنزف قواه؛ حتى سقطت أركش في يده. وقتل محمد بن خزرون في المعركة؛ بعد أن أمر بقتل زوجته؛ ذات الجمال الرائع، وأخته؛ لكي لا تقعا في أسر أعدائه.

ooo

وأهم رؤساء، وزعماء بني يرنيان في ظل الدولة المرينية:

ـ **إبراهيم بن عيسى بن ماخوخ اليرنياني** (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ ولي خطة الوزارة لعدد من سلاطين بني مرين؛ بدءا بعامر بن عبد الله بن يوسف، فسليمان بن عبد الله، فعثمان بن يعقوب.

ـ ثم ابنه **مسعود بن إبراهيم بن عيسى** (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ ولاه السلطان أبو الحسن على أعمال السوس سنة

730هـ/1329م، واستخلفه ـ بعدها ـ بأخيه حسون؛ أما مسعود فولاه على بلاد الجريد؛ لما فتحها سنة 748هـ/1347م .

ـ ثم **حسون بن إبراهيم** (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ ولي أعمال السوس هو الآخر بعد أخيه مسعود.

ـ ثم **موسى بن إبراهيم بن عيسى** (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ تقلد خطة الوزارة؛ لدى أبي الحسن علي بن عثمان؛ كما أسند إليه أبو عنان مهام جليلة؛ منها ولاية أعمال سدويكش الكتاميين بجهات قسنطينة.

ـ ثم **محمد السبيع بن موسى بن إبراهيم** (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ وهو الذي رشحه أبو عنان للوزارة، كما أسندها ـ أيضا ـ إليه السلطان عبد الحليم بن أبي علي (المعروف بحلي).

***

ـ مواطنهم: ومواطن **بني يرنيان** الأصلية تمتد بين **سجلماسة، وكرسيف**، على ضفاف ملوية؛ حيث كانوا مجاورين لمكانسة. وفي عهد المرابطين، والموحدين من بعدهم؛ نزح الظواعن من بني يرنيان إلى القفر؛ وبقي العاجزون عن

الظعن منهم: كبني وطاط، وغيرهم؛ حيث خضعوا للدولة، وانصاعوا لفروض الطاعة، والتزموا بدفع المغارم، والجبايات. ولما استولى المرينيون على سدة الحكم في المغرب الأقصى اقطعوا بني يرنيان **البلد الطيب، في أطراف سلا، والمعمورة**؛ بالإضافة إلى مواطنهم الأصلية؛ على ضفاف ملوية. ويقول عبد الرحمن بن خلدون عن بني يرنيان؛ بأنهم كانوا ــ في زمنه ــ متواجدين بالجبال المشرفة على وادي ملوية؛ من ناحية الجنوب؛ إذ كانوا منتشرين في القصور الممتدة عبر تلك الجهات؛ **من ملوية إلى تازة، وفاس.**

....

ــ وجديجن:

وهم من **أولاد ورتنيص.** وجدهم هو **زانا ابن يحيى.** واخوتهم هم بنو واغمرت. كانت أعدادهم زاخرة، وقوتهم وافرة. ومن أشهر رؤسائهم الشيخ عنان. (عاش في عهد يعلى ابن محمد اليفرني؛ أمير بني يفرن؛ الذي توفي سنة 347هـ/958م). وحدثت لهذا الشيخ قصة طريفة؛ يمكن تصنيفها من بين النوادر التي

تفرزها **العصبية القبلية.** خلاصة القصة أن امرأة من وجديجن متزوجة في قبيلة لواتة؛ المجاورة لقبيلتها؛ فتخاصمت مع نساء من بيت زوجها؛ فعايرنها بالفقر؛ فكتبت لعنان؛ شيخ وجديجن تشكوه، وتحرضه. فغضب الشيخ[1] **((واستجاش بأهل عصبيته؛ من زناتة، وجيرانه. فزحف معه يعلى؛ في بني يفرن، وكلمام بن حياتي؛ في مغيلة، وعزانة في مطماطة. ودارت الحرب بينهم وبين لواتة مليا. ثم غلبوا لواتة في بلاد السرسو؛ وانهوا بهم إلى كدية العابد؛ من آخرها. وهلك عنان؛ شيخ وجديجن في بعض تلك الوقائع؛ بملاكو؛ من جهات السرسو. ثم لجأت لواتة إلى جبل كريكرة؛ قبلة السرسو)).** وهذه عينة من سخافات العصبية، وشطحاتها.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** فمن أهم علماء وجديجن، وأصحاب الفكر فيهم:

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 104.

ـ **محمد بن موسى الوجديجي التجيني** (كان حيا حوالي 930هـ/1523م)؛ وهو فقيه تلمسان ومفتيها؛ آنئذ.

ـ ثم **إبراهيم الوجديجي التلمساني** (من أعلام النصف الأول من القرن العاشر للهجرة). وهو فقيه؛ من أهل التصوف.

ـ ثم **محمد بن أحمد الوجديجي** (توفي حوالي 950هـ/1543م)؛ وهو أحد الشيوخ الصوفيين؛ وكان يعلم الصبيان.

ـ ثم **محمد بن محمد بن موسى الوجديجي** المعروف بالصغير (توفي بالوباء سنة 981هـ/1573م)؛ وهو فقيه، ومن العلماء المتفننين، والمحققين؛ وقد اختص بالإفتاء في تلمسان.

ـ ثم **محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي التجيني التلمساني** (توفي بفاس سنة 983هـ/1575م)؛ وهو فقيه؛ كان يكنى بمالك الصغير؛ لضلوعه في الفقه، والفروع؛ كما كانت له اهتمامات بالتفسير، والحساب، والفرائض، والبيان، والمنطق؛ اختص بالإفتاء في تلمسان؛ وبعدها تولى الإفتاء بمراكش.

ـ ثـم **محمـد بـن مـوسى الوجديـجي التجيـني**. فقيـه.

***

ـ **مواطنهـم:** كانـت مواطنهـم **بمنـداس**؛ إذ كانـوا مجاوريـن لبـني يفـرن مـن جهـة الغـرب، ولواتـة مـن جهـة الجنـوب في السرسـو، ومطماطـة من جهـة الشـرق بالونشريـس. ولمـا تغلبـوا عـلى لواتـة استولـوا عـلى أراضيهـم، وظلـوا هنـاك حـتى تغلبـت عليهـم أحيـاء بـني يلـومي، وبـني ومانـوا.

....

ـ ***واغمـرت:***

ويسمـون ـ أيضـا ـ **غمـرت**. وهـم **أبنـاء ورتنيـص**؛ مـن **أحفـاد زانـا**. وكـان هـذا الـحي مـن أوفـر الأحيـاء عـداد. وقـد انضمـوا إلى أبي يزيـد في ثورتـه؛ ضـد الفاطميـين. وبعـد فشلهـم جميعـا؛ تعرضـوا للتصفيـة؛ بالقتـل، والتشريـد مـن طـرف عاهـل الدولـة الفاطميـة إسماعيـل المنصـور، ثـم أكمـل مهمـة الإثخـان فيهـم؛ بلكيـن بـن زيـري أمـير صنهاجـة؛ فسـاءت أحوالهـم نتيجـة لذلـك؛ خاصـة عندمـا اكتملـت مصيبتهـم؛ باجتيـاح

ديارهم من طرف بني هلال؛ الذين أجبروهم على الاعتصام في الجبال الجنوبية من المسيلة؛ التي استوطنوها بعد أن تركوا الظعن، واستقروا في القرى، والمدن المتواجدة بتلك الجهات. فضعفت بذلك عصبيتهم، وانقادوا لغيرهم من القبائل الهلالية؛ مثل الدواودة؛ الذين أقطعتهم الدولة الجبال التي تسكنها واغمرت؛ فأضحوا بذلك من القبائل الغارمة؛ التي تدفع مغارمها إلى قبيلة الدواودة[1].

! ! /

ــ ***أعيانهم:*** من أهم علماء وأعيان واغمرت أو غمرت:

ــ **أبو العباس الوليد بن بكر بن مخلد بن أبي زياد الغمْري السرقسطي** (ت: سنة 392هـ/1001م)؛ فقيه مالكي؛ كان قد تنقل في أقطار المغرب، والمشرق؛ دارسا، ومدرسا؛ وله كتاب بعنوان كتاب الوجازة في صحة القول بالإجازة؛ أشار فيه إلى من لقيهم من العلماء في رحلته.

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 105 ــ 106.

ومـــن مشاهيرهـــم؛ كاهـــن زناتـــة **مـــوسى بـــن صالـــح**؛ قـــال عنـــه ابـــن خلـــدون: **((مشهـــور عندهـــم حـــتى الآن، ويتناقلـــون بينهـــم كلماتـــه برطانتهـــم عـــلى طريقـــة الرجـــز؛ فيهـــا أخبـــار بالحدثـــان؛ فيمـــا يكـــون لهـــذا الجيـــل الزنـــاتي مـــن الملـــك، والدولـــة...وأفـــرط الخـــلاف بيـــن هـــذا الجيـــل الزنـــاتي؛ في التشيـــع لـــه، والحمـــل عليـــه: فمنهـــم مـــن يزعـــم أنـــه ولي، أو نـــبي؛ وآخـــرون يقولـــون كاهـــن))**[1].

***

ـــ ***مواطنهـــم:*** كانـــت مواطنهـــم في بدايـــة الأمـــر جنـــوب بـــلاد صنهاجـــة؛ **مـــن المشنتـــل إلى الدوســـن.** غيـــر أن الأحـــداث الـــتي مـــروا بهـــا أجبرتهـــم عـــلى تـــرك تلـــك الديـــار لغيرهـــم، والاكتفـــاء **بالجبـــال الجنوبيـــة لمدينـــة المسيلـــة.**

....

1ـــ العبـــر، مج: 7، ص: 105.

ـ **بنو واركـــلا:**

وهــم مــن **أبنــاء نمالــة بــن فريــني بــن زانــا ابــن يحــيى.** ومــن إخوانهــم: منجصــة، ويزمرتــن. عددهــم ليــس كبيــرا. يعيــش معهــم في ديارهــم النائيــة؛ جماعــة مــن بــني زنــداك المغراويــن؛ الذيــن التجــأ إليهــم أبــو يزيــد؛ قبــل ثورتــه. ورئيــس بــني واركــلا أيــام ابــن خلــدون مــن بيــت منهــم؛ وهــو **أبــو بكــر بــن مــوسى بــن سليمــان مــن بــني أبي غبــول.** وكــان يلقــب بالسلطــان.

! ! !

ـ **أعيانهــم:** مــن علمــاء بــني وركــلا أو (ورجــلا):

ـ **أبــو زكريــا يحــيى بــن عــلي الوركــلاني** (الورجــلاني) (ت: سنــة 471هــ/1078م)؛ وهــو مــن الفقهــاء، والمؤرخيــن؛ ألــف كتــاب سيــر الأئمــة وأخبارهــم؛ ويعتبــر هــذا الكتــاب أقــدم أثــر تاريــخي ـ معــروف حــتى الآن ـ للإباضييــن في المغــرب الإســلامي؛ وقــد ترجــم ملخــص لــه بالفرنسيــة.

ـ ثم **أبو صالح جنون بن يمريان الورجلاني** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ وهو أحد علماء الإباضية بورجلان.

***

ـ ***مواطنهم:*** تربض مواطنهم **جنوب الزاب.** ولهم مصر مستبحر بعمرانه؛ ويبعد عن بسكرة بثماني مراحل (400كلم تقريباً)؛ إلى الجنوب الغربي. كانوا قد بنوه قصورا متجاورة، وقريبة من بعضها؛ فالتصقت؛ وأضحت مصرا واحدا؛ عرف باسمهم. ويقول عنه ابن خلدون: **((وهذا البلد لهذا العهد باب ولوج السفر؛ من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان؛ يسلكها التجار الداخلون إليها بالبضائع. وسكانها لهذا العهد من أعقاب بني واركلا، وأعقاب إخوانهم من بني يفرن، ومغراوة، ويعرف رئيسهم باسم السلطان؛ شهرة غير نكيرة بينهم.))**[1] .

....

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 107.

ـ بنو دمر:

وهم أبناء **الغانا بن وريسك** أو (ورسيج)؛ لأن اسم دمر لقبه، وليس اسمه. وجدهم هو **زانا بن يحيى**. وبطون دمر كثيرة، وعديدة؛ منها: **بنو ورغمة** أو (ورجمة)، **وبنو ورنيد**؛ الذين تشعبت أفخاذهم أيضا؛ فعرف منهم: **بنو برزال، وبنو تفورت** أو (تقورت)، **وبنو ورتاتين، وبنو غرزول**. وقد أجاز منهم إلى بلاد الأندلس؛ بعض أعيانهم، وأبطالهم؛ فكان لهم ذكر، وصولة. وقد تمكن بنو دمر، واخوتهم بنو برزال من تشييد إمارتين صغيرتين بالأندلس؛ هما: **إمارة بني برزال بقرمونة**. ثم **إمارة بني نوح الدمَّري بمرور**Moron. وظل بنو دمر متمسكين بمذهبهم الخارجي؛ خلافا لإخوانهم بني برزال. وسقطت ـ في النهاية ـ هاتان الإمارتان بواسطة ابن عباد؛ صاحب اشبيليا؛ بعد أحداث، وخطوب.

وكانت **لبني برزال بن ورنيد** ـ في بلاد المغرب ـ أحداث مذكورة، وأعداد موفورة. كما كانت لهم مواقف معلنة، وانحياز ظاهر إلى صف أبي يزيد؛ إذ انتقل إليهم؛ فأجاروه، وناصروه، وحموه. ولما مات عادوا إلى طاعة

الدولة الفاطمية؛ في موالاة أمير المسيلة، والزاب؛ جعفر بن علي بن حمدون. فكانوا له أتباعا، وأنصارا. ولما انشق عن دولة الفاطميين؛ ناصروه، ثم أجازوا معه إلى بلاد الأندلس؛ أين استقروا جميعا. وهناك ازداد نفوذهم، ونمت ثرواتهم، وتعددت مناصبهم في الدولة الأموية. وبعد سقوطها؛ سارعوا إلى الاستبداد بإمارتهم في **قرمونة**. ويبدو أن الأمر قد اختلط على محمد عنان؛ حين نسب بني برزال إلى بني يفرن؛ بينما هم ــ في الحقيقة ــ من بني ورنيد بن دمر بن ورسيك[2].

! ! !

ــ ***أعيانهم:*** من أشهر أعيان، وعلماء بني دمر؛ على اختلاف بطونهم:

ــ **يحيى بن موسى بن عبد الله البِرْزالي الغرناطي** (ت: سنة 541هـ/1146م)؛ وهو فقيه، وإمام بقرطبة.

ــ ثم **أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يدُّاس البرزاليّ الإشبيلي** (توفي

[2] ابن عذاري؛ البيان المغرب، ج: 3، ص ص: 270 ــ 273. 275. ابن خلدون؛ العبر، مج: 7، ص ص: 108 ــ 111.

بدمشق سنة 636هـ/1238م)؛ عالم، بالحديث؛ ثقة؛ قال فيه ابن الأبار: ((**في شيوخه كثرة، وفي روايته سعة، وكان حسن الخط، جيد الضبط، صحيح العقيدة، معروفا بالحفظ؛ جمع من الحديث شيئا كثيرا...**))[1].

ـ ثم **علَمُ الدين أبو محمد القاسم بن محمد ابن يوسف البرزالي الإشبيلي** (ت: سنة 739هـ/1338م)؛ وهو فقيه، ومحدث، وراوية، ومؤرخ؛ من مؤلفاته: كتاب التاريخ؛ وهو صلة لتاريخ أبي شامة؛ وصل به إلى أحداث 738هـ/1337م، وكتابان ـ أحدهما مطول، والآخر مختصر ـ جمع فيهما أسماء، وتراجم الذين أجازوه من العلماء؛ وقد وصل عددهم حوالي ثلاثة آلاف، ثم كتاب الوفيات، وكتاب الشروط، وكتاب ثلاثيات من مسند أحمد، وكتاب مختصر المائة السابعة، وكتاب العوالي المسندة، ومجاميع وتعاليق عديدة؛.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي** (ت: سنة 803هـ/1400م)؛ وهو من أكبر علماء تونس في عصره؛ ولي إمامة الجامع الأعظم، ثم أسندت إليه فيه خطة الخطابة،

---

[1] التكملة، ج: 2، ص: 643.

ثم الإفتاء بعدهما؛ من مؤلفاته: المختصر الكبير؛ في الفقه المالكي، والمختصر الشامل؛ في التوحيد، ومختصر الفرائض، والمبسوط؛ في الفقه؛ جزأه إلى سبعة مجلدات، والطرق الواضحة في عمل المناصحة، والحدود؛ في التعاريف الفقهية.

ـ ثم **أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن العتل البرزالي القيرواني** (ت: سنة 844هـ/1440م)؛ فقيه تونس ومفتيها؛ كان ينعت بشيخ الإسلام؛ وهو صاحب الديوان الكبير في الفقه والفتاوى، وكتاب جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام؛ وهو في مجلدين اثنين .

ـ ثم **أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان ابن يعقوب بن سعيد بن عبد الله المناوي الورنيدي** المعروف بابن الحاج (توفي حوالي 930هـ/1523م)؛ كان متمكنا من علوم، وفنون شتى كـ: الأصول، والمنطق، والعربية، والبلاغة، والحساب، والعروض؛ كما كان ينظم الشعر الصوفي. وكان يتراسل مع ابن غازي بالألغاز المنظومة؛ من ذلك ما بعثه إليه ابن غازي؛ طالبا حله:

وَمَيِّت قبْــر طَعْمِــه عِنْــد رَأسِــه
إذَا ذَاقَ مِــنْ ذَاكَ الطَّعَــامِ تَكَلمَــا
يَقُــومُ فَيَمْــشي صَامِتــاً مُتكَلِّمَــا
وَيَأوِي إلى القَبْــرِ الذي مِنــْهُ قُوِّمَــا
فَــلا هُــوَ حَيٌّ يَسْتَحِــقُّ زِيَــارَة
وَلا هُــوَ مَيْــت يَسْتَحِــقُّ تَرَحُّمَــا

فأجابــه أحمــد الورنيــدي (ابــن الحــاج):
بِحَمْدِ اللَّــهِ ابْتَــدِي ثُمَّ بَعْــدَهُ
أصَــليِّ عَلىَ خَيْــرِ الأنَــامِ مُسَلِّمــاً
هُوَ القَلَمُ القَبْــرُ الدَّوَاة وَطَعْمُــهُ
مِــدَادٌ كَلامُــهُ الكِتَابَــة فَافْهَمَــا
وَكَاتِبُ هَذا أحْمَدُ بْنَ مُحَمَّــدٍ
عَفَــا اللــّهُ عَنْهُ كلَّ مَا كَانَ أجْرَمَــا

ولــه قصيــدة في مــدح الرســول صــلى اللــه عليــه وسلــم؛ يقــول فيهــا:
سَــلامٌ عَلى سُكَانِ طَيْبَة وَالحِــمَى
فَهُمْ أسْلَمُــوا قَلــْبِي سَلِيماً مُسَلّمَــا
نَــأتْ دَارُهُمْ عَنِّي فَظَلْتُ لبَيْنهِــمْ
كَئِيبــاً قَرِيحَ القَلــْبِ صَبــًّا مُتَيَّمَــا

إلى آخرها؛ حيث يقول:

فَلمَّا عَدِمْتُ القَبْرَ يَمَّمْتُ مَدْحَهُ
فَمَنْ لَمْ يَجدْ مَاءً طَهُوراً تَيَمَّمَا

وله أيضاً بعض المصنفات مثل: شرح السينية لابن باديس، وشرح البردة للبصيري؛ لم يكتمل.

ـ ثم **محمد بن سعيد الورنيدي** المدعو الحاج المناوي (توفي حوالي سنة 955هـ/1548م)؛ فقيه، ومفتي، وأستاذ؛ وملم بالقراءات.

ـ ثم **محمد بن عبو المناوي الورنيدي** (توفي بعد سنة 970هـ/1562م)؛ فقيه، ومدرس، ومحدث، وخطيب، ونحوي؛ متمكن من القراءات.

ـ ثم **حَدُّو بن الحاج بن سعيد المناوي الورنيدي** (ت: سنة 998هـ/1589م)؛ فقيه، وأستاذ، وناظم.

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن الحاج بن سعيد المناوي الورنيدي** المعروف بأمقران (ت: سنة 1009هـ/1600م)؛ فقيه، وإمام، وخطيب.

ooo

ومن أمراء، وأعيان بني برزال المشتغلين في شئون الحكم، والسياسة، والجيش:

ـ الحاجب **أبو عبد الله محمد بن عبد الله البرزالي الزناتي** (ت: سنة 434هـ/1042م). كان حاكما على قرمونة بالأندلس؛ قبل سقوط الدولة الأموية. ولما انحل شأن الدولة؛ استبد بإمارتها، واستقل بحكمها؛ سنة 404هـ.

ـ ثم **إسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالي.**

ـ ثم **المستظهر عزيز بن محمد بن عبد الله البرزالي** (ت: سنة 459هـ/1066م)؛ ثاني أمراء بني برزال بقرمونة بالأندلس؛ حكمها بعد وفاة أبيه؛ إلى أن تغلب عليه ابن عباد؛ كغيره من الأمراء الأمازيغ .

ـ ثم **أبو حرب مقاتل بن عطية البرزالي الغرناطي**؛ وهو من الفرسان الأبطال؛ شهير باسم الرُّيَّة؛ بسبب حمرة كانت في وجهه. ويعتبر من الأبطال المذكورين في الأندلس، وكان على رأس ثلاثمائة فارس من بني برزال؛ في خدمة بني زيري بالأندلس.

ـ ثم **وانزمار بن أبي بكر البرزالي**؛ وهو أحد الفرسان الأبطال؛ من الأمازيغ الذين كانوا في خدمة المنصور بن عامر. ذكره المقري؛ بقوله: **((تقدم إلى المنصور وانزمار...وقد جلس**

للعرض والتمييز؛ والميدان غاص بالناس؛ فقال له بكلام يضحك الثكلى: يا مولاي؛ مالي ولك؛ أسكني فإني في الفحص. فقال: وما ذاك يا وانزمار؟ وأين دارك الواسعة الأقطار؟ فقال: أخرجتني عنها نعمتك؛ أعطيتني من الضياع ما انصب علي منها من الأطعمة ما ملأ بيوتي، وأخرجني عنها؛ وأنا بربري مجوّع، حديث عهد بالبؤس؛ أتراني أبعد القمح عني؟ ليس ذاك من رأيي. فتطلّق المنصور، وقال: لله درك من فذ عَييٍّ؛ لعَيِّك في شكر النعمة أبلغ عندنا، وآخذ بقلوبنا من كلام كل أشدق متزيد، وبليغ متفنن؛ وأقبل المنصور على من حوله من أهل الأندلس فقال: يا أصحابنا؛ هكذا فَالْتُشْكر الأيادي، وتستدام النعم؛ لا ما أنتم عليه من الجَحْد اللازم، والتشكي المبرّح؛ وأمر له بأفضل المنازل الخالية))[1].

OOO

أما الأمراء، والأعيان المنتسبون إلى القبيلة الأم (دمر)؛ فهم:

---

[1] نفح الطيب، ج: 1، ص: 417.

ـ ثم **أبو تيزيري الدمري** (ت: سنة 403هـ/1012م)؛ وكان قد استولى ـ مع قومه ـ على **مورور**، وما حولها؛ أثناء الفتنة التي قضت على الدولة الأموية؛ ثم اتخذها قاعدة لإمارة بني دمر.

ـ ثم ولده **نوح بن تيزيري الدمري** (ت: سنة 433هـ/1041م).

ـ ثم **عز الدولة محمد بن نوح الدمري** (ت: سنة 449هـ/1057م)؛ اتصف بحسن السياسة؛ والسهر على أمن رعيته؛ حتى سقط في حبائل ابن عباد الذي غدر به؛ مع بقية الأمراء من الأمازيغ.

ـ ثم **عماد الدولة مناد بن محمد بن نوح الدمري** (ت: سنة 464هـ/1071م)؛ ضايقه ابن عباد ـ هو الآخر ـ وطاوله؛ حتى قبل بتسليم مرور إليه؛ والانتقال إلى إشبيليا في ضيافته؛ ولما ذهب إليها أحسن إليه، وقام به أفضل قيام، وبالغ في إكرامه.

***

ـ **مواطنهم:** تمتد مواطن **بني دمر** عبر إفريقية، والمغرب الأوسط؛ فمنهم أحياء **بجهات طرابلس**، وجبالها؛ ويعرفون **بوَرْغمة**؛ بينما

يتنقل الظواعن منهم؛ عبر **سهوب إفريقية**، **والمغرب الأوسط.** ومن بني ورنيد؛ منهم — أيضا — جماعة في **الجبل المشرف على تلمسان**؛ انتقلوا إليه من السهوب الجنوبية لتمسان؛ بسبب ضغوط بني راشد؛ الذين كانوا مزاحمين لهم في تلك البسائط. ومنهم — كذلك — من كان **بجبال سالات**؛ **بنواحي المسيلة**؛ وهم **أحياء من بني برزال.**

....

— بنو وامانوا:

ذكر ابن خلدون أنه لا يعرف تسلسل نسبهم؛ وإن كان يجعلهم من بين قبائل **زناتة**؛ تبعا لروايات النسابين. **وبنو وامانوا** هؤلاء كانوا حلفاء لإخوانهم، وجيرانهم بني يلومي؛ فتمكنت القبيلتان من التغلب على ربوع المغرب الأوسط. ولم يفُقْهم — من زناتة آنئذ — في **قوة العصبية**، وكثرة العدد؛ سوى بني يفرن، ومغراوة. وعندما أجبر بلكين بن زيري زناتة على النزوح إلى المغرب الأقصى؛ بقي بنو وامانوا، وإخوانهم بنو يلومي في مواطنهم؛ بسبب

تحالفهم مع صنهاجة، وانضمامهم إليها في حروبها.

وقد أصهر المنصور بن الناصر بن علناس الصنهاجي إلى بني وامانوا؛ في أخت شيخ القبيلة **ماخوخ**؛ فتعززت بذلك أواصر القربى بين الدولة، والقبيلة. ولكن دب الخلاف بين الطرفين؛ عندما ناصرت قبيلتا: بني وامانوا، وبني يلومي المرابطين؛ ضد الدولة الحمادية؛ وعندما فشل المنصور في عملياته العسكرية ضد القبيلتين العاصيتين؛ التجأ إلى أسلوب الانتقام من صهره؛ بطريقة غريبة؛ إذ لم يجد أمامه سوى زوجته الضعيفة؛ أخت ماخوخ؛ شيخ قبيلة وامانوا؛ فأطفأ غليله فيها، بقتلها؛ بدلا من أخيها العاق..!! ولما توفي المنصور، وخلفه العزيز، رجع بنو وامانوا إلى طاعة الدولة الحمادية، وأصهر إليهم العزيز كذلك؛ فتزوج ابنة ماخوخ. ولما هلك ماخوخ؛ خلفه أولاده في رئاسة قبيلة بني وامانوا؛ وهم: **تاشفين، وعلي، وأبو بكر.**

هـذا.. ولـم يـدم الحلـف بيـن بـني **وامانـوا**، **وبـني يلـومي** طويـلا؛ حيـث نشبـت بينهمـا الفتـن؛ الـتي انضمـت إليهـا أحيـاء أخـرى مـن زناتـة. وكـان بنـو وامانـوا متذبذبيـن في ولائهـم للدولـة. فهـم أحيانـا مـع بـني حمـاد، وأحينـا أخـرى مـع المرابطيـن، وأخـرى مـع الموحديـن. وقـد ينتهـزون أدنى فرصـة تسنـح لهـم؛ لـكي يتنكـروا لطـرف مـا، ويقدمـوا ولاءهـم لطـرف آخـر. ووصـل بهـم الحـال إلى الوقـوف مـع الموحديـن؛ في حمـلاتهـم القتاليـة؛ ضـد إخوانهـم، وحلفائهـم بـني يلـومي. ومـع مـرور الوقـت أخـذ الضعـف، والوهـن يـدب في القبيلتيـن؛ بسبـب الفتـن، والحـروب الـتي أكلـت خيارهـم؛ فأصبحـوا مغلوبيـن لقبيلـتي: توجيـن، وبـني عبـد الـواد[1].

***

ـ ***مواطنهـم:*** أمـا مواطـن **بـني وامانـوا** فـهي في المغـرب الأوسـط؛ **شـرق وادي مينـاس** (مينـا حاليـا) **بمنـداس؛ وحـتى أسافـل شلـف**. ويجاورهـم عـلى الضفـة الغربيـة؛ لـوادي مينـاس بنـو يلـومي.

---

[1] العبـر، مج: 7، ص ص: 114 ـــ 119.

وثمة بعض الأحياء من بني وامانوا تعرف **ببني يالدّاس**؛ وينتشرون في **القصور الجنوبية** التي **تسمى توات، وتيكوراريـن.** وهي عبارة عن حزام أخضر؛ ممتد من الغرب إلى الشرق؛ ويضم المئات من القصور، وآلاف البساتين؛ التي تزخر بأشجار النخيل، وكروم العنب، ومختلف الفواكه الأخرى. وأشهر قصورهم هي: **بودا، وتمنطيط، وتيميمون، وقليعة.** وتعتبر هذه القصور الصحراوية بمثابة محطات رئيسية؛ لقوافل التجار المتنقلين بين مالي، وأقطار المغرب. وعليه فقد ازداد نموها العمراني، وتضاعف ثراؤها، وازدهرت تجارتها.

وقد سجل ابن خلدون بعض الملاحظات؛ عن الطريقة التي يتبعها سكان تلك الجهات في استنباط المياه الجوفية. فقال: **((وفي هذه البلاد الصحراوية؛ إلى وراء العرق؛ غَريبَة في استنباط المياه الجارية؛ لا توجد في تلول المغرب. وذلك أن البئر تحفر عميقة، بعيدة المَهْوَى. وتطوَى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة؛ فتحت بالمعاول، والفؤوس إلى أن يرق جرمها. ثم تصعد الفعلة، ويقذفون عليها زبرة من الحديد؛ تكسر طبقها عن الماء؛ فينبعث**

صاعدا؛ فيفعم البئر، ثم يجرى على وجه الأرض واديا. ويزعمون أن الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شيء. وهذه الغريبة موجودة في قصور توات، وتيكورارين، ووركلا، وريغ. والعالم أبو العجائب))[1].

....

ـ بنو يلومي:

كل ما قيل عن بني ومانوا ينطبق على **بني يلومي**؛ لأن هاذين الحيين يجمعهما مصير واحد؛ نظرا لتلاحمهما، وتحالفهما؛ وذلك بالإضافة إلى النسب الواحد الذي جمعهما. ويرى بعضهم أن بني يلومي، وبني ورتاجن إخوان. وبما أن ورتاجن هو أبو قبيلة بني مرين؛ فقد أضحى بنو يلومي يشاركوهم مرين عصبيتهم. ولما ظهر المرابطون على مسرح الأحداث بالمغرب؛ برزت خلافات عميقة بين بني يلومي، وحلفائهم بني وامانوا؛ وازدادت عمقا عندما ظهر الموحدون أيضا؛ حيث وصل بهم

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 119.

الحـــال إلى الاقتتـــال. بسبـــب تحيـــز أحدهمـــا إلى أعـــداء الآخـــر.

ويبـــدو أن أحيـــاء زناتـــة كلهـــا انقسمـــت؛ نتيجـــة لظهـــور المرابطيـــن، والموحديـــن؛ بحيـــث اختـــار كـــل حليـــف حليفـــه الجديـــد. وقـــد تبايـــن ولاء قبيلـــتي: بـــني يلـــومي، وبـــني وامانـــوا للدولـــة؛ حيـــث انضـــم ــ في البدايـــة ــ **بنـــو وامانـــوا** إلى الموحديـــن؛ متخليـــن في ذلـــك عـــن أبنـــاء عمومتهـــم، وحلفائهـــم الطبيعييـــن بـــني يلـــومي.

أمـــا **بنـــو يلـــومي فظلـــوا عـــلى ولائهـــم للمرابطيـــن.** وهكـــذا.. تسببـــت تلـــك الفتـــن، والحـــروب ــ في عهـــد الدولـــة الموحديـــة خاصـــة ــ في إضعـــاف القبيلتيـــن؛ فاضمحـــل شأنهمـــا، وانقـــرض عزهمـــا، ووهنـــت شوكتهمـــا؛ فأصبحـــت القبيلتـــان ــ بذلـــك ــ أوزاعـــا بيـــن القبائـــل الزناتيـــة. والرئاســـة في بـــني يلـــومي يمكـــن حصرهـــا في **بيـــت أميـــر النـــاس**؛ مـــن خـــلال ولديـــه: **سيـــد النـــاس، وبـــدرج.**

***

ــ **مواطنهـــم:** تتواجـــد مواطـــن بـــني يلـــومي أيضـــا ــ بالمغـــرب الأوســـط؛ وهي في **الضفـــة الغربيـــة لـــوادي**

ميناس (مينا)؛ **بالجعبات**، **والبطحاء**، **وسيك**، **وسيرات**، **وجبل هوارة**، **وبني راشد**.

....

- بنو واسين:

وهم **أبناء واسين بن يصلتين**. وجدهم **زانا بن يحيى**. اشتهروا بفرعيهم: **بادين**، **وورتاجن**. فمن بادين تفرع: **بنو عبد الواد**، **وبنو توجين**، **وبنو زردال**، **وبنو مصاب**. أما ورتاجن فمنهم **بنو مرين**. أما **بنو راشد**؛ فأبوهم راشد **أخو بادين** من أبيهما محمد؛ لذا اندرجوا في بني عبد الواد. أما بنو زردال، وبنو مصاب فالتحقوا ببني عبد الواد. أما بنو توجين فتأتي أهميتهم في الدرجة الثانية بعد بني عبد الواد؛ نظرا لكثرة عددهم، وشدة بأسهم. وتقول المصادر التاريخية عن بني واسين؛ أنهم ساندوا أبا يزيد في ثورته على الفاطميين؛ إذ حاصروا توزر كما أمرهم. وربما انضم ــ منهم ــ بنو عبد الواد إلى عقبة بن نافع في ولايته الثانية، وأبلوا معه في الجهاد[1].

---

[1] أنظر العبر، مج: 7، ص ص: 120 ــ 131.

وأهـم بطـون بـني عبـد الـواد هـم: **بنـو طـاع اللـه، وبنـو كـمي، وبنـو مطهـر**. أمـا بطـون بـني مريـن فأهمهـم: **بنـو عسكـر، بنـو وطـاس، وبنـو يابـان**. أمـا بطـون بـني توجيـن فهـم: **بنـو مـدن، وبنـو رسوغيـن**؛ وتفرعـوا جميعـا إلى عـدد مـن الأفخـاذ؛ أشهرهـم: **بنـو منكـوش** المنتسبيـن إلى **بـني رسوغيـن، وبنـو يدلتـن، وبنـو يرناتـن** المنتسبيـن إلى بـني مـدن؛ وإلى يدلتـن ينتـمي **بنـو سلامـة**؛ أصحـاب **قلعـة تاوغـزوت** الشهيـرة؛ وهي الـتي لجـأ إليهـا ابـن خلـدون؛ أيـن شـرع في تأليـف كتابـه العبـر.

وكـان بنـو واسيـن ـ في عهودهـم الأولى ـ مغلوبيـن للطبقـة الأولى مـن زناتـة، وأن اعتـزوا ببداوتهـم؛ إذ كانـوا مـن أهـل الظعـن، وأصحـاب الخيـام؛ ومـن المنتجعيـن عبـر السهـوب، والسباسـب، في ربـوع المغـرب، وإفريقيـة؛ ما بيـن ملويـة، والـزاب. ولمـا أخـرج الصنهاجيـون أهـل الطبقـة الأولى مـن زناتـة عـن المغـرب الأوسـط؛ ظـل بنـو واسيـن في منتجعهـم؛ معتزيـن ببداوتهـم، ومنعتهـم عـن قهـر الدولـة؛ حـتى العهـد الموحـدي. ومـا أن دب الهـرم في الدولـة الموحديـة؛ حـتى شرعـوا في الاستبـداد، **والتطلـع إلى مراتـب الملـك**.

وهكذا.. فبنو واسين ـ أيام الطبقة الأولى من زناتة ـ كانوا معروفين بهذا الاسم. ولما تشعبت بطونهم، وتكاثرت، أفخاذهم؛ تفرعوا إلى أحياء منفصلة، ومتنافسة على الرئاسة؛ فظهر منهم في البداية فرعان؛ هما: **بنو بادين، وبنو ورتاجن**. وكانت **عصابة بني بادين** ـ في البداية ـ أقوى لاشتمالها على أربع بطون؛ هم: **بنو عبد الواد، وبنو توجين، وبنو زردال، وبنو مصاب**، بالإضافة إلى بطن آخر ينتمي إليهم؛ وهم **بنو راشد**؛ أخو بادين.

ومع مرور الزمن، وبعد وصول **بني عبد الواد** إلى مرتبة **الملك**، وانفرادهم بعزه، وشرفه؛ دون البطون الأخرى؛ عندها.. دب الخلاف بين أحياء بني بادين، **وانقسمت عصبيتهم** إلى عصبيات أصغر، وأضيق؛ فبرز ـ عندئذ ـ كل حي مستقلا بذاته. وهنا **قويت شوكة بني مرين**؛ بعد **انقسام عصبية بني بادين**. وحدث ـ من جراء الصراع، والتنافس المشتعل بين أحياء بني واسين ـ أن نشأت لهم دول، وإمارات بالمغربين: الأقصى، والأوسط. **كدولة بني عبد الواد، ودولة بني مرين، وإمارة بني توجين**. وقد اشتد الصراع، والاقتتال بين

هذه الدول؛ طوال سنوات وجودها؛ وذلك بغرض احتواء مجموع الإمارات؛ ضمن دولة واحدة؛ ولكن عامل الحسم العسكري كان مفقودا لديهم جميعا.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** لبني واسين عدد من الأعيان، والمشاهير تضيق بهم الصفحات؛ ذلك أنهم تمكنوا ـ بمختلف أحيائهم ـ من تشييد ممالك، وإمارات عديدة؛ أهلتهم لاحتلال مراكز مرموقة في المجتمعات المغربية كافة. وعليه سنكتفي بذكر أهم رجالاتهم على الإطلاق. نبدأ بذكر أصحاب القلم منهم؛ ثم ننتقل إلى أصحاب السيف، والسلطان. ونشرع في ذكر أعيان بني عبد الواد؛ لأنهم سبقوا الأحياء الأخرى في إقامة دولتهم؛ فمن أعيانهم:

ـ **أبو حمو موسى الثاني ابن عبد الرحمن ابن يحيى بن يغمراسن بن زيان** (ت: سنة 791هـ/1388م)؛ ويعتبر هذا السلطان من أبرز سلاطين، وأدباء بني عبد الواد؛ فهو ـ إلى جانب شدة عزمه، وقوة إرادته ـ أديب ملم بالشعر، والنثر معا. فمن مؤلفاته النثرية كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك، وله قصائد كثيرة؛ موزعة ضمن مصادر عديدة؛ جَمَعَ

عبد الحميد حاجيات أهمها في كتابه ((أبو حمو موسى الزياني؛ حياته، آثاره)). ومن شعره السياسي؛ قصيدة قالها عندما حان وقت انطلاقه إلى تلمسان؛ لاستعادة ملك آبائه:

حَانَ الفِرَاقُ فَكُنْتُ مِنْهُ بمَنْزِل
وَدَنَا الرَّحِيلُ فَكُنْتُ فِيهِ بِأوَّلِ
وتَحَكَّم البَيْنُ المُشَتِّتِ والنَّوى
فِينَا بفَتْكَةِ سَيْفِهِ المُتَكَلِّلِ
وبَدَا غُرَابُ البَيْنِ في عَرَصَاتِهَا
يُرْثِي عَلَيْهَا مَنْزِلاً فِي مَنْزِلِ

إلى أن يقول:

والدَّارُ أمْسَتْ بَلقعاً منْ أهْلِها
يُرْثِي عَلَيْها كُلُّ طَيْرٍ ألْيَلِ
والورْقُ نائِحَة على أغْصانها
نَوْحُ الشَّجِيِ المُدْنفِ المُتَعَلِلِ
فَسَمِعْتُ هاتِفَةٍ على أفْنانها
تَشْكو بصَوْتٍ بَيِّن لم يُجْهَلِ
فَنَشَدْتُها عَنْ حَالِهَا فَتَرَنَّمَتْ
وبَكَتْ وأبْكَتْ صُمَّ صَخْرِ الجَنْدَلِ

قَالَتْ وَأشْوَاقُ النَّوَى لَعِبَتْ بِهَــا:
عَنْ غيــْرِ حَــالِي يَا ابْنَ آدَمَ فَاسْــألِ
أوَمَا رَأيْتَ الرَّوْضَ أمْسَى مُقْفــَراً
لَعِبَــتْ بِهِ ريــحُ الصَّبَــا وَالشَّمْــألِ
هَاذِي دِيَارُكمْ وَهَاذِي أرْضُكُــمْ
بالأمْــسِ قَدْ كَانُــوا بِهَــذَا المَنْــزِلِ
دَعْني أنُوحُ عَلَيْهِــمُ طُولَ المَــدَى
أبْــكِي عَلَيْهِمْ جَــدْوَلاً فِي جَــدْوَلِ
فَشَفِقْتُ لَمَّا أنْ عَلِمْتُ حَدِيثَهَــا
وَالجَفْــنُ يَغــْرَقُ بالدُّمُــوعِ الهُطَّــلِ
نَادَيْتُهَــا وَالجِسْــمُ مِنِّ قَدْ فَــنَى
وَعَــلَىَ فــؤادِي غَمْــرَةَ لَمْ تَنْجَــلِ
لَوْ ذقْــتِ يَاوَرْقَــاءُ مَا قَدْ ذقْتُــهُ
لَحَرْقْــتِ أغْصَــانَ الأرَاكِ المِيَّـــلِ
كَمْ حُرْقَــةٍ كَمْ زَفْرَةٍ كَمْ لوْعَــةٍ
يَحْلُــو لَدَيْهَــا كُل صَعْــبٍ مُذهِــلِ
وَشَوَاهِدِي هُمْ هَؤُلاَءِ كَمَا تَــرَى
بَانُــوا وَكُــلٌّ مُبَيَّــنٍ لَــمْ يُجْهَــلِ
دَمْــعِي يَسِيحُ وزَفْرَتِي لاَ تَنْقَــضِي
والسَّهــرُ أنْحَلَــنِي وعــذلُ العــاذِلِ

لوْ ذاقَ قاسي القلْب مَا قَدْ ذقْتــهُ
لَغَــدَوا سَكَــارَى في مَحَلٍ مُهْمِــلِ
أوْ حَلَّ مَا بِي بالجِبَال تَدَكْدَكَــتْ
دَكـــاً وأمْسَتْ مِثْلَ كُحْــلِ المِكْحَــلِ
وَالحَــالُ تُنْبئُ وَالكَوَاكِبُ تَشْهَــدُ
أنِّي أرَاقِبُهَـــا وَلَــمْ أتَخَيَّـــلِ
حَالِي يَطُولُ وَمِحْنَتِي لا تَنْقــضِي
كَمْ لِي بمَيْــدان الــوَغَى مِنْ مَحْفَــلِ
لا بُدَّ مِنْ سَــوْق النُّجُوعِ مُغَرِّبــاً
حَــتَّ تَكِــلَّ مُتُونُهَــا بِالأحْمُــلِ
وَتَرَى الفَوَارِسَ دَائرَات بالعِــدَى
تَسْــقي لِوَارِدِهَــا نَقِيــعَ الحَنْظَــلِ

ــ ثــم **أبــو زيــان محمــد بــن أبي حمــو الثــاني** (ت: سنــة 805هــ)؛ وهــو كأبيــه؛ محــب للعلــم والأدب، ويجيــد نظــم الشعــر؛ ومــن شعــره قصيــدة بعــث بهــا؛ مــع هديــة إلى سلطــان مصــر برقــوق؛ نذكــر منهــا:

لِمَنِ الرَّكَائِــبُ سَيْرهُــنَّ ذَمِيــلُ
وَالصَّبْــرُ ــ إلاَّ بَعْدَهُــنَّ ــ جَمِيــلُ

يَأَيُّهَـــا الحَـــادِي رُوَيْـــدَكَ إِنَّهَـــا
ظُعُـــنٌ يَمِيـــلُ القَلْـــبُ حَيْثُ تَمِيـــلُ
رِفْقـــاً بِمَنْ حَمَلَتْهُ فَوْقَ ظُهُورهَـــا
فَالحُسْـــنُ فَوْقَ ظُهُورِهَـــا مَحْمُـــولُ

إلى أن يقـــول:
مَنْ لي بِـــزَوْرَة رَوْضَةِ الهَادي الذِي
مَـــا مِثْلُـــهُ في المُرْسَلِيـــنَ رَسُـــــولُ
هُوَ أحْمَدٌ ومُحَمَّـــدٌ والمُصْطَـــفَى
وَالمُجْتَـــبَى وَلَـــهُ انْتَـــهَى التَّفْضِيـــلُ
يا خَيْرَ مَنْ أهْدَى الهُدَى وأجَلَّ مَنْ
أثْـــنَى عَلَيْـــهِ الـــوَحْيُ وَالتَّنْزِيـــــلُ
وَحْيٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يُلْقِيـــهِ عَـــلىَ
قَلْـــبِ النَّـــبِيِّ مُحَمَّـــدٍ جِبْرِيـــــلُ
مَدَحَتْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وَبَشَّـــرَتْ
بِقُدُومِـــكَ التَّـــــوْرَاة وَالإنْجِيـــــلُ
صِلَة الصَّلاَةِ عَلَيْكَ تَحْلو في فَـــمِي
مَهْمَـــا تَكَـــرَّرَ ذِكْـــرُكَ المَعْسُـــــولُ
ثـــم يقـــول:
يَا سَائِقـــاً نَحْوَ الحِجَاز حَمُولَـــة
وَالقَلْـــبُ بَيْـــنَ حُمُولِـــهِ مَحْمُـــولُ

لِمُحَمَّدٍ بَلِّغْ سَلاَمَ سَمِيِّهِ
فَذِمَامُهُ بِمُحَمَّدٍ مَوْصُولُ

وَسَلِ الإِلَهَ لَهُ اغْتِفَارَ ذُنُوبِهِ
يُسْمَعْ هُنَاكَ دُعَاؤُكَ المَقْبُولُ

وعَنِ المَلِيكِ أبِي سَعِيدٍ فَلْتَنُبْ
فَلَكَمْ لَهُ نَحْوَ الرَّسُولِ رَسُولُ

مُتَحَمِّلٌ لِلَّهِ كِسْوَةَ بَيْتِهِ
يَا حَبَّذَاكَ المَحْمِلُ المَحْمُولُ

سَعْدُ المَلِيكِ أبِي سَعِيدٍ أنَّهُ
سَيْفٌ عَلَى أعْدَائِهِ مَسْلُولُ

مَلِكٌ يَحُجُّ المَغْرِبُ الأقْصَى بِهِ
فَلَهُمْ بِهِ نَحْوَ الرَّسُولِ وُصُولُ

وهذه القصيدة طويلة جدا؛ ولا يتسع المجال لذكرها بالكامل.

ooo

أما شيوخ بني عبد الواد، ورؤساء القبيل الأوائل؛ أي قبل نشوء دولتهم؛ فهم:

ـ **يوسف بن تكفا** (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ وهو الذي كان يرأسهم أيام تغلب بني يلومي، وبني وامانوا على المغرب الأوسط.

ـ ثم **أبو محمد عبد الحق بن مَنَغْفَادْ بن يغرن** (من أعلام المائة السادسة للهجرة)؛ كان زعيمهم عند ظهور الدولة الموحدية؛ وهو الذي استرد أموال عبد المؤمن بن علي من أيدي بني مرين؛ وقتل كبيرهم المسمى المخضب بن عسكر.

ـ ثم **زيان بن ثابت بن محمد** (من أعلام أواخر القرن السادس للهجرة)؛ كان شيخا على بني طاع الله؛ حينما حدثت الفتنة بينهم وبين إخوانهم بني مطهر؛ تلك الفتنة التي قتل فيها زيان بن ثابت بواسطة كندوز الكمي؛ فنهض بنو طاع الله؛ بزعامة جابر ابن يوسف؛ وتمكنوا من قتل كندوز؛ ثأرا لزيان؛ وانجر عن هذه الفتنة؛ هروب بني كمي إلى تونس؛ مع شيخهم عبد الله بن كندوز.

ـ ثم **جابر بن يوسف بن محمد** (توفي أمام أسوار ندرومة سنة 629هـ/1231م)؛ انتقل من طور الزعامة إلى طور الإمارة؛ بعد إجهاضه للمؤامرة التي دبرها ضد شيوخ بني عبد الواد إبراهيم ابن علان الصنهاجي؛ الثائر بتلمسان على الدولة الموحدية؛ فقبض عليه هو وأتباعه؛ ثم انتصب على سدة الحكم في

تلمسان؛ معلنا دعوته إلى الموحدين؛ استرضاء لهم؛ وبذلك.. مهد لقيام الدولة العبد الوادية.

ooo

أما **بنو مطهر** فمنهم:

ـ **حمامة بن مطهر** (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ هو الذي رافق سيد الناس بن أمير الناس؛ زعيم بني يلومي، وعطية الخير؛ زعيم بني توجين؛ لتقديم فروض الطاعة إلى عبد المؤمن بن علي؛ أثناء حصاره لوهران.

ـ ثم **عمر بن موسى المطهري** (كان حيا سنة 766هـ/1364م)؛ ولي قيادة دلس؛ من طرف أبي حمو الثاني.

ooo

ومن **بني كمي:**

ـ **كندوز بن عبد الله بن كمي** (من أعلام أواخر القرن السادس للهجرة)؛ هو الذي سبقت الإشارة إليه؛ عندما ذكرنا قتله لزيان؛ ثم مقتله هو الأخر من طرف بني طاع الله.

ـ ثم **عبد الله بن كندوز** (كان حيا سنة 665هـ/1266م)؛ وهو الذي هرب ببني كمي إلى تونس بعد مقتل أبيه؛ غير أنهم عادوا فهاجروا إلى المغرب الأقصى؛ أين التجئوا إلى يعقوب بن عبد الحق المريني؛ فأكرمهم، وأقطعهم بنواحي مراكش؛ غير أن **نزوات العصبية القبلية** أثارت فيهم جرثومة الخلاف؛ بعد أن وصلت إليهم أخبار حصار تلمسان؛ من طرف يوسف بن يعقوب المريني؛ فخرجوا عن طاعة الدولة المرينية، والتحقوا بحاحة سنة 703هـ. وبعد موت السلطان يوسف عادوا إلى طاعة الدولة المرينية.

ـ ثم **عمر بن كندوز بن عبد الله بن كمي** (توفي سنة 704هـ/1304م)؛ وذلك خلال ثورتهم على بني مرين؛ احتجاجا على حصارهم لتلمسان.

ooo

أمـــا **بنـــو زردال** فمنهـــم:

ـ **أبـــو محمـــد عبـــد اللـــه بـــن مسلـــم الـــزردالي** (ت: سنـــة 747هـــ/1346م). هـــو القائـــد الفـــذ، والوزيـــر المحنـــك؛ الـــذي أسنـــد إليـــه أبـــو حمـــو موسى الثـــاني شئـــون حربـــه؛ فقـــام بهـــا أحســـن قيـــام.

OOO

أمـــا أشهـــر ملـــوك؛ بـــني عبـــد الـــواد فهـــم:

ـ **أبـــو يحـــيى يَغُمْرَاسَـــنْ بـــن زيـــان** (ت: سنـــة 681هـــ/1282م)؛ وهـــو مؤســـس دولـــة بـــني عبـــد الـــواد، وأب ملوكهـــم، وأشهـــر أعيانهـــم عـــلى الإطـــلاق. قـــال عبـــد الرحمـــن بـــن خلـــدون في وصفـــه: **((كـــان يغمراســـن بـــن زيـــان بـــن ثابـــت ابـــن محمـــد مـــن أشـــد هـــذا الـــحي بأســـا، وأعظمهـــم في النفـــوس مهابـــة وجلالـــة، وأعرفهـــم بمصالـــح قبيلـــه، وأقواهـــم كاهـــلا عـــلى حمـــل الملـــك، واضطلاعـــا بالتدبيـــر والرياســـة؛ مهـــدت لـــه بذلـــك آثـــار قبـــل الملـــك وبعـــده. وكـــان مرموقـــا بعيـــن التجلـــة، مؤمـــلا للأمـــر عنـــد المشيخـــة،**

وتعظمة من أمره عند الخاصة، ويفزع إليه في نوائبه العامة))[1].

ـ ثم أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان (ت: سنة 703هـ/1303م)؛ خلف والده يغمراسن في الملك. افتتح عهده بشن حملات واسعة على المقاطعات الشرقية؛ حيث أخضع معظم قبائلها، وإماراتها لسلطانه؛ ووصل فتح إلى بجاية.

ـ ثم أبو حمو موسى الأول ابن عثمان بن يغمراسن (ت: سنة 718هـ)؛ قال عنه صاحب العبر: ((كان صارما، يقظا، حازما، داهية، قوي الشكيمة، صعب العريكة، شرس الأخلاق، مفرط الذكاء والحدة؛ وهو أول ملوك زناتة؛ رتب مراسم الملك، وهذب قواعده، وأرهف لذلك لأهل ملكه حده، وقلب لهم مجن بأسه؛ حتى دلوا لعز الملك، وتأدبوا بآداب السلطان. سمعت عريف بن يحيى... يقول: ويعنيه؛ موسى بن عثمان هو معلم السياسة الملوكية لزناتة.))[1]. ومن الأخبار التي تؤيد ما وصف به من شراسة، وصرامة؛

[1] العبر، مج: 7، ص: 162.

[1] نفسه، ص ص: 203 ـــ 204.

موقفه الغريب تجاه سلطان مصر محمد بن قلوون؛ الذي أرسل خطابا يعاتبه فيه على ما نال مبعوثيه لملك المغرب من سلب، وعدوان بالمغرب الأوسط؛ وأرفق خطاب العتاب بهدية لا تناسب الحال؛ بالمقارنة مع الهدية التي وجهها لخصمه سلطان المغرب. وقد أورد ابن خلدون القصة؛ معددا محتويات الهدية؛ التي كانت عبارة عن: **((كوزين بدهن البلسان؛ المختص ببلادهم، وخمسة مماليك من الترك؛ رماة؛ بخمسة أقواس من قسي الغز المؤنقة الصنعة؛ من العرى، والعقب... ثم استدعى القاضي محمد بن هدية؛ وكان يكتب عنه؛ فقال له: الآن اكتب إلى الملك الناصر ما أقول لك، ولا تحرف كلمة عن موضعها إلا ما تقتضيه صناعة الإعراب، وقل له: أما عتابك على شأن الرسل، وما أصابهم في طريقهم؛ فقد حضروا عندي، وأبنت لهم الاستعجال؛ حذرا مما أصابهم؛ وأريتهم مخاوف بلادنا، وما فيها من غوائل الأعراب؛ فكان جوابهم: إننا جئنا من عند ملك المغرب، فكيف نخاف؟ مغترين بشأنهم؛ يحسبون أمره نافذ في أعراب قبائلنا. وأما الهدية فردت**

عليك: أما دهن البلسان؛ فنحن قوم بادية؛ لا نعرف إلا الزيت؛ وحسبنا به دهنا. وأما المماليك الرماة؛ قد افتتحنا بهم اشبيلية، وصرفناهم إليك لتفتح بهم بغداد؛ والسلام))[1].

ـ ثم **أبو تاشفين بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان** (ت: سنة 737هـ/1336م)؛ كان حازما، غشوما؛ لم يتورع عن قتل والده، والجلوس على سدة الحكم بدلا منه. وفي عهده امتدت حدود الدولة العبد الوادية إلى أقصى نطاق لها؛ إذ وصلت إلى مشارف تونس. ومع هذا فهو محب للعمران، والعلوم؛ ويقول عنه عبد الرحمن بن خلدون: **((وأغرى دولته بتشييد القصور، والرياض، والبساتين؛ فاستكمل ما شرع فيه أبوه من ذلك؛ وأربى عليه؛ فاحتفلت القصور، والمصانع في الحسن ما شاءت، واتسعت أخباره))**[1].

ـ ثم **أبو زيان الرابع أحمد بن عبد الله ابن موسى الثاني** (ت: سنة 957هـ)؛ اختلف مع أخيه محمد؛ الذي استعان بالإسبان؛ فتمكن أحمد من القضاء على الحملة الإسبانية

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 470 471.

[1] نفسه، ص: 219.

بقيادة ألفونس دي مارتينيز Don Alfonso de Martinez ثم اعتلى عرش تلمسان؛ داعيا على منابره للسلطان العثماني.

....

أما بنو مرين – فهم بدورهم – ظهر لهم أدباء، وعلماء؛ وقادة، وأمراء كبار؛ منهم:
– **أبو علي عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق** (توفي مقتولا في السجن بمدينة فاس سنة 734هـ/1333م)؛ كان أديبا؛ ناظما للشعر؛ منه هذه الأبيات التي بعث بها إلى أخيه السلطان أبي الحسن؛ عندما كان محاصرا له في سجلماسة:

فَلاَ يَغُرَنَّكَ الدَّهْرُ الخَئُونُ فَكَمْ
أَبَادَ مَنْ كَانَ قَبْلِي يَا أَبَا الحَسَنِ
الدَّهْرُ مُذ كَانَ لا يبْقى عَلى صِفَةَ
لا بُدَّ مِنْ فَرَحٍ فِيهِ وَمِنْ حَزَنِ
أيْنَ المُلوكُ التي كَانَتْ تَهَابُهُمُ
أسْدُ العَرِينِ ثَوَوْا في اللَّحْدِ والكَفَنِ

بَعْدَ الأسِرَّةِ والتِيجَانِ قَد مُحِيَتْ
رُسومها وعَفتْ عنْ كُلِّ ذي حسنِ
فاعْمَلْ لأخْرَى وكُنْ باللَّهِ مُؤْتَمراً
واسْتَغْنِ باللهِ في سِرٍ وفي عَلَنِ
واخْتَرْ لنَفْسكَ أمْرا أنْتَ آمِرهُ
كَأنَّني لم أكُنْ يَوْماً ولم تَكُنِ

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن علي ابن عثمان** (توفي بتازا سنة 796هـ/1393م)؛ اعتلى عرش بني مرين مرتين: الأولى سنة 775هـ/1373م؛ ثم خُلع في عام 786هـ/1384م؛ ثم عقدت له البيعة في المرة الثانية سنة 789هـ/1387م. وكان ضعيفا، تابعا لأبن الأحمر بالأندلس؛ وفي عهده تم قتل ابن الخطيب، بإيعاز من ابن الأحمر. وكان أديبا، وشاعرا؛ ولكنه مقل. من شعره:

أمَّا الهَوَى يَا صَاحِبي فَألِفْتُهُ
وَعَهدْتُهُ مِنْ عَهْدِ أيَّامِ الصِّبَا
وَرأيْتُهُ فَوْتَ النُّفُوسِ وَحَلْيَهَا
فَتخْذتُهُ دِيناً إليَّ وَمَذهَبَا

وَلَبِسْتُ دُونَ النّـَاسِ مِنْهُ حُلـَّةً
كَانَ الوَفَـاءُ لَهَـا الطـِّرَازُ المُذَهَّبَـا
لَكِنْ رَأَيْـتُ لَهُ الفِرَاقَ مُنَغِّصَـا
لاَ مَرْحَبـاً بِتَفَـرُّقٍ لاَ مَرْحَبَـا

وقـال في مناسبـة أخـرى:

يَا عَاذِلِي دَعْ عَنْـكَ عَذلَ العَـاذِلِ
وَاخْلَـعْ عِذَارَكَ فِي الحَبِيبِ الوَاصِـلِ
وَإِذَا ذَكَـرْتَ عَشِيَّـةً بِمَحَاسِـنٍ
فَاذْكُـرْ عَشَايَانَـا بِـدَارِ العَـادِلِ

ـ ثـم **أبـو فـارس عبـد العزيـز بـن أحمـد بـن إبراهيـم بـن علـي المريـني** (ت: سنـة 799هـ/1396م)؛ كـان رقيـق القلـب، شفوقـا؛ منقبضـا عـن سفـك الدمـاء، أديبـا، وشاعـرا؛ وإن كـان مقـلا. مـن شعـره هـذه الأبيـات الـتي يشكـر اللـه فيهـا عـلى سقـوط المطـر:

اللَّـهُ يَلْطُـفُ بالعِبَـادِ فَوَاجِـبٌ
إنْ يَشْكُـرُوا فِي كُلِّ حَـالٍ نِعْمَتَـهْ
فَهُـوَ الَذي فِيهِـمْ يُنْـزِلُ غَيْثَـهُ
مِنْ بَعْدِ مَا قَنطُـوا وَيَنْشُـرُ رَحْمَتَـهْ

أمـــا رؤســـاء بـــني مريـــن؛ فمنهـــم الشيـــوخ الأوائـــل؛ مثـــل:

ــ **المخضـــب بـــن عسكـــر المريـــني** (ت: سنـــة 540هـــ/1145م)؛ وهـــو الرئيـــس عليهـــم في أواخـــر الدولـــة اللمتونيـــة، وأوائـــل الدولـــة الموحديـــة؛ وقتـــل بأيـــدي بـــني عبـــد الـــواد المنحازيـــن إلى صـــف الموحديـــن آنئـــذ. ثـــم أبـــو بكـــر بـــن حمامـــة بـــن محمـــد المريـــني (ت: سنـــة 561هـــ/1165م)؛ وهـــو الـــذي تـــولى رئاســـة قبيـــل بـــني مريـــن؛ بعـــد مـــوت المخضـــب.

ــ ثـــم **محيـــو بـــن أبي بكـــر بـــن حمامـــة بـــن محمـــد المريـــني** (تـــوفي سنـــة 592هـــ/1195م)؛ تـــرأس قبيـــل بـــني مريـــن بعـــد مـــوت أبيـــه؛ ولمـــا حشـــدت الحشـــود لموقعـــة الأرك بالأندلـــس سنـــة 591هـــ/1194م؛ لـــبى محيـــو النـــداء، وشـــارك ــ هـــو وقومـــه ــ في المعركـــة؛ فأصيـــب بجـــروح؛ مـــات متأثـــرا بهـــا.

ooo

أمـــا أشهـــر أمرائهـــم، وملوكهـــم؛ فهـــم:

ــ **أبـــو محمـــد عبـــد الحـــق بـــن محيـــو بـــن أبي بكـــر المريـــني** (ت: سنـــة 614هـــ/1217م)؛ وهـــو صاحـــب الخطـــوات الأولى نحـــو إنشـــاء الدولـــة المرينيـــة؛

وصاحب مجدهم، وعزهم؛ قال عنه ابن خلدون: ((**وكان عبد الحق أكبرهم؛ فقام بأمر بني مرين؛ وكان خير أمير عليهم؛ قياما بمصالحهم، وتعففا عما في أيديهم، وتقويما لهم على الجادة، ونظرا في العواقب**))[1].

ـ ثم **أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة المريني** (ت: سنة 656هـ/1160م)؛ وهو أول من أدخل ملامح الدولة في الوسط القبلي لبني مرين؛ وأعلن بالدعوة إلى الحفصيين؛ لإضفاء الشرعية على الكيان الذي يتطلع لإقامته؛ وكانت له مواقع ساخنة مع الموحدين بمراكش؛ حالفه النصر في معظمها.

ـ ثم **أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو المريني** (توفي سنة 685هـ/1286م)؛ بيده سقطت دولة الموحدين؛ كان حازما، شديد المراس؛ قام بالانتقال إلى بلاد الأندلس مرات عديدة؛ بغرض الجهاد، وصد هجمات الإسبان. توفي في الأندلس عندما كان معسكرا في الجزيرة الخضراء للجهاد؛ ويعتبر من أعظم سلاطين بني

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 347.

مرين؛ بما له من خلال حميدة، وأعمال جليلة.

ـ ثم **أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني** (قتل سنة 706هـ/1306م)؛ كان ذلك بيد مملوك له؛ طعنه غدرا؛ وهو على فراشه. قضى معظم حياته في حروب ضد بني عبد الواد، وضد الثوار من قبيله؛ والإسبانيين، وأعراب المعقل.

ـ ثم **أبو سعيد عثمان بن إدريس أبي العلاء ابن عبد الله بن عبد الحق المريني** (توفي سنة 730هـ/1329م)؛ في الجهاد بالأندلس؛ وكان قد هاجر إليها بعد فشله في الوصول إلى عرش بني مرين؛ وفي الأندلس ولي مشيخة الغزاة؛ فأبلى في الجهاد خير البلاء؛ إذ وصلت غزواته إلى 732 غزوة ضد الإفرنج.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المريني** (ت: سنة 752هـ/1351م)؛ كان محبا للعلماء، مقربا إياهم، مستدعيا لكبارهم في بلاطه؛ مغرما بالبناء والعمران؛ إذ شيد القصور، والمدارس، والمورستانات، والقناطر..الخ. وكان طافح الطموح، ساعيا لاستعادة أمجاد من سبقه من الملوك المسلمين؛

غير أن الحظ خانه مرتين؛ كانت آخرها هي القاضية عليه، وعلى دولته: أولاها تمت عندما مني بهزيمة منكرة أمام جيوش النصرى بالأندلس، والثانية هي التي قصمت ظهره؛ وحدثت حينما مُنِيَ بهزيمته الثانية؛ أمام أعراب بني هلال وسليم بإفريقية.

ـ ثم **أبو عنان فارس بن علي بن عثمان ابن يعقوب المريني** (قتل سنة 759هـ/1357م)؛ خنقا بيد وزيره عمر الفردودي. كان ـ كوالده ـ محبا للعلم، والعلماء، وكانت له ـ أيضا ـ الطموحات نفسها؛ ولكنه كان ـ كذلك ـ سيئ الحظ؛ فانتهى به الأمر إلى الموت بيد أقرب مساعديه.

ـ ثم **أبو محمد عبد الحق بن عثمان بن أحمد المريني** (توفي مقتولا سنة 869هـ/1464م)؛ وهو آخر سلاطين بني مرين؛ ثارت عليه رعيته؛ بعد أن استوزر وزيرين يهوديين؛ فوّض إليهما شئون الدولة؛ فأساءا السيرة؛ فانجر عن ذلك اشتعال ثورة الناس عليه؛ فكانت نهايته، ونهاية الدولة المرينية؛ وقيام الدولة الوطاسية؛ بدلا منها.

OOO

ومن بني يابان:

ـ جدهم **يابان بن جرماط بن مرين.**

ـ ثم **يوسف بن علي اليباني** (كان حيا سنة: 656هـ/1258م)؛ ولاه يعقوب ابن عبد الحق أعمال بلاد درعة وأحوازها.

ـ ثم **عمر بن عبد الله بن علي اليباني** (كان حيا سنة 759هـ/1357م)؛ ولاه أبوعنان خطة الحجابة.

ـ ثم **محمد بن العباس بن أبي يحيى اليباني** (كان حيا سنة 760هـ/1358م)؛ ولي وزارة إبراهيم ابن أبي الحسن المريني.

ـ ثم **يعيش بن علي بن فارس اليباني** (كان حيا سنة 788هـ/1386م)؛ ولي وزارة محمد ابن أبي الفضل بن أبي الحسن المريني.

ـ ثم **إدريس بن موسى بن يوسف اليباني** (كان حيا سنة 789هـ/1387م)؛ ولي وزارة أحمد بن أبي سالم المريني.

ـ ثم **صالح بن حمو اليباني** (كان حيا سنة 789هـ/1387م)؛ ولي ـ هو كذلك ـ وزارة أحمد ابن أبي سالم المريني.

ooo

أما بنو وطاس فمنهم:

ـ شيخهم الأول **وطاس بن بجوس المريني.**

ـ ثم **عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي**؛ وزير.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن زيان بن عمر ابن زيان الوطاسي** (ت: سنة 853هـ/1449م)؛ كان وزيرا، ووصيا على السلطان الصغير عبد الحق ابن عثمان بن أحمد المريني.

ـ ثم **أبو حسون علي بن يوسف بن زيان الوطاسي** (ت: سنة 865هـ/1460م)؛ ولي وزارة عبد الحق ابن عثمان بعد مقتل الوزير الوطاسي يحيى بن زيان.

ـ ثم **يحيى بن يحيى بن زيان بن عمر الوطاسي** (قتل ذبحا بأمر من السلطان عبد الحق سنة 866هـ/1461م)؛ ولي وزارة السلطان المريني عبد الحق بن عثمان؛ ولكنه قتله مع جمع من بني وطاس؛ لكي يتخلص من نفوذهم، واستبدادهم عليه.

ـ ثم **محمد الشيخ بن يحيى بن زيان الوطاسي** (توفي بفاس سنة 910هـ/1504م)؛ هو الذي أقام دولة بني وطاس؛ وأول سلاطينهم. في عهده استفحل شأن البرتغاليين، والإسبانيين؛ إذ

استولوا على آخر المعاقل الإسلامية ببلاد الأندلس، ثم استولوا بعدها على أصيلا، والبريجة، وأزمور، وتيط، وسواحل السوس بالمغرب.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد الوطاسي** (توفي بعد سنة 956هـ/1549م)؛ وهو آخر سلاطين بني وطاس؛ تغلب عليه السلطان السعدي؛ محمد الشيخ المعروف بالمهدي؛ فاعتقله بمراكش، أو في درعة حتى مات.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد الشيخ بن يحيى الوطاسي** المعروف بأبي حسون (ت: سنة 961هـ/1553م)؛ هو ثالث سلاطين بني وطاس، وقبل الأخير منهم. ثار عليه ابن أخيه أبو العباس أحمد؛ فسلم له الحكم مضطرا؛ ولكنه تمكن من الهرب إلى المغرب الأوسط؛ حيث استنجد بالأتراك؛ الذين ساعدوه على فتح فاس، وانتزاعها ـ لبعض الوقت ـ من السعديين؛ المتغلبين آنذاك على المغرب الأقصى؛ غير أن محاولته لم تعمر طويلا؛ إذ زحف إليه محمد الشيخ السعدي؛ فاسترد فاسا، وقتله.

أما **بنو توجين** فمعلوماتنا عنهم ضئيلة جدا؛ بسبب محيطهم البدوي؛ الذي اقتصر على إبراز رؤسائهم لا غير. وأشهر زعمائهم في عهد بني زيري الصنهاجيين؛ هم:

ـ **عطية بن دافلتن** (دافلين) **بن أبي بكر بن الغلب** (كان حيا سنة 395هـ/1004م).

ـ ثم **لقمان بن المعتز** (كان حيا سنة 395هـ/1004م).

وفي عهد الموحدين ترأسهم:

ـ **عطية بن مناد بن العباس بن دافلتن** (دافلين)؛ المعروف بعطية الحيو (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ كانت لقومه ـ برئاسته ـ وقائع، وأحداث ضد إخوانهم، ومنافسيهم ـ في الوقت نفسه ـ بني عبد الواد.

ـ ثم **العباس بن عطية بن مناد** (ت: سنة 607هـ/1210م)؛ تراجع عن الطاعة التي التزم بها سلفه للموحدين؛ فدسوا له من اغتاله.

ـ ثم **عبد القوي بن العباس بن عطية** (ت: سنة 647هـ/1249م)؛ وينتسب إلى بني منكوش من بني رسوغين. قال فيه ابن خلدون: **((ورئيسهم لذلك العهد عبد القوي بن عباس؛ والكل لأمره؛ فصار له ملك بدوي؛**

لم يفارق فيه سكنى الخيام، ولا إبعاد النجعة، ولا إيلاف الرحلتين؛ ينتهون في مشاتيهم إلى مصاب، والزاب؛ ويتزلون في المصائف بلادهم هذه من التل؛ ولم يزل هذا شأن عبد القوي، وابنه محمد))[1].

ـ ثم **محمد بن عبد القوي بن العباس** (ت: سنة 684هـ/1285م)؛ قتل أخاه يوسف الذي خلف أباهم في إمارة القبيلة؛ ثم استقل برئاستها. هذا وكان متقلبا في ولائه؛ بين القوى المتواجدة آنذاك في بلاد المغرب؛ فكان يوما مع بني عبد الواد، ويوما مع بني أبي حفص، ويوما مع بني مرين.

أما الذين ينتسبون لبني يدلتن من بني مَدَّن فهم:

ـ **نصر بن سلطان بن عيسى** (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ هو الذي استوطن بقومه نواحي الجعبات، وتاوغزوت.

ـ ثم **سلامة بن علي بن نصر بن سلطان** (من أعلام القرن السابع للهجرة)؛ وهو الذي شيد قلعة تاوغزوت المسماة باسمه.

ooo

[1] العبر، مج: 7، ص: 321.

أما بنو يرناتن من بني رسوغين فمنهم:

ــ **نصر بن علي بن تميم بن يوسف بن بونوال** (من أعلام القرن السادس للهجرة).

ــ ثم ابنه **مهيب بن نصر** (من أعلام القرن السادس للهجرة).

***

هذا وقد لاحظنا ــ من خلال تتبعنا لأخبار القبائل في بلاد المغرب ــ أن اهتماماتهم متباينة؛ فمنهم من وجدوا في أنفسهم القدرة على السعي إلى **الملك** والسلطان؛ فجعلوه هدفهم الأساسي؛ حتى وصلوا إليه؛ ومنهم من عجز عن الملك؛ فسعى إلى وجهة أخرى؛ كالاهتمام **بالعلوم**. ومن هنا.. نجد بين القبائل التي عجزت عن الوصول إلى الملك؛ اهتماما كبيرا **بالشئون الثقافية**، **والدينية**. وعليه.. فقد برز فيها العلماء، وأصحاب الفكر، والقلم. ومن هذه القبائل على سبيل المثال: **مغيلة**، **وعجيسة**، **ونفوسة**، **وزواوة**، **ونفزة** ..إلخ؛ وإلى هذا الصنف من القبائل؛ تنضم **قبيلة بني راشد**؛ التي أعطت بلاد المغرب الإسلامي عددا ــ لا بأس به ــ من العلماء؛ منهم:

! ! !

ـ **أبو جعفر أحمد عبد النور بن أحمد المالقي الراشدي** (ت: سنة 702هـ/1302م)؛ وهو من بني راشد المقيمين بمالقة؛ وهنا.. يمكن أن ينطبق عليه ما سبق ذكره بخصوص لماية، وصدينة، وأوربة؛ تلك الأحياء الأمازيغية التي استقرت بالأندلس. وهو من علماء العربية، والعروض، والفقه، ويقرض الشعر؛ كما يتمتع بموهبة صوتية أهلته إلى تجويد القرآن. وله بعض المؤلفات؛ منها: كتاب الحِلْية في ذكر البسملة والتصلية، وكتاب رَصْف المباني في حروف المعاني؛ قال عنه ابن الخطيب: **((هو أجل ما صنف، ومما يدل على تقدمه في العربية))**[1]. وكتاب في العروض، وكتاب في شواذ العروض، وكتاب في شرح الكوامل؛ لأبي موسى الجزولي، وكتاب في شرح مُغْرب أبي عبد الله ابن الشوَّاس؛ لم يكمله، وتقييد على الجمل؛ لم يكتمل. من شعره:

مَحَاسِنُ مَنْ أهْوَى يَضِيقُ لها الشَّرْحُ
لَهُ الهمَّة العَلْيَاءُ والخُلُقُ السَّمْحُ
لهُ بَهْجَة يَغْشَى البصائِر نورُها
وَتَعْشَى بِهَا الأبْصَارُ إنْ غَلَسَ الصُّبْحُ

---

[1] الإحاطة، ج: 1، ص: 198.

إذا مَا رَنَى فَاللَّحْظُ سَهْــمٌ مُفَــوَّقٌ
وفي كُــلِّ عُضْــو مِنْ إصابَتِــهِ جُــرْحُ
إذا مَا انْثَنَ زهْــواً وَوَلَّ تَبَخْتُــراً
يَغَــارُ لِــذَاكَ القَــدُّ مِنْ لِينِــهِ الرُّمْــحُ
وَإنْ نَفَحَتْ أزْهَــارُهُ عِنْدَ رَوْضَــةٍ
فَيُخْجِــلُ رَيّــاً زَهْرِهــاَ ذِلِــكَ النَّفْــحُ
هُوَ الزَّمَنُ المَأمُــوَلُ عِنْدَ ابْتِهاجِــهِ
فَلِمَّتُــــهُ لَيْــلٌ، وَغُرَّتُــــهُ صُبْــــحُ
لَقَدْ خَامَــرَتْ نَفْسِي مُدامَةُ حُبِّــهِ
فَقَلْــبِيَ مِنْ سُكْــرِ المُدامَــةِ لا يَصْــحُ
وَقَدْ هَامَ قَلْبي فِي هَوَاه فَبَرَّحَــتْ
بِأسْــرَارِهِ عَيْــنٌ لِمَدْمَعِهــا سَبْــــحُ

ـ ثـم الشيـخ الـولي الصـوفي **أبـو علـي الحسـن ابـن مخلـوف بـن مسعـود بـن سعـد المزيـلي الراشـدي** الشهيـر بأبركـان (ت: سنـة 857هـ/1453م)؛ وهـو فقيـه مـن الصوفيـة الزهـاد؛ ترجـم لـه ابـن مريـم؛ ولكنـه لـم يفـد القـارئ بشيء عـن ثـروة الرجـل العلميـة؛ وكـل الـذي سـرده في ترجمتـه الطويلـة؛ **حكايـات، وخـوارق عجيبـة**؛ نسبهـا للشيـخ أبركـان.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مخلوف الراشدي** (ت: سنة 868هـ/1463م)؛ له بعض المؤلفات؛ منها: الثاقب في لغة ابن الحاجب، وثلاثة شروح على الشفا؛ أكبرها في مجلدين؛ وهو المسمى بالغنية، وتعليق رجال ابن الحاجب، ومؤلفات أخرى.

ـ ثم **محمد بن عياد الكبير المعمراني الراشدي** (ت: سنة 964هـ/1556م)؛ كان شاعرا، ومحدثا، ونحويا، وفقيها، وأصوليا، ومنطقيا.

ـ ثم **أبو محمد العربي بن علي المشرفي الراشدي** (ت: سنة 1096هـ/1684م)؛ من الأدباء، والمؤرخين؛ له مؤلفات منها: فتح المنان شرح قصيدة ابن الونان؛ في مجلدين.

ـ ثم **عبد القادر الراشدي** (توفي حوالي سنة 1112هـ/1700م)؛ فقيه من أصحاب الاجتهاد؛ ولي قضاء قسنطينة، والإفتاء بها؛ له مؤلفات منها: حاشية على شرح السيد للمواقف العضدية، وكتاب عائلات قسنطينة وقبائلها وعربها وبربرها، ورسالة في تحريم الدخان.

ـ ثم **أبو المكارم عبد القادر بن عبد الله ابن محمد المشرفي الغريسي** المعروف بسقط (ت: سنة 1192هـ/1778م)؛ وهو من المحدثين،

والمؤرخين؛ وهو صاحب الرسالة المعنونة بـ: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر.

ـ ثم **محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد الراشدي المعسكري الجزائري** المعروف بأبي راس (ت: سنة 1239هـ/1823م)؛ هو أحد العلماء المهتمين بالتاريخ، والحديث ورجاله، والفقه، والأدب؛ ألف حولي 50 كتابا؛ أهمها: تفسير القرآن، لب أفياخي في عدة أشياخي، وتخريج أحاديث دلائل الخيرات، وشرح المقامات الحريرية، والسيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ مرتضى، ومروج الذهب في نبذة النسب ومن إلى الشرف انتمى وذهب، وذيل القرطاس في ملوك بني وطاس، ودر السحابة فيمن دخل المغرب الأقصى من الصحابة، والزمردة الوردية في الملوك السعدية، والخير المعلوم في كل من اخترع نوعا من أنواع العلوم، وحاشية على المكودي، وحاشية على السعد، وحاشية على الشرح الكبير للخراشي، وشرح العقيقية، وشرح الشمقمقية، وشرح الحلل السندسية، وكتاب التأسيس، ودرء الشقاوة، وفتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته،

والحاوي الجامع بين التوحيد والتصوف والفتاوى، وكتاب عن رحلته في المشرق والمغرب.

ـ ثم **أبو راشد عمار الراشدي** المعروف بالغربي (توفي بقسنطينة سنة 1251هـ/1835م)؛ من أهل الفقه، والعلم، والمعرفة؛ ومن الملمين بالأدب؛ ولي إفتاء المالكية؛ له نظم، وألف حاشية على شرح الشبرخيتي على المختصر.

OOO

أما رؤساء بني راشد، وزعماؤهم الأوائل فهم:

ـ **إبراهيم بن عمران الراشدي** (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ كان يتولى رئاستهم عند زحفهم نحو التلول مع بني عبد الواد؛ في عهد الموحدين.

ـ ثم **ونزمار بن عمران الراشدي** (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ استبد على أخيه إبراهيم، وأزاحه من مرتبة الرئاسة، وتولاها بدلا منه.

ـ ثم **مقاتل بن ونزمار بن عمران** (من أعلام القرن السابع للهجرة)؛ خلف والده ونزمار؛ بعد أن قتل عمه إبراهيم؛ وأحدث

بذلك انقساما بين أسرة بني عمران؛ فأضحوا قسمين: **بنو إبراهيم، وبنو ونزمار**؛ إلا أن بني إبراهيم كانوا أظهر.

ـ ثم **ونزمار بن إبراهيم بن عمران** (ت: سنة 690هـ/1291م)؛ كان معاصرا ليغمراسن بن زيان.

ـ ثم **أبو يحيى بن موسى بن عبد الرحمن ابن ونزمار بن إبراهيم الراشدي** (كان حيا سنة 737هـ/1336م)؛ وهي السنة التي احتل فيها أبو الحسن المريني تلمسان، والمغرب الأوسط؛ فنقل ـ تبعا لذلك ـ أعيان زناتة في تلك الديار ـ إلى المغرب الأقصى؛ ومن بين من نقلهم أبو يحيى بن موسى هذا.

ـ ثم **زيان بن أبي يحيى بن موسى الراشدي** (قتل سنة 768هـ/1366م)؛ عاد إلى وطنه من منفاه بالمغرب؛ في عهد أبي حمو الثاني؛ فاحتفى به عند قدومه؛ ولكنه اتهم بالتجسس لسلاطين المغرب؛ فسجنه مرتين؛ حيث قتله في المرة الثانية في سجنه.

! ! !

وثمة ـ أيضا ـ علماء من الإباضيين؛ ينتسبون إلى بني واسين، وكانوا معروفين باسم هذه القبيلة الأم؛ قبل أن تتشعب أحياؤها، وتستقل بطونها بنفسها. وديار هؤلاء العلماء؛ هي الديار القديمة لبني واسين؛ قبل أن ينتقل جمهورهم إلى تلول المغرب الأوسط؛ وهي بلاد الجريد؛ ومن هؤلاء العلماء:

ـ **أبو القاسم يزيد بن مخلد الوسياني**؛ أي الواسيني؛ نسبة إلى بني واسين؛ (من أعلام القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من حامة قسطيلية؛ له دراية بالأدب، وعلوم: اللسان، والأصول، والفروع، والحديث، والفقه، والقرآن، والسيرة؛ قُتِل بأمر من المعز لدين الله الفاطمي؛ بسبب وشاية من أحد اليهود.

ـ ثم **أبو خزر يغلا بن زلتاف الوسياني** (من أعلام القرن الرابع للهجرة)؛ فقيه، ومحدث؛ رافق أبو القاسم بن يزيد في مرحلة الدراسة، والعطاء العلمي؛ ثار على المعز الفاطمي؛ بعد مقتل رفيقه أبي القاسم؛ ولكنه استفاد من العفو؛ وأصبح من المقربين إلى المعز؛ حيث أخذه معه إلى مصر عندما انتقل إليها؛ وامتد عمره إلى عهد ولده نزار.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سودرين الوسياني** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس)؛ وهو من العلماء البارزين؛ له إلمام بعلوم النظر والمنطق، والعلوم الشرعية.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن زورستن الوسياني** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس)؛ وهو من شيوخ الإباضية الملمين بالعلوم الشرعية، والمنطق.

ـ ثم **ميمون حمودي بن زورستن الوسياني** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ أحد علماء الإباضية المستوعبين لعلوم: النظر والمنطق، والعلوم الشرعية.

ـ ثم **أبو جعفر أحمد بن خيران** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية المجتهدين؛ اشتهر بالورع، والكرم.

ـ ثم **أبو محمد ماكسن بن الخير الوسياني** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ عالم إباضي؛ كف بصره وهو صغير؛ ومع هذا لم تمنعه علته من التعلم؛ حتى أضحى من العلماء البارزين.

ـ ثم **أبو عبد الله مزين بن عبد الله الوسياني** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو أحد علماء الإباضية.

ـ ثم **يوسف بن أحمد الوسياني** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ قال عنه الدرجيني: **((وأما يوسف بن أحمد فلا يبعد أن يكون حامل فقه إلى من هو أفقه منه؛ فإنه كان حفاظا؛ ولكن لا يحسن التصرف فيما يحفظه...وكان الشيخ يوسف كثير الورع، والاجتهاد؛ ذا خمول، واقتصار ممن يتعلم منه ويستفاد))**[1].

ـ ثم **أبو الربيع سليمان بن عبد السلام ابن حسان الوسياني** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من كبار علماء الإباضية؛ راوية، من المؤرخين؛ له مشاركة في السير.

***

ـ ***مواطنهم:*** تنتشر مواطن **بني واسين** في **ربوع إفريقية، والمغرب الأوسط**. إذ كانوا في **جهات قسطيلية، وتوزر، وبلاد الحمة**. وإلى الغرب من **قابس** يسكن **بنو ورتاجن**، وفي **جبال أوراس**

[1] طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص: 512.

يوجد حي من بني عبد الواد، ويوجد آخرون من **بني واسين بصحراء برقة، وأرض الزاب، وقصور غدامس** التي يسكن في بعضها **بنو وطاس**؛ وهم من بني مرين. **وفي قصور مصاب** أحياء منهم؛ وقد سميت تلك الديار بهم. ويسكن في تلك البلاد ــ بالإضافة إلى مصاب ــ **فئات من بني عبد الواد، وبني توجين، وبني زردال**؛ وهم جميعا أبناء بادين. وجل بني واسين كانوا متواجدين في السهوب المحصورة ما **بين ملوية، وجبل بني راشد.** وفي أواخر الدولة الموحدية تغلبوا على تلول المغرب الأوسط كافة؛ سواء بالإقطاع، أو بالاحتلال، ثم تدرجت بعض أحيائهم ــ فيما بعد ــ نحو الملك القاهر[2].

هذا وقد عُرف ــ أيضا ــ بعض أعلامهم بنسبتهم إلى زناتة مباشرة؛ وهي قبيلتهم الأم؛ دون معرفة البطون التي ينتمون إليها؛ ومن هؤلاء:

ــ أبو عبد الرحمان بكر بن حماد بن سهل (أو سِهْر) ابن إسماعيل التاهرتي الزناتي (توفي بتاهرت سنة 296هـ/908م)؛ وهو من فحول الشعراء بالمغرب الإسلامي؛ ولكن أكثر شعره

---

[2] ابن خلدون؛ العبر، مج: 7، ص ص: 120 ــ 124.

ضاع، ولم يصل إلينا منه إلا قليله. وقد جمع الأستاذ محمد بن رمضان شاوش؛ منه بعض القصائد، والمقطوعات؛ التي كانت مبعثرة ضمن المصادر الأدبية، والتاريخية المختلفة؛ ووصل عدد ما عثر عليه: مائة وعشرة أبيات لا غير. وذكر ابن عذاري خبر ابن حماد بقوله:[1]

((مات أبو عبد الرحمن بُكْر ابن حَمَّاد بن سِهْر بن أبي إسماعيل؛ وهو زَنَاتِيٌّ؛ في شوال بقلعة ابن حَمَّة؛ بجوفيّ مدينة تيهرت؛ وبها كان مولده، ومنشأه؛ صلى عليه موسى بن الفارسي الفقيه؛ وهو يومَ مات ابْنُ ستّ وتسعين سنة؛ ورحل بُكْر إلى المشرق في سنة 217هـ[/832م]؛ وهو حدثُ السنّ؛ فسمع من الفقهاء، وجلّة العلماء؛ وكان عالماً بالحديث، وتمييز الرجال؛ وشاعراً مُفْلِقاً؛ ومدح المُعْتصِم؛ ووصله بصلات جزيلة؛ واجتمع بحبيب، وصريع، ودِعْبِل، وعلي بن الجَهْم، وغيرهم من شعراء العِراق. وله أبيات إلى المعتصم؛ يحرضه فيها على دعبل؛ وهي:

---

[1] البيان المغرب، ج: 1، ص ص: 153 ـــ 154.

أيَهْجُو أمِيــرَ المُؤْمِنيــنَ وَرَهْطَــهَ
وَيَمْشِي عَلىَ الأرْضِ العَرِيضَةِ دِعْبــلُ
أما والَّــذِي أرْسَى ثَبيــراً مَكَانــهُ
لقَدْ كَــادَتِ الدُّنْيَــا لِــذَاكَ تُزَلْــزَلُ
وَلَكِــنَّ أمِيــرَ المُؤْمِنيــنَ بفضْلِــهِ
يَهُــمُّ فيَعْفُــوَ أوْ يَقــُولُ فَيَفعَــلُ

فعاتبــه حبيــب فيــه؛ وقــال لــه: "قتلتــه واللــه يــا بكــر"؛ فقــال في قصيدتــه هــذه:
وَعَاتَبَــنِي فِيهِ حَبِيــبٌ وَقــالَ لِي:
"لِسَانُــكَ مَحْــذُورٌ وَسَمُّــكَ يَقْتُــلُ"
وَإنِيِّ وَإنْ صَرَفْتُ فِي الشِّعْرِ مَنْطِقِي
لأنْصِــفُ فِيمَا قُلْــتُ فِيــهِ وَأعْــدِلُ)).

ومــن شعــره الــذي يصــف فيــه طقــس تاهــرت البــارد:
مَا أخْشَــنَ البَــرْدَ وَريعَانَــهُ
وَأطْــرَفَ الشَّمْــسَ بِتاهَــرْتِ
تَبْــدُو مِنَ الغَيْمِ إذَا مَا بَــدَتْ
كَأنَّهَــا تُنْشَــرُ مِــنْ تَحْــتِ
نَحْــنُ فِي بَحْــرٍ بَــلاَ لُجَّــة
تَجْرِي بِنَا الرِّيحُ عَلىَ السَّمْــتِ

نَفــْـرَحُ بِالشَّمْسِ إذَا مَا بَــدَتْ
كَفَرْحَــةِ الــذمِّي بِالسَّبْـــتِ

عـــاد إلى مسقـــط رأســـه تاهـــرت؛ هاربـــا مـــن بطـــش الأميـــر إبراهيـــم بـــن أحمـــد بـــن الأغلـــب؛ فاعتـــرض طريقـــه اللصـــوص؛ بالقـــرب مـــن تاهـــرت؛ في المكـــان المســـمى بقلعـــة ابـــن حمـــة؛ وذلـــك سنـــة 295هـ/907م؛ فقتلـــوا ولـــده، وجرحـــوه هـــو بجـــروح بليغـــة؛ مـــات متأثـــرا بهـــا؛ فيمـــا بعـــد. وهـــذه أبيـــات مـــن قصيـــدة قالهـــا في رثـــاء ولـــده:

بَكَيْـــتُ عَــلىَ الأحِبــَّةِ إذْ تَوَلــَّوا
وَلــَوْ أنِّي هَلَكْتُ بَكــَوا عَلَيَّــا
فَيَا نَسْــلِي بَقــَاؤُكَ كَانَ ذُخْــراً
وَفَقْدِكَ قَدْ كَوَى الأكْبــَادَ كَيَّــا
كَفَى حُزْنــاً بِأنَّنِي مِنْــكَ خُلْــوٌ
وَأنَّــكَ مَيِّــتٌ وَبَقِيــتُ حَيَّــا
وَلَمْ أكُ آيِســاً فَيَئِسْـــتُ لَمَّـــا
رَمَيْتُ التُّرَابَ فَوْقــَكَ مِنْ يَدَيــَّا
فَلَيْتَ الخَلــْقُ إذْ خُلِقــُوا أطَاعُــوا
وَلَيْتَكَ لَمْ تَــكُ يَا بَكْــرُ شَيَّــا
تُسَــرُّ بِأشْهُــرٍ تَمْــضِي سِرَاعــاً
وَتُطــْوَى فِي لَيَالِيهــنَّ طَيَّـــا

فَلاَ تَفــْـرَحْ بِدُنْيَــا لَيــْسَ تَبْــقَى
وَلاَ تَأسَــفْ عَلَيْهَــا يَــا بُنَيَّــا
فَقَدْ قَطَعَ البَقَــاءُ غُرُوبَ شَمْــسٍ
وَمَطْلَعُهَــا عــلَى يَــا أخَيَّـــا
وَلَيْــسَ الْهَــمٌّ يَجْلُــوهُ نَهَــارٌ
تــَدُورُ لــَهُ الفَرَاقِــدُ وَالثُّرَيَّــا

وفي قصيــدة أخــرى؛ قــال يــرثي ولــده أيضــا:
وَهَــوَّنَ وَجْدِي أنَّنِي بكَ لاَحِــقٌ
وَأنَّ بَقَــائِي فِي الحَيَــاةِ قَلِيــــلُ
وَأنْ لَيْسَ يَبْــقىَ لِلْحَبيب حَبيبُــهُ
وَلَيْــسَ بَبَــاقٍ لِلْخَلِيــلِ خَلِيــلُ
وَلَوْ أنَّ طــُولَ الحُــزْنِ مِمَّا يَــرُدُّهُ
لَلاَزَمَــنِي حُــزْنٌ عَلَيْــهِ طَوِيــلُ

ولمــا أحــس بدنــو أجلــه قــال يــرثي نفســه:
أحْبُو إلىَ المَوْتِ كَمَا يَحْبُــو الجَمَلْ
قَد جَــاءَنِي مَا لَيْــسَ فِيــهِ حِيَــلْ

وقــال في قاتــل عــلي كــرم اللــه وجهــه:
قُلْ لاِبْنِ مُلْجَــمْ وَالأقْــدَارُ غَالِبَــةٌ
هَدَّمْتَ وَيْلَــكَ لِلإسْــلاَمِ أرْكَانَــا

قَتَلْتَ أفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلىَ قَدَمِ
وَأوَّلَ النَّاسِ إسْلاَمَاً وَإيمَانَا

وَأعْلَمَ النَّاسِ بِالقُرْآنِ ثُمَّ بِمَا
سَنَّ الرَّسُولُ لَنَا شَرْعاً وَتِبْيَانَا

صِهْرُ النَّبِيِّ وَمَوْلاَهُ وَنَاصِرُهُ
أضْحَتْ مَنَاقِبُهُ نُوراً وَبُرْهَانَا

وَكَانَ مِنْهُ عَلىَ رَغْمِ الحَسُودِ لَهُ
مَكَانُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَا

وَكَانَ فِي الحَرْبِ سَيْفاً صَارِماً ذَكَراً
لَيْثاً إذَا لَقِيَ الأقْرَانُ أقْرَانَا

ـ ثم **أبو الحسن صالح الزناتي الإشبيلي العابد** (ت: سنة 587هـ/1191م)؛ كان من أهل الخير والصلاح، ورع، زاهد؛ قضى أيامه في تلاوة كتاب الله؛ ولا يشغل نفسه بمشاغل الدنيا أبدا.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن خلف بن مرزوق بن أبي الأحوص البلنسي الزناتي** المعروف بابن نسع (ت: سنة 599هـ/1202م)؛ قال فيه ابن الأبار: **((وكان مقرئا صالحا، زاهدا ورعا؛ أخذ عنه الناس؛ وكثيرا ما كان**

يُسمع كتاب السيرة؛ لعلو إسناده فيه، وكذلك الإستيعاب؛ حتى كان يحفظهما))[1].

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الزناتي** المعروف بابن حافي رأسه (ت: سنة 725هـ)؛ من فقهاء المالكية؛ له نظم؛ منه:

كَأنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنٌ وَلَمْ تَكُنْ فُرْقَـةَ
إذَا كَانَ مَا بَيْنَ الفُرَاقِ تَلاَقي

....

(3) ـ سمكان:

وهم **أبناء سمكان بن يحيى بن ضري ابن زحيك بن مادغيس الأبتر.** ذكر ابن خلدون بطنين منهم؛ هما: **زواغة، وزواوة.** غير أنه اضطرب في موقفه؛ حين أدرج **زواوة** مرة ضمن **بني سمكان بن يحيى** البتري، ومرة بين **قبائل كتامة البرنسية**؛ معللا ذلك بكون نسابة البربر قد أدرجوا زواوة ضمن بني سمكان بن يحيى، بينما أدرجهم ابن حزم ضمن أحياء كتامة. أما هو فيميل إلى رأي ابن حزم؛

[1] التكملة، ج: 2، ص: 567.

مستندا إلى كون مواطن زواوة تقع في جوار مواطن كتامة. ويرى أن سبب الخطأ الذي وقع فيه غيره؛ يعود للالتباس الذي سببه التصحيف، والخلط بين قبيلتين؛ هما: **زواوة، وزوازة**. ولكن عبد الوهاب بن منصور حاول تصحيح هذا الالتباس بقوله: **((ويظهر لي أن ابن خلدون نفسه وقع هنا في خطأ؛ بسبب التصحيف، فالاسم الذي صحف، وكان مثار هذا الالتباس هو زوارة بالراء التي سميت بها مدينة، وتعرف بها بطون إلى اليوم، وليس زوازة التي لا تعرف بين قبائل البربر؛ في قديم ولا حديث))**[1]. ومع وجاهة هذا الرأي الأخير؛ إلا أنه لا يكفي لإقناع المحققين؛ فالتصحيف ممكن حدوثه ــ أيضا ــ في اسم زوارة نفسها؛ خاصة وأن هذه التسمية لم نعثر عليها محققة، ومنسوبة لقبيلة ما؛ في المصادر التاريخية القديمة؛ والتي أعدت قبل القرن السابع للهجرة. ولا يكفي وجود مدينة، أو قبيلة بهذا الاسم في هذه الأيام. للتدليل على صحة تلك المزاعم. فاسم المدينة ــ أيضا ــ معرض للتحريف. فعلى سبيل المثال: توجد ــ في أيامنا هذه ــ بالجزائر؛

---

[1] قبائل المغرب، ج: 1، ص: 320.

مدينة يسميها الناس **تامنراست بالراء**؛ بينما هي في الأصل تسمى **تامنغاست بالغين**؛ إذ تحولت الغين إلى راء؛ بسبب اللهجات. وعليه.. ألا يحتمل أن تكون **زواغة** هي **زوارة**؛ ثم تعرضت للتصحيف؟

وبينما خلت المصادر القديمة من تسمية قبيلة بهذا الاسم؛ نجدها في كتاب القلقشندي؛ (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب)؛ مع أنه لا يذكر — في حرف الزاي — زواوة، ولا زواغة؛ ويخلط في الأمر حين يقول: ((**بنو زوارة بطن من صنهاجة؛ من البرانس؛ من البربر. وهم بنو زوارة بن صنهاجة بن برنس بن بربر... بنو زواعة** [بالعين المهملة] **ويقال لهم بنو زواعة باسم أبيهم: بطن من ضري**))[1]. ومن خلال ما سبق ذكره؛ يبدو أن التصحيف بدأ في زمن غير بعيد عن زمن القلقشندي؛ الذي توفي في عام 821هـ. وربما لا يتجاوز زمن التصحيف؛ النصف الأخير من القرن السابع للهجرة. ونظرا لغياب الدليل القاطع، والسند المقنع؛ سنسجل ما هو متوفر لدينا، ونترك الباب مفتوحا للمزيد من التحقيق. وعليه..

---

[1] ص: 276.

سنعتبر **زوارة**، **وزواغة**؛ **وزواوة** من بين أحياء بني سمكان بن يحيى؛ حتى يثبت غير هذا.

....

— *زوارة:*

لم أعثر — كما سبق أن ذكرت — في المصادر التاريخية القديمة المتوفرة على قبيلة تسمى **زوارة** بالراء؛ إلاّ فيما ورد من خلط ضمن كتاب نهاية الأرب، وما ذكره عبد الوهاب بن منصور في كتابه — الحديث — قبائل المغرب. حيث يقول بأنهم مندمجون في قبائل أخرى هي: قبيلة **بني موسى** (دوار سيدي حمودة)، وقبيلة **صنهاجة** (دوار الشركة)، وقبيلة **أولاد عطية** (دوار الصوادق) بالمغرب الأوسط. ومن جهتي.. لا أدري إن كان هذا يكفي؛ كدليل على وجود قبيلة باسم **زوارة**؛ فالاندماج يتبعه الذوبان.. فهل احتفظ المندمجون باسم قبيلتهم زوارة..؟ ومن جهة أخرى؛ يشير عبد الوهاب بن منصور — أيضا — إلى المدينة الساحلية المسماة باسمهم؛ في الجهة الغربية من طرابلس.

وإذا ما تصفحنا مصدرا قديما؛ مثل كتاب الرحلة المغربية للعبدري؛ الذي أُعِدّ في عام 688هـ؛ نجده يذكر اسم **قرية زوارة**؛ في سياق عام، وبأسلوب غامض؛ عن شيء اسمه زوارة؛ ولكن يصعب على القارئ التمييز إن كان المقصود بها اسم قبيلة، أو اسم قرية. أما التجّاني (الذي توفي سنة 717هـ) فتكلم عن **زوارة** كاسم لمكانين: **زوارة الكبرى**؛ التي كانت تسمى كوطين، **وزوارة الصغرى**؛ التي كانت تسمى بلد المرابطين. أما الورتلاني في رحلته؛ التي تمت في عام 1179هـ؛ فقد ذكر في كتابه ثلاثة أماكن ـ متقاربة ـ تسمى زوارة؛ هي: **زوارة الخالية، وزوارة العامرة، وزوارة الشرقية** أو (الكبرى).

أما محمد علي دبوز؛ فلا يذكر من بين القبائل اسما **لزوارة**؛ وإن كان قد أشار إلى الاسم على أنه لإحدى المدن القريبة من طرابلس؛ التي خلفت مدينة زواغة المندثرة: **((ليست زُوّاغة هي زْوارة كما يعتقد الكثيرون. إن زواغة كانت في القرن الثاني والثالث الهجري، أما زْوارة** [بالسكون فوق الزاي]

فنشأت في سنة 380 **من الهجرة. وزُواغة انقرضت وزْوارة لا زالت...وأرى أن زْوارة نشأت لما انقرضت زواغة؛ فهاجر أهل زُواغة إليها فعمروها))**[1]. وبعد الذي ذكرناه؛ يبدو أنه لا داعي لذكر المزيد من المصادر الأخرى؛ التي جاءت بعد رحلة التجاني؛ لاحتمال انتقال العدوى، وانتشار الالتباس، والتصحيف. وعليه؛ نتساءل.. ألا تكون تسمية **زوارة** هذه تعرضت ــ بدورها ــ للتصحيف؟ كما حدث لمدينة **تامنغاست** (تامنراست).. وخلاصة القول.. أنه لم يثبت ــ حتى الآن ــ وجود قبيلة باسم **زوارة**؛ وإن كان وجود مكان بهذا الاسم أمر ثابت لا محالة.

....

[1] تاريخ المغرب الكبير، ج: 3، ص: 603. تعليق: 1.

ـ *زُوّاغـــــة*:

ينـــدرج **بنـــو زواغـــة** ــ باتفـــاق المؤرخيـــن ، والنسابيـــن ــ ضمـــن **أبنـــاء زواغ بـــن سمكـــان بـــن يحـــيى**. ويقـــول ابـــن خلـــدون عنهـــم: ((**وأمـــا زواغـــة فلـــم يتـــأدّ إلينـــا مـــن أخبارهـــم، وتصاريـــف أحوالهـــم مـــا نعمـــل فيـــه الأقـــلام**))[1]. ثـــم يذكـــر ثـــلاث مـــن بطونهـــم؛ هـــم: **بنـــو دمـــر بـــن زواغ (ودمـــر** هـــذا ليـــس هـــو **الغانـــا** المعـــروف بدمـــر السابـــق الذكـــر**)**، **وبنـــو ماجـــر بـــن تيفـــون بـــن زواغ، وبنـــو واطيـــل بـــن زحيـــك بـــن زواغ.**

! ! !

ـ ***أعيانهـــم:*** مـــن علمـــاء زواغـــة:

ـ **أبـــو الخطـــاب وسيـــم بـــن ستتـــن الـــزواغي (**مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الرابـــع للهجـــرة**)**؛ وهـــو مـــن العلمـــاء الإباضييـــن؛ عـــرف بفضلـــه، وصلاحـــه.

ـ ثـــم **أيـــوب بـــن كلابـــة الـــزواغي (**مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الرابـــع للهجـــرة**)**؛ وهـــو مـــن أفاضـــل علمـــاء الإباضيـــة؛ اشتهـــر بالثـــراء،

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص: 264.

والكرم؛ وقد تناقل الأخباريون حكايات عديدة عن جوده، وكرمه؛ بالإضافة إلى علمه، وصلاحه.

ـ ثم **أبو موسى عيسى بن السمح الزواغي** (من أعيان النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي؛ اشتهر بالتقوى، والصلاح؛ وكان من رجال الفتوى.

ـ ثم **يزيد بن يخلف الزواغي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية بوادي ريغ.

***

ـ ***مواطنهم:*** يقول ابن خلدون[1] أنهم موزعون بين القبائل، ومتفرقون في نواحي طرابلس؛ حيث يتواجد الجبل المعروف بأحد بطونهم؛ وهو **جبل دمر**. وفي جهات **قسنطينة**، وفي **جبال شلف** جماعة منهم اسمهم **بنو واطيل**. وكذا الحال؛ في نواحي فاس؛ أين يتواجد بعضهم. وحين أشار مبارك الميلي إلى مواطن زواغة قال: **((ومنهم قرب ميلة فريق يعرفون**

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 264.

بزواغة))[2]. ويقول ابن منصور أن آخرين متواجدون **بفج مزالة.** ويرى أنهم كانوا في تلك الديار في أول الفتح الإسلامي؛ وينسب إليهم **بسيط زواغة** الممتد بين **فاس**، وبين **صفرو، وجبل كندر**[1].

....

ـ زواوة:

إذا كان ابن خلدون قد تذبذب في حكمه بخصوص انتماء **زواوة**؛ فإنه بالمقابل خصص لهم فصلا رئيسيا بين قبائل البتر؛ إذ نسبهم ـ من خلاله ـ إلى **سمكان بن يحيى ابن ضري.** وبالمقابل اكتفى ببعض الفقرات؛ التي كررها عنهم في الفصول المخصصة للبرانس. وقد تأثر ابن خلدون ـ في رأيه هذا ـ برأي ابن حزم؛ الذي ينسب زواوة إلى كتامة؛ ثم يعلل ابن خلدون ذلك؛ بكونهم متجاورين في الأوطان. مع أنه يقول: **((وأكثر الناس جاهلون بنسبهم. وعامة نسابة البربر على أنهم من**

---

[2] تاريخ الجزائر، ص: 599

[1] قبائل المغرب، ج: 1، ص ص: 311 ـ 312.

بـني سمكـان بـن يحيى بـن ضريـس، وأنهـم اخـوة زواغـة))[1]. والغريـب في الأمـر ـ هنـا ـ هـو موقـف ابـن خلـدون المنحـاز إلى رأي ابـن حـزم؛ ذلـك الـرأي الـذي يخالـف أقـوال نسابـة البربـر عامـة مـع أنـه اعتـرض عليـه في نـص آخـر؛ مرجحـا أقـوال مـن سماهـم بـ **((نسابـة البربـر))** فقـال حيـن تكلـم عـن لواتـة: **((وذكـر ابـن حـزم أن نسابـة البربـر يزعمـون أن سدراتـة، ولواتـة، ومزاتـة مـن القبـط. وليـس ذلـك بصحيـح؛ وابـن حـزم لـم يطلـع علـى كتـب علمـاء البربـر في ذلـك))**[1]. ومـع هـذا.. يبـدو أن انحيـازه لآراء ابـن حـزم؛ يرجـع إلى إلى مـا يقولـه عنـه؛ مـن صفـات تتحـلى بالثقـة، والتوثيـق. وعـلى الرغـم مـن التـردد، والاضطـراب الذيـن وقـع فيهمـا ابـن حـزم حينمـا أدرج **زواوة** مـرة بيـن أبنـاء **سمكـان بـن يحيـى البترييـن**، ومـرة أخـرى ضمـن **قبائـل كتامـة البرنسيـة**؛ فـإن ابـن خلـدون بـقي في موقفـه المنحـاز إليـه؛ بـل سايـره في اضطرابـه؛ حيـث أدرج ـ هـو الآخـر ـ زواوة

---

[1] العبـر، مج: 6، ص: 308.

[1] نفسه، ص: 235.

ضمن أبناء سمكان من جهة، وأبناء كتامة من جهة أخرى.

وعليه.. هل يمكن الحكم بانتماء جماعات معينة إلى جماعات أخرى؛ على أساس الجوار في الموطن فقط..؟ وإذا كان الرد بالإيجاب؛ فكيف نفسر وجود قبائل أخرى متجاورة؛ مع أنها لا تنتمي إلى بعضها بعضا؟ والعكس صحيح أيضا. إذ هناك قبائل تنتسب إلى نسب واحد؛ ولكن أوطانها متباعدة. ولنفرض أن الموطن، والجوار يمكن اعتبارهما حجة لتصحح الانتماء، والقربى.. فما هو الرأي إذن.. حينما نرى ابن خلدون يؤكد على كون المغرب الأوسط هو وطن زناتة؛ وبالمقابل نجد أمة عظيمة تنتسب إلى البرانس؛ مواطنها هي الأخرى في المغرب الأوسط..؟

وجملة القول.. فابن خلدون لم يتمكن من حسم موقفه تجاه **زواوة**؛ بل إنه لم يجد ما يقوله بخصوص **أبناء سمكان** كافة؛ فإذا كان قد اعترف بذلك حين تكلم عن **زواغة**؛ فإنه احتار ــ من جهة أخرى ــ بخصوص **زواوة**، وحاول إيجاد تأويلات، وافتراضات، ومسوغات ــ غير مقنعة ــ عن

تصحيـف يكـون قـد حـدث لاسـم **زوازة** [بالـزاي]؛ فأخـذت عـلى أنها **زواوة**. مـع أن زوازة لا وجـود لهـا بيـن قبائـل المغـرب بالكامـل. وفي كتـاب مفاخـر البربـر ــ الـذي يكـون كتـب سنـة 712هـ؛ أي قبـل أن يلـد ابـن خلـدون ــ ورد نـص يسجـل أسمـاء القبائـل البترية؛ جـاء فيـه: **((وأعـلام القبائـل الـتي تسـمى البتـر؛ مـن البربـر هـم: زواغـة، وزناتـة، وزواوة، ونفـزة، ولواتـة، ومزاتـة، ونفوسـة، ومغيلـة، ومطماطـة، ومطغـرة، ومديونـة، وصدينـة. ولكـل هـؤلاء شعـوب وقبائـل كثيـرة وبطـون وأفخـاذ وعمائـر لا تحـصى نسبـوا إلى جدهـم الأبتـر وهـو مادغـس بـن بركـان** [هـكذا صحـف] **يلقـب بالأبتـر))**[1]. وجـاء في الصفحـة 71 مـن المصـدر نفسـه: **((وزواو اسـم رجـل هـو زواو بـن سمجـان** [سمكـان] **بـن يحيـى ابـن تمزيـت** [تمصيـت] **بـن ضريـس))**.

ومـا يمكـن قولـه في هـذا المجـال؛ أنـه وردت في العبـر[2] أسمـاء كثيـرة للبطـون المتفرعـة عـن قبيلـة **زواوة**؛ نكتـفي منهـا بـ: **بـني كوزيـت، وبـني كـوفي، وبـني مرانـة، ومشدالـة، وولزاجـة**. ثـم

---

[1] ص: 76.

[2] العبـر: مج: 6، ص ص: 262 ــ 264.

وردت في العبر ــ أيضا ــ أسماء بعض قبائلهم التي عاصرت ابن خلدون؛ وهم: **بنو بوشعيب، وبنو بويوسف، وبنو صدقة، وبنو غبرين، وبنو فوراسن، وبنو كشطولة، وبنو مانكلات، وبنو ماني، وبنو يتورغ، وبنو يراتن.** وكان لزواوة أثر ملحوظ في دولة بني حماد؛ حيث أضحت عاصمتهم مجاورة لمواطن زواوة؛ كما جاء في العبر: **((ثم اختط بنو حماد بعد ذلك بجاية بساحتهم، وتمرسوا بهم؛ فانقادوا، وأذعنوا لهم إلى آخر الدولة. واتصل إذعانهم إلى هذا العهد؛ إلا تمريضا في المغرم؛ يحملهم عليه الموثقون بمنعة جبالهم))**[1]. ويعتبر **بنو يراتن** من أبرز قبائلهم في عهد ابن خلدون. وبيت الرئاسة فيهم، هم رهط **عبد الصمد.** وكانت ترأسهم امرأة منهم اسمها **شمسي**؛ لها عشرة أولاد؛ فتغلبت بهم على قومها. وكان لشمسي هذه ذكر مع السلطان أبي الحسن المريني.

! ! !

---

[1] العبر: مج: 6، ص: 263.

ـ ***أعيانهم:*** ومن أعلام زواوة ورجالها المشهورين بالعلم، والفضل:

ـ **أبو زكرياء يحيى بن أبي علي الزواوي** (ت: سنة 611هـ/1214م)؛ وهو من أهل التصوف، والزهد؛ إذ تفرغ للعبادة، وتدريس الفقه، والحديث، وتفسير القرآن.

ـ ثم **أبو الحسن يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي** الملقب بزين الدين (توفي بالقاهرة سنة 628هـ/1230م)؛ شاعر مجيد، وإمام كبير من أئمة النحو، واللغة العربية؛ من مؤلفاته: كتاب الدرة الألفية في علم العربية، وكتاب الفصول، وكتاب العقود والقوانين، والهوامش على ابن السراج، وشرح على كتاب الجمل للزجاجي؛ هذه كلها في النحو؛ ثم منظومة في القراءات السبع، ونظم ألفاظ الجمهرة لابن دريد في اللغة، وكتاب المثلث في اللغة، وشرح لأبيات سيبويه نظما، وديوان خطب، وديوان شعر، والبديع في صناعة الشعر، ونظم كتاب الصحاح للجواهري؛ لم يكتمل. قال عنه ابن خلكان: ((**كان أحد أئمة عصره في النحو، واللغة؛ سكن دمشق زمانا طويلا؛ واشتغل عليه خلق كثير، وانتفعوا**

به، وصنف تصانيف مفيدة... ثم إن الملك الكامل أرغبه في الإنتقال إلى مصر؛ فسافر إليها؛ وتصدر بالجامع العتيق بمصر لإقراء الأدب))[1].

ـ ثم **ضياء الدين عبد الرحمن بن عبد الله الزواوي** (توفي بدمشق سنة 644هـ/1246م)؛ فقيه، وله مشاركة في علوم عديدة.

ـ ثم **أبو محمد عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس الزواوي** (توفي بدمشق سنة 681هـ/1282م)؛ شيخ مشائخ الإقراء بدمشق؛ وهو أول من تولى قضاء المالكية بها؛ ولكنه عزل نفسه بعد تسع سنوات؛ من مؤلفاته: التنبيهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات؛ وهو في القراءات، وعدد الآي.

ـ ثم **أبو يعقوب يوسف بن عبد السلام ابن علي بن عمر الزواوي** (ت: سنة 683هـ/1284م)؛ أحد كبار العلماء؛ ولي قضاء المالكية بدمشق.

ـ ثم الشيخ **أبو إسحاق إبراهيم بن ميمون ابن بهلول الزواوي** (ت: سنة 686هـ/1287م)؛ فقيه، وشاعر.

---

[1] **وفيات الأعيان، ج: 6، ص: 197.**

ـ ثـم **أبـو يوسـف يعقـوب بـن يوسـف المنكـلاتي الـزواوي** (ت: سنـة 690هـ/1291م)؛ فقيـه، أصـولي، مشـارك في علـم العقائـد؛ تفـرغ للعبـادة، والتدريـس ببجايـة.

ـ ثـم **أبـو عبـد اللـه جمـال الديـن محمـد بـن سليمـان بـن يوسـف الـزواوي** (تـوفي بدمشـق سنـة 717هـ/1317م)؛ أحـد كبـار علمـاء المالكيـة؛ فقيـه، ومحـدث؛ تـولى القضـاء بدمشـق طـوال ثلاثيـن سنـة؛ قـال عنـه ابـن تغـري بـردي: **((كـان فقيهـا، عالمـا، عـالي الهمـة، محدثـا بارعـا، مشكـور السيـرة في أحكامـه))**.

ـ ثـم **أبـو عبـد اللـه محمـد بـن يعقـوب بـن يوسـف المنكـلاتي الـزواوي** (ت: سنـة 730هـ/1329م)؛ فقيـه، وابـن فقيـه؛ ولي القضـاء ببجايـة؛ قـال عنـه ابـن القـاضي في درة الحجـال: **((كـان فقيهـا، حافظـا، مستبحـرا في حفـظ المسائـل، والفـروع))**[1].

ـ ثـم **أبـو الـرُّوح عيـسى بـن مسعـود بـن منصـور بـن يحـيى المنكـلاتي الـزواوي** (تـوفي بالقاهـرة سنـة 743هـ/1342م) فقيـه، وعالـم في الحديـث، ومـؤرخ؛ تـولى القضـاء بدمشـق، والقاهـرة، والتدريـس بالأزهـر. مـن مؤلفاتـه:

---

[1] ج: 2، ص: 101.

إكمال الإكمال؛ وهو شرح لصحيح مسلم؛ في 12جزءا، وشرح جامع الأمهات في 7 أجزاء؛ وهو شرح لكتاب ابن الحاجب في الفقه المالكي، وشرح المدونة في الفروع، ومناقب الإمام مالك، وكتاب في الوثائق، وكتاب في المناسك، وفي علم المساحة، وشرح العضدية للسمرقندي، وكتاب في التاريخ كبير أنجز منه عشرة مجلدات.

ـ **ثم أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الزواوي** (ت: سنة 750هـ/1349م)؛ وهو من كبار القراء في المغرب، وفقيه، ومحدث؛ له فهرست سجل فيه مقروءاته، ومروياته.

ـ ثم **أبو على منصور بن علي بن عبد الله الزواوي** (ت: سنة 770هـ/1368م)؛ وهو أحد كبار علماء المالكية؛ أصولي؛ وحافظ للحديث، ناقد، ونحوي، وشاعر؛ قال عنه ابن الخطيب في الإحاطة: ((**هذا الرجل طرف في الخير، والسلامة، حسن العهد، والصون والطهارة والعفة، قليل التصنع... صدر من صدور الطلبة، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم: العقلية، والنقلية، وإطلاع، وتقييد، ونظر في: الأصول، والمنطق، والكلام، ودعوى**

في: الحساب، والهندسة، والآلات، يكتب، ويشعر؛ فلا يعدو الإجادة، والسداد))[1]. ومن شعره الذي ذكره ابن الخطيب:

يُحَيِّيكَ عَنْ بَعْضِ المَنازِلِ صَاحِبُ
صَدِيقٌ غَدَتْ تُهْدَى إِلَيْكَ رَسَايِلُه
مُقَدِّمَة حِفْظ الوِدَادِ وَسِيلَة
وَلاَ وُدَّ إِلاَّ أَنْ تَصِحَّ وَسَائِلُه
يُسايِلُ عَنكَ الدَّارَيْنِ وَلَمْ يَكُنْ
تَغِيبُ لِبُعْدِ الدَّارِ عَنْكَ مَسَايِلُه

ومن شعره أيضا:

يَا مَنْ وَجَدْنَاهُ لَفْظاً حَقِيقَة فِي المَعَالِي
مُقَدِّمَاتُ عُلاَكُمْ أَنْتَجْنَ كُلَّ كَمَالِ
وَكُلُّ نَظْمٍ قِيَاسٌ خَلَوْت مِنْهُ فَخَالِ

ـ **ثم بدر الدين محمد بن علي بن إسماعيل الزواوي** (توفي بالقاهرة سنة 775هـ/1373م)؛ فقيه، وحافظ للحديث، وله إلمام بعلوم أخرى.

---

[1] ج: 3، ص ص: 324 ـــ 325.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يللبخت الزواوي** (من أعلام القرن الثامن الهجري)؛ حافظ للحديث، وأحد كبار علماء الفقه المالكي.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عثمان المنكلاتي الزواوي** (توفي في أواخر القرن الثامن الهجري)؛ أحد فقهاء بجاية؛ له فتاوى؛ سجل بعضها في المازونية، والمعيار.

ـ ثم **عبد الله بن عبد الله بن علي بن المحفوف الزواوي** (ت: سنة 800هـ/1397م)؛ وهو من أصحاب التنجيم، والأبحاث الغيبية؛ من مؤلفاته: المثلث في علم الرمال.

ـ ثم **نصر الزواوي** (توفي بالقدس سنة 826هـ/1422م)؛ عالم، ومن الزهاد، والعباد الصالحين، له مشاركة في علوم العربية.

ـ ثم **علي بن أحمد بن عبد المؤمن الزواوي** (ت: سنة 828هـ/1424م)؛ فقيه، ومن العارفين بالحديث، وله اهتمام بعلوم أخرى؛ من مؤلفاته: حل عقود الدرر في علوم الأثر؛ وهو لعقود المؤرخ ابن ناصر الدين.

ـ ثم **أبو الحسن منصور بن علي بن عثمان المنكلاتي الزواوي** (توفي بعد 850هـ/1446م)؛ وهو فقيه بجاية، ومفتيها، وعالمها في وقته؛ له فتاوى مسجلة في الدرر المكنونة، والمعيار.

ـ ثم **محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن أحمد بن سليمان الصدقاوي الزواوي** (ت: سنة 853هـ/1449م)؛ قاضي، وفقيه مالكي، وله اهتمامات بعلوم أخرى.

ـ ثم **شهاب الدين أحمد بن صالح بن خلاصة الزواوي** (ت: سنة 855هـ/1451م)؛ فقيه مالكي، ومحدث حافظ؛ هو أحد الذين أجازوا الإمام السخاوي.

ـ ثم **إبراهيم بن جابر بن موسى الزواوي** (ت: سنة 857هـ/1453م)؛ فقية من علماء المالكية له اهتمامات عديدة في علوم مختلفة.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن فائد بن موسى بن عمر بن سعيد الزواوي** (ت: سنة 857هـ/1453م)؛ وهو أحد كبار علماء المالكية، وله المام بالتفسير؛ من مؤلفاته: تفسير القرآن، وشرح ألفية ابن مالك، وتسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض خليل؛ في الفقه المالكي؛

وهو في 8 مجلدات وربما 3 ، وفيض النيل في شرح مختصر خليل؛ في مجلدين، وتلخيص التلخيص؛ وهو عبارة عن شرح على تلخيص المفتاح وتحفة المشتاق؛ وهو في مجلد كبير.

ـ ثم **عيسى الزواوي** (ت: سنة 878هـ/1473م)؛ صوفي، وعالم بالحساب، والفرائض؛ له بعض المؤلفات؛ قال عنها السخاوي: ((**أوقف كتبه قبل موته**)).

ـ ثم **أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري** (توفي بمدينة الجزائر سنة 884هـ/1479م)؛ وهو أحد علما المالكية؛ من مؤلفاته: اللامية؛ في علم الكلام؛ شرحها الإمام السنوسي.

ـ ثم **بلقاسم بن محمد الزواوي** (ت: سنة 922هـ/1516م)؛ وهو أحد علماء المالكية؛ له شرح على الرجز للضرير المراكشي.

ـ ثم **شرف الدين قاسم بن عمر الزواوي** (توفي بالقاهرة سنة 927هـ/1520م)؛ صوفي، ومشارك في عدد من العلوم؛ قال صاحب الكواكب السائرة: ((له تصانيف)).

ـ ثم **طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني** (ت: بعد 940هـ/1533م)؛ نزيل المدينة المنورة؛ فقيه، وصوفي؛ من مؤلفاته: نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد؛ في التصوف؛ وهو في ثلاثة كراريس، ورسالة القصد إلى الله؛ في كراسين.

ـ ثم **يحيى بن سليمان الزواوي** (توفي بعد 999هـ/1590م)؛ وهو أحد علماء المالكية؛ له إلمام بالعقائد.

ـ ثم **إبراهيم بن محمد الزواوي** (توفي بعد 999هـ/1590م)؛ فقيه من الحفاظ، وله إلمام بالفرائض، والحساب؛ قال عنه ابن القاضي: **((وهو الآن فقيه كَنْوا من بلاد السودان، ومدرسها؛ بعد أبي عبد الله التونسي))**[1].

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن أبي القاسم الحسني الزواوي** (ت: سنة 1208هـ/1793م)؛ شيخ الطريقة الرحمانية؛ قال صاحب شجرة النور: له **((تآليف، وأوراد))**.

ـ ثم **محمد بن عامر المغازي الزواوي** (ت: سنة 1221هـ/1806م)؛ صوفي، وفقيه؛ من مؤلفاته: الوظائف المحمدية لأهل الطريقة المغازية.

---

[1] درة الحجال، ج: 1، ص: 205.

ـ ثم **أحمد الطيب بن محمد بن الصالح بن سليمان العيساوي الزواوي** (ت: سنة 1251هـ/1835م)؛ وهو من علماء النحو، والأدب، وأحد كبار علماء المالكية، وشاعر؛ ومن مؤلفاته: الدرة المكنونة؛ وهي أرجوزة في عقائد التوحيد، وتكملة الفوائد في تحرير العقائد؛ وهو شرح على أم البراهين، ومفتاح الأحكام؛ وهي منظومة في أحكام الفتوى تصل أبياتها إلى الألفين، وتذكرة الحكام؛ وهو شرح لمفتاح الأحكام، ونصرة الإخوان في احجاج الفقهاء بالبرهان؛ وهي أرجوزة، ومنهج الوصول؛ وهي أرجوزة في علم الفرائض، ومفيد الطلبة؛ وهو شرح الأجرومية، والقرة العصرية؛ في أحكام الفتوى.

ـ ثم **علي بن محمد المغازي الزواوي** (توفي بعد 1301هـ/1883م)؛ صوفي؛ من مؤلفاته: الفيوضات الإضافية والتدرجات الإنسانية في نشر الطريقة الخلوتية؛ طبع بمصر سنة 1301هـ.

ولا تفوتني ـ هنا ـ الإشارة إلى شاعر شعبي من زواوة؛ ظهر في وقت متأخر بعض الشيء؛ ودواعي إدراجه ـ في هذا المجال ـ ترجع إلى كونه عينة صادقة للشعراء الأمازيغ الشعبيين؛

الذين يتعاملون مع هذا الفن بأسلوب شفوي غير مكتوب، وبالأمازيغية، والعربية الدارجة. وهذا الشاعر هو:

ـ **محند أو محند أمزيان حمدوش** (من أعلام أواخر القرن الثالث عشر للهجرة)؛ جاء في كتاب الحوار الرفيع بين الصوت الأمازيغي والحرف العربي؛ لعبد الرحمن بوزيدة: **((أما عائلة الشاعر فهي آيت حمدوش؛ من عرش شَرْعَوى... يسمى والد الشاعر محند أمزيان حمدوش؛ أصله من قرية أقمون وقد فر إلى شَرْعَيوى (الأربعاء أنيراثن) إثر قضية ثأر. وبعد أن حطم الاستعمار شَرْعَيوى، وشتت سكتنها سنة 1857م استقرت عائلة سي محند بأقبو... وقد كان عم الشاعر أرزقي حمدوش فقيها، ومدرسا؛ فتح زاوية بالمنطقة؛ حيث يدرس القرآن؛ وقد بدأ الشاعر تعليمه بهذه الزاوية؛ ثم انتقل بعد ذلك إلى زاوية سيدي عبد الرحمن الأيلولي بعين الحمام؛ أين تفقه في العلوم الدينية... ثم تدهورت حياة أسرته بعد ثورة المقراني سنة 1288هـ/1871م؛ حيث انضم إليها أبوه، وعمه. وقد أعدم أبوه بعد القضاء على هذه الثورة؛ أما عمه فقد**

نفي إلى كلدونيا الجديدة؛ وتشردت عائلته، وهام الشاعر ـ إثر ذلك ـ على وجهه؛ ضاربا في البلاد؛ بعد أن نجا من الإعدام بأعجوبة... إن الأشعار المنسوبة إلى الشاعر كثيرة جدا، ومتنوعة؛ وهي غير مكتوبة؛ بل بقيت في معظمها خاضعة لمنطق أدب الحفظ والمشافهة. ورغم اتفاق الرواة على أن سي محند كان يقول الشعر بالعربية، وبالأمازيغية معا، ورغم إتقانه للعربية؛ لم يكتب أشعاره، ولم يترك تراثا مكتوبا))[1]. وهذه عينة من شعره الْمُعَرَّب:

إِنَّ فِي العِشْقِ اخْتِلاَفْ
وَفُرُوقاً وَصُنُوفْ
كُلُّ فَرْدٍ مِحْنَتُهْ

بَعْضُهُمْ يَزْهُو سَعِيدْ
حَظُّهُ حَظٌّ رَغِيدْ
لاَ يُفَارِقْ مَنْ يُحِبْ

---

[1] ـــ بوزيدة عبد الرحمن؛ الحوار الرفيع، ص ص: 29 ـــ 32. 42.

بَعْضُهُـــمْ يَبْــقىَ يُعَـــانِي
يَتَعَلَّـــلْ بالأمَـــاني
حَالُـــهُ، اَللَّـــهُ أعْلَـــمْ

هـــُوَ ذَا قَلْـــبي اِمْتَـــلاَ
فَيْـــضُ دَمْعِـــهْ قَدْ جَـــرَى
كَـــمْ تَلَـــقىَّ مِـــنْ مِحَـــنْ

سِـــرُّهُ هَـــدَّ الجِبَـــالْ
وَاخْتَنَـــقْ فِيـــهِ المَجَـــالْ
هُـــوَ بِالعِشْـــقِ ظُلِـــمْ

إلى أن يقـــول:
لِي جنـَـانٌ مُتَفَــرِدْ
بنَبَــاَتٍ مُتَمَـــدِّدْ
فَحَـــمَى اللَّـــهُ غِلاَلَـــهْ

قَـــدْ بَنَيْـــتُ سُـــورَهُ
وَغَلَقْـــتُ بَابَـــهُ
حَارِسُـــهْ دَوْمـــاً يَقِـــظْ

السُّيُـــولُ اكْتَسَحَتْـــهُ
جَرَفَـــتْ مَا وَجَدَتْـــهُ

فَانْدَثَــرْ دُونَ أثَــرْ

مَــنْ أذَانِي، لاَ سَمَــاحْ
فِي صَمِيمِي كَمْ جــرَاحْ
كَــمْ ضَمِيــرِي يَتَألَــمْ

***

ــ ***مواطنهــم:*** يقــول ابــن خلــدون: **((ومواطــن زواوة بنــواحي بجايــة؛ مــا بيــن مواطــن كتامــة، وصنهاجــة؛ أوطنــوا منهــا جبــالا شاهقــة متوعــرة؛ تنذعــر منهــا الأبصــار، ويضــل في خمرهــا السالــك؛ مثــل: بــني غبريــن؛ بجبــل زيــري؛ وفيــه شعــراء مــن الــزان؛ يشهــد بهــا لهــذا العهــد. ومثــل بــني فراســن، وبــني يراثــن؛ وجبلهــم مــا بيــن بجايــة، وتدلــس؛ وهــو أعصــم معاقلهــم، وأمنــع حصونهــم؛ فلهــم بــه الاعتــزاز عــلى الــدول، والخيــار عليهــا في إعطــاء المغــرم. مــع أن كلهــم لهــذا العهــد قــد امتنــع لسهامــه، واعتــز عــلى السلطــان في أبنــاء طاعتــه، وقانــون مزاجــه))**[1].

---

[1] **العبــر، مج: 6، ص ص: 262 ــ 263.**

هـــذا مـــا توفـــر لدينـــا مـــن معلومـــات عـــن بـــني **أداس، وبـــني ضـــري.** وبـــقي أمامنـــا الآن الشـــروع في موضـــوع قبائـــل: **بـــني لـــوا** الأكبـــر، ثـــم **بـــني نفـــوس.** وهـــم جميعـــا **أولاد زحيـــك بـــن مادغيـــس الأبتـــر.**

....

3ـ بنـو لـوا:

يتفـــرع **أبنـــاء لـــوا الأكبـــر** إلى فرعيـــن كبيريـــن؛ همـــا: **بنـــو نفـــزاو** (نفـــزاوة)، **وبنـــو لـــوا الأصغـــر** (لواتـــة). فالذيـــن حملـــوا نســـب **لـــوا**؛ هـــم أبنـــاء **لـــوا الأصغـــر**؛ الـــذي ســـمي باســـم أبيـــه؛ بعـــد أن مـــات والـــده؛ قبـــل ميـــلاده.

....

(1) ـ نفـــزاوة:

وهـــم **أبنـــاء يطوفـــت بـــن نفـــزاو بـــن لـــوا الأكبـــر ابـــن زحيـــك.** فلـــوا الأكبـــر، وضـــري أخـــوان؛ وأبوهمـــا هـــو زحيـــك بـــن مادغيـــس الأبتـــر. ولنفـــزاوة بطـــون عديـــدة؛ أهمهـــا: **زاتيمـــَة، وزُهيلـــة، وسوماتـــَة، وغُساســـَة، ومَرنيسَـــة، وورسيـــف،**

وولهاصة؛ وغيرهم كثيرون؛ لا حاجة لذكرهم بكاملهم؛ لعدم الفائدة. فأما **زاتيمة** فقد بقي منها ــ في زمن ابن خلدون ــ جماعة بساحل **برشك**. **وزهيلة** وكان منهم ــ في الزمن نفسه ــ بقية بجهات **بادس** (القرية من نكور)؛ اندمجت بقبائل غمارة؛ ومنهم الولي الصالح **الشيخ أبو يعقوب البادسي**. **وسوماتة** بقيت منهم بعض الفئات في جهات **القيروان**. ومن غساسة بقيت جماعة في قرية **بطوية** ؛ على ساحل البحر. أما **مرنيسة** فمتفرقون عبر الأقطار المغربية كلها. أما **ورسيف**. فأهم بطونهم **مكلاتة**؛ وقد تفرعت بدورها إلى أفخاذ عديدة؛ منها: **ديمار**، **وريحون**، **وسراين**، **وكزناية**، **وورياغل**، **ويصلتن**.

أما **ولهاصة**.. فمنها: **ورتدين**، **وورفجومة**. وقد دخلت قبيلة **ورفجومة** تاريخ المغرب الإسلامي من بابه المظلم؛ بسبب ارتكابها مجازر القيروان؛ التي فاقت حدود الوصف؛ من حيث الفساد، والعيث، والمنكر. وكانت ورفجومة صُفْرية المذهب، وتميل أحكام أهلها إلى التطرف الشديد. يأتمرون بأوامر قائدهم، وكاهنهم **عاصم بن جميل**؛ المقيم **بجبل أوراس**.

ومن رجالاتهم الذين قادوا حملة القيروان: **عبد الملك بن أبي الجعد، ويزيد بن سكوم**. وقد بقي من أحياء ورفجومة ــ في عهد ابن خلدون ــ جماعة **بمرمجنة**؛ وثمة قرية في نواحيها تنسب إليهم.

! ! !

ــ ***أعيانهم:*** فإذا كانت **ورفجومة** قد ظهرت بذلك الوجه البشع؛ فإن القبيلة الأم **نفزاوة**؛ منحت المغرب الإسلامي، والمسلمين عامة أفضل أبنائها الصالحين؛ من: العلماء، والأدباء، والقادة؛ حماة الوطن، والدين؛ مثل:

ــ **طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو الولهاصي النفزي** (تاريخ وفاته غير معروف؛ ويعد من أعلام أواخر القرن الأول للهجرة)؛ وهو القائد الذائع الصيت؛ الذي فتح بلاد الأندلس، ومهد للإسلام طريقا فيها. يكون قد استدعي إلى دار الخلافة بالشام؛ بسبب خلاف نشب بينه وبين موسى بن نصير؛ لم يعد بعده إلى وطنه، ولم تذكر المصادر التاريخية شيئا عن مصيره النهائي. وربما يكون قد

تعرض لبعض المضايقات، والتجاوزات؛ كما أشار ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد وارشكين بن سعيد بن موسى بن عيسى الزجالي النفزي التاكرني** المعروف بحمدون (توفي بقرطبة سنة 232هـ/846م)؛ كان يلقب بالأصمعي؛ لقوة حفظه، وحدة ذكائه. وهو رأس أسرة الزجاليين بقرطبة؛ تلك الأسرة التي نبغ منها: الكتاب، والأدباء، والوزراء. وأورد ابن حيان القرطبي في كتابه المقتبس؛ قصة وصول محمد بن سعيد هذا إلى مرتبة كاتب الأمير عبد الرحمن بن الحكم. ووردت القصة نفسها في كتابي: المُغْرِب، ونفح الطيب؛ وهي أنّ الأمير عبد الرحمن كاد يوما أن يسقط عن دابته؛ حين عثرت به؛ فحاول أن يتمثل ببيت شعر؛ لم يتذكر سوى شطر منه؛ إذ قال:

وَمَا لاَ يُرَى مِمَّا يَقِي اللـّهُ أكْثَرُ

وتعذر عليه تذكر الشطر الآخر؛ فانشغل به؛ ثم سأل المحيطين به عنه؛ فلم يجد ضالته إلاَّ عند الزجالي؛ الذي كان كاتبا لدى وزراء الأمير. فلما مثل أمامه قال: أصلح الله الأمير؛ أول البيت:

تَـرَى الـشَّيْءَ مِمـَّا يُتَّـقىَ فَتَهَابُـهُ
وَمَا لاَ نَـرَى مِمَّا يَـقِي اللَّـهُ أكْثَـرُ

وكانت هذه الحادثة أول اتصال مباشر بينه وبين الأمير؛ ازداد التحاما مع الأيام؛ حتى أضحى كاتبا لسره. وقال فيه ابن حيان القرطبي: **((كان محمد بن سعيد هذا أحد عجائب الدنيا في قوة الحفظ؛ يضرب بحفظه الأمثلة...جاءه يوما مستَجْد توسل إليه بشعر امتدحه به؛ سأل أن يأذن له في إنشاده، ففعل. وجعل الشاعر ينشده له...ومحمد مطرق؛ فلما فرغ من شعره؛ ذهب إلى مغالطته له: "يا هذا؛ ما الذي دعاك أن تنتحل شعراً لغيرك؛ فَتقْلِبه فينا؛ وكنت في غنى عن ذلك؟"...فقال له: "سبحان الله يا سيدي؛ تقول ذلك في شعر كددت فيه خاطري، وأتعبت فيه ذهني؟ فلا والله ما أخذته من أحد، ولا سَوَّيْتـُهُ إلا من نظمي". فقال له محمد: "باطل؛ إنه لشعر قد رويته قديماً، وحفظته؛ فإن شئت فاسمع إليه أنْشِدْكَهُ"؛ وبدأ، فأعاد الشعر عليه، أو أكثره؛ فبقي حائرا؛ لما فجأة به؛ قد زال طمعه،**

وانقطعت حجته، واشتدت فجعته. فلما رأى محمد سوء مقامه قال له: "خَفِّضْ عليك؛ فإني مزحت معك؛ وإنك الصَّادق فيما قلت؛ الحقيق بالثواب على ما قرضت؛ وإنما أعانني عليك قوة حفظي؛ الذي ذهبت إلى اختباره معك. ولا والله ما سمعت بهذا الشعر قبل يومي." فَسَرَّى عن الشاعر همَّه، وأجزل صلته))[1]. وذكر المقري خبرا آخر عن الزجالي؛ جاء فيه:[2] ((حضَر مَعَ الوزير عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني في مجلس فيه رؤساء؛ فعُرض عليهم فرس مطهَّم، فتمثل فيه عبد الواحد بقول امرئ القيس:

"بَرِيد السُّرَى باللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرْبَرَا"

ففهم الزجالي أنّه عرَّض بأنَّه من البربر؛ فلم يحتمل ذلك؛ وأراد الجواب؛ فقال مدبَّجاً لما أراده، ومعرِّضاً: "أحسن عندي من ليل يسرى بي فيه؛ على مثل هذا يوم؛ على الحال التي قال فيها القائل:

---

[1] المقتبس، ص ص: 35 ــ 36.

[2] نفح الطيب، ج: 3، ص: 540.

وَيَوْمٍ كَضِلِّ الرُّمْــحِ قصَّــرَ طُولَــهُ
دَمُ الزِّقِّ عَنــَّا وَاصْطِفَــاقِ المَزَاهِــرِ"

وإنَّمـــا عـــرَّض للإسكنـــدراني؛ بأنـــَّه كـــان يشهـــد مجالـــس الراحـــات في أول أمـــره، ومعرفـــة الغنـــاء؛ فقلـــق الوزيـــر، وشكـــاه إلى الحاجـــب عيـــسى ابـــن شُهَيْـــد... فحـــكى لـــه الزجـــالي مـــا جـــرى... وأنشـــد:

"وَمَا الحُرُّ إلاَّ مَنْ يَدِينُ بِمِثْـلِ مَــا
يُــدَانُ وَمَنْ يُخْــفِي القَبِيحَ وَيُنْصِفُ"
هُمُ شَرَعُوا التَّعْرِيضَ قذْفاً فَعِنْدَمَــا
تَبِعْنـَـاهُمُ لاَمُــوا عَلَيْــهِ وَعَنَّفُــوا"")).

ــ ثـــم ولـــده **عبـــد اللـــه بـــن محمـــد بـــن سعيـــد**؛ ولي في منصـــب أبيـــه بعـــد وفاتـــه؛ ولكنـــه تـــوفي بعـــد ستـــة أشهـــر.

ــ ثـــم ولـــده الثـــاني **حامـــد بـــن محمـــد بـــن سعيـــد** (ت: سنـــة 268هــ/881م)؛ قـــال عنـــه ابـــن حيـــان:[1] ((وأعقـــب ابنـــا نجيبـــا يســـمى حامـــد بـــن محمـــد، ورث مكانـــه في الأدب، والمعرفـــة، والكتابـــة، والبلاغـــة؛ فسلـــك سبيلـــه في خدمـــة السلطـــان،

---

[1] المقتبـــس، ص ص: 36 ـــ 37.

وارتقى فوق ذروة أبيه بخطة الوزارة؛ بحضرة الأمير محمد بن عبد الرحمن... ومن نوادر حامد بن محمد الزجالي:... غلط إِمَامُ الوزيرِ حامد بن محمد ليلة في بعض قراءته... وحامد حاضر؛ فقرأ مكان قوله تعالى: " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة " فقرأ: "... فانكحوهما"؛ فلما انصرف حامد قال لبعض من يخصه من جيرانه: "أما سمعت ما أتى به إمامنا من تبديل حدودنا؟" وتضاحكا؛ فقال له حامد: "فقد سنحت لي فيه بديهة فاسمعها؛ وأنشده:

أَبْدَعَ القَارِئُ مَعْنىً لَمْ يَكُنْ فِي الثقَلَيْنْ
أَمَرَ النَّاسَ جَمِيعاً بِنِكَاحِ الزَّانِيَيْنِ"))،

وقد بقيت أسرة الزجالي تحتل خططا عديدة في الدولة؛ منها المتوسطة الحال، ومنها الخطط السامية؛ ككتابة السر، والوزارة؛ إذ يلاحظ أنهما أُسْنِدَتا إلى:

ـ **عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد** (ت: سنة 302هـ/914م).

ـ ثم **أبي بكر عبيد الله بن عبد الله الزجالي** (ت: سنة 375هـ/985م).

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن محمد الزجالي** (كان حيا سنة 307هـ/919م)؛ الذي تولى خزانة المال كذلك.

ـ ثم أخوه **عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي** (كان حيا سنة 316هـ/928م)؛ الذي أسندت إليه خزانة المال، وخطة العرض.

ـ ومن نفزاوة أيضا: **فضل الله بن سعيد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم الكزني النفزي** (توفي حوالي 335هـ/946م)؛ وهو فقيه، ولي قضاء فحص البلوط بالأندلس؛ وهو أخو قاضي الجماعة بقرطبة؛ منذر بن سعيد.

ـ ثم **أبو الحكم منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم الكزني النفزي البلوطي** (ت: سنة 355هـ/946م)؛ وهو قاضي الجماعة بقرطبة؛ كان خطيبا مصقعا، وعالما مستبحرا، وفقيها مدققا، وأديبا بليغا؛ له مؤلفات عديدة؛ منها: أحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ، وكتب أخرى في الفقه، وعلم الكلام؛

في الرد على أهل المذاهب. قال عنه الضبي: ((ولي قضاء الجماعة بقرطبة في حياة الحكم المستنصر بالله، وكان عالما، فقيها، وأديبا بليغا، وخطيبا على المنابر، وفي المحافل مصقعا؛ وله اليوم المشهور الذي ملأ فيه الأسماع، وبهر القلوب؛ وذلك أن الحكم المستنصر كان مشغوفا بأبي علي القالي؛ يؤهله لكل مهم في بابه؛ فلما ورد رسول ملك الروم؛ أمره عند دخول الرسول إلى الحضرة أن يقوم خطيبا؛ بما كانت العادة جارية به؛ فلما كان في ذلك الوقت، وشاهد أبو علي الجمع، وعاين الحفل؛ جبن، ولم تحمله رجلاه، ولا ساعده لسانه؛ وفطن له أبو الحكم منذر بن سعيد؛ فوثب، وقام مقامه، وارتجل خطبة بليغة على غير أهبة، وأنشد لنفسه في آخرها:

هَذَا المَقَالُ الَّذي مَا عَابَهُ فَنَدٌ
لَكِنَّ صَاحِبَهُ أَزْرَى بِهِ البَلَدُ
لَوْ كُنْتُ فِيهِمْ غَرِيباً كُنْت مُطَّرَفاً
لَكِنَّني مِنْهُم فَاغْتَالَني النَّكَدُ
لَوْلاَ الخِلاَفَة أبْقَى اللَّهُ بَهْجَتَها
مَا كُنْتُ أبْقَى بِأَرْضٍ مَا بِهَا أحَدُ

فاتفق الجمع على استحسانه... ومن مصنفاته: كتاب الإفتاء على استنباط الأحكام من كتاب الله، وكتاب الإبانة عن حقائق أصول الديانة، وقد كانت له رحلة... ولقي أبا جعفر أحمد بن محمد بن النحاس النحوي بمصر؛ وله معه حكاية مشهورة؛ وذلك أنه حضر مجلسه في الإملاء؛ فأملا أبو جعفر – في جملة ما أملى – قول الشاعر[مجنون ليلى]:

خَلِيلَيَّ هَلْ بِالشَّامِ عَيْنٌ حَزِينَةٌ
تَبْكِي عَلَى لَيْلَى لَعَلِّي أُعِينُهَا
قَدْ اسْلَمَهَا البَاكُونَ إلاَّ حَمَامَةٌ
مُطوَّقَةٌ بَاتَتْ وَبَاتَ قَرِينُهَا
تُجَاذِبُهَا أخْرَى عَلَى خَيْزُرَانَةٍ
يَكَادُ يُدَنِّيهَا مِنَ الأَرْضِ لِينُهَا

فقال له منذر بن سعيد: "أيها الشيخ أعزك الله؛ باتا يصنعان ماذا"؟ فقال أبو جعفر: "فكيف تقول أنت"؟ فقال له منذر: "بانت وبان قرينها"؛ واستبان أبو جعفر ما قال؛ فقال له: "ارتفع"؛ ولم يزل يرفعه

حـــتى أدنـــاه منـــه))[1]. ومـــن شعـــره الـــذي ورد في نفـــح الطيـــب:

الَمـــوْتُ حَـــوْضٌ وَكُلُّنَـــا نَـــرِدُ
لَمْ يَنْـــجُ مِمَّـــا يَخَافُـــهُ أحَـــدُ
فَلا تَكُـــنْ مُغْرَماً بِـــرِزْقِ غَـــدٍ
فَلَسْـــتَ تَـــدْرِي بِمَا يَـــجِئُ غَـــدُ
وَخُذْ مِنَ الدَّهْـــرِ مَا أَتَاكَ بِـــهِ
وَيسْلَـــمُ الرُّوحُ مِنْـــكَ وَالجَسَـــدُ
وَالخَيْـــرُ وَالشَرُّ لاَ تُذِعْهُ فَمَـــا
في النـــَّاسِ إلاَّ التَّشْنيـــعُ وَالحَسَـــدُ

وأرســـل إليـــه بعـــض الأدبـــاء:

مَسْأَلَـــة جِئْتُـــكَ مُسْتَفْتِيـــاً
عَنْهَـــا، وَأنـــْتَ العَالِمُ المُسْتَشَـــارْ
عَلاَمَ تحْمَـــرُّ وُجُـــوهُ الظِّبَـــا
وَأوْجُـــهُ العُشَّاقِ فيهَـــا اصْفِـــرَارْ

فأجابـــه منـــذر بـــن سعيـــــد بقولـــه:

احْمَـــرَّ وَجْـــهُ الظَّـــبْيِ إذْ لَحْظُـــهُ
سَيْـــفٌ عَلىَ العُشَّاقِ فِيهِ احْـــوِرَارْ

---

[1] بغيـــة الملتمـــس، ص ص: 451 ـــ 452.

وَاصْفَــرَّ وَجْهُ الصَّــبِّ لَمَّا نَــأى
وَالشَّـــمْسُ تُبْقي لِلْمَغِيبِ اصْفِــرَارْ

ــ ثــم **أبــو محمــد عبــد اللــه بــن عبــد الرحمــن أبي زيــد النفــزي القيــرواني** (تــوفي بالقيــروان سنــة 386هــ/996م)؛ إمــام فقهــاء المذهــب المالــكي في عصــره؛ إذ كــان يلقــب بقطــب المذهــب، وبمالــك الأصغــر؛ وعمــل عــلى تبسيــط أصــول الفقــه، والســعي إلى توضيحــه؛ قــال عنــه القــاضي عيــاض: **((مــلأ البــلاد مــن تواليفــه))**؛ وقــال فيــه ابــن خلــدون: **((وجمــع ابــن أبي زيــد جميــع مــا في الأمهــات مــن: المسائــل، والخــلاف، والأقــوال في كتــاب النــوادر؛ فاشتمــل عــلى جميــع أقــوال المذهــب، وفــرَّع الأمهــت كلهــا في هــذا الكتــاب))**[1]. أمــا ابــن فرحــون؛ فقــال: **((واســم أبي زيــد** [والــده] **عبــد الرحمــن، نفــزي النســب، سكــن القيــروان؛ وكــان إمــام المالكيــة في وقتــه... وكــان واســع العلــم، كثيــر الحفــظ، واالروايــة ــ وكتبــه تشهــد عــلى ذلــك ــ فصيــح القلــم، ذا بيــان ومعرفــة بمــا يقــول... يقــول الشعــر، ويجيــده... وهــو الــذي لخــص المذهــب، وضــمَّ**

---

[1] المقدمــة، ج: 3، ص ص: 1158 ـــ 1159.

نشره، وذبَّ عنه؛ وملأت البلد تآليفه... له كتاب النوادر والزيادات على المدونة؛ مشهور؛ أزيد من مائة جزء، وكتاب مختصر المدونة؛ مشهور أيضا؛ وعلى كتابيه هذين المعول في التفقه))[2]**.** ولأبي زيد مؤلفات كثيرة؛ نذكر منها بالإضافة إلى ما سبق: كتاب تهذيب العتبية، وكتاب الإقتداء بأهل المدينة، وكتاب الذبِّ عن مذهب مالك، وكتاب التنبيه على القول في أولاد المرتدين، ومسألة الحُبُس على أولاد الأعيان، وكتاب تفسير أوقات الصلوات، وكتاب الثقة بالله والتوكل على الله، وكتاب المعرفة واليقين، وكتاب المضمون من الرزق، وكتاب المناسك، ورسالة فيمن يأخذه عند تلاوة القرآن والذكر حركة، وكتاب ردِّ السائل، وكتاب حماية عرض المؤمن، وكتاب البيان عن إعجاز القرآن، وكتاب الوسواس، ورسالة إعطاء القرابة من الزكاة، ورسالة النهي عن الجدل، ورسالة في الرد على القدرية، ومناقضة رسالة البغدادي المعتزلي، وكتاب الاستظهار في الرد على الفكرية، وكتاب كشف التلبيس، ورسالة الموعظة والنصيحة،

---

[2] **الديباج المذهب، ج: 1، ص ص: 427 ـــ 429.**

ورسالة طلب العلم، وكتاب فضل قيام رمضان، ورسالة الوعظة الحسنة لأهل الصدق، ورسالة إلى أهل سجلماسة في تلاوة القرآن، ورسالة في أصول التوحيد، وكتاب الرسالة الشهير؛ الذي يلخص المذهب السني، وكافة الفروض بأسلوب رائق بديع؛ وقد اهتم المختصون، والعامة بهذا الكتاب الصغير؛ حتى أنه حظي بشروح كثيرة تجاوزت المائة شرح؛ كما تناوله آخرون بالترجمة إلى أكثر من لغة أجنبية.

ـ ثم **أبو الربيع سليمان بن مُنَحل النفزي الشاطبي** (ت: سنة 456هـ/1063م)؛ فقيه، وخطيب؛ من أصحاب عمر بن عبد البر.

ـ ثم **أبو بكر محمد بن حبيب النفزي**؛ خطيب، ومقرئ، ومُجَوِّد.

ـ ثم **زينب بنت إسحاق النفزاوية**؛ زوجة يوسف بن تاشفين (ت: سنة 464هـ/1071م)؛ تزوجها ـ في البداية ـ أبو بكر بن عمر؛ أمير لمتونة؛ ثم طلقها حين قرر العودة إلى الصحراء، وأوصى ابن عمه يوسف بن تاشفين بالزواج منها؛ بعد عدتها. وعلى خلاف ما ذكره بقية المؤرخين؛ فقد نسبها صاحب الأنيس المطرب إلى هوارة، وقال أن اسم أبيها

هو إسحاق الهواري؛ تاجر من القيروان؛ ثم قال عنها: ((وكانت امرأة حازمة، لبيبة؛ **ذات رأي، وعقل، وجزالة، ومعرفة بالأمور؛ حتى كان يقال لها ساحرة. فأقام الأمير أبو بكر بأغمات من ثلاثة أشهر إلى أن قدم عليه رسول من بلاد القبلة؛ فأخبره باختلال الصحراء... فلما عزم على الخروج للصحراء طلق زوجته زينب... فتزوج يوسف ابن تاشفين زينب المذكورة؛ فكانت القائمة بملكه، المدبرة لأمره، والفاتحة ــ بحسن سياستها ــ أكثر بلاد المغرب))**[1]. أما ابن عذاري فذكر ما أحيك حولها من أساطير؛ وقال: **((استقامت الأمور للأمير أبي بكر بن عمر... وكان مستوطنا بمدينة أغمات؛ وكانت بها امرأة جميلة؛ تعرف بزينب النفزاوية؛ وقد شاع ذكرها، وأمرها في قبائل المصامدة وغيرها؛ فكان يخطبها أشياخهم، وأمراؤهم؛ فتمتنع لهم، وتقول: "لا يتزوجني إلا من يحكم المغرب كله"؛ فكانوا يرمونها بالحمق، وكان لها أخبار مستطرفة، غريبة؛ كمثل أخبار الكهنة؛ فبعض يقولون: أن الجن يكلمها،**

---

[1] ص ص: 85 ــ 86.

وبعض يقولون: هي ساحرة، وبعض يقولون: كاهنة. فأعلم بجمالها الأمير أبي بكر بن عمر؛ فخطبها، وتزوجها... وكانت هذه المرأة موسومة بالجمال، والمال؛ وكان لها محاسن، وخصال محمودة، وروية مستطرفة... وكان أبو بكر بن عمر لما عزم على حركته... طلقها؛ فذكروا أنه قال لابن عمه يوسف ابن تاشفين: "تزوجها فإنها امرأة مسعودة"... وتزوج يوسف بن تاشفين زينب النفزاوية... فبسطت آماله، وأصلحت أحواله، وأعطته الأموال الغزيرة؛ فأركب الرجال الكثيرة... بنفسه، وبتدبير زوجه زينب... اتصل الخبر بالأمير يوسف؛ أن ابن عمه الأمير أبا بكر بن عمر قد أخذ في الرجوع من الصحراء إلى بلاد المغرب؛ فاغتم لذلك غما شديدا... وصعب عليه مفارقة الملك؛ بعد أن ذاق حلاوته... فعرفت زينب ذلك في وجهه؛ فقالت له: "أراك مهموما، مكروبا من وصول ابن عمك إلى ملكه الذي ولاك عليه؛ والله لا ذاق أبو بكر طعمها أبدا؛ فطب نفسا، وقر عينا... إذا قدم عليك، وبعث مقدمات رجاله إليك فلا تخرج إليه؛ ولكن بادره بهدية

جليلة... فلا يقاتلك على الدنيا؛ فإن الرجل خير؛ لا يستحل سفك دماء"... فقال لها: "والله لا خالفتك في أمر تشيرين به أبداً"... كان وصول الأمير أبو بكر ابن عمر من صحرائه إلى مراكش؛ فوجد يوسف قد استبد بالمملكة... فعلم أنه مغلوب عليه، وعزم على تسليم الأمر إليه... فكان هذا التدبير برأي زينب النفزاوية زوجته؛ فهي التي جسرته على ذلك كله؛ حتى ملك المغرب))[1]. أما ابن خلدون فيقول أن زينب النفزاوية كانت في البداية زوجة ليوسف ابن علي بن عبد الرحمن بن واطاس: **((وكان شيخا على وريكة، وهزرجة؛ بزمن هيلانة؛ في دولة أمغارن؛ في بلاد المصامدة؛ وهم الشيوخ. وتغلب بنو يفرن على وريكة، وملكوا أغمات؛ فتزوج لقوط زينب هذه، ثم تزوجها بعده أبو بكر بن عمر))**[2]. كان ذلك عندما تغلب على أغمات، واستولى على ملك لقوط، وبعد قتله؛ **((وكانت... من إحدى نساء العالم المشهورات بالجمال،**

---

[1] البيان المغرب، ص ص: 18 ــــ 25.

[2] ، العبر مج: 6، ص: 376.

والرياسة)). ولما عزم أبو بكر على العودة إلى الصحراء؛ أناب عنه في الحكم ابن عمه يوسف بن تاشفين؛ ونزل له عن زوجته زينب أيضا **((فكان لها في سياسة أمره، وسلطانه؛ وما أشارت عليه عند مرجع أبي بكر من الصحراء؛ في إظهار الاستبداد؛ حتى تجافى عن منازعته، وخلص ليوسف بن تاشفين ملكه))**.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نصر النفزي الرندي** (توفي بأغمات سنة 514هـ/1120م)؛ فقيه، ومحدث، ومدرس.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي المالقي** المعروف بابن أخت غانم (ت: سنة 525هـ/1130م)؛ فقيه، ومقرئ، ومحدث، وأديب، ونحوي؛ وهو أحد شيوخ القاضي عياض؛ فقال فيه **((وكان شيخا مسنا من شيوخ أهل الأدب، والنحو، والرواية، وجمع الكتب؛ أخذ عنه الناس هذين العلمين كثيرا، ودرسهما عمره بغير أجر. وسمع منه كتب الحديث، والغريب، وحمل عنه جملة من المشائخ، والنبلاء؛ لعلو سنده، ومعرفته))**[1].

---

[1] القاضي عياض اليحصبي؛ الغنية، ص: **127**.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد النفزي المرسي**(ت: سنة 538هـ/1143م)؛ فقيه، وخطيب؛ وهو أحد شيوخ القاضي عياض.

ـ ثم **عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفزي المرسي** (توفي بقرطبة سنة 538هـ/1143م)؛ فقيه، وخطيب.

ـ ثم **أبو محمد عبد الغفور بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفزي المرسي** (ت: سنة 539هـ/1144م)؛ فقيه؛ ألف كتاب التفتل في العبادات.

ـ ثم **أبو جعفر أحمد بن خلصة بن أبي عامر النفزي الشاطبي** (ت: سنة 540هـ/1145م)؛ فقيه من أهل الصلاح.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سليمان بن خلف النفزي الشاطبي** المعروف بابن بركة (ت: سنة 552هـ/1157م)؛ فقيه، ومحدث، وحافظ للمسائل؛ من القادرين على الفتوى؛ ولي في بلده شاطبة خطة الشورى، وترأسها.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليفة النفزي البيزاني الداني** (ت: سنة

564هـ/1168م)؛ من الململمين بالقراءات، وتصدر للإقراء عملا، وتدريسا؛ وكان من المحققين في القراءات، ومن المجودين الضابطين؛ وله مشاركة في الآداب، والأخبار.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن مطرف بن أبي سهل بن ياسين النفزي الشاطبي** (ت: سنة 590هـ/1193م)؛ وهو من الفقهاء، والأدباء، وله إلمام بقرض الشعر.

ـ ثم **دحمان بن مالك بن عثمان النفزي الترجيلي**؛ من العلماء، والزهاد.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي النفزي الشاطبي** المعروف بابن اللَّائُه؛ تصدر للإقراء في بلده شاطبة؛ قال فيه ابن الأبار **((وكان من أهل الدين، والفضل، والمعرفة بالقراءات))**[1].

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد بن خنسوس النفزي**؛ فقيه ومؤذن بالمسجد الجامع بقرطبة؛ كان عارفا بالأوقات، مدركا للأحكام الفقهية، عدلا.

---

[1] التكملة، ج: 1، ص: 450.

ـ ثم **أبو جعفر أحمد بن محمد بن علي ابن محمد بن أبي العاصي النفزي الشاطبي** المعروف بابن اللَّائيه؛ من الملمين بالقراءات؛ قال عنه ابن الأبار: **((وكان متقدما في صناعته؛ معروفا بالضبط، والتجويد. كان أبوه أيضا كذلك))**[2].

ـ ثم **أبو عمر أحمد بن هارون بن أحمد ابن جعفر بن عات النفزي الشاطبي** (فقد في ساحة الجهاد بوقعة العقاب ولم يظهر منذ عام 609هـ/1212م)؛ قال عنه ابن الأبار: **((وكان أحد الحفاظ للحديث، يسرد المتون، والأسانيد ظاهرا؛ لا يخل بحفظ شئ منها. موصوف الدراية، والرواية؛ غالبا عليه الورع، والزهد؛ على منهاج السلف؛ يأكل الجَشِب، ويلبس الخشن؛ وربما أذن في المساجد؛ وله تآليف دالة على سعة حفظه؛ مع النظم، والنثر))**[1]. له برنامجان؛ عنوان أحدهما: النزهة في التعريف بشيوخ الوجهة؛ وهو كتاب جامع، وقيم؛ أما الثاني فهو بعنوان: ريحانة التنفس وراحة الأنفس في ذكر شيوخ الأندلس.

---

[2] التكملة، ج: 1، ص: 75.

[1] نفسه، ص: 101.

ـ ثم أبو العباس **أحمد بن علي بن عبد الرحمن النفزي الأندلسي** (كان حيا سنة 613هـ)؛ فقيه، من الحفاظ؛ رحل إلى بغداد، ثم شيراز؛ حيث أقام بها.

ـ ثم أبو الحسن **علي بن علي بن أحمد ابن سليمان النفزي الإسْطَبي** (ت: سنة 616هـ/1219م)؛ فقيه؛ من الملمين بمذهب مالك؛ يحسن الاستنباط في النوازل.

ـ ثم أبو عبد الله **محمد بن أحمد بن عبد الله النفزي الشاطبي المعروف بابن قَبُّوج** (ت: سنة 616هـ1219م)؛ فقيه، حافظ للمسائل، وللرأي، من أهل الثقة، والعدل.

ـ ثم أبو عبد الله **محمد بن علي بن محمد النفزي الجياني**؛ فقيه، ومحدث، وقاضي.

ـ ثم أبو عبد الله **محمد بن عبد الملك ابن منخل بن محمد بن مشرف النفزي الشاطبي**؛ من رجال القراءات.

ـ ثم أبو بكر **بن أحمد بن عبد الملك بن منخل بن محمد بن مشرف النفزي الشاطبي** (ت: سنة 625هـ/1227م)؛ من المقرئين بالسبع.

ـ ثم أبو الروح **عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن**

إبراهيم بن خليل النفزي التاكرني (توفي بديار بكر سنة 629هـ/1231م)؛ أديب؛ له شعر حسن؛ منه:

إنْ أودَعَ الطِّرْسَ مَا وَشَّاهُ خَاطِرُهُ
أبْدَى لِعَيْنَيْك أزْهَاراً وَأشْجَارَا
وَإنْ تَهَدَّدَ فِيهِ أوْ يَعِدْ كَرَماً
بَثَّ البَرِيَّة آجَالاً وَأعْمَارَا

ويقول أيضا:

أوْصَيْتُ قَلْبِي أنْ يَفِرَّ عَنِ الصِّبَا
ظَنًّا بأنِّي قَدْ دَعَوْتُ سَمِيعَا
فَأجَابَنِي لاَ تَخْشَ مِنِّيَ بَعْدَمَا
أفْلَتَّ مِنْ شَرَكِ الغَرَامِ وُقوعَا
حَتَّى إذَا نَادَى الحَبِيبُ رَأيْتَهُ
آوَى إلَيْهِ مُلَبِّياً وَمُطِيعَا
كَذُبَالَةٍ أخْمَدتهَا فَإذا دَنَا
مِنْهَا الضِّرَامُ تعَلَّقتْهُ سَرِيعَا

ـ ثم **أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله النفزي الشاطبي** المعروف بابن قَبُّوج (توفي ببجاية سنة 642هـ/1244م)؛ وهو من الفقهاء، والمحدثين، والحفاظ؛ له مشاركة في الآداب، وله في شبابه أشعار جيدة؛ ثم تنزه

عن نظمه؛ مال في الأخير إلى الاعتزال، والزهد، والعبادة.

ـ ثم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيديس بن محمود النفزي الغرناطي (ولد بجيان سنة 562هـ/1166م)؛ فقيه، حافظ، ومن الملمين بعلوم: اللغة، والنحو، وفنون: الأدب، والشعر؛ وله مؤلفات عديدة؛ منها: كتاب مواهب العقول وحقائق النقول، وكتاب الغيرة المذهلة عن الحيرة والتفرقة، وكتاب الجمع، وكتاب الرحلة الممنوعة، وكتاب الوسائل في الفقه والمسائل؛ ومن هذه المصنفات ما هو في باب التصوف، وغيره؛ كما أن له أشعارا حسنة. ذكره ابن الخطيب بقوله: **((خاتمة الرحال بالأندلس، وشيخ المجاهدات وأرباب المعاملات، صادق الأحوال، شريف المقامات... وكان فقيها حافظا، ذاكرا للغة والأدب، نحويا ماهرا، درس ذلك كله أول أمره؛ كريم الأخلاق؛ غلب عليه التصوف فشهر به... له أشعار في التصوف بارعة))**[1]. من ذلك قوله:

---

[1] الإحاطة، ج: 1، ص ص: 367 ـــ 369.

يَضيــقُ عَليَّ مِنْ وَجْدي الفَضَــاء
وَيُقْلِقُــني مِــنَ النَّـــاسِ العَنَـــاء
وَأرْضُ اللَّـــهِ وَاسِعَــة وَلَكِـــنْ
أبَـــتْ نَفْــسي تُحِيــطُ بِهَا السَّمَــاء
رَأيْنَـــا العَـــرْشَ وَالكُـــرْسِيَّ أعْـــلاَ
فَوَالَيْنَاهُمَـــا حَـــــرَمَ الــــوَلاء
فَأيْـــنَ الأيْـــنُ مِنَّـــا أوْ زَمَـــانٌ
بِحَيْـــثُ لَنَـــا عَلى الكُـــلِّ اسْتِـــوَاء
شَهدْنَـــا لِلإلَـــهِ بِكُـــلِّ حُكْـــم
فَغَـــابَ القَلْـــبُ وَانْكَشَـــفَ الغِطَـــاء
وَيَدْعُـــوني الإلَـــهُ إلَيْـــهِ حَقـــاً
فَيُؤْنسُـــني مِـــنَ الخَـــوْف الرَّجَـــاء
وَيُقْبِضُـــني وَيُبْسِطُـــني وَيَقْـــضِي
بِتفْرِيـــقِي وَجَمْـــعِي مَـــا يَشَـــاء
وَيَـــعِي فِي وُجُودِ الخَلْـــق نَحْـــواً
يُنْعَـــتُ مَـــنْ تَـــوَلاَّهُ الفَنَـــاء
فَكَمْ أخْفِي وُجُودِي وَقْتَ فَقْـــدِي
كَـــأنَّ الفَقْـــدَ وَالإحْيَـــا سَـــوَاء
فَسُكْـــرٌ ثُم صَحْـــوٌ ثُم سُكْـــرٌ
كَـــذَاكَ الدَّهْـــرُ لَيْـــسَ لَهُ انْقِضَـــاء

فَوَصْفِي حَالَ مِنْ وَصْفِي وَلَكِن
ظُهُورُ الحَقِّ لَيْسَ لَهُ خَفَاء
إذَا شَمْسُ النَّهَارِ بَدَتْ تَوَلَّتْ
نُجُومُ الليْلِ لَيْسَ لَهَا انْجلاء

ومن شعره الذي نال شهرة كبيرة:

يَا مَنْ أَنَامِلُهُ كَالْمُزْنِ هَامِيَة
وَجُودُ كَفَّيْهِ أجْرَى مَنْ مجَارِيهَا
سَفِينَة الفَقْرِ فِي بَحْرِ الرَّجَا وَقَفَتْ
فامْنُنْ عَليَّ بريحٍ مِنْكَ تجْرِيهَا
بِحَقِّ مَنْ خَلقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَق
أنْظُرْ إلَى رُقعْتِي وَافْهَمْ مَعَانِيهَا
إنِّي فَقِيرٌ وَمِسْكِينٌ بلا سَبَب
سِوَى حُرُوفٍ مِنَ القُرْآنِ أتْلوُهَا
لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إلاَّ مَنْ يُكَابِدُهُ
وَلاَ الصَّبَابَة إلاَّ مَنْ يُعَانِيهَا

ـ ثم **أبو إبراهيم إسحاق بن يحيى بن مطر الورياغلي** المعروف بالأعرج؛ وورياغل فخذ من نفزة؛ (توفي بفاس سنة 683هـ/1284م)؛ فقيه ألف التعليقات على المدونة؛ سماها: الطُّرَر.

ـ ثم **أبو الطيب صالح بن يزيد بن صالح ابن موسى بن أبي القاسم بن علي بن**

شريف النفزي الرندي (ت: سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه، وأديب، وشاعر مجيد؛ في أغراض: الغزل، والمدح، والزهد؛ له إلمام بالحساب، والفرائض؛ وله فيهما بعض المنظومات؛ ومما كتبه عنه ابن الخطيب؛ عن آخرين؛ أنه: **((كان خاتمة الأدباء بالأندلس؛ بارع التصرف في منظوم الكلام، ومنثوره؛ فقيها، حافظا، فرضيا، متفننا في معارف شتى))**[1]. له مؤلفات؛ منها: جزء في حديث جبريل، وكتاب في الفرائض، وكتاب في العروض، وكتاب في صنعة الشعر بعنوان: الوافي في نظم القوافي، وكتاب كبير في تاريخ الأدب بعنوان: روضة الأنس ونزهة النفس؛ ومما قاله في أشعاره:

بَرَزَتْ مِنَ الحَمَّامِ تَمْسَحُ وَجْهَهَا
عَنْ مِثْلِ مَاءِ الوَرْدِ بِالعُنَّابِ
وَالمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ ذَوَائِبِ شَعْرِهَا
كَالطَّلِ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِ غُرَابِ
فَكَأَنَّهَا الشَّمْسُ الْمُنِيرَةَ فِي الضُّحَى
طَلَعَتْ عَلَيْنَا مِنْ خِلاَلِ سَحَابِ

---

[1] الإحاطة، ج: 3، ص: 360.

ومـــن مطولاتـــه الـــتي أجـــاد فيهـــا:

وَغَانِيَـــة يُغْنِي عَنِ العُـــودِ صَوْتُهَـــا
وَجَارِيَـــة تَسْـــقِي وَسَاقِيَـــة تَجْـــرِي

بِحَيْثُ يَجُـــرُّ النَّهْرَ ذَيْـــلَ مَجَـــرَّةٍ
يرُفُّ عَلَى حَافاتِهَـــا الزَّهْـــرُ كَالزَّهْـــرِ

وَقَدْ هَزَّت الأَرْوَاح خِصْرَ كَتَايِـــب
بأَلْوِيَـــةٍ بِيـــضٍ عَـــلَى أسَـــلٍ سُمْـــرِ

رَمَى قُزَحُ نبْـــلاً إِلَيْهَـــا فَجُـــرِّدَتْ
سُيُـــوفٌ سَوَاقِيهَـــا عَلى دَارِعِ النَّهْـــرِ

ويصـــف رمانـــة بقـــولـــه:

لِلَّـــهِ رُمَّانَـــة قَدْ رَاقَ مَنْظَرُهَـــا
فَمِثْلُهَـــا بِبَدِيـــعِ الحُسْـــنِ مَنْعُـــوت

القِشْرُ حَقٌّ لَهَا قَدْ ضَمَّ دَاخِلَـــهُ
وَالشَّحْـــمُ قُطْـــنٌ وَالحَـــبُّ يَاقُـــوت

أَنْظرْ إلى جِذْرٍ فِي اللوْنِ مُخْتَلِفٌ
البَعْـــضُ مِنْ سَجٍّ وَالبَعْضُ مِنْ ذَهَـــب

ويصـــف القلـــم بقولـــه:

وَأَصْفَـــرُ كَالصَّـــبِّ فِي رَوْنَـــق
تَظُـــنُّ بِهِ الحُـــبَّ مِمَّـــنْ نَحَـــل

بَـــدِيعُ الصِّفَاتِ حَدِيدُ السَّبَـــاتِ
يَطُـــولُ الرِّمَـــاحَ وَإنْ لَمْ يَطُـــلِ
يُعَبِّــــرُ عَمَّـــا وَرَاءَ الضَّمِيـــــر
وَيَفْعَـــلُ فِعْـَلَ الظُّبَـــا وَالذُّبَـــلِ

ويقـــول في وصـــف البحـــر:
البَحْـــرُ أعْظَـــمُ مِمَّا أنْتَ تَحْسَبُـــهُ
مَنْ لَمْ يَـــرَ البَحْرَ يَوْماً مَا رَأى عَجَبَـــا
طَـــامٍ لَـــهُ حَبَبٌ طَافٍ عَلى زَوْرَق
مِثْـــلُ السَّمَاءِ إذَا مَـــا مُلِئَـــتْ شُهُبَـــا

وفي وصـــف النهـــر يقـــول:
وَأزْرَق مَحْفُـــوفٌ بزَهْـــر كَأنَّـــهُ
نُجُـــومٌ بأَكْنَـــافِ المَجَـــرَّةِ تَزْهَـــرُ
يَسِيلُ عَلى مِثْلِ الجُمَانِ مُسَلسَـــلاً
كَمَا سُلَّ عَنْ غِمْدٍ حُسَامٌ مُجَوْهَـــرُ
وقَدْ صَافَحَ الأدْوَاحَ مِنْ صَفَحَاتِـــهِ
حَـــتَّ حُبَـــاب بالنَّسِيـــمِ مُكَسَّـــرُ
فَمَا كَانَ فِي عَطْفِ الخَلِيجِ قُلاَمَـــةَ
وَمَا كَانَ فِي وَجْهِ الغَدِيـــرِ فَمُغْفَـــرُ
ويقـــول في العقـــل والغربـــة:
مَـــا أحْسَـــنَ العَقْـــلَ وَآثَـــارَهُ
لَـــوْ لازَمَ الإنْسَـــان إيثَــــاره

يَصُــونُ بِالعَقْلِ الفــتىَ نَفْسَــهُ
كَمَــا يَصُــونُ الحُــرّ أسْــرَاره
لا سِيَّمَــا إنْ كَانَ فِي غُرْبَــةٍ
يَحْتَــاجُ أنْ يعْــرفُ مِقْـــدَاره

ويصـــف الجيـــش بقولـــه:

وَكَتِيبَــة بِالدَّارِعِيــنَ كَثِيفَــة
جَــرَّتْ ذُيُــولَ الجَحْفَلِ الجَــرَارِ
رَوْضُ المَنايَا بَيْنَهَا القُضُبُ الــتي
زُفَّــتْ بهــا الرَّايَات كَالأزْهَــارِ
فِيهَا الكُمَاة بَنُو الكُمَاةِ كَأَنَّهُــمْ
أسْــدُ الشَّــرَى بَيْنَ القَنَا الخَطــَّارِ
مُتَهَلِّلِيــنَ لَدَى اللَّقَاءِ كَأَنَّهُــمْ
خُلِقَــتْ وُجُوهُهُــمْ مِنَ الأقْمَــارِ
مِنْ كُلِّ لَيْثٍ فَوْقَ بَرْق خَاطِفٍ
بِيَمِينِــهِ قَــدَرٌ مِــنَ الأقْـــدَارِ

ـ ثــم **أبــو جعفــر أحمــد بــن أبي القاســم بــن يحــيى بــن وداعــة النفــزي الرنــدي** (ت: سنــة 738هـ/1337م)؛ كــان مــن رجــال الديــن ذوي الفضــل؛ قــام بتصنيــف كتــاب لــم يسبقــه إليــه أحــد؛ إذ جمــع فيــه أربعيــن حديثــا عــن أربعيــن امــرأة مــن

الصحابة، وله كتاب آخر سماه: الضاحي في حكم الأضاحي.

ـ ثم **أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان النفزي الغرناطي** (توفي بمصر سنة 745هـ/1344م)؛ فقيه، ومن أئمة النحو، واللغة العربية؛ وصفه ابن الخطيب بقوله: **((كان نسيج وحده في ثقوب الذهن، وصحة الإدراك، واحفظ، والاضطلاع بعلم العربية، والتفسير، وطريق الرواية؛ إمام النحاة في زمانه غير مدافع؛ نشأ ببلده غرناطة؛ مشارا إليه في التبريز بميدان الإدراك، وتغيير السوابق في مضمار التحصيل. نالته نُبُوَّة لحق بسببها بالمشرق، واستقر بمصر؛ فنال ما شاء من عز، وشهرة، وتأثُّلٍ، وبر، وحُظْوة؛ وأضحى لمن حل بساحته من المغاربة ملجأ، وعدة... شاعرا مُكْثرا))**[1]. وله مؤلفات كثيرة؛ منها: البحر المحيط؛ وهو في تفسير القرآن الكريم؛ جزأه إلى ثماني مجلدات، ولآلئ النهر المستخرجة من البحر؛ وبه اختصر البحر المحيط، والوهاج على مذهب الشافعي، وتحفة الأريب؛ في غريب القرآن، والأنوار الأجلى في

---

[1] الإحاطة، ج: 3، ص: 43.

اختصار المحلى؛ على مذهب أبي داود، والتكميل في شرح التسهيل، ومنهج السالك على ألفية ابن مالك؛ لم يتم، والإدراك للسان الأتراك؛ وهو في قواعد ونحو الترك، والإسفار الملخص في شرح سيبويه للصفار، والمبدع في التصريف، وكتاب الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء، وعقود اللآلي في القراءات السبع العوالي، والمورد الغَمر في قراءة أبي عمرو، والأثير في قراءة ابن كثير، وغاية المطلوب في قراءة أبي يعقوب، والحلل الحالية في الأسانيد العالية، والأمالي في شرح القالي، وكتاب النكت الحسان، في شرح غاية الإحسان، وكتاب الشذا في مسألة كذا، وارتشاف الضَّرَب في معرفة كلام العرب، واختصار بداية المجتهد، وتقريب التقريب والتدريب، والتنخيل في شرح التسهيل، ورشح النفع في القراءات السبع واللمحة البدرية في علم العربية؛ قام بشرحها ابن هشام، وديوان شعر في ثلاث مجلدات، وكتاب في التاريخ؛ ومن شعره الطويل، والقصير؛ وفيه جودة؛ فمن مطوّلاته:

لاَ تَعْـــذِلاَهُ فَمَا ذُو الحُبِّ مَعْــذولُ
العَقْــلُ مُخْتَبَــلٌ وَالقَلْــبُ مَتْبُــولُ
هَــزَّتْ لَهُ أسْمَراً مِنْ خُوطِ قامَتِهَــا
فَمَــا انْثنَى لِلصَّبِ إلاَّ وَهْوَ مَقْتُــولُ
جَميلَــةَ فَصَّلَ الحُسْنُ البَدِيــعُ لَهَــا
فَكَــمْ لَهَا جُمَــلٌ مِنْــهُ وَتَفْصِيــلُ
فالنَّحْــرُ مَرْمَــرُهُ وَالنَّشْــرُ عَنْبَــرُهُ
وَالثَّغْــرُ جَوْهَرُهُ وَالرِّيــقُ مَعْسُــولُ
وَالطَّرْفُ ذُو غَنَجٍ وَالعَرْفُ ذُو أرَجٍ
وَالخَصْــرُ مُخْتَطفٌ وَالعُنْقُ مَجْــدُولُ

ويقــول في منظومــة طويلــة تدعــوا إلى العلــم، والنحــو منــه بالخصــوص:

هُوَ العِلْمُ لاَ كَالعِلْمِ شَيْءٌ تُــرَاوِدُه
لَقَدْ فَــازَ بَاغِيــهِ وأنْجَــحَ قَاصِــدُه
وَمَا فَضُــلَ الإنْسَــانُ إلاَّ بعِلْمِــهِ
وَمَا امْتَــازَ إلاَّ ثَاقِبُ الذِّهْنِ واقِــدُه
وَقَدْ قَصُرَتْ أعْمارُنَــا وعُلُومُنَــا
يَطُولُ عَلَيْنَــا حَصْرُهَــا وَنُكَابِــدُه
وَفِي كُلِّهَــا خَيْــرٌ ولَكِنَّ أصْلَهَــا
هُوَ النَّحْوُ فَاحْذَرْ مِنْ جَهُولٍ يُعانِــدُه
بهِ يُعْرَفُ القُرْآنُ والسُنَّة التي هُمَــا
أصْــلُ ذَا الدِّينِ الذي أنْتَ عَابِــدُه

إلى أن يقـــول:

وَالآنَ فَلاَ شَخْصٌ عَلَى الأرْضِ قارِئٌ
كِتَـــابَ أبي بشْـــرٍ ولاَ هُـــوَ رَايِـــدُه
سِـــوَى مَعْشَرٍ بالغَرْب فيهمْ تَلَفُّـــتٌ
إلَيْـــهِ وشَـــوْقٌ ليْسَ يَخْبُـــو مَواقِـــدُه
ومَـــا زَالَ مِنَّـــا أهْلُ أنْدَلُسٍ لَـــهُ
جَهَابِـــذُ تُبْـــدِي فَضْلَـــهُ وتُناجِـــدُه
وإنِّيَ في مِصْرَ عَلَى ضُعْـــفِ نَاصِرِي
لَناصِـــرُهُ مَـــا دُمْـــتُ حَيًّا وعَاضِـــدُه

ثـــم يقـــول:

مُنِينَـــا بِقَوْمٍ صُـــدِّرُوا في مَجَالِـــسٍ
لإقْـــرَاءِ عِلْـــمٍ ضَلَّ عَنْهُـــمْ مَرَاشِـــدُه
لقَدْ أخِّرَ التَّصْدِيـــرُ عَنْ مُسْتَحَقِـــهِ
وقُدِّمَ غَمْـــرٌ خَامِدُ الذِّهْـــنِ جَامِـــدُه

ثـــم يقـــول:

أقَمْنا بِمِصْرَ عِشْرِينَ حِجَّةٍ يُشَاهِدُنَا
ذُو أمْرِهِـــــــمْ ونُشَاهِـــــدُه

فَلَمَّا نَنَلْ مِنْهُمْ مَدَى الدَّهْرِ طَايِــلاً
وَلَمَّا نَجِــدْ فِيهِمْ صَدِيقاً نُــوَادِدُه

ويقــول في النسيـــب:

كَتَمَ اللِّسَــانُ وَمَدْمَــعِي قَدْ بَاحــَا
وثَــوَى الأَسَى عِنْــدِي وأسًى رَاحَــا
إنِّي أحِــبُّ طَيَّ مَا نَشَــرَ الهَــوَى
نَشْــراً ومَــا زَالَ الهَــوَى إفْصَاحَــا
وَمُهْجَــتِي مَنْ لاَ أصَــرِّحُ باسْمِــهِ
وَمِنَ الإشَــارَةِ مَا يَكُــونُ صُرَاحَــا
رِيــمٌ أرُومُ حُنُــوَّهُ وجُنُوحَــهُ
ويَــرُومُ عَــنِّي جَفْــوَةٍ وجِمَاحَــــا
أبْــدَى لَنَــا مِنْ شَعْــرِهِ وجَبِينـِــهِ
ضِدَّيْــنِ ذَا لَيْــلاً وذَاكَ صَبَاحَــــا

وقــال في أغــراض أخــرى:

أزَحْـــتُ نَفْسي مِنَ الإينَاسِ بالنَّــاسِ
لَمَّــا غَنِيــتُ عَــنِ الأكْيَــاسِ بِاليَــاسِ
وصِرْتُ في البَيْتِ وَحْدِي لا أرَى أحَداً
بَنَــاتُ فِكْــرِي وكُتْبِي هُنَّ جُــلاَّسِي

ومنهـــا أيضـــا:

وَزَهَّدَنِي فِي جَمْعِي المَـــال أَنَّـــهُ إِذَا
مَا انْتَهَى عِنْدَ الفَـــتَى فَـــارَقَ العُمْـــرَا
فَـــلاَ رُوحَهُ يَوْمـــاً أَرَاحَ مِنَ العَنَـــا
وَلَمْ يَكْتَسِبْ حَمْداً وَلَمْ يَدَّخِـــرْ أَجْـــرَا

ومنهـــا أيضـــا:

عُـــدَاتِي لَهُـــمْ فَضْـــلٌ عَـــلَيَّ وَمِنَّـــة
فَـــلاَ أَذْهَـــبَ الرَّحْمَـــنُ عَنِّي الأَعَادِيَـــا
هُـــمْ بَحَثُـــوا عَـــنْ زَلَّـــتِي فَاجْتَنَبْتُهَـــا
وَهُـــمْ نَافَسُـــونِي فَاكْتَسَبْـــتُ المَعَالِيَـــا

ومنهـــا أيضـــا:

نُعِيـــدُ وُدَّ قَرِيـــــب ضَـــــلَّ
كَبِيـــرُ عَتْـــب قَلِيـــلٌ عَتْبَـــــا
كَالشَّمْسِ ظَرْفـــاً كَالمِسْكِ عَرْفـــاً
كَالخَشْـــفِ طَرْفا كَالصَّخْرِ قَلْبَـــا

ـ **ثـــم أحمـــد بـــن محمـــد النفـــزي الرنـــدي** المعـــروف بالســـراج (ت: ســـنة 759هـــ/1357م)؛ مقـــرئ.

ـ **ثـــم أبـــو عبـــد اللـــه محمـــد بـــن إبراهيـــم بـــن عبـــد اللـــه بـــن مالـــك بـــن إبراهيـــم بـــن يحيى ابـــن عبـــاد الرنـــدي** (ت: ســـنة: 792هـــ/1389م)؛ فقيـــه،

وواعظ، وصوفي؛ ذكره المقري ضمن ما نقل عن ترجمة له من طرف أبي زكرياء السراج: **((نشأ ببلده رندة...وحفظ القرآن ابن سبع سنين، ثم تشاغل بعد بطلب العلوم النحوية، والأدبية، والأصولية، والفرعية؛ حتى رأس فيها، وحصل معانيها. ثم أخذ في طريق الصوفية، والمباحثة على الأسرار الإلهية حتى أشير إليه. وتكلم في علوم الأحوال، والمقامات، والعلل، والآفات؛ وألف فيه تواليف عجيبة، وتصانيف بديعة غريبة. وله أجوبة كثيرة في مسائل العلوم؛ نحو مجلدين... وهو من أكابر أصحاب ابن عاشر... وله كلام عجيب في التصوفن وصنف فيه... وللشيخ ابن عباد خطب مدونة بالمغرب؛ مشهورة بأيدي الناس، ويقرؤون منها ما يتعلق بالمولد النبوي الشريف؛ بين يدي السلطان تبركا بها؛ وكذا يقرؤونها في المجتمعات، والمواسم؛ كأول رجب، وشعبان؛ ونصفهما، والسابع والعشرين منهما؛ كرمضان))**[1]. ومن مؤلفاته: الرسائل الكبرى، والصغرى، وشرح الحكم، ونظمها في أرجوزة

---

[1] نفح الطيب، ج: 5، ص ص: 341 ـــ 350.

من ثمانمائة بيت. وقال عنه ابن الخطيب: **((وشعره حسن يدل على طبع معين))**؛ منه:

سُرًى يُسِرُّ إِلَيَّ أَنَّكَ تَارِكِي
نَفْسِي الفِدَا لِلُطْفِكَ المُتَدَارِكِ
يَا مَالِكِي وَلِيَ الفَخَارُ بِأَنَّنِي
لَكَ فِي الهَوَى مِلْكٌ وَأَنَّكَ مَالِكِ
التَّرْكُ هَلْكٌ فَاعْفِنِي مِنْهُ وَعِدْ
بالوَصْلِ تُحْيِي ذِمَا مُحِبٍّ هَالِكِ
وَأَعِدْ جَمِيلاً فِي الهَوَى عَوَّدْتَنِي
إِنْ لَمْ تُعِدْهُ إِلَيَّ مَنْ لِلْهَالِكِ
يَا مُنْيَةَ القَلْبِ الَّذِي بِجَمَالِهِ
فُتِنَ الوَرَى مِنْ فَاتِكٍ أَوْ نَاسِكِ
أَأَتِيهُ دُونَكَ أَوْ أَحَارُ وَفِي سَنَى
ذَاكَ الجَمَال جلاَ الظَّلاَمِ الحَالِكِ
وَلَكَمْ سَلَكْتُ إِلَيْكَ لَكِنْ حِينَ لَمْ
تَكُنِ الدَّلِيلَ اخْتَلَّ قَصْدُ السَّالِكِ

ويقول أيضا:

يَا لِلرِّجَالِ أَلاَ حِبٌّ يُسَاعِدُنِي
فِي ذَا الغَرَامِ فَأُبْكِيهِ وَيُبْكِينِ

غُلِبْــتُ فِيهِ وَمَا أجَــدْتُ مُغَالَبَــتِي
وَهَــنْتُ وَالصَّبُّ أوْلَى النَّاسِ بِالهَــوْنِ
رَكِبْتُ لُجَّتَــهُ وَحْدِي فَأدْهَشَــنِي
وَمِــتُّ فِي يَــدِهِ فَــرْداً فَدُلُــــونِ
وَاضَيْعَة العُمْرِ وَالبَــلوَى مُضَاعَفَــة
مَــا بَيْــنَ يَــأسٍ وَآمَــالٍ تُرَجِّيــنِ
وَالَهْفَ نَفْسِي إنْ أوْدَتْ وَمَا ظَفِرَتْ
فِي ذَا الهَــوَى بِتَمَــنٍّ أوْ بِتَأمِيــــنِ
فَلَيْتَ شِعْرِي وَعُمْرِي يَنْقضِي طَمَعاً
فِي ذَا الهَوَى بَيْنَ مَغْلُــوبٍ وَمَغْبُــونِ

وكتــب إلى أحــد الحكــام:

تَرَكْتُ لَكُمْ عِــزَّ الغِــنَى فَأبَيْتُــمُ
وَأنْ تَتْرُكُــونِي لِلْمَذَلَّــةِ وَالفَقْــــرِ
وَنَازَعْتُمُــونِي فِي الخُمُولِ وَإنَّــهُ
لِذِي مُهْجَتِي أحْلَى مِنَ البِنَى وَالأمْــرِ

ــ ثــم **أبــو زكريــاء يحــيى بــن أحمــد بــن محمــد السـراج النفــزي الرنــدي** (ت: سنــة 805هـــ/1402م)؛ وهــو فقيــه صــوفي، وراويــة، مــن أهــل الحديــث؛ ولــه فهرســة.

ـ ثم **عبد العزيز بن موسى الورياغلي النفزي** (توفي بفاس سنة 880هـ/1475م)؛ فقيه، وخطيب القرويين.

ـ ثم **أبو الحسن علي الورياغلي النفزي** (ت: سنة 962هـ/1554م)؛ فقيه مالكي.

***

ـ ***مواطنهم:*** تتواجد مواطن **نفزاوة** عبر بلاد المغرب كلها. أما جمهورهم فكان **بجبل أوراس، وإفريقية.** مثل: تلك القرى المعروفة بهم في **قسطيلة**، وبقاياهم في نواحي **القيروان**، والشريط الساحلي **لقرية بطوية، وسهول بونة**؛ التي بها أحياء من **ولهاصة**؛ رئاستهم في **بني عريف.** ويتواجد آخرون من نفزاوة بساحل **برشك**، وساحل **بادس.**

....

(2) ـ لواتة:

وهم **أبناء لوا الأصغر بن لوا الأكبر ابن زحيك.** فلوا الأصغر، ونفزاو؛ أخوان. يقول ابن خلدون: (**(ولوا اسم أبيهم؛ والبربر**

إذا أرادوا العموم في الجمع زادوا الألف، والتاء؛ فصار لوات. فلما عربته العرب؛ حملوه على الإفراد، وألحقوا به هاء الجمع»[1]. وللوا عدد من الأولاد أشهرهم: **زاير، وفاصلة** أو (ماصلت)، **وكطوفت، ونيطط.** وقد تشعبت أفخاذهم جميعا، وتفرقت في الأقطار. وسنكتفي في هذا المجال ببعضهم؛ ومن الذين اشتهروا: **فاصلة** أو (ماصلت) فتفرع عنه: **أكورة، وجرمانة، وعترروزة** أو (عزوزة)، ثم **مغانة.** ثم **فزاير**؛ ومنه **مُزاتة**؛ التي تفرع عنها عدد كبير من الأحياء؛ أهمها: **بلايان، وحمرة، ودكمة، وقرنة، ومُجيجة، ومُدَّونَة**؛ وتقع أرض مزاتة جنوب شرقي سطيف؛ وتوجد منهم فئة في إقليم الجريد؛ إذ وصل تعدادهم فيه ــ حسب قول الدرجيني ــ إلى اثني عشر ألف فارس خلا الرجالة. أما **نيطط**؛ فمنهم **سدراتة**؛ التي تنسب إليها المدينة المتواجدة بقرب ورجلاء، والمدينة المتواجدة في الشرق الجزائري؛ على الحدود التونسية.

وفي عهد الدولة الحفصية برز من بطونهم: **بنو باديس، وبنو زنجان، وبنو سعادة.** وتقول

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 235.

المصادر التاريخية عن لواتة؛ أنه كان منهم من اختار حياة الرحلة؛ طلبا للنجعة في جهات برقة. وكانت للواتة مواقف منحازة لأبي يزيد؛ خلال ثورته على الفاطميين؛ نظرا لانتمائهم للمذهب الخارجي. وقد تذبذب منهم بعض الأحياء في ولائهم للدولة؛ فكانوا أحيانا في خدمتها (فتستعين بهم ــ خاصة ــ في جمع المغارم من القبائل المختلفة)؛ وأحيانا أخرى يتحولون إلى قبائل متمردة؛ ثائرة. وحينما أخذ الضعف يتسرب إلى الدولة، واستفحل أمر قبائل بني هلال، وسليم؛ أضحت أحياء من لواتة عرضة لابتزازهم، وضغوطهم؛ وبذلك اندرجوا ضمن القبائل الغارمة[1].

! ! !

ــ ***أعيانهم:*** أنجبت بلاد المغرب الإسلامي رجالا نسبوا إلى لواتة؛ خلفوا ذكرا حميدا، وسمعة مشرفة. غير أن أصول بعضهم يكتنفها شئ من الغموض؛ إذ لا نعرف إن كانوا ينتسبون إلى قبيلة لواتة؛ أم حملوا هذه التسمية نسبة إلى الموضع

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 235 ــ 238.

المسمى باسم القبيلة؛ سواء كان ذلك ببلاد المغرب أم في الأندلس؛ التي بها أماكن سميت باسم قبائل أمازيغية؛ كانت تسكنها بكثافة. ومع هذا سنعتبر كل من نُسب إلى لواتة؛ عضوا من تلك القبيلة؛ لأننا نؤمن بأن ((النسب القبلي أمر وهمي؛ لا حقيقة له))؛ كما يقول ابن خلدون. ونظرا لكون هدفنا الأساسي هو **إبراز دور أبناء المغرب الإسلامي في بناء الصرح الثقافي العربي الإسلامي؛ وليست غايتنا هي القبيلة** في حد ذاتها؛ وما إتباعنا هذه **المنهجية** ــ التي تضعهم في إطار قبلي ــ إلاَّ **وسيلة إيضاح**؛ تسمح بتصور دقيق للمحيط الذي احتضن علماء المغرب؛ ومفكريه؛ كما تسمح هذه **المنهجية** ــ أيضا ــ بإجلاء الحركة الثقافية؛ في الأوساط القبلية بهذه الديار؛ وهذا بالطبع يسوقنا إلى الاستناد إلى القول المأثور: **((النسب علم لا ينفع، وجهالة لا تضر))**. وعليه فمن الذين نسبوا إلى لواتة من العلماء:

ــ **لواب بن سلام بن عمر اللواتي** (كان حيا سنة 260هـ/873م)؛ وهو من العلماء الإباضيين؛ ومن مؤلفاته: رسالة عن نشأة

الإباضية، ودخولهم إلى المغرب؛ وهي وثيقة تاريخية لم يسبقه إليها أحد.

ـ ثم **أبد الله السكاك القنطراري** (القنطناري) **اللواتي**؛ وهو رأس فرقة من الإباضية؛ ولكنها خرجت عن جماعتهم؛ إذ اتبعوا مذهبا أنكره عليهم جمهور الإباضية. وقد ذكرهم الدرجيني في طبقاته بقوله: **((أن السكاك يعرف بأبد الله اللواتي النسب، قنطناري المسكن؛ وكان له أب من أهل الصلاح؛ فبلغنا أن أباه توجه إلى الحج قبل أن يولد له أبد الله؛ فلما كان في بعض الطريق رأى في منامه أن قد ولد له شيطان... ويقال سبع مسائل خالف فيها جميع أهل الحق: 1ـ أبطل السنة، ورأي المسلمين؛ قال... إن الله قد أغنى عنهما... بكتابه العزيز، ...2 ـ قوله إن الصلاة جماعة بدعة، 3 ـ قوله إن الأذان بدعة؛ فإذا سمع هو وأصحابه الأذان قالوا: نهيق الحمار، 4 ـ إن الصلاة عندهم لا تجوز بما لا يعرف معناه، وتفسيره من القرآن، 5 ـ قوله إن بقول الجنات؛ مما ينبت في سماد بني آدم؛ كل ذلك نجس؛ بنجاسة ما نبت عليه، 6 ـ إن الصلاة لا تجوز بثوب فيه قمل، 7 ـ إن بول الدواب**

في الأنـدر حيـن درسهـا إيـاه نجـس؛ فـلا يطهـر مـا بالـت عليـه إلا بالغسـل. وجـدت عـن أبي يعقـوب يوسـف بـن نفـاث رحمـه اللـه قـال: أدركنـا بقيـة أصحـاب أبـد اللـه السكـاك؛ إذا قـرب وقـت الصـلاة خرجـوا؛ متجنبيـن عـن النـاس إلى مفاحـص قـد هيئوها لأنفسهـم؛ فيصلـون فيهـا فـرادى. وعنـه؛ أدرك جماعـة الشيـوخ بقسطيليـة؛ يصلـون عـلى جميـع مـوتى أهـل القبلـة؛ كلهـم؛ مـن المخالفيـن، وغيرهـم؛ إلا أصحـاب السكـاك؛ فإنهـم مـن مـات منهـم؛ جعلـوا في رجليـه مرابـط، وجـروه بهـا إلى موضـع يوارونـه فيـه. وكـان مشائـخ السلـف تتقـارب أقوالهـم في السكـاك وأصحابـه، وتتفـاوت؛ فقائـل: بشركهـم، وقائـل بنفاقهـم؛ وهـذا المذهـب قـد فـني أصحابـه؛ فلـم تبق لهـم بقيـة))[1].

ـ ثـم أحمـد بـن إبراهيـم بـن أبي زيـد اللـواتي المـرسي (كـان حيـا سنـة 423هـ/1031م)؛ فقيـه، ومقـرئ.

---

[1] ج: 1، ص ص: 118 ـــ 119.

ـ ثم أخوه **أبو الحسن يحيى بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي المرسي** (كان حيا سنة 423هـ/1031م)؛ فقيه، ومقرئ.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن حسين ابن علي اللواتي الفاسي** عرف بابن تامتيت؛ فقيه، ومحدث.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن مخلوف بن جابر اللواتي البلنسي**؛ نحوي، ومن العارفين بالعربية، وعلومها، وآدابها؛ كما يمتاز بقرض الشعر.

ـ ثم **أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك ابن إبراهيم بن سمجون اللواتي الطنجي** (توفي بطنجة سنة 491هـ/1097م)؛ فقيه، ومقرئ، وشاعر؛ فهو عالم المغرب، وشيخه في وقته؛ كان ملما بعلوم الفقه، والأدب؛ واللغة؛ فصيح اللسان؛ يميل في حديثه وشعره إلى التقعير، والتمسك بالإعراب؛ مع الخاصة، أو العامة؛ قال عنه الشيخ عياض: **((فلا يكاد يؤخذ عليه لحن))**[1]. وولي في عهد المرابطين الصلاة، والخطبة، والإفتاء، والأحكام بمدينة طنجة؛ ومن قبلها ولي أيضا الإفتاء، والصلاة والخطبة بسبتة. وأسرة

---

[1] الغنية، ص: 258.

سمجون هذه أنجبت عددا من العلماء؛ عرفوا باسم سمجون الطنجي؛ نسبة إلى مدينتهم؛ سيتأتي الإشارة إليهم تباعا؛ كل في موضع ترتيبه.

ـ ثم **أبو الحسن يحيى بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي يعرف بابن البيَّان** (توفي بمرسية سنة 496هـ/1102م)؛ كان من المقرئين.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي**؛ المعروف بابن الفاسي (توفي بسبتة سنة 513هـ/1119م)؛ وهو أحد شيوخ القاضي عياض؛ الذي قال عنه في الغنية: **((كان من أهل الفقه، والعلم، والمعرفة بالوثائق، والبصر بالأحكام، والتفنن في معارف... وكتب للقضاة بسبتة، وشوور في الأحكام؛ ثم قعد عن ذلك، وانقبض عن الناس، واشتغل بنفسه، وطلب الانفراد، والتقلل، والزهد في الدنيا. وقد طلب لقضاء سبتة، وولاية خطبتها؛ فامتنع، ولم يجب...صحبته كثيرا، وقرأت عليه غير شئ))**[2].

---

[2] الغنيـة ، ص ص: 186 ـــ 187.

ـ ثم أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي (توفي بتلمسان سنة 524هـ/1129م)؛ فقيه فاضل؛ ولي قضاء تلمسان.

ـ ثم أبو محمد عبد المنعم بن مروان بن عبد الملك بن إبراهيم بن سمجون اللواتي الطنجي (توفي بالمرية سنة 524هـ/1129م)؛ فقيه فاضل؛ ولي قضاء غرناطة، والمرية؛ فترك أثرا حميدا بين الناس.

ـ ثم أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي (توفي بغرناطة سنة 539هـ/1144م)؛ فقيه، فاضل، ولي قضاء تلمسان بعد عمه؛ قبل أن ينتقل إلى غرناطة.

ـ ثم أبو محمد عبد الودود بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي (ت: سنة 552هـ/1157م)؛ فقيه؛ من الرواة.

ـ ثم أبو القاسم أحمد بن عبد الودود بن عبد الرحمن بن سمجون الطنجي؛ فقيه، وولي القضاء.

ـ ثم **أبو علي الحسن بن مكي اللواتي**؛ فقيه، وراوية.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن جابر بن فتح الأنصاري اللواتي الغرناطي**؛ من المتكلمين الأصوليين.

ـ ثم **أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن اللواتي**؛ فقيه من الزهاد الصالحين.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ابن الحسين اللواتي الفاسي** (توفي بفاس سنة 573هـ/1177م)؛ قال عنه ابن الزبير: **((كان عالما بالفرائض، والعقود؛ ومن حفاظ المسائل؛ ممن تدور عليه الفتوى)).**

ـ ثم **علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي** (توفي بالمُنَكَّب سنة 599هـ/1202م)؛ فقيه؛ من أهل المعرفة، والعلم؛ قال عنه ابن الزبير: **((كانت له كتب كثيرة))**[1]. دون أن يذكرها.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن علي بن عُتْبة اللواتي** (توفي بعد 625هـ/1227م)؛ مقرئ، ومحدث.

---

1 صلة الصلة، القسم الأخير ، ص ص: 147. 117 ـ 118.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الأجدابي الطرابلسي** (توفي حوالي سنة 650هـ/1252م)؛ من علماء اللغة؛ وله إلمام بعلوم أخرى؛ من مؤلفاته: كفاية المتحفظ، ومختصر في علم الأنساب، ومختصر في الأنواء، وكتابان في العروض.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي الطنجي** (ت: سنة 779هـ/1377م)؛ وهو الرحالة الذائع الصيت المعروف بابن بطوطة. أملى رحلته؛ التي حررها الفقيه الأديب محمد ابن محمد بن جزي الكلبي؛ بأمر من السلطان المريني أبوعنان؛ فكانت أهم، وأشمل رحلة تمت في وقته؛ وترجمت إلى لغات عديدة؛ منها: الأنجليزية، والفرنسية، والبرتغالية، والألمانية.

OOO

أما اعلام لواتة؛ أصحاب الحكم، والسلطان؛ منهم:

ـ **سلام بن عمر اللواتي**؛ ولاه عبد الوهاب ابن رستم على سرت، ونواحيها.

ـ ثم **ميال بن يوسف اللواتي**؛ ولاه عبد الوهاب بن رستم على نفزاوة.

ـ ثم **أورغ بن علي بن هشام اللواتي**؛ أحد القادة في الدولة الفاطميين؛ ولكنه انحاز إلى حميد ابن يصلتن بن حبوس المكناسي (صاحب تيهرت)؛ عند عصيانه للدولة، ومبايعته للأمويين؛ ثم التحق أورغ بعدئذ بالأندلس سنة 336هـ/947م.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر بن ميال بن يوسف اللواتي** (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ كان جده وزيرا للإمام أفلح بن رستم. وهو من علماء ورجلان الإباضيين.

ـ ثم **مكي بن فراج بن زيادة الله بن أبي الحسن بن محمد بن زيادة الله بن أبي الحسين اللواتي**؛ وهو كبير بني مكي رؤساء قابس.

ـ ثم **أبو القاسم عثمان بن أبي القاسم بن مكي اللواتي**؛ حليف أبي زكرياء الحفصي؛ إذ تولى أخذ البيعة له من الناس؛ عندما عزم على الاستبداد على الموحدين.

ـ ثم **عبد الملك بن عثمان بن مكي اللواتي**؛ الذي انحاز للدعي أبي عمارة.

! ! !

أما أعيان سدراتة؛ وهي بطن من بطون لواتة؛ كما سبقت الإشارة إليه؛ فمنهم:

ـ **عاصم السدراتي** (توفي أمام أسوار القيروان سنة 141هـ/758م)؛ وكان من المقربين من أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح؛ وهو أحد الخمسة الذين ذهبوا إلى البصرة طلبا للعلم؛ لدى أبي عبيدة مسلم الإباضي؛ وكان قد شارك أبي الخطاب في الزحف على القيروان، أثناء حصار ورفجومة في داخلها.

ـ ثم **أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن سهلون السدراتي** المعروف بالطرفي (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث)؛ وهو من كبار علماء الإباضية؛ استقر بوارجلان؛ التي تولى فيها الفتيا، والقضاء بين الناس؛ تلقائيا؛ دون تكليف من الحكام.

ـ ثم **أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي** (ت: سنة 570هـ/1174م)؛ كان له إلمام بعلوم شتى منها: علوم القرآن الكريم، واللغة، والفقه، والحديث، والفرائض، والكلام، والسير والتراجم، والتنجيم؛ إلى جانب أنه كان يقرض الشعر. ويقول الدرجيني أن أبا يعقوب تعلم هذه العلوم، والفنون بقرطبة؛ عندما ذهب

إليها في صغره؛ طلبا للعلم؛ ومن مؤلفاته: كتاب العدل والإنصاف؛ جزأه إلى ثلاثة أجزاء، وكتاب الدليل لأهل العقول؛ يعالج مواضيع من المذهب الإباضي، وكتاب مرج البحرين؛ في المنطق، والحساب، والهندسة، وكتاب المغرب في تاريخ المغرب، وتفسير القرآن الكريم؛ في سبعين جزءا؛ قد تصل أوراق الجزء إلى 700 ورقة أحيانا، كما قام بترتيب مسند الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري؛ وسماه الجامع الصحيح؛ وله قصيدة طويلة جدا سماها الحجازية؛ قال عنها الدرجيني: **((أبياها عدد أيام العام؛ بدأ فيها بغزل رقيق، ثم الرحلة عن وارجلان، والتنبيه عمن صحبهم في ذلك الركب؛ فذكر الطريق مترلة مترلة في سيرهم؛ حتى وصلوا؛ وذكر المناسك، ثم فعل كذلك حتى خرج؛ ثم خرج إلى شيئ من علم الحدثان؛ ثم وعض أحسن وعض، وتذكير؛ ففيها ما يشهد له باتساع الفن))**[1]. وكان الأندلسيون يشبهونه بالجاحظ؛ ساح في الأرض مدة بين الأندلس، والمشرق الإسلامي؛ وإفريقيا السوداء؛ حتى وصل في رحلته جنوبا إلى حدود

---

[1] طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص: 494.

خط الاستواء؛ ثم عاد إلى بلده ورجلان؛ أين اعتكف على القراءة، والتأليف حتى توفاه الله فيها.

ـ ثم ولده **أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف السدراتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو أديب، وشاعر؛ إلى جانب إلمامه بالعلوم الشرعية، والنحوية، واللغوية؛ ولكنه دون والده.

ـ ثم **محمد بن أحمد السدراتي** (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ وهو من الفقهاء، وأهل الفضل.

! ! !

أما مزاتة؛ فهي ـ بدورها ـ بطن من بطون لواتة؛ وبرز فيها رجال تركوا وراءهم ذكرا محمودا؛ منهم:

ـ **أبو عثمان الدكمي المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ استوطن جبل نفوسة؛ حيث عرف فيه باسم **باثمان**؛ وهو من الزهاد المتصوفين؛ تناقل الناس عنه، وعن ابنته **تكفا** حكايات عجيبة؛ تدخل في سياق الأساطير.

ـ ثم **أبو نوح سعيد بن يخلف المزاتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ له حظ من العلم، والمال الوفير.

ـ ثم **أبو محمد واسلان بن يعقوب المزاتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية؛ كان في البداية منصرفا عن العلم إلى الرعي، والطرب؛ ولكنه تدراك ما ضاع من عمره؛ فانكب على العلم حتى اكتسب منه ما أغناه.

ـ ثم **أبو الخطاب عبد السلام بن منصور ابن أبي وزجون المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو أحد علماء الإباضية.

ـ ثم **أبو عمران موسى بن زكرياء المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وصفه الدرجيني بقوله: **((رأس من رؤوس المذهب، وأعلم علمائه، وشمس من شموسه الكاشفة لظلمائه؛ العلم والأدب حليته))**[1]. كان رأس العلماء السبعة؛ الذين اعتكفوا في غار امجاج؛ بغرض تأليف ديوان في

---

[1] طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص: 409.

الفقه الإباضي؛ وقد تولى كتابته بخطه؛ فنسب إليه؛ بينما هو عمل جماعي.

ـ ثم **أبو إسماعيل البصير إبراهيم بن ملال المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من الزهاد، والصالحين.

ـ ثم **أبو موسى يزيد المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من أهل العلم، والصلاح، وفعل الخير.

ـ ثم ولده **ضمام بن أبي موسى يزيد المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ سار على نهج أبيه؛ في فعل الخير؛ قال عنه الدرجيني: **((أن بلاد إفريقية أصابتها سنة؛ فاشتدت أحوال أهلها؛ وعدموا القوت؛ حتى ضمت أهل البوادي، وغيرهم إلى بلاد الجريد؛ فانتجعت مزاتة إلى قابس؛ ليمتاروا منها التمر بالدين، والقرض؛ فأتوا ضمام بن أبي موسى؛ يدلون عليه بالقرابة، والأخوة؛ وهو حينئذ عند أهل قابس معروف، وبالخير والصلاح موصوف؛ فسألوه أن يستقرض لهم، ويستدين، ويتحمل عنهم... فشاور والده في ذلك... فقال له: هل يعرفهم أحد؟ قال: لا، قال: وأنت؛ هل يعرفك أهل قابس،**

ويأمنونك؟ قال: نعم، ولا يعرفون غيري؛ فقال له أبوه: دخولك في شئ يستنقذهم من الجوع إذا فرض من الفروض اللازمة؛ إذ كانوا ينتفعون بجاهك أكثر مما ينتفعون بأموالهم؛ فقضى مآربهم أجمعين))[2].

ــ ثم **أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي؛ كان ملما بعلمي: الأصول، والفروع؛ وله تصنيف في الأصول؛ من مجلدين.

ــ ثم **أبو يعقوب يوسف بن خلفون المزاتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من الملمين بعلمي الأصول، والفروع؛ وتفرغ للتدريس، والإفتاء؛ ولكنه تعرض لمضايقات من طرف المتزمتين للمذهب الإباضي؛ بعدما لاحظوا أنه يطالع كتبا لعلماء المذاهب السنية؛ غير أنه صمد أمامهم؛ إيمانا برأيه.

---

[2] طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص ص: 421 ــ 422.

ـ ثم **ميمون بن أحمد المزاتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي بدرجين؛ ناله ـ في أواخر أيامه ـ ضيم، وإهمال؛ وقال فيه الدرجيني: **((طال عمره حتى كف بصره؛ فتخلى عن التشديد، وكان يتمنى أن يلقى من يسأله عن المسألة سؤالَ مستفيدٍ؛ فقلما يظفر بسائل، أو بلقاء عارف أو معترف بما أوتي من الفضائل... وحدثني من لا أتهم؛ عن جدي يخلف أنه كان متى حضرته تحفة ذكر عندها السيخ ميمون بن أحمد؛ وكان يحض على إكرامه ويقول: أكرموا ميمون بن أحمد؛ قد اجتمعت فيه الصفات الثلاث: عزيز ذل، وغني افتقر، وعالم بين جهال))**[1].

***

ـ ***مواطنهم:*** من مواطن **لواتة** التي ينتجعون عبرها؛ هي أراضي **برقة**؛ وقد تمتد بهم النجعة إلى **مصر**؛ حيث سكن **واحاتها** عدد كبير منهم. وفي ذلك يقول ابن خلدون: **((ومنهم أيضا بواحات مصر ـ فيما ذكره المسعودي ـ أمة**

[1] طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص: 512.

عظيمة بالجيزة؛ التي بينها وبين مصر. وكان لما قرب من هذه القصور؛ شيخهم هنالك بدر بن سالم؛ وانتقض على الترك؛ وسرحوا إليه العساكر؛ فاستلحموا كثيرا من قومه، وفر إلى ناحية برقة؛ وهو الآن في جوار العرب بها... ومنهم أوزاع متفرقون بمصر، وقرى الصعيد؛ شاوية، وفلاحين))[2]. وفي **جبل أوراس** تسكن أمة عظيمة منهم؛ انحازت إلى أبي يزيد في ثورته. وقد استعانت بهم الدولة في جباية الأموال من القبائل الأخرى. ولما ضعفت الدولة الحفصية؛ أصبحت جماعة منهم ــ يعرفون باسم **بني سعادة** ــ في إقطاع الدواودة؛ فاستعملوهم في المهمة التي خصتهم بها الدولة. ومن بقي من أحيائهم: **بنو باديس، وبنو زنجان**؛ دخلوا في طاعة بني مزني؛ أمراء بسكرة، وأرض الزاب. وكانت لبني باديس إتاوات يتقاضونها من **بلدة نقاوس** خلال الشتاء؛ عندما ينسحب الأعراب نحو مشاتيهم في الصحراء. وإذا ما عادوا إلى مصائفهم؛ انسحبت لواتة إلى معاقلها المنيعة في الجبال.

---

[2] العبر، مج: 6، ص: 238.

وتتواجد أعداد كبيرة منهم ــ أيضا ــ بضواحي **تيهرت**؛ حيث كانوا يتنقلون؛ منتجعين في تلك المناطق؛ على **وادي ميناس**. وجاء في العبر: **((يقال أن بعض أمراء القيروان نقلهم معه في غزوة، وأنزلهم هنالك. وكان كبيرهم أورغ بن علي بن هشام قائدا لعبيد الله الشيعي. ولما انتقض حميد بن يصل ــ صاحب تاهرت ــ على المنصور ــ ثالث خلفاء الشيعة ــ ظاهروه على خلافه... وأجاز حميد إلى الأندلس سنة ست وثلاثين؛ وزحف المنصور يريد لواتة؛ فهربوا أمامه إلى الرمال؛ ورجع عنهم))**[1]. وهذه الفئة من لواتة هي التي حاربها بنو وجديجن؛ بسبب إهانة امرأة منهم؛ متزوجة في لواتة. وقد سبق الحديث عنها. ومن جراء تلك الفتنة أجبرت لواتة على النزوح عن ديارها؛ حيث استقرت أحياؤهم خلف الجبل المسمى دارك؛ في التلول، **وخلف الجبال المطلة على متيجة**؛ أين أصبحوا من بين القبائل الغارمة. كما توجد فئة منهم ــ أيضا ــ في الجبال المسماة بهم؛ **جنوب قابس، وصفاقس. وبنو مكي؛ رؤساء قابس** منهم.

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 236 ــ 237.

وفي ضواحي بجاية توجد قبيلة من لواتة؛ تحتل سهل تاكرارت؛ فيتوزعونه قطعا؛ لزراعتهم، ومراعيهم. ومن رؤسائهم في تلك الجهات؛ بنو راجح بن صواب.

....

4 ــ بنو نفوس:

وهم **أبناء نفوس بن زحيك بن مادغيس الأبتر.** وكانوا من أعظم القبائل الأمازيغية عددا، وقوة. وهم جميعا ينتسبون إلى بطن واحد ممثلا **بنفوسة.** ومن أحيائهم المعروفة: **بنو زمور،** (وهم غير أبناء زمور البرنسيين). **وبنو ماطوسة**[1]. ويقول عبد الوهاب بن منصور أن بعض أحياء نفوسة اندرجوا ضمن قبيلة **بني خلفون** بالضفة اليمنى لوادي يسر؛ في الجهة الشرقية للجزائر. **وبنو مسكور.** ويقول عنهم عبد الوهاب بن منصور ــ كذلك ــ أن بعضهم مندمجون ضمن قبيلة **آيت ونير؛** المتواجدة عند زاكورة بالمغرب الأقصى[2].

! ! !

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 230.

[2] قبائل المغرب، ج: 1، ص: 308.

ـ **أعيانهم:** نفوسة كغيرها من قبائل المغرب الإسلامي؛ أنجبت رجالا عظماء؛ بعلمهم، وبكفايتهم؛ ولكن المصادر التي بين أيدينا شحيحة للغاية؛ وإن أسعفتنا؛ فإنها لا تمدنا بما يفي بالغرض. وعليه فإنه تعذر علينا معرفة أعلام نفوسة بدقة، ووضوح. ومع هذا سنذكر أهمهم؛ كما عرفنا عنهم؛ ولا يفوتنا التذكير؛ بأن جل هؤلاء الأعيان ـ وإن لم يكونوا كلهم ـ فهم علماء؛ بالإضافة إلى مناصبهم الزمنية؛ على أن العلوم الغالبة على اهتمام أكثرهم؛ كانت العلوم الشرعية. وهؤلاء الأعيان وهم:

ـ **محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجناوني النفوسي** (من أعلام أوائل القرن الثاني للهجرة)؛ ويعتبر من الرواد النفوسيين الأوائل الداعين للمذهب الإباضي؛ إذ كان قد رحل إلى البصرة؛ أين تلقى العلم من طرف أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وغيره؛ ثم عاد إلى جبل نفوسة؛ لنشر ما تعلمه من علم.

ـ ثم **إسماعيل بن زياد النفوسي**؛ (الذي تغلب سنة 132هـ/749م)؛ على قابس.

ـ ثم **عمرو بن يَمْكِتْن الأفَاطْمَاني النفوسي** (توفي سنة 144هـ/761م)؛ مع أبي الخطاب ـ في وقعة تورغا ـ أمام جيش ابن الأشعث؛ وكان قد بدأ حياته الأولى معلما للقرآن؛ ثم أضحى قائدا في جند أبي الخطاب عبد الأعلى؛ ثم ولاه بعد ذلك أعمال سرت، وأطرافها.

ـ ثم **أبو الحسن أيوب بن العباس النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة)؛ كان من الفرسان الأبطال؛ ولاه عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم على أعمال جبل نفوسة.

ـ ثم **مَهَدِّي الويغوي النفوسي** (توفي سنة 196هـ/811م)؛ حينما كان في جيش عبد الوهاب ابن رستم المحاصر لطرابلس. وهو من علماء نفوسة الكبار؛ وكان فقيها، ملما بأساليب الكلاميين؛ وهو الذي تصدي لعالم الواصلية من المعتزلة؛ في المناظرة الشهيرة التي عقدت بتيهرت.

ـ ثم **أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ وهو أحد علماء نفوسة الإباضيين؛ ولاه إمام الدولة الرستمية عبد الوهاب ـ بعد موت أبي الحسن أيوب ـ أعمال جبل نفوسة؛ باقتراح من سكان الجبل؛ ولكنه ـ حسبما يقال ـ رفض المنصب؛ وقال: أنا ضعيف؛ الأمر الذي جعل الإمام يصر، ويلح عليه؛ قائلا في رسالته إليه؛ أورد فقرة منها؛ علي يحيى معمر في كتابه الإباضية في موكب التاريخ؛ جاء فيها: **((إن كنت ضعيف البدن فالحق يقويك، وإن كنت ضعيفا في المال فبيت مال المسلمين تقويك، وإن كنت ضعيفا في العلم فعليك بأبي زكرياء اللواتي فاستعن به فيما يستقبل من أمورك))**[1]. فطلب مهلة للتفكير، والاستشارة. ومن الطريف إنه التجأ إلى امرأة في جبل نفوسة؛ ليستشيرها؛ ويبدو أنها كانت من الزاهدات الفاضلات؛ وتدعى **مارن**؛ التي تلقب بجدة العلماء؛ والتي تولت مهمة التدريس في مدرستها. ولما عرض عليها أبو عبيدة مشكلته قالت: **((إن تقدمت فأنت في**

[1] الحلقة: 2، القسم: 1، ص ص: 90 .

النــار، وإن تأخــرت فأنــت في النــار...إن تقدمــت وأنــت تعــرف أن في المسلميــن مــن هــو أكفــأ منــك؛ فأنــت في النــار، وإن تأخــرت وأنــت تعلــم أنــك أكفــأ المسلميــن؛ فأنــت في النــار))[2]. بهــذه الطريقــة جاوبتــه، وتركــت لضميــره الخيــار؛ ففكــر في الأمــر مليــا ثــم أعلــن قبولــه بالولايــة.

ـ ثــم **العبــاس بــن أيــوب بــن العبــاس النفــوسي** (مــن أعــلام النصــف الأول مــن القــرن الثالــث للهجــرة)؛ ولي أعمــال جبــل نفوســة بعــد وفــاة أبي عبيــدة؛ في عهــد أفلــح بــن عبــد الوهــاب؛ وهــو ولــد أيــوب عامــل الجبــل الأول.

ـ ثــم **أبــو يونــس وسيــم بــن يونــس النفــوسي** (مــن أعــلام النصــف الأول مــن القــرن الثالــث للهجــرة)؛ ولي أعمــال قنطنــار بالجريــد مــن طــرف أفلــح بــن عبــد الوهــاب بــن رستــم.

ـ ثــم **سعــد بــن وسيــم بــن يونــس النفــوسي** (مــن أعــلام النصــف الأول مــن القــرن الثالــث للهجــرة)؛ ولاه أفلــح بــن عبــد الوهــاب مكــان أبيــه كعامــل عــلى قنطنــار بالجريــد.

---

[2] الحلقــة: 2، القســم: 1، ص: 92.

ـ ثم **نفاث بن نصر النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ نسب إليه الدرجيني حركة ما أسماه بالافتراق الثالث في الإباضية؛ ومرد ذلك كما يقول: هو حسده لرفيق دراسته؛ سعد بن وسيم؛ الذي فضله الإمام عليه؛ في ولاية قنطنار؛ وبذلك شرع في الإعلان بمخالفته لتصرفات للإمام أفلح؛ ثم أظهر بعض الاجتهادات الفقهية؛ المخالفة لما اتفق عليه.

ـ ثم **أبو ذر أَبان بن وسيم النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي أعمال جبل نفوسة؛ في عهد أفلح بن عبد الوهاب. ويعتبر من أنبغ علماء نفوسة، وأبصرهم بالأحكام الشرعية. ومن الأمثلة على سرعة بديهته؛ أنه سُئِل يوما: ما هي فتوى من حلف لزوجته بالطلاق أن لا يزوج ابنتهما للذي يحبانه، أو للذي يكرهانه؟ فأجاب السائل بسرعة: يزوجها لمن لا يعرفان.

ـ ثم مجموعة من الأعلام؛ هم: **أبو زكرياء التكوتي النفوسي، وأبو مرداس مهاصر النفوسي، وأبو ميمون الجيطالي النفوسي، وأبو المنيب محمد بن يانس النفوسي، وأبو خليل**

اليدركلي النفوسي، وأبو مهاصر موسى بن جعفر النفوسي، وأبو مسور يصنيتن النفوسي (كلهم من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ وهم جميعا من علماء نفوسة الإباضيين.

ـ ثم **أبو منصور إلياس النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي أعمال جبل نفوسة في عهدي: أبي اليقظان، وأبي حاتم؛ وفي وقته زحف العباس بن أحمد بن طولون على برقة، وطرابلس؛ حيث تصدى له أبو منصور إلياس؛ ضمن مقاتلين من إباضيَّي نفوسة؛ وذلك في سنة 267هـ/880م؛ بالمكان المعروف بقصر حاتم؛ فتكبد الجيش الغازي هزيمة منكرة.

ـ ثم **أفلح بن العباس بن أيوب بن العباس النفوسي** (من أعيان النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي في البداية أعمال نفوسة في عهد أبي اليقظان؛ أقيل مرتين؛ ثم أعيد في كل مرة؛ وفي عهده حدثت وقعة قصر مانو؛ (وهو موقع أثري على ساحل البحر)؛ وذلك في عام 283هـ/896م؛ بين جيش الأغالبة، ومقاتليه من إباضية نفوسة؛ فانتصر فيها إبراهيم بن أحمد

بن الأغلب؛ وكانت هذه الوقعة بداية النهاية لعنفوان نفوسة.

ـ ثم **عَمْروس بن فتح المساكين النفوسي** (توفي في وقعة مانو سنة 283هـ/896م)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي؛ ولي في منصب قضاء نفوسة؛ في عهد أبي منصور إلياس؛ وله مؤلفات في اختصاصات شتى منها: الفقه، وعلم الكلام، والأصول، وغيره؛ أشهرها كتاب العمروسة.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن الخير النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث)؛ بايعه سكان جبل نفوسة لكي يتولى حكم الجبل؛ بعد سقوط الدولة الرستمية.

ـ ثم **أبو محمد ملي الأيدرفي النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة)؛ وهو من الزهاد الصالحين.

ـ ثم **أبو يحيى زكرياء الأرجاني النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ توفي في وقعة تيكرت بالجبل؛ التي انتصر فيها النفوسيون على جيش عبيد الله الشيعي؛ ولكن موته تمت بواسطة طعنة غادرة؛ صدرت من بين صفوف أنصاره .

ـ ثم **أبو زكرياء بن أبي يحيى الأرجاني النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) توفي أثناء عودته من معركة بين نفوسة وبين الأغالبة؛ وبالطريقة نفسها التي قتل بها والده؛ أي بطعنة غادرة.

ـ ثم **زيد بن أفصيت الدرفي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) تولى حكم الجبل بوصية من أبي زكرياء.

ـ ثم **أبو يحيى سليمان بن ماطوس الشَّرْوَسي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) كان مدرسا للعلم في مدرسته التي فتحها لطلاب العلم، والمعرفة؛ وكان مصدرا للفتوى والحكم بجبل نفوسة.

ـ ثم **أبو هارون موسى بن يونس الجلالمي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) كان ملما بعلوم: الأصول، والمنطق، والرياضيات، وكان يقول عن الفقه: **"علم العجائز"**؛ أسس مدرسة نموذجية في منهجها، وفي محتوى ما تقدمه من علوم.

ـ ثم أبو الربيع سليمان بن زرقون التابديوتي النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) تلقى في البداية العلم عن العالم الإباضي المشرقي ابن الجمع؛ الذي التقى به في توزر، ورافقه إلى سجلماسة؛ حيث استكمل تعليمه في تلك المدينة مع أبي يزيد مخلد بن كيداد؛ ولكن اختلفت آراؤهم فيما بعد. وسرد الدرجيني بعض الروايات التي تظهر تباين أفكارهما؛ من ذلك: ((وحدث غير واحد من أصحابنا أن أبا الربيع، وأبا يزيد مخلد بن كيداد خرجا ذات مرة في بعض شؤونهما؛ فنزلا على حي من أحياء الوهبية؛ فأضافوهما، ولم يحتفلوا بهما كبير احتفال، ولا أحسنوا قراهما؛ فوقع من ذلك في نفس أبي يزيد شر. ثم مرا بحي من أحياء النكارة؛ فأكرموا مثواهما، وأحسنوا قراهما؛ فقال أبو يزيد لأبي الربيع: "ألا ترى ما بين الرجال والرجال؟ فهل لك في الرجوع إلى مذهب هؤلاء"؟ فقال له أبو الربيع: "لست أريد عرض الدنيا؛ فيما هو أجل من هذا؛ فأبتغيه بديني؛ فكيف بالشيء الحقير أبذل بسببه ديني. ولو كان مرادي طلب الأمور

الدنيوية؛ لنلت جليلها بعلمي؛ ولكن الآخرة خير لمن اتقى؛ والذي تشير به والله لا أفعله أبداً"؛ فافترقا. وانطلق ابن كيداد؛ فأظهر ما وقع في نفسه؛ من اعتقاد مذهب النكارة، وترك مذهب الوهبية. فخاب، وحاب حوبا كبيرا؛ لما أراد الله من شقاوته؛ فخسر نفسه، ودينه، ودنياه؛ نعوذ بالله من سوابق الشقاء))[1]. ولما عاد إلى بلاد الجريد تصدى للنكارة، وحاربهم بالمنطق، والحجة. يقال أنه رافق شيخين ورعين؛ في سفر أيام شتاء شديد البرد؛ فوصلوا إلى غدير في وقت الصلاة؛ فتباينت آراؤهم في وجوب التيمم؛ فتوضأ أحدهما بالماء البارد؛ بينما اكتفى أبو الربيع ابن زرقون، وصاحبه الآخر بالتيمم؛ وبعد مدة أصيب ذلك الشيخ ــ المتمسك بالوضوء ــ بعلة بسبب البرد؛ فقال له ابن زرقون: ((لم تجز لنفسك أن تتيمم لصلاة واحدة؛ فتيمم الآن لصلوات عدة)).

[1] **طبقات المشائخ، ج: 1، ص: 111.**

ـ ثم **أبو محمد زيد بن أفْصيت الدَّرَفي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) حكم جبل نفوسة بانتخابه من طرف أهل العقد.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن جلداسن اللاَّلُوتي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع) حكم جبل نفوسة باتفاق أهل العقد.

ـ ثم **أبو زكرياء بن أبي عبد الله التَّنْدَمِيرْتي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع) حكم جبل نفوسة باتفاق أهل العقد.

ـ ثم **أبو هارون موسى بن هارون النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) كان مفتيا بجبل نفوسة؛ ثم زكاه أهل العقد لتولي حكم الجبل.

ـ ثم **أبو عمرو ميمون بن محمد الشروسي النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة) حكم جبل نفوسة؛ بانتخابه من طرف أهل العقد.

ـ ثم **أبو الفضل سهل النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة) من حكام جبل نفوسة.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن سفيان اللالّوتي النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة) تولى الحكم في جبل نفوسة بتزكية من أهل العقد.

ـ ثم **أبو الربيع سليمان بن أبي هارون النفوسي** (من أعيان النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة) من الذين حكموا جبل نفوسة؛ باتفاق أهل العقد.

ـ ثم **أبو سهل النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ كان مترجما للإمام بتيهرت؛ ويعرف بالفارسي لكون أمه رستمية؛ أما آخرون فينسبونه إلى الفرس؛ وقال عنه الدرجيني: **((غلبت عليه هذه العزوة الفارسية؛ وليس بفارسي؛ وإنما هو نفوسي؛ ولا شك أن أمه رستمية من بيت الإمامة؛ فغلب نسبها عليه، واشتهر به. وقيل هو رستمي أبا وأما؛ وأن أباه ولد لميمون بن عبد الوهاب رحمه الله؛ تمسك من العلوم بسبب؛ فليس برأس فيها ولا ذنب؛ إلا أن الغالب: همل الدموع، والتلهف على فائت ليس له رجوع؛ فجعل هجيراه مراثي الدين وأهله، والبكاء عليه بوابل الدمع وطله؛ حتى دونت**

الدواوين من كلامه، وانتشر في الآفاق حسن نظامه؛ وقد أعجز المراثي بما أوعظ؛ فلها بذلك في النفوس أحسن موقع، وأوفر حظ. وجميع ما حفظ من ذلك فإنما هو بلسان البربر، وأكثره بالصواب حدا؛ فقف على دواوينه تكن عليه مترجما، ولا ترمها إذا لم تجد لها مترجما... وذكر أن قبر أبي سهل بالموضع المذكور [مرسى الدجاج] **ويُزار؛ حتى أن صنهاجة كانت ـ حينئذ ـ تزوره؛ وربما قال قائلهم: انطلقوا إلى قبر النادب ذنبه، ودينه؛ وهذا مما يصحح أنه بجزائر بني مزغنان؛ لأنها بلاد صنهاجة))**[1]. وتلك الدواوين التي ذكرها الدرجيني مكونة من اثني عشر كتابا باللغة الأمازيغية؛ ألفها للإباضية من بني درجين بالجريد.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من العلماء الذين تحلوا بالعلم، وعمل الخير؛ فكان يدرس للطلبة، ويتكفل بإطعامهم، وكسوتهم من ماله الخاص.

---

[1] طبقات المشائخ، ج: 1، ج: 2، ص ص: 351 ـــ 352.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من كبار علماء الإباضية بوادي ريغ؛ كما أنه هو مرتب سيرة الحلقة؛ التي تنظم تعليم العزابة.

ـ ثم **يخلف بن يخلف التميجاري النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية بالجريد؛ ويبدو أنه كان متفتحا على المذاهب الأخرى، غير متعصب لمذهبه؛ حتى أنه كان مقصودا من أبناء المذاهب المختلفة؛ طلبا للرأي، والفتوى.

ـ ثم ولده **علي بن يخلف النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس)؛ وهو من علماء الإباضية المشتغلين بعلوم الدين؛ دون غيره؛ وكان يعاتب بعض أصحابه على ميلهم إلى فنون الأدب، والشعر؛ وقد أورد الدرجيني حكاية وقعت بينه وبين خلف ابن خلف المدعو بالزناد الوارجلاني: ((**وعظه يوما فقال: "أقلع عن هذه الأشعار فقد أكثرت، واشتغل بالفقه"؛ فقال مرتجلا:**

دَعْنِي بِفِقْهِكَ يابْنَ يَخْلف إنَّنِي
رَجُلٌ غَدَا بِفَوَائِدِي الأشْعَارِ
إنَّ التَّفقُّهَ وَالتَّنَسُّكَ وَالتُّقَى
أنْسَاكَ ذِكْرَ الخُرَّدِ الأبْكَارِ

ولا أقول أن هذا في الزناد مجون، أو نقلته مما عبر عنه لسان شجون؛ بل إنما حنينه إلى الأدب؛ فجعل له صفات المجون))[1].

ــ ثم أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان الدرجيني النفوسي (توفي حوالي سنة 670هـ/1271م)؛ من العلماء المهتمين بالتاريخ؛ إذ ألف كتاب طبقات المشائخ بالمغرب؛ وهو خاص بمشائخ الإباضية. وقد نسبه صالح باجيه ــ في أطروحته الجامعية المسماة: الإباضية بالجريد؛ في العصور الإسلامية الأولى ــ إلى نفوسة؛ وبالتحديد إلى بلدة تميجار؛ ملحقا إياه بعلي بن يخلف؛ أما محقق كتاب الدرجيني المسمى طبقات المشائخ بالمغرب؛ إبراهيم طلاي؛ فنسبه إلى مزاتة؛ متدرجا بالنسب إلى من يسمى علي ابن يخلف المزاتي. ومن

---

[1] طبقات المشائخ، ج: 1، ص: 516.

جهة أخرى ذكر الدرجيني اسم يخلف من بين أجداده؛ ولكنه لم يحدد أي يخلف يقصده.

***

ـ ***مواطنهم:*** يقول ابن خلدون: **((كانت مواطن جمهورهم بجهات طرابلس، وما إليها. وهناك الجبل المعروف بهم. وهم على ثلاث مراحل قبلة طرابلس؛ يسكنه اليوم بقاياهم. وكانت مدينة صبرة قبل الفتح في موطنهم، وتعزى إليهم؛ وهي كانت باكورة الفتح لأول الإسلام. وخربها العرب بعد استيلائهم عليها؛ فلم يبق منهم إلا الأطلال، ورسوم خافية. وكان من رجالاتهم اسماعيل بن زياد المتغلب على قابس سنة اثنتين وثلاثين ومائة لأول الدولة العباسية. ومنهم لهذا العهد أوزاع متفرقون في الأقطار؛ بعمالات مصر، والمغرب))**[1]. ويصف محمد علي دبوز جبل نفوسة بقوله: **((إذا جئت غرب طرابلس، وصعدت إلى جبال نفوسة الشماء؛ وجدت معادن العلم، والعبقرية... وكان جبل نفوسة الأشم يشتمل على مدن كثيرة؛ كانت**

---

[1] العبر، مج: 6، ص : 230.

مراكز لنواحيه، وقواعد لجهاتها. وكانت عاصمته هي مدينة شَرْوَسْ وَجَادُوا؛ ومن مدنه الكبرى: نَالُوتْ، وَكَبَاوْ، وَيَفْرَنْ، وَمِيرِي))[1].

هذا ما أمكن معرفته من معلومات تتعلق بقبيلة نفوسة. وتجدر الملاحظة ـ هنا ـ أن أخبارهم وأخبار بني سمكان كلهم؛ يكتنفها غموض كثيف. بسبب شح المصادر، وندرتها من جهة؛ والاختلافات المذهبية من جهة أخرى. وبهذا.. نكون قد أتممنا الحديث عن القبائل البترية؛ وبقي علينا الخوض في أخبار القبائل البرنسية.

***

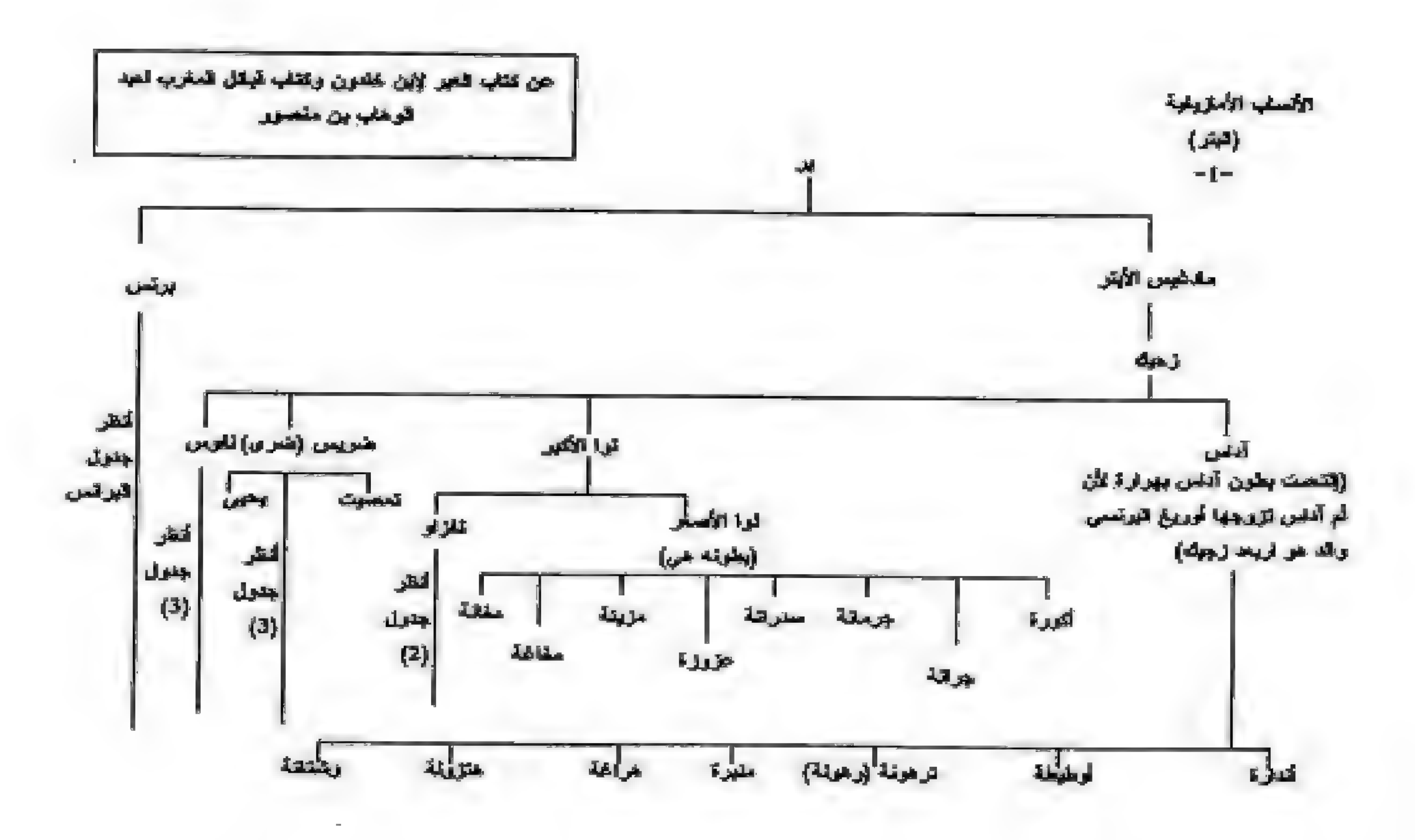
هذا ما تيسر من موضوع القبائل البترية. وسيلي هذا الجزء الأول من كتاب القبائل الأمازيغية ـ إن شاء الله ـ الجزء الثاني الذي يعالج موضوع القبائل البرنسية..

---

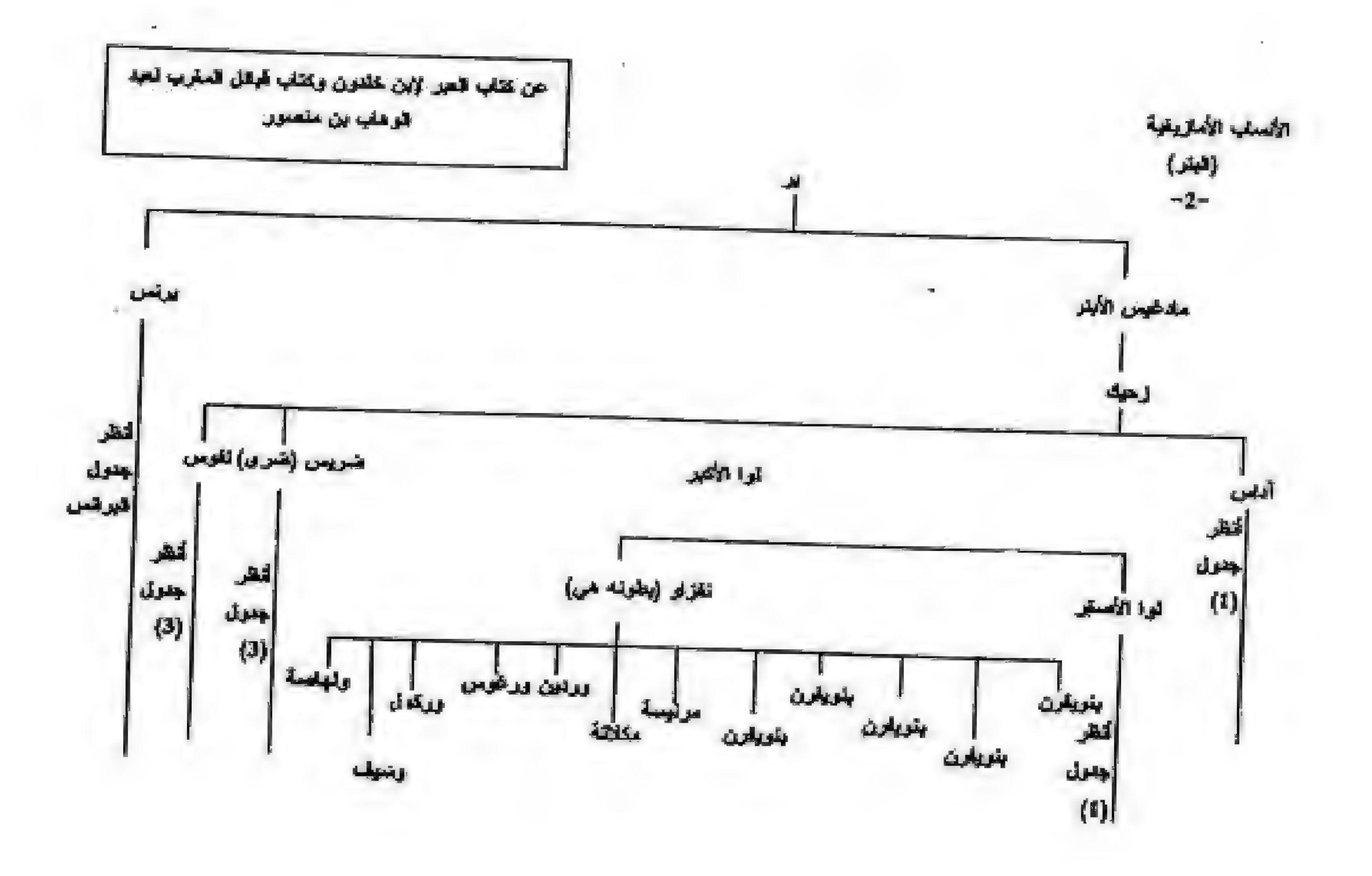
[1] تاريخ المغرب الكبير، ج: 3، ص: 375.

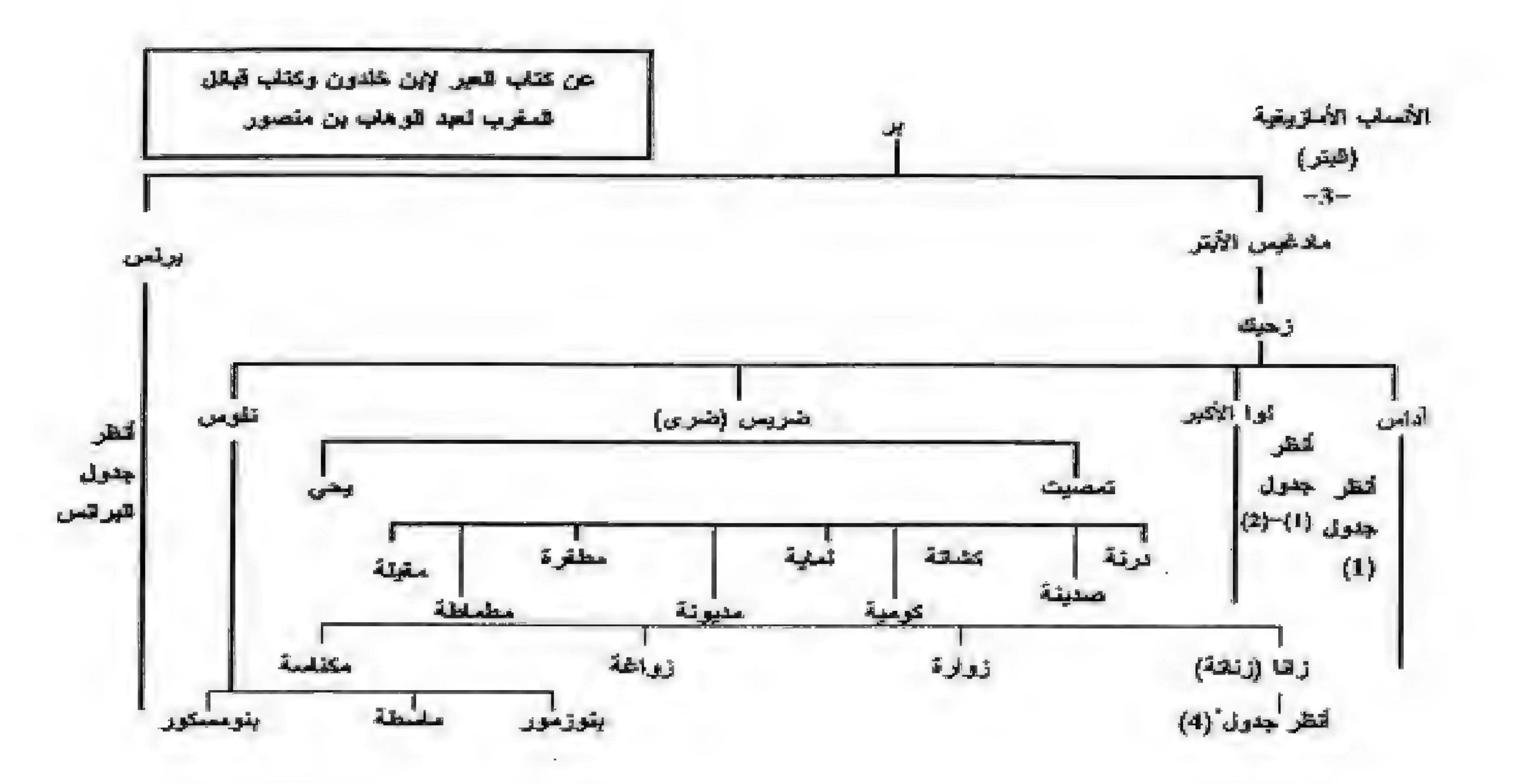
لوحات توضيحية

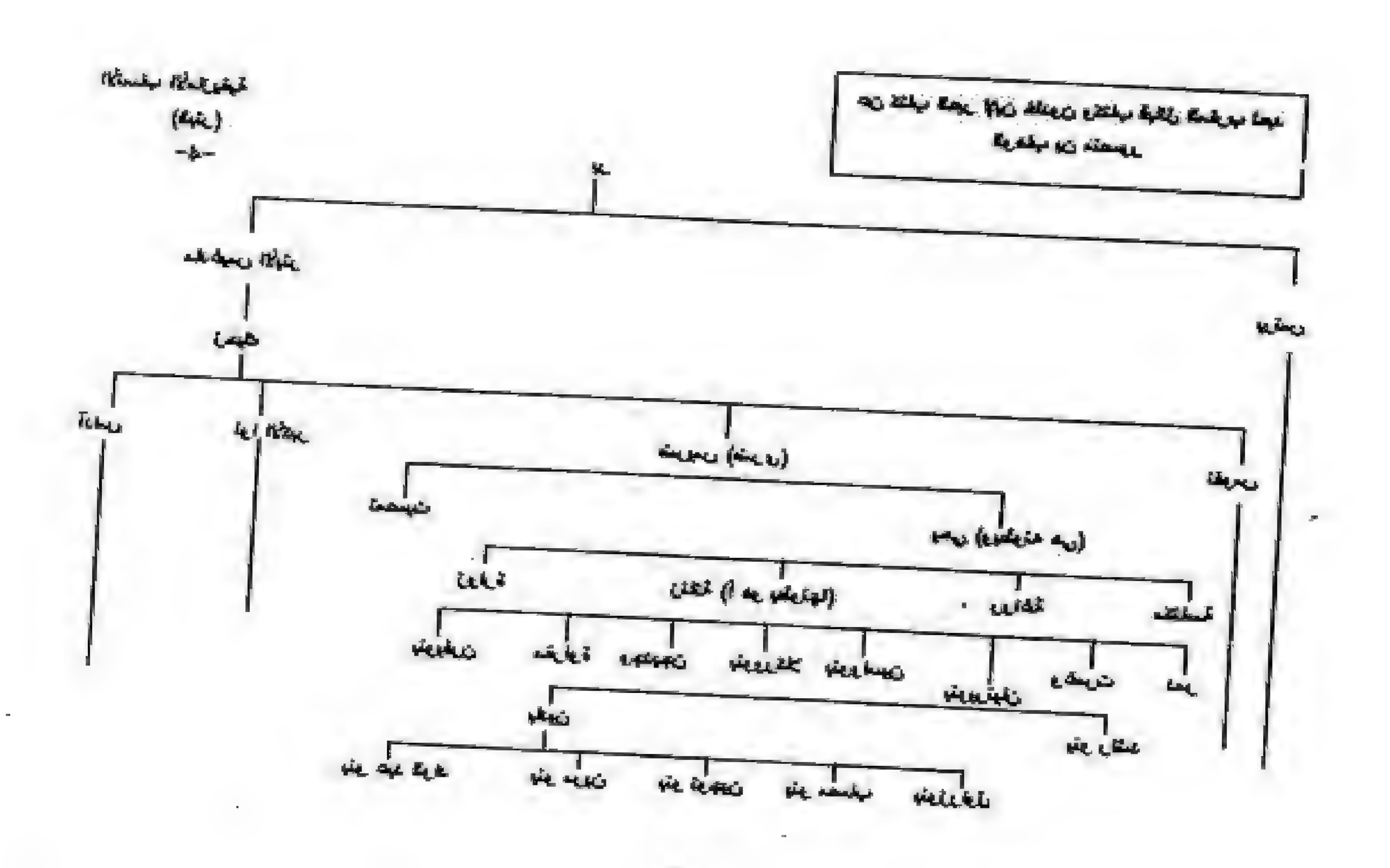
خريطة توضح مواطن أشهر القبائل
الأمازيغية قبل سقوط الدولة الموحدية


الأنساب الأمازيغية
(البتر)
-1-
عن كتاب العبر لابن خلدون وكتاب قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور
بر
برنس
انظر جدول البرانس
مادغيس الأبتر
زحيك
آداس
(اختصت بطون آداس بهوارة لأن أم آداس تزوجها أوريغ البرنسي والد هوار ربيب زحيك)
لوا الأكبر
ضريس (ضري)
نفوس
انظر جدول (3)
يحيى
تمصيت
انظر جدول (3)
نفزاو
انظر جدول (2)
لوا الأصغر
(بطونه هي)
أكورة
جرمانة
سدراتة
مزاتة
مغاغة
جزولة
مغاغة
قمرة
أوطيطة
ترهونة (ترهونة)
مليلة
هراغة
هنزونة
وشتاتة

الأنساب الأمازيغية (البتر) -2-




الأنساب الأمازيغية
(البتر)
-3-
عن كتاب العبر لابن خلدون وكتاب قبائل
المغرب لعبد الوهاب بن منصور
بر
مادغيس الأبتر
برنس
انظر
جدول
البرانس
زحيك
أداس
انظر
جدول
(1)
لوا الأكبر
انظر
جدول (1)-(2)
ضريس (ضرى)
نفوس
تمصيت
يحى
درنة
صدينة
كشانة
كومية
لماية
مديونة
مطغرة
مطماطة
مقيلة
زانا (زناتة)
انظر جدول (4)
زوارة
زواغة
مكناسة
بنوزمور
ملسطة
بنوسكور



فهرس المحتويات

بوزياني الدراجي

سلسلة العصبية القبلية



دار الكتاب العربي
للطباعة، النشر، التوزيع والترجمة

حي العناصر عمارة 309 رقم 03. القبة. الجزائر
الهاتف/فاكس: 021 31.44.51
الجـوال: 070 91.77.73

تأليف: بوزياني الدراجي
تصميم الغلاف: لويزة الحسين
الإخراج الفني: فراس الجهماني

الإيداع القانوني: 2007-153
ردمـــك: 978-9947-833-00-1

بوزياني الدراجي
القبائل الأمازيغية ج2، تصميم الغلاف لويزة الحسين، الإخراج الفني فراس الجهماني .- الجزائر: دار الكتاب العربي، 2007.- 263ص.، 23سم

بوزياني الدراجي

القبائل الأمازيغية

أدوارها - مواطنها - أعيانها

الجزء الثاني



دار الكتاب العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تم إصدار الجزء الأول الذي خصص لبحث الأصول الأولى لسكان بلاد المغرب، وتتبع أحوال أولئك السكان منذ العصور الحجرية الأولى؛ وحتى الفتح الإسلامي. وعليه فمن بين المواضيع التي بحثت في الجزء الأول:

- الجذور الأولى للمجتمع الأمازيغي.
- لغة الأمازيغ وآدابهم.
- الفنون لدى سكان بلاد المغرب قديما.
- النظام القبلي في هذه الديار.
- الهجرات.
- ثم دراسة نشاطات القبائل البترية في بلاد المغرب؛ وذلك من خلال التوسع في معالجة أخبارهم الاجتماعية والسياسية والثقافية؛ إذ تم التطرق للأدوار المختلفة التي لعبتها تلك القبائل، وتحديد مواطنها الأصلية والانتقالية؛ وبعدها توسع البحث في تعريف وترجمة أهم أعيان وأعلام تلك القبائل البترية؛ مع ذكر كل ما لهم من مواهب وقدرات ثقافية وسياسية وعسكرية. كما ذكرت عينات من مؤلفاتهم وإبداعاتهم الفكرية والدينية والأدبية.

هذا عن القبائل البترية التي شملها الجزء الأول من كتاب القبائل الأمازيغية. أما الجزء الثاني الذي نضعه أمام القارئ الكريم الآن؛ فيشمل كل ما له علاقة بالقبائل البرنسية. من خلال تتبع أحوالهم الاجتماعية والسياسية؛ وذلك عند الكلام عن نشاطاتهم الحثيثة؛ في سبيل إنشاء دول لهم في بلاد المغرب والأندلس.

بالإضافة إلى الإشارة لما حصل من أدوار عسكرية وسياسية كان قد قام بها أبناء تلك القبائل.

وكما جرى في الجزء الأول بالنسبة للقبائل البترية؛ فقد حددت – **أيضا** – المواطن الأصلية والانتقالية للقبائل البرنسية. بالإضافة إلى ذكر أعيان القبائل البرنسية؛ مع سرد مؤلفاتهم، والإشارة لما أنتجوه من إبداعات، وما أنجزوه من آداب وفنون وعلوم.

هذا وقد ألحقنا بالكتاب – **أيضا** – بعض اللوائح التوضيحية؛ التي تشير إلى شجرات الأنساب الخاصة بالقبائل البترية والقبائل البرنسية؛ بالإضافة إلى الخرائط التي توضح – **جغرافيا** – مواطن تلك القبائل في بلاد المغرب كلها.

وفي هذا السياق.. أنتهز الفرصة للتنويه بالعمل الجليل الذي قام به **مدير دار الكتاب العربي السيد محمد خير الجهماني** وولداه: **مهند وفراس** والرسامة **لويزة الحسين**؛ حينما سهروا بجدية على إصدار الجزء الأول من كتاب القبائل الآمازيغية في ذلك الثوب الأنيق المتقن؛ متمنيا أن يواصلوا جهودهم القيمة في سبيل إكمال ما بقي. وأنا على يقين من حبهم لعملهم، ومن حرصهم على إتقانه. كما أقدم شكري الجزيل للصحف الجزائرية التي لم تبخل بالإعلان عن صدور الكتاب وهي: **صوت الأحرار، الشعب، كواليس، الخبر، أخبار العاصمة والأصيل.**

الجزائر في 2000.05.05

بوزياني الدراجي

"

القبائل البرنسية

مرَّ اسم **برانس** بالظروف نفسها التي مر بها اسم **بتر**؛ حيث أصبحت يتردد بين الناس، وبين صفحات الكتب بعد الفتح الإسلامي. ولا يعرف — بيقين — إن كانت هاتان التسميتان من وضع المسلمين؛ أم هي من التسميات التي أطلقها الأمازيغ على أنفسهم، ثم ورثها المسلمون عنهم. غير أن بعضهم قد زعم بأن المسلمين هم الذين ابتكروا الاسمين؛ فأطلقوا اسم **بتر** على القبائل الأمازيغية التي يرتدي أبناؤها لباسا قصيرا؛ **مبتورا**. واسم **برانس** على أبناء القبائل الذين يرتدون اللباس المسمى **بالبرنوس**.

ومن جهة أخرى رأى بعض الباحثين أن البرانس هم القبائل الأمازيغية المدرية المتمدينة، والمستقرة بمدن، وقرى إفريقية، والمغربين؛ وعليه.. يصبح البتر هم أبناء القبائل الوبرية؛ ذات النجعة. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك أثناء الحديث عن القبائل البترية. على أنه يستحسن

"

التذكير بالظروف التي كانت تحيط بقبائل برنسية مثل: **لمتونة، ومسوفة، ولمطة، وهوارة**...الخ. وهي التي تعد من بين القبائل الموغلة في البداوة، والتي تصنف ضمن القبائل الجمالة؛ ذات النجعة البعيدة في أعماق الصحراء. وبالمقابل.. نرى بعض القبائل البترية قد اختارت حياة المدر، والاستقرار في القرى، والمدن المتحضرة. مثل قبائل: **كومية، ومطغرة، ونفوسة، ومغيلة**..الخ. ومن هنا تتضح صعوبة الجزم بهذا الرأي الأخير بسبب تعذر تعميمه..

وما يمكن إجماله ــ هنا ــ هو أن البرانس فئة عظيمة من الأمازيغ. وقد يكون هذا الاسم مستمدا من الكلمة اليونانية Baranos **برانوس**؛ التي تمت الإشارة إليها من قبل، أو يكون أخذ من اسم شخص معين؛ تنتسب إليه هذه الفئة من الأمازيغ؛ التي تضم عددا كبيرا من القبائل العظيمة؛ وقد حصرها ابن خلدون في عشر كتل؛ هي: **ازداجة، وأوربة، وأوريغة، وصنهاجة، وعجيسة، وكتامة، وكزولة، ولمطة، ومصمودة، وهسكورة**.[1] وسنتكلم عن

[1] ابن حزم؛ الجمهرة، ص ص: 495 ــ 498. ابن خلدون؛ العبر، مج: 6، ص ص: 177 ــ 178.

"

هــذه القبائــل، أو الكتــل القبليــة في سيــاق الموضــوع؛ واحــدة بعــد أخــرى.

....

1 ــ ازداجــة:

تعــرف ــ كذلــك ــ باســم **وزداجــة.** ولــم تذكــر المصــادر المتوفــرة اســم أبيهــم، أو سلسلــة الآبــاء الــتي تصلهــم ببرنــس. ويــرى بعضهــم أن ازداجــة، ووزداجــة قبيلتــان متباينتــان؛ فالأولى تنتســب إلى زناتــة البتريــة؛ بينمــا تنتــمي الثانيــة إلى هــوارة البرنسيــة. وكانــت ازداجــة ــ في أول أمرهــا ــ وافــرة العــدد، نافــذة الشوكــة، عزيــزة الجانــب. وسُجلــت لأبنائهــا صــولات، وجــولات، وفتــن، وحــروب؛ قلصــت أعدادهــم، وأفنــت أبطالهــم. وقــد تمكنــت **ازداجــة** ــ بعصبيتهــا المتناميــة في عصرهــا الذهــبي ــ مــن تشيــد دولتهــا في **نكــور؛** بعــد الإطاحــة بدولــة بــني صالــح؛ ولكنهــا لــم تــدم طويــلا؛ إذ أسقطتهــا ــ هي بدورهــا ــ جيــوش لمتونــة؛ سنــة 460هــ/1067م؛ كمــا التهمــت غيرهــا مــن الــدول.

"

ومـــن بطـــون ازداجـــة الـــتي ذكرهـــا النسابـــون: **مسطاســـة، ومسكـــن.** غيـــر أهنـــم اختلفـــوا بخصـــوص مسطاســـة؛ إذ يـــرى بعضهـــم أن بـــني مسطاســـة ليســـوا مـــن بطـــون ازداجـــة؛ وإن كانـــوا مندرجيـــن معهـــم؛ بحكـــم الأخـــوة. أمـــا بنـــو مسكـــن فكانـــت مواقفهـــم مذبذبـــة؛ حينمـــا يتعلـــق الأمـــر بالـــولاء للدولـــة. وبحكـــم وجودهـــم بجـــوار مدينـــة وهـــران؛ فقـــد اشتـــدت الضغـــوط عليهـــم؛ مـــن طـــرف الطامعيـــن في الاستيـــلاء عـــلى تلـــك المدينـــة الهامـــة. هـــذا.. وقـــد انتـــهى الحـــال **بازداجـــة** إلى الشتـــات، والاندثـــار؛ بعـــد أن عـــانى أبناؤهـــا الـــذل، والهـــوان؛ في ظـــل الـــدول القويـــة؛ الـــتي فرضـــت عليهـــم الضرائـــب، والغرامـــات.[1] ومـــع ذلـــك فقـــد تمكـــن قبيـــل أزداجـــة مـــن إقامـــة دولـــة لهـــم بنكـــور؛ بعـــد انتزاعهـــا مـــن بـــني صالـــح؛ وذلـــك عـــام 410هـــ/1019م.

! ! !

[1] ــ العبــر، مج: 6، ص ص: 293 ـــ 295. 444. ابــن الخطيــب أعمــال الأعــلام، القســم الثالــث، ص: 179. دور كتامــة، ص ص: 68 ـــ 69.

"

ـ *أعيانهم:* من العلماء المعدودين في أزداجة:
ـ **أبو علي المنصور الزموري المسطاسي** (توفي بآزمور سنة 540هـ/1145م)؛ وهو من الشيوخ الصالحين. وكان قد تلقى علومه بقرطبة.
ـ ثم حفيده الشيخ **أبو يعقوب يوسف المسطاسي.**

أما زعماؤهم وأعيانهم المذكورين؛ فمنهم:
ـ **شجرة بن عبد الكريم المسطاسي**؛ هكذا سماه ابن خلدون؛ أما صاحب مفاخر البربر فسماه **شجرة بن عبد الله** (هاجر إلى الأندلس في أوائل القرن الرابع للهجرة).
ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن أبي دليم بن خطاب** (توفي بقرطبة سنة 338هـ). هاجر ـ هو الآخر ـ إلى الأندلس من ساحل تلمسان؛ وكان له خلف صالح في تلك الديار؛ منهم الفقهاء؛ الذين تركوا أثرا محمودا. أشار إليهم ابن خلدون بقوله: **((وكان لبنيه بها ذكر، وفي فقهاء قرطبة مكان)).**[1] كما أشار إليهم أيضا ابن حزم في الجمهرة.

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 294.

"

ـ ثم **خزرون بن محمد الأزداجي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو أحد النازحين؛ من زعماء أزداجة إلى الأندلس؛ بعد نكبة قبيلة أزداجة، واستلحام أبنائها؛ من طرف يعلى ابن محمد اليفرني سنه 343هـ. وباستقرار خزرون هذا في تلك الديار أصبح من الأصدقاء المقربين للمنصور بن أبي عامر، وولده المظفر.

ooo

أما أمراء دولة أزداجة فهم:

ـ **يعلى بن الفتوح الأزداجي** (ت: سنة 423هـ/1031م)؛ وهو مؤسس الدولة الأزداجية بنكور. قال عنه ابن الخطيب: **((واستولى عليها** [أي نكور] **يعلى بن الفتوح الأزداجي؛ مستظهرا بوفور قبيله من أزداجة؛ فبايعته قبائل البربر، وقتل من بقي بنكور من أولاد صالح، وجرثم** [بن عبد السميع] **، ونفى قوما منهم)).**[1]

---

[1] أعمال الأعلام، ق: 3، ص: 179.

"

ـ ثم ولده **يوسف بن يعلى بن الفتوح الازداجي** (ت: سنة 431هـ/1039م).

ـ ثم **عز بن يوسف بن يعلى الأزداجي** (ت: سنة 460هـ/1067م)؛ وفي عهده زحفت جيوش المرابطين إلى نكور؛ حيث أطاحت بدولة أزداجة القائمة فيها، وقتلوا هذا الأمير؛ وهو آخر أمرائها؛ وتم ذلك في السنة المذكورة.

***

ـ ***مواطنهم:*** لم يذكر ابن خلدون من مواطن ازداجة؛ سوى **نواحي وهران**. ويمكن ـ هنا ـ إضافة **نكور** التي أضحت حاضرة لدولتهم. أما عبد الوهاب بن منصور فلم يضف شيئا جديدا عما ذكره ابن خلدون؛ بينما أضاف لقبال بعض المعلومات التي استقاها من: المغرب، والاستبصار، والبلدان، وتحفة الزائر. ومفادها وجود مراكز عديدة لأحياء ازداجة غير وهران هي: بلدة **تانسالمت**؛ بجبل كيدر القريب من وهران، **وسوق عبيدون بن سنان** الأزداجي، **وقصر ابن سنان** المذكور، وبعض **القرى** المنتشرة ضمن **حوض وادي سبو**،

"

ومضارب لمسطاسة متواجدة **بين سبتة وفاس**، **وحصن مسطاسة** الرابض **ببلاد غمارة**.

....

2 ــ أوربة:

وهم من أبناء **أورب بن برنس**. كانوا ــ أيام الفتح الإسلامي ــ من أوفر القبائل الأمازيغية عددا. ويقال أن أكبر القبائل البرنسية ــ آنئذ ــ هي: **أوربة، وصنهاجة، وهوارة**؛ بينما كان التقدم فيهم **لأوربة**؛ نظرا لتفوقهم في العدد، والقوة، وشدة البأس. وتفرعت عنهم بطون عديدة؛ أهمها: **دقيوسة، ورغيوة، وزهجوكة، وسطة، ولجاية، مزياتة، ونفاسة، ونيجة**.

وقد حدث بعض التصحيف في أسماء هذه الأحياء؛ فقام عبد الوهاب بن منصور بتصحيحها، والتعليق عليها؛ واحدة بعد أخرى. فبخصوص **رغيوة** ــ التي ورد اسمها في العبر هكذا ــ قال ابن منصور أن بقية منها موجودة ــ في الوقت الحاضر، ــ وبالاسم نفسه ــ في شمال إقليم فاس. كما توجد فئة من رغيوة مندرجة ضمن قبيلة **التلاغمة** (دوار راس سكين) بالمغرب الأوسط. أما **زهجوكة**؛ فقد

"

كتبت في العبر زهكوجة؛ بينما تكلم البكري عن مدينة سماها زهجوكة؛ وقال أنها كانت مقرا للأمير إبراهيم بن محمد وبنيه (من أمراء الأدارسة). وقال ابن منصور أنها حرفت الآن؛ وأصبحت تسمى **جهجوكة**؛ ثم قال أن زهجوكة اسم قبيلة مشهورة بين **قبائل جبالة**؛ عرفت بالرقص، والطرب. أما **لجاية** فقد وردت مصحفة في العبر؛ إذ كتبت باسم بجاية؛ بينما تنتسب بجاية إلى صنهاجة؛ لا إلى أوربة. وعليه.. فقد قام ابن منصور بتصحيح الخطأ، وقال أن **لجاية** موجودة الآن بقرب وادي ورغة؛ المتواجد شمال إقليم فاس. أما **مزياتة** فيقول أنها موجودة ـــ الآن كذلك ـــ بجانب وادي ورغة؛ وهي معروفة باسم **مزيات**.[1] أما **نفاسة**، **ونيجة**؛ فلا يعرف عنهما شيئا حتى الآن.

وعلى الرغم من قوة **أوربة**، وتأثيرها على القبائل الأمازيغية؛ أثناء الفتح، وبعده؛ فإنها ـــ حسبما يبدو ـــ عجزت عن تشييد دولة بمعنى الكلمة؛ حيث وقفت طموحات أبنائها في حدود **الرئاسة**، **والمشيخة**. وحتى السنوات الخمس، أو الثلاث التي قضاها شيخهم

[1] أنظر العبر، مج: 6، ص ص: 296 ـــ 300. وقبائل المغرب، ج: 1، ص ص: 313 ـــ 314. ودور كتامة، ص ص: 72 ـــ 74.

كَسيلة؛ على رأس السلطة في القيروان؛ لا يمكن اعتبارها فترة من عمر الدولة الأوربية؛ لأنها كانت فترة مشتركة؛ بين القبائل الأمازيغية الثائرة كلها. كما كانت فترة انتظار، وتربص حربية؛ لا غير. وقد انتهى الأمر بأوربة ـ بعد هزيمة الأحلاف الأمازيغية ـ إلى التشتت، والاضمحلال. ومع هذا ظهرت طائفة منهم في المغرب الأقصى؛ كان لها دور هام في تأسيس دولة الأدارسة.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** أنجبت أوربة عددا كبيرا من الأعلام الذين تركوا أثرا محمودا في تاريخ المغرب الإسلامي؛ نبدأ منهم بأصحاب القلم؛ من العلماء، والأدباء؛ ثم نتبعهم بأصحاب السياسة، والسلطان؛ فمن علمائهم:

ـ **عيشون بن إسحاق بن عيشون الأستجي السطي** (ت: سنة 353هـ/964م) وهو من علماء الحديث.

ـ ثم ولده **أبو ثابت فرح بن عيشون بن إسحاق بن عيشون الأستجي السطي** (ت: سنة 389هـ/998م)؛ وهو من أهل الصلاح؛ كان محدثا وإماما بمسجد أستجة بالأندلس.

"

ـ ثم **منذر بن عياش الأوربي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع)؛ كان قد ولي القضاء؛ في عهد عبد الرحمن الناصر.

ـ ثم **أبو موسى عيسى بن حماد بن محمد الأوربي**؛ قال عنه يحيى بن خلدون: **((روى بالأندلس عن أبي علي الصدفي؛ وكان من أهل الضبط، والإتقان، والزهد، والدين المتين)).**[1]

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان بن علي السطي** (توفي غريقا سنة 750هـ)؛ وذلك أثناء عودته مع السلطان أبي الحسن المريني من تونس؛ بعد نكبة القيروان. وترجم له عبد الرحمن بن خلدون في (التعريف) بقوله: **((وأما السطي واسمه محمد بن سليمان؛ من قبيلة سطة؛ من بطون أوربة بنواحي فاس. نزل أبوه سليمان مدينة فاس؛ ونشأ محمد بها... وكان أحفظ الناس لمذهب مالك، وأفقههم فيه؛ وكان السلطان أبو الحسن ـ لدينه، وسراوته، وبعد شأوه في الفضل ـ يتشوف إلى تنويه مجلسه بالعلماء؛ واختار منهم جماعة لصحابته، ومجالسته؛ كان منهم هذا الإمام**

---

[1] بغية الرواد، ج: 1، ص: 25.

"

محمد بن سليمان؛ وقدم علينا بتونس في جملته، وشهدنا وفور فضائله؛ وكان في الفقه من بينها لا يجارى؛ حفظا، وفهما... وحضر مع السلطان أبي الحسن واقعة القيروان، وخلص معه إلى تونس... ثم ركب [السلطان] أبو الحسن في أساطيله من تونس آخر سنة خمسين [وسبعمائة] **ومر ببجاية؛ فأدركه الغرق في سواحلها؛ فغرقت أساطيله، وغرق أهلهُ؛ وأكثرُ من كان معه من هؤلاء الفضلاء وغيرهم)).**[1]

ـ ثم **أحمد بن حاتم السطي (**ولد في سنة 851هـ/1447م**)**؛ وهو من علماء تلمسان؛ هاجر إلى القاهر؛ واستقر بها.

OOO

ومن أشهر أعيان أوربة، ورؤسائها المعرفين:

ـ سكرديد بن زوغي بن بارزت بن بارزيات الأوربي (ت: سنة 71هـ/690م**)**؛ قال ابن خلدون: **((ولي عليهم** [أوربة] **مدة ثلاث وسبعين سنة، وأدرك الفتح الإسلامي، ومات سنة إحدى**

---

[1] التعريف بابن خلدون، ص ص: 31ـ32.

"

وسبعين، وولي عليهم بعده كَسيلة بن لزم الأوربي؛ فكان أميراً على البرانس كلهم.)).[1]
ومن هذا القول يتضح بأنه مات بعد **كسيلة**؛ وفي هذه الحال؛ يكون كسيلة مجرد قائد عسكري لأوربة، والبرانس.

ـ ثم **كَسيلة بن لزم الأوربي** (ت: سنة 67هـ/686م)؛ وكانت له مواقف مشهورة مع الفاتحين العرب؛ ذلك أنه اعترض طريق أبي المهاجر؛ في زحفه نحو غرب البلاد؛ في جهات تلمسان؛ فتمكن أبو المهاجر من أسره سنة 55هـ؛ فعرض عليه الإسلام؛ فاستجاب له، وصحبه في غزواته، وتمتنت العلاقة بينهما. ولما ولي عقبة على جيوش المسلمين؛ أساء معاملة كسيلة؛ فثار لكرامته، وانتهت ثورته تلك بقتل عقبة، وتغلب كسيلة بجيوشه الثائرة على القيروان لفترة؛ ربما تكون دامت خمس سنوات، أو ثلاث سنوات.

ـ ثم **إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي** (ت: سنة 192هـ/807م)؛ هو الذي ناصر إدريس الأول، وساعده على إقامة دولته في أوليلى؛ مركز قبيلة أوربة. ولكنه قتل بأمر

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 296 ـــ 297.

"

من ولده إدريس الثاني؛ بعد اتهامه بالتآمر عليه.

ومن أوربة ـ كذلك ـ رجال مذكورين، وقادة للجيوش ظهروا في الأندلس؛ مثل:

ـ **صبرون بن شبيب الأوربي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ ـ ولي في عهد عبد الرحمن الناصر ـ بعض الولايات ببلاد الأندلس.

ـ ثم ولده **وكيل بن صبرون الأوربي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ ولاه ـ هو الآخر ـ عبد الرحمن الناصر بعض الولايات كأبيه.

ـ ثم **صيدون بن وكيل الأوربي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ كان بدوره قائدا من قادة الجيش؛ في عهد عبد الرحمن الناصر.

***

ـ ***مواطنهم:*** لم يذكر ابن خلدون ـ هذه المرة كما هي عادته ـ مواطن أوربة الأولى. ولكنه أشار إلى مستقرهم الأخير؛ في **أوليلي**؛ حينما تكلم عن لجوء إدريس إليهم؛ في تلك المدينة بالمغرب الأقصى. وإن كان قد ذكر ـ

"

عرضا ـــ بأن زعيمهم كَسيلة قد تصدى ـــ في أول الأمر ـــ لأبي المهاجر في جهات تلمسان. وذكر موسى لقبال ـــ نقلا عن المالكي، والدباغ ـــ بأهم متفرقون بين **أوراس** بالمغرب الأوسط، **والريف** بالمغرب الأقصى. أما دبوز فقال أن مواطنهم تتواجد انطلاقا **من شمال تاهرت إلى وهران**، وفي **غرب فاس**؛ ومنها **سقومة** قلعة أوربة، ومدينة **أوليلي**. على أنه لم يذكر المصدر الذي استقى منه هذه المعلومات. ومن المعلومات التي ذكرها ابن منصور؛ يمكننا استنتاج بعض المواطن المتبقية لأبناء أوربة إلى الآن. وهذه المواطن موزعة بين الجزائر، والمغرب الأقصى؛ مثل ناحية **تازة**؛ التي تتواجد بها إلى الآن جماعة تسمى **وربة**. **وتلاغمة**، **والقصر الكبير**، ووادي **ورغة**.[1]

....

[1] أنظر العبر، مج: 6، ص ص: 297. 300. وقبائل المغرب، ج: 1، ص ص: 313 ـــ 314. وتاريخ المغرب الكبير، ج: 2، ص: 37. المغرب الإسلامي، ص: 38. ودور كتامة، ص ص: 72 ـــ 74.

"

3 ـ *أوريغة*:[1]

وهم أبناء **أوريغ بن برنس**؛ الذي خلف أربعة من الأبناء؛ هم: **قلدن، ومغر، وملد، وهوار.** وتفرعت عن هؤلاء الأبناء بطون كثيرة. فمن بطون **قلدن: بيانة، وفل، وقمصانة، وورسطيف.** ومن **مغر: زمور، وكبا، وكركودة، وماواس، ومنداسة، وسراي أو** (مسرات)، **وورجين.** ومن بطون **ملد: أسيل، سطات** أو (سطط)، **ومليلة، ومسراتة، ونيفن، وورفل**؛ وهؤلاء جميعهم من أبناء لهان ابن ملد. أما بطون **هوار** فهم كثيرون؛ وقد التحقت بهم بطون أخرى من اخوتهم؛ أبناء أوريغ، ومن أقاربهم **البتر**؛ مثل أبناء أداس بن زحيك بن مادغيس الأبتر؛ بعد أن تزوج أوريغ أم أداس المسماة تصكي العرجاء. وأهم بطون هوارة هي: **زكارة، ومجريس، ومسلاتة، وغريان، وورغة، وبنو كسي، ولشوة، وهكارة** أو (هقارة)، **وهيوارة، وورتاكط.** وقد اختار بعضهم حياة الاستقرار، وسكنى المدر؛ بينما فضل آخرون حياة البدو، والتجوال في قفار

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 282 ـــ 291. قبائل المغرب، ج: 1، ص ص: 314 ـــ 318. دور كتامة، ص ص: 74 ـــ 79.

"

إفريقية، والمغرب الأوسط. وقد لعبت هوارة أدوارا هامة في الثورات التي اشتعلت بربوع المغرب مثل: ثورات الإباضية على ولاة القيروان، وثورة أبي يزيد على الدولة الفاطمية. وانتهى بهم الحال؛ بعد مقتل أبي يزيد إلى الشتات، والضياع؛ بسبب حملات الانتقام، والتصفيات التي سلطت عليهم؛ من طرف الدولة الفاطمية.

ومع مرور الزمن.. أضحت بقاياهم في عداد القبائل الغارمة. وفي عهد ابن خلدون كانوا منتشرين في ربوع إفريقية، والمغرب الأوسط؛ منهم المنتجعون في القفار، ومنهم المستقرون بالأرياف. وذكر ابن خلدون بعض أسماء أفخاذهم؛ في تلك الفترة الزمنية؛ مثل: **المثالينة، وقيصرون، ونصورة، وترهونة، وورقلة** (وهم غير واركلا)، **ومجريس، ومسراتة.** ويقول أنهم اختلطوا بعرب سليم، وهلال؛ واندمجوا معهم؛ حتى أصبح من الصعب التفريق بينهم في الزي، واللغة، أو أسلوب العيش. وأضحوا يعمرون ضواحي إفريقية، ويملكون الشاء، والبقر، ويمتطون الخيل. أما علاقتهم بالدولة — آنئذ — فيمكن حصرها في إعطاء الجباية للدولة، وتقديم حصة من المقاتلين؛ المفروضة عليهم

"

من طرف السلطان. على أنه كان لرؤسائهم كلمة مسموعة؛ في بلاط الدولة؛ كما كان الحال بالنسبة لبقية رؤساء القبائل البدوية الأخرى.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** منحت هوارة للمغرب الإسلامي ـ كغيرها من قبائل هذه الديار ـ علماء، وقادة، وزعماء؛ فمن بين أهل العلم:

ـ **أبو موسى عبد الرحمن بن موسى الهواري** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة)؛ من أهل إستجة؛ قال فيه ابن الفرضي: **((رحل في أول خلافة الإمام عبد الرحمن بن معاوية، فلقي مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، ونظراءهما من الأئمة. ولقي الأصمعي، وأبا زيد الأنصاري، وغيرهما من رواة الغريب. ودَاخَلَ العربَ، وتردد في محالها. وقدم الأندلس؛ صادرا من سفره؛ فعطب ببحر تُدْمير؛ فذهبت كتبه؛ ولما قدم إستجة؛ أتاه أهلها يهنئونه بقدومه، ويعزونه عن ذهاب كتبه؛ فقال لهم: "ذهب الخرج، وبقي الدَّرج". ويعني ما في صدره. وكان فصيحا ضربا من الأعراب، وكان حافظا**

"

للفقه، والتفسير، والقراءات؛ له كتاب في تفسير القرآن قد رأيت بعضه... وقال ابن حارث أن أبا موسى استقضيَ على إستجة أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم)).[1]

ـ ثم **أبو سليمان عبد السلام بن السمح ابن نابل بن عبد الله بن يحيون بن حارث بن عبد الله بن عبد العزيز الهواري** (ت: سنة 307هـ/919م)؛ من مواطني موروور بالأندلس؛ جال في بلاد المشرق؛ وسكن مدة باليمن؛ وتفقه بمصر للشافعي، حافظا لمذهبه. وكان يمتاز بالخط الحسن.

ـ ثم **أبو جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهواري** (ت: سنة 317 أو 319هـ/929 أو 931م)؛ وهو من فقهاء المالكية المتمكنين، والمبرزين؛ كان ملما بعلم الفرائض؛ قال ابن فرحون أنه قليل الكتب؛ علمه في صدره.

---

[1] تاريخ علماء الأندلس، ج: 1، ص ص: 257 ـــ 259.

"

ـ ثم **أبو بكر يحيى بن خلفون الهواري** المؤدب (ت: سنة 347هـ/958م)؛ قال عنه المالكي: **((كان من أقرأ أهل زمانه. وكان فاضلا))**. ومن خلال ما ذكره المالكي؛ يفهم أنه كان حاد الطبع، سريع الانفعال؛ كما عرف بعداوته الشديدة للمذهب الفاطمي الشيعي.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن سعيد بن أحمد الفاسي الهواري** (كان حيا سنة 399هـ/1008م)؛ فقيه، وراوية.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سفيان الهواري** (توفي بالمدينة المنورة سنة 415هـ/1024م)؛ وهو من المشتغلين بعلوم القرآن؛ وله كتاب الهادي في القراءات، وغيره.

ـ ثم **أبو تمام غالب بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن نُهَيْك الأشوني الهواري** (ت: سنة 440هـ/1048م)؛ كان من العلماء المهتمين بعلم الحساب.

ـ ثم **أبو مسلم مؤمن بن فرج الطرابلسي الهواري** (ت: سنة 442هـ/1050م)؛ وهو من أفاضل الفقهاء بطرابلس.

"

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الحاج الهواري** يعرف بابن حِفَاظٍ (من أعيان النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من أهل جزيرة شقر؛ كما أنه ممن لازم أبا سليمان الباجي، وتفقه عنده؛ وكان يميل إلى مذهبه؛ القائل بجواز مباشرة النبي صلى الله عليه وسلم الكتابة بيده. ولكنه تخلى عن هذا الاعتقاد؛ معلنا توبته؛ بعد أن شاهد حلما أفزعه. وحكايته وردت في الغنية، والتكملة، ونفح الطيب.

ـ ثم **أبو الطيب عبد المنعم بن منَّ الله ابن أبي بحر القيرواني الهواري** (ت: سنة 493هـ/1099م)؛ كان أديبا، وشاعرا.

ـ ثم **ذو الرئاستين حسام الدولة أبو مروان عبد الملك بن رزين بن هذيل بن خلف ابن لُب بن رزين الهواري** (ت: سنة 496هـ/1102م)؛ اكتفت بعض المصادر بتلقيبه بالبربري لا غير؛ بينما ينسب ابن حزم ـ في الجمهرة ـ بني رزين؛ أمراء السَّهْلة بالأندلس إلى هوارة. وكان بنو رزين هؤلاء يستوطنون السهلة التي تمتد بين الثغرين: الأعلى، والأدنى؛ ثم اقتطعوها لأنفسهم، واستبدوا بها أيام

جدهم هذيل بن خلف؛ منتهزين فرصة الاضطرابات؛ التي حدثت في أواخر الدولة الأموية. وإذا كان هذيل لا يجيد سوى مهنة القتال، ولغة السلاح؛ فقد نبغ في ذريته ذو الرئاستين أبو مروان عبد الملك؛ الذي أشاد بمناقبه الأدباء، والمؤرخون. فمما قاله فيه الفتح ابن خاقان: **((ورث الرياسة من ملوك عَضَدوا مُؤازِرَهم، وشدوا دون النساء مآزِرَهم، ولم يتوشحوا إلا بالحمائل، ولا جنحوا للباس إلا في أعنة الصبا والشمائل، وركبوا الصعاب فذللوها، وابتغوا سببا للنجوم حتى انتعلوها، وملكوا الملك بأيد، وعقلوه من النخوة بقيد؛ وكان ذو الرياستين منتهى فخارهم، وقطب مدارهم؛ شيد بناءهم، وقيد غناءهم؛ رجلا اتخذته البسالة قلبا، وضمت عليه شغافا وخلبا؛ لا يعرف جبنا ولا خوار، ولا يتلو غير سور الندى سورا؛ وكانت دولته موقف البيان، ومقذف الأعيان... وله نظم ونثر ما قصر عن الغاية، ولا أقصر عن تلقي الراية)).**[1] ومن شعره؛ هذه الأبيات التي بعثها إلى الوزير الشاعر ابن عمَّار:

---

[1] قلائد العقيان، ص: 58.

"

ضَمْـــآنٌ عَلَى الأيَام أنْ أبْلُغَ المُـــنَى
إذَا كُنْتَ فِي ودِّي مُســـرًّا وَمُعْلِنَـــا
فَلَوْ تَسْأَلُ الأَيَّامُ مَنْ هُـــوَ مُفْــرَدٌ
بِـــودِّ ابْنِ عَمَّـــار لَقُلْتُ لَـــهُ أنَـــا
فَإنْ حَالَتِ الأَيَّـــامُ بَيْـــني وَبَيْنَـــهُ
فَكَيْفَ يَطِيبُ العَيْشُ أوْ يَحْسُنُ الغِنَا

وقـــال في شمعـــة:

رُبَّ صَفْرَاءَ تَرَدَّتْ بردَاءِ العَاشِقِينَا
مِثْلَ فِعْلِ النَّارِ فِيهَا تَفْعَل الآجَالُ فِينَا

ولـــه أيضـــا:

أتُـــرَى الزَّمَانُ يَسُرُّنَـــا بتَـــلاقِي
وَيَضُـــمُّ مُشْتَاقـــاً إلَى مُشْتَـــاقِ
وَتَعُضُّ تُفَّاحَ الخُـــدُودِ شِفَاهُنَـــا
وَنَرَى سَنَا الأحْدَاق بالأحْـــدَاقِ
وَتَعُـــودُ أنْفُسُنَـــا إلَى أجْسَامِهَـــا
مِنْ بَعْدِ مَا شَرَدَتْ عَلَى الآفَـــاقِ

وقـــال كذلـــك:

وَرَوْضٍ كَسَـــاهُ الطَّـــلُّ وَشْيـــاً مُجَـــدَّدَا
فَأضْحَى مُقِيماً لِلنُّفُـــوسِ وَمُقْعِـــدَا

"

إذَا صَافَحَتْهُ الرِّيحُ خِلْتَ غُصُونَــهُ
رَوَاقِصَ فِي خُضْرٍ مِنَ القُضْبِ مُيَّدَا
إذَا مَا انْسكَابُ الْمَاءِ عَايَنْتَ خِلْتَهُ
وَقَدْ كَسَرَتْهُ رَاحَــةُ الــرَّاح مِبْــرَدَا
وَإنْ سَكَنَتْ عَنْــهُ حَسبْتَ صَفَاءَهُ
حُسَامــاً صَقِيلاً صَافِيَ المَتْنِ جُــرَّدَا
وَغَنَّــتْ بهِ وُرْقُ الحَمَائِمُ حَوْلَنَــا
غِنَاءً يُنَسِّــكَ الغَرِيــضَ وَمَعْبَــدَا
فَلاَ تَجْفَوَنَّ الدَّهْرَ مَادَامَ مُسْعِــدَا
وَمُــدَّ إلَى مَا قَدْ حَبَاكَ بِــهِ يَــدَا
وَخُذهَا مُدَاماً مِنْ غَــزَال كَأنَّــهُ
إذَا مَا سَقَى بَــدْرٌ تَحَمَّــلَ فَرْقَــدَا

ومـــن شعـــره أيضـــا:

دَعِ الجَفْنَ يُفْنِي الدَّمْعَ لَيْلَة وَدَّعُــوا
إذَا انْقَلَبُوا بالقَلْب لاَ كَــانَ مَدْمَــعُ
سَرَوْا كَاغْتِدَاء الطَّيْر لاَ الصَّبْرُ بَعْدَهُمْ
جَمِيلٌ وَلاَ طُولُ النَّدَامَــةِ يَنْفَــعُ
أضِيقٌ بِحَمْلِ الفَادِحَاتِ مِنَ النَّــوَى
وَصَدْرِي مِنَ الأرْضِ البَسِيطَةِ أوْسَعُ
وَإنْ كُنْــتُ خَــلاَّعَ العِذَارِ فَإنَّــنِي
لَبِسْتُ مِنَ العَلْيَــاءِ مَا لَيْسَ يُخْلَــعُ

"

إذَا سَلَّتِ الألْحَاظُ سَيْفــاً خَشيتُــهُ
وَفِي الحَرْبِ لاَ أخْشَى وَلاَ أتَوَقَّــعُ

ومـــن غريـــب شعـــره:

أخْسِـــسْ بِمَجْلِسِ مَعْشَـــر
مَـــا فِيـــهِ إلاَّ الطّترِبـــرُّ
جُلَسَـــاؤُهُ قَـــوْمٌ ثِقَـــا
لٌ كُلُّهُـــمْ خُبْـــثٌ وَشَـــرُّ
مَـــا فِيهـــمُ إلاَّ دَنـــي
ءٌ أوْ غَـــبِيٌّ أوْ مُضِـــرُّ
أسْـــدٌ عَلَى ثَلَـــبِ الكِـــرَا
مِ وَإنْ وَزَنْتَهُـــمُ فَـــــذَرُّ
هَـــذَا يَغُـــوثٌ بَـــلْ أضَـــ
لُّ وَذَا يَعُوقُ وَذَاكَ نَسْـــرُ
ذَاكَ المَحَـــلُّ كَـــوَادِ عَـــوْ
فٍ لَيْسَ يلْقَى فِيـــهِ حُـــرُّ

وقـــال أيضـــا:

أقْسَمْتُ بِالـــوَرْدِ الجَـــنِيِّ
وَرَنـــتَيْ نَـــايٍ وَعُـــودِ
لأوَاصِلَنَّـــكَ بالـــــرِّضَى
أوْ تَأنَفَـــنَّ مِنَ الصُّـــدُودِ

"

وَلأشْرِبَنَّـــكَ بالمُـــــنَى
وَلأَلْثِمَنَّـــكَ مِنْ بَعِيـــدِ
وَلأرْضِيَنَّـــكَ إنْ سَخِطْـــ
ـــتَ بذِلَّةِ الدَّنفِ العَمِيدِ
وَلأعْطِفَنَّـــكَ بالخُضُـــو
عِ وَبالقُنُوعِ وَبالسُّجُـــودِ
فَبحَـــقِّ مَا فِي فِيكِ مِـــنْ
لَعَسٍ وَمِنْ ثَغْـــرٍ بُـــرُودِ
أدْمِي يضِيـــعُ وَشَاهِـــداً
خَدَّيْكِ فِي عقْدِ الشُّهُودِ

ومن شعره كذلـــك:
أدِرْهَـــا مُدَامـــاً كَالْغَزَلَـــةِ مُـــزَّة
تَلِينُ لِرَائِيهَا وَتَـــأبَى عَلَى اللَّمْـــسِ
وَتَبْدُو عَلَى الأبْصَارِ دُونَ تَجَسُّـــمٍ
عَلَى أنَّهَا تَخْفَى عَلَى الذِّهْنِ وَالحِسِّ
إذَا شَعْشَعَتْ فِي الكَأسِ خِلْتَ حُبَابَهَا
لآلِيءَ قَدْ رُفِّعْنَ فِي لُبَّـــةِ الشَّمْـــسِ
مُوَكِّلَـــة بالهَـــمِّ تَهْـــزمُ جَيْشَـــهُ
بجَيْشِ الأمَاني وَالمَسَـــرَّةِ وَالأنْـــسِ
فَإنْ شِئْتَ قُلْ فِيهَا أرَقُّ مِنَ الهَـــوَا
وَإنْ شِئْتَ قُلْ فِيهَا أرَقُّ مِنَ النَّفْـــسِ

"

وقـــال أيضـــا:

يَا رُبَّ لَيْلٍ أطَـــالَ الهَجْـــرُ لَذتَـــه
فَأيْـــأسَ العُمْرَ عَنْ إدْرَاكِ مُنْتَصَفِـــه
لَيْلٌ تَطـــاوَلَ حَتَّى قَدْ تَبَيَّـــنَ لِي
عِنْدَ التَّأمُّلِ أنَّ الدَّهْـــرَ مِنْ سُدَفِـــه

ولـــه أيضـــا:

أنَا مَلِكٌ تَجَمَّعَـــتْ فِيَّ خَمْـــسٌ
كُلُّهَـــا لِلأنَـــام مُـــحْيٍ مُمِيُـــت
هِـــيَ ذِهْـــنٌ وَحِكْمَـــة وَمَضَـــاءٌ
وَكَـــلاَمٌ فِي وَقْتِـــهِ وَسُكُـــوتُ

ومـــن شعـــره:

تُزْهِدُنِي فِي الزُّهْدِ عَيْـــنٌ مَرِيضَـــة
يُمَرِّضُـــنِي مِنْ لَحْظِهَـــا مَا أعَلَّـــنِي
وَلَمْ تبْق نَفْسِي غَيْرُ عَطْفَةِ شَـــادِنٍ
عَسَـــانِي أفَدِّيـــهِ بهَـــا وَلَعَلَّـــنِي
شَكَوْتُ إلَى فِيهِ الذِي بِي مِنَ الظَّمَا
فَأنْهَلَـــنِي عَذْبَ الرُّضَابِ وَعَلَّـــنِي

وقـــال:

إذَا زَهَّدَتْنِي فِي الهَوَى خِيفَة الرَّدَى
جَلَتْ لِيَ عَنْ وَجْدٍ يُزَهِّدُ فِي الزُّهْدِ

"

فَلاَ دَمْــعَ مَا لَمْ يَجْــرِ فِي إِثْرِهِ دَمٌ
وَلاَ وَجْدَ مَا لَمْ يُغْنَ عَنِ صِفَةِ الوَجْدِ

وقـــال أيضـــا:

بَـــرَّحَ السُّقْمُ بي فَلَيْسَ صَحِيحـــاً
مَـــنْ رَأتْ عَيْنُـــهُ عُيُونـــاً مِرَضَـــا
إنَّ لِلأعْيُـــنِ المِـــرَاضِ سِهَامـــــاً
صَيَّـــرَتْ أنْفُـــسَ الوَرَى أغْرَاضَـــا
جَوْهَـــرُ الحُسْنِ مُنْذُ أعْرَضَ لِلْقَلْـــ
ـــبِ ثَـــنَى الجِسْمَ كُلَّـــهُ أعْرَاضَـــا

ولـــــه:

يَا مُقْلَة الظَـــبْي الغَريـــ
ـر وَوَجْنَة القَمَـــرِ المُنيـــرِ
وَمُصِيبَ حَبَّاتِ القُلُـــو
ب بِزَاعِبِيَـــاتِ الفُتُـــورِ
تَاللَّـــهِ إنْ لَـــمْ تتّـــركْ
عَنْ ذَا الجَفَاءِ وَذَا النُّفُورِ
لأسرحَـــنَّ لَوَاحِـــظِي
فِي ذَلِكَ الوَرْدِ النَّضِيـــرِ
وَلآكُلَنَّـــــكَ بِالمُـــنَى
ولأشْرِبَنَّـــكَ بِالضَّمِيـــرِ

"

وقـــال :

مَنْ كَثَّـــرَ الجُنْـــدَ رأى سَعْـــدَهُ
يَصْعَـــدُ حَتَّى يَنْتَـــهِي حَـــدَّهُ
وَمَـــنْ أذَلَّ المَـــالَ عَـــزَّتْ بِـــهِ
أيَّامُـــهُ وَانْصَرَفَـــتْ جُنْـــدُهُ
فَاهْدِمْ بِنَـــاءَ البُخْلِ وَارْفُضْ بِـــهِ
مَنْ هَـــدَّمَ البُخْلَ بَنَي مَجْـــدَهُ
لاَ عَـــاشَ إلاَّ جَائِعـــاً نَائِعـــاً
مَنْ عَاشَ فِي أمْوَالِـــهِ وَحْـــدَهُ

وممـــا قالـــه:

شَأَوْتُ آل رَزِين غَيْـــر مُحْتَفِـــلٍ
وَهُمْ عَلَى مَا عَلِمْتُمْ أفْضَلُ الأمَـــمِ
قَـــوْمٌ إذَا سُئِلُـــوا أغْنَـــوا، وَإنْ حَرَبُـــوا
أفْنَوا، وَإنْ سُوبقُوا جَازُوا مَدَى الكَرَمِ
جَادُوا فَمَا يَتَعَاطَى جَوْدَ أَنْمُلِهِـــمْ
مَـــدُّ البحَـــارِ وَلاَ هَطَّالَـــة الدِّيَـــمِ
مَا ارْتَقَيتُ إلَى العلْيَا بِـــلاَ سَبَـــبِ
هَيْهَاتَ هَلْ أحَدٌ يَسْعَى بِـــلاَ قَـــدَمِ
فَمَنْ يَـــرُمْ جَاهِداً إدْرَاكَ مَنْزِلَـــتِي
فَلْيَحْكِنِي فِي النَّدَى وَالسَّيْفِ وَالقَلَمِ

"

و لـــه أيضــا:

قَدْ خَرَجْنَا مِنَ ازْدِحَامِ القَتَـــامِ
كَشُمُوسٍ خَرَجْنَ تَحْتَ الغَمَـــامِ
وَحَصَلْنَا فِي نُزْهَتَيْنِ وَفِي حُسْـــ
نَيْــنِ بَيْــنَ المِيَـــاهِ وَالآكَـــامِ
بَيْنَ رَوْضٍ مُدَبَّـــجٍ وَغُصُـــونٍ
تَتَثَـــنَّى كَشَارِبَـــاتِ المُـــدَامِ
غَـــرَّدَتْ فَوْقَنَا البَلاَبِـــلُ وَالـــوُرْ
قُ فَأَرَّقْنَـــنِي وَهِجْـــنَ غَـــرَامِي
ذَاكَ طَيْـــرٌ أطَـــارَ قَلْبيَ شَوْقــاً
وَحَمَـــامٌ مُغَـــرِّدٌ بِحَمَـــامِ

وقـــال في جوابـــه للوزيـــر أبي جعفـــر بـــن سعـــدون:

إلَيْكَ فَلَوْلاَ أنْتَ لَمْ يُنْظَـــمُ الـــدُّرُّ
وَلاَ التَامَ فِي مَدْحٍ نظَـــامٌ وَلاَ نَثْـــرُ
إذَا قُلْتَ لَمْ يَنْطِقْ فَصِيـــحٌ مُـــذَرَّبٌ
وَلاَ سَاغَ فِي سَمْعٍ غِنَـــاءٌ وَلاَ زَمْـــرُ
لَكَ السَّبْقُ كَمْ رَوَّضْتَ مِنْ عَاطِلِ الرُّبَى
وَحَلَّلْتَ مِنْ سِحْرٍ وَقَدْ عُدِمَ السِّحْـــرُ
وَلَمَّا مَلَكْتَ القَوْلَ قَهْـــراً وَعُنْـــوَةً
أطَاعَكَ جَيْـــشُ النَّظْمِ وَاتُمِـــرَ النَّثْـــرُ
فَـــلاَ نَقْـــلَ إلاَّ مَا تَقُـــولُ بَدِيهَـــةً
وَلاَ خَمْرَ مَا لَمْ تَأتِ مِنْ فَمِكَ الخَمْـــرُ

"

وقال ردا على الكاتب أبي الحسن بن سابق؛ الذي تخلى عن ابن لبون؛ والتحق بالمستعين:

هَبُوا لَنَا حَظَّكُمْ مِنْ آل لَبُونِ
كَمْ تَبْخَلُونَ عَلَيْنَا بالرَّيَاحِينِ
لاَ تَعْذِلُونَا فَحَقٌّ أنْ نُنَافِسَكُمْ
فِي أكْرَمِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ
ذَاكَ الوَفِيُّ الَّذِي نِيطَتْ تَمَائِمُهُ
عِنْدَ الفِطَامِ عَلَى حلْمِ ابْنِ سِيرِينِ
اخْتَرْنَا فَتَخَيَّرْنَاهُ صَاحِبُنَا
وَكُلُّنَا فِي أخِيهِ غَيْرُ مَغْبُونِ
إنْ كَانَ أنْشرَ ذِكْرِي فِي بِلاَدِكُمُ
لأ نْشُرَنَّ لَهُ يَحْيَ بْنِ ذِي النُّونِ
وَكُلُّ مَنْ حَوْلَهُ حَاظٍ بحَظْوَتِهِ
يَغْشَى الحَسُودَ بتَرْفِيعٍ وَتَمْكِينِ
حَتَى تَقُولَ اللَّيَالِي وَهْيَ صَادِقَةُ
هَذَا السَّمَوْأَلُ فِي هَذِي السَّلاَطِينِ

ـ ثم **أبو بكر محمد بن عبد المنعم بن مَنِّ الله بن أبي بحر الهواري** يعرف بالكِمَاد (كان حيا سنة 527هـ/1132م)؛ كان أحد الرواة؛ وهو من أهل فاس؛ كان أبوه قد

"

نـزح إليهـا مـن القيـروان، بعـد فتنـة أعـراب بـني هـلال بهـا.

ـــ ثـم **أبـو إسحـاق إبراهيـم بـن أبي الفتـح بـن عبـد اللـه بـن خفاجـة الأندلـسي الهـواري** (ت: سنـة 533هـ/1138م)؛ وهـو مـن فحـول الشعـراء، وعلمـاء اللغـة، والأدب؛ قـال فيـه ابـن الأبـار: **((إبراهيـم... ابـن خفاجـة الهـواري الشاعـر، مـن أهـل جزيـرة شقـر... وكـان عالمـا بالآداب، صـدراً في البلغـاء، متقدمـا في الكتـاب والشعـراء؛ يتصـرف كيـف يريـد؛ فيبـدع، ويجيـد؛ ناظمـا، وناثـراً، ومادحـا، وراثيـا، ومشببـا، ومشبهـا. كـان نزيـه النفـس؛ لا يكتسـب بالشعـر، ولا يمتـدح رجـاء الرفـد)).**[1] وقـال فيـه معاصـره، وصديقـه الفتـح ابـن خاقـان:[2] **((مالـك أعنـّة المحاسـن، وناهـج طريقهـا، العـارف بترصيعهـا وتنميقهـا، الناظـم لعقودهـا، الراقـم لبرودهـا... تصـرف في فنـون الإبـداع كيـف شـاء، وأبلـغ دلـوه مـن الإجـادة الرشـاء؛ فشعشـع القـول وروقـه، ومـد في ميـدان الإعجـاز طلقـه؛ فجـاء نظامـه أرق مـن النسيـم العليـل، وآنـق مـن الـروض البليـل...وبلغـه عـني**

---

[1] التكملـة، ج: 1، ص: 143.

[2] قـلائـد العقيـان، ص ص: 266 ـــ 267 ـــ 268.

"

ما ذكرته في هذا الكتاب بقبيح، وأتيت في وصف أيام فتوته بتنديد، وتمليح؛ فكب إلي يعاتبني:

خُذْهَا يُرِنُّ بِهَا الجَوَادُ صَهِيلاَ
وَتَسِيلُ مَاءً فِي الحُسَامِ صَقِيلاَ

بَسَّامَةً تُصْبِي الحَلِيمَ وَسَامَةً
لَوْلاَ المَشِيبُ لَسُمْتُهَا تَقْبِيلاَ

حَمَّلْتُهَا شَوْقاً إِلَيْكَ تَحِيَّةً
حَمَّلْتُهَا عَتْباً عَلَيْكَ ثَقِيلاَ

مِنْ كُلِّ بَيْتٍ لَوْ تَدَفَّقَ طَبْعُهُ
مَاءً لَغَصَّ بِهِ الفَضَاءُ مَسِيلاَ

إِيهٍ وَمَا بَيْنَ الجَوَانِحِ غُلَّةٌ
لَوْ كُنْتُ أَنْقَعُ بِالعِتَابِ غَلِيلاَ

مَا لِلصَّدِيقِ وُقِيتَ تَأْكُلُ لَحْمَهُ
حَيًّا وَتَجْعَلُ عِرْضَهُ مِنْدِيلاَ

أَقْبَلْتَهُ صَدْرَ الحُسَامِ وَطَالَمَا
أَضْفَيْتَهُ دِرْعاً عَلَيْهِ طَوِيلاَ

مَاذَا ثَنَاكَ عَنِ الثَّنَاءِ وَنَشْرِهِ
بُرْداً عَلَى الرَّسْمِ الجَمِيلِ جَمِيلاَ

"

[إلى قولــه:]

وَسِــوَايَ يُنْشدُ فِي سِوَاكَ نَدَامَــة

"يَالَيْتَــنِي لَمْ أَتَّخِــذْكَ خَلِيــلا"))

أمــا ابــن بســام فيفيــض ثنــاء عــلى **ابــن خفاجــة**، ويــدرج ضمــن كتابــه عينــات شعريــة، ونثريــة كثيــرة لهــذا الأديــب الجليــل. ومــن قولــه فيــه: **((الناظــم المطبــوع الــذي شهــد بتقديمــه الجميــع؛ المتصــرف بيــن حكمــه وتحكمــه البديــع... نشــأ ببــلاد الجانــب الشــرقي مــن الأندلــس؛ فلــم يذكــر معــه هنــاك محســن، ولا لغيــره فيــه وقــت حســن؛ ولا لأعــرفــه تعــرض لملــوك الطوائــف بوقتنــا؛ عــلى أنــه نشــأ في أيامهــم؛ ونظــر إلى تهافتهــم في الأدب، وازدحامهــم؛ وهــو اليــوم بمطلعــه مــن ذلــك الأفــق؛ يبلغــني مــن شعــره مــا يبطــل السحــر، ويعطــل الزهــر؛ وقــد أثبــت بعــض مــا وقــع مــن كلامــه؛ فتصفحــه؛ تعلــم أنــه بحــر النظــام، وبقيــة الأعــلام)).**[1] ونقــل المقــري في نفــح الطيــب ــ أيضــا ــ مقطوعــات كثيــرة جــدا؛ مــن أشعــار ابــن خفاجــة؛ كــان يستشهــد بهــا المــرة بعــد الأخــرى. كمــا قــال فيــه: **((وأبــو إسحــاق**

---

[1] الذخيــرة، ق: 3، مج: 2، ص ص: 541 ــــ 542.

"

ابـــن خفاجـــة كـــان أوحـــد النـــاس في وصـــف الأنهـــار، والأزهـــار، والريـــاض، والحيـــاض، والرياحيـــن، والبساتيـــن)).[1] **((وكـــان صَنَوْبَـــرِي الأندلـــس أبـــو إسحـــاق ابـــن خفاجـــة؛ وهـــو مـــن رجـــال الذخيـــرة، والقلائـــد، والمسهـــب، والمطـــرب، والمغـــرب؛ وشهرتـــه تغـــني عـــن الإطنـــاب فيـــه؛ مُغــْـرًى بوصـــف الأنهـــار، والأزهـــار، ومـــا يتعلـــق بهـــا؛ وأهـــل الأندلـــس يسمُّونـــه الجَـــنـــَّان؛ ومـــن أكثـــر مـــن شيء عُـــرف بـــه)).**[2] وهـــذه عينـــة مـــن شعـــره:

يَا أهْـــلَ أنْدَلُـــس لِلـــَّهِ دَرُّكُـــمُ
مَاءٌ وَظِـــلٌ وَأَنْهَارٌ وَأشْجَـــارُ
مَا جَنَّـــةُ الخُلْـــدِ إلاَّ فِي دِيَارِكُـــمُ
وَلَوْ تَخَيَرْتُ هَذَا كُنْتُ أخْتَارُ
لاَ تَحْسَبُوا فِي غَدٍ أنْ تدْخُلُـــوا سَقراً
فَلَيْسَ تُدْخَل بَعْدَ الجَنَّةِ النَّـــارُ

وأورد المقـــري خبـــرا مفـــاده أن رســـولا مـــن الأندلـــس مثـُــل أمـــام سلطـــان المغـــرب الأقـــصى أبي عنـــان المريـــني؛ وألـــقى أبيـــات ابـــن خفاجـــة هـــذه

---

[1] نفـــح الطيـــب: ج: 1، ص: 681.
[2] نفســـه، ج: 3، ص: 488.

"

بيـــن يديـــه؛ عـــلى سبيـــل الافتخـــار بيـــلاده الأندلـــس. فاستنكـــر أبـــو عنـــان وصـــف الأبيـــات للأندلـــس بجنـــة الخلـــد؛ الـــتي لـــو خُيـــِّر؛ لاختارهـــا؛ فقـــال أبـــو عنـــان: (("**كـــذب هـــذا الشاعـــر... وهـــذا خـــروج عـــن رِبْقـَــة الديـــن؛ ولا أقـــلّ مـــن الكـــذب، والإغـــراق؛ وإن جـــرت عـــادة الشعـــراء بذلـــك الإطـــلاق". فقـــال الخليـــلي** [الرســـول الوافـــد مـــن الأندلـــس]: **"يـــا مولانـــا؛ بـــل صـــدق الشاعـــر؛ لأنهـــا موطـــن جهـــاد، ومقارعـــة للعـــدو وجـــلاد؛ والنـــبي صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم؛ الـــرءوف، الـــودود، الرحيـــم، العطـــوف؛ يقـــول: الجنـــة تحـــت ظـــلال السيـــوف". فاستحســـن منـــه هـــذا الكـــلام، ورفـــع عـــن قائـــل الأبيـــات المـــلام)).**[1]

وفي الوصـــف يقـــول:

وَعَـــشِيٍّ أنـــْسٍ أضْجَعَتْني نَشْـــوَة
فِيهِ تُمَهِّدُ مَضْجَـــعِي وَتُدَمِّـــثُ

خَلَعَتْ عَلَيَّ بـــهِ الأرَاكـَــة ظِلَّهَـــا
وَالغُصْنُ يُصْغِي وَالحَمَامُ يُحَـــدِّثُ

وَالشَّمْسُ تَجْنـــَحُ لِلْغُرُوب مَرِيضَة
وَالرَّعْدُ يَرْقِي وَالغَمَامَـــة تَنْفُـــثُ

[1] نفـــح الطيـــب: ج: 1، ج: 1، ص: 681.

"

ويقـــول أيضـــا:

لِلـــَّهِ نَهْـــر سَـــالَ فِي بَطْحَـــاءِ
أشْـــهَى وُرُوداً مِـــنْ لـــَمَى الحَسْنَـــاءِ

مُتَعَطِّـــفٌ مِثْـــلَ السِّـــوَار كَأنَّـــهُ
وَالزَّهْـــرُ يَكْنُفُهُ مَجَـــرُّ سَمَـــاءِ

قَدْ رَقَّ حَتَّ ظـــُنَّ قَوْســـاً مُفْرَغـــاً
مِنْ فِضَّـــةٍ فِي بُـــرْدَةٍ خَضْـــرَاءِ

وَغَدَتْ تَحُـــفُّ بِهِ الغُصُونُ كَأنَّهَـــا
هُـــدْبٌ تَحُفُّ بمُقْلَـــةٍ زَرْقَـــاءِ

وَلَطَالَمَـــا عَاطَيْـــتُ فِيـــهِ مُدَامَـــة
صَفـــْرَاءَ تَخْضِبُ أيْدِيَ النَّدمَـــاءِ

وَالرِّيحُ تعْبَثُ بالغـــُصُونِ وَقَدْ جرَى
ذَهَبُ الأصِيلِ عَلىَ لُجَيْنِ المَـــاءِ

ويقـــول كذلـــك:

حَـــثَّ المُدَامَـــة وَالنَّسيـــمُ عَلِيـــلُ
وَالظِّـــلُّ خَفَّاقُ الـــرُوَاقِ ظَلِيـــلُ

وَالرَّوْضُ مُهْتَـــزٌّ المَعَاطِـــفِ نعْمَـــة
نَشْـــوَانَ تَعْطفَـــُهُ الصَّبَا فَيَمِيـــلُ

رَيـــَّانَ فَضَّضَهُ النـــَّدَى ثُمَّ انْجَـــلَى
عَنـــْهُ فَذَهَّبَ صَفْحَتَيْـــهِ أصِيـــلُ

"

وقـــال يصـــف سقـــوط البـــرد:

أَلاَ نَسَـــخَ اللـــَّهُ القُطَارَ حِجَـــارَةً
تَصُوبُ عَلَيْنَـــا وَالغَمَامُ غُمُومَـــا
وَكَانَتْ سَمَاءُ اللـــَّهِ لاَ تمْطِرُ الحَصَى
لَيَـــالِيَ كُنَّا لاَ نَطِيـــشُ حُلُومَـــا
فَلَمَّـــا تَحَوَّلْنَـــا عَفَاريـــتَ شِـــرَّةٍ
تَحَوَّلَ شُؤْبُوبُ الغَمَامِ رُجُومَـــا

ويقـــول في وصـــف شجـــرة نارنـــج:

ألاَ أَفْصِـــحَ الطَّيْـــرُ حَتَّ خَطَـــبْ
وَخَفَّ لَهُ الغُصْن حَتَّ اضْطَـــرَبْ
فَمِـــلْ طَرَبـــاً بَيْـــنَ ظِـــلٍّ هَفَـــا
رَطِيـــب وَمَـــاء هُنَاكَ انْثَعَـــبْ
وَجُـــلْ فِي الحَدِيقَـــةِ أُخْتِ الُمُـــنَى
وَدِنْ بالُمدَامَـــةِ أُمِّ الطَّـــــرَبْ
وَحَامِلَـــةٍ مِـــنْ بَنَـــاتِ القَنَـــــا
أَمَالِيـــدَ تَحْمِلُ خُضْرَ العَـــذَبْ
تَنُـــوبُ مُوَرَّقَـــة عَـــنْ عِـــــذَارٍ
وَتَضْحَـــكُ زَاهِـــرَة عَنْ شَنَـــبْ
وَتَنْـــدَى بهَـــا فِي مَهَـــبِّ الصَّبَـــا
زَبَرْجَـــدَة أثْمَـــرَتْ بالذَّهَـــبْ
تُفَـــــاوِحُ أَنْفَاسَهَـــــا تَـــــارَة
وَطَـــوْراً تُغَازِلُهَـــا مِنْ كَثَـــبْ

"

فَتَبْسِـــمُ فِي حَالَـــةٍ عَـــنْ رضىً
وَتَنْظُـــر آوِنَـــة عَـــنْ غَضَـــبْ

ـ ثـم **أبـو الفضـل بـن عبـد اللـه بـن نـزار القابـسي الهـواري** (مـن أعـلام النصـف الثاني مـا القـرن السادس للهجـرة)؛ أديـب وشاعـر؛ وكـان في خدمـة بـني عبـد المؤمـن؛ إذ ولي خطـة الكتابـة لديهـم. ذكـر لـه الأصفهـاني قصيـدة قالهـا في مـدح الأمير محمـد بـن رشيـد بـن جامـع؛ جـاء فيهـا:

لَمْ يَبْـقَ لِي بَعْدَ الرَّحِيـلِ عَـزَاءُ
بَـانَ الخَلِيطُ وَشُتِّتَـتْ أهْـوَاءُ
فَاصْرِفْ عَنَانَ اللَّوْمِ عَنْ قَلِقِ الحَشَـا
مُغْـرَى فَـإِنَّ مَلاَمَـهُ إغْـرَاءُ
فَعَلَـتْ بِه أحْبَابُـهُ يَـوْمَ النَّـوَى
وَالبَيْـنُ مَا لاَ تَفْعَـلِ الأعْـدَاءُ
سَـارُوا وَلَمَّا يَسْمَحُـوا بوَدَاعِـهِ
فَكَـأنَّ خَالِـصَ وُدِّهِ شَحْنَـاءُ
أترَاهُمُ خَالُـوا الـوَدَاعَ مُحَرَّمـاً
أمْ أجْمَعُـوا أنْ لاَ يَكُونَ لِقَـاءُ
رَقَّتْ مِيَاهُ الحُسْنِ فَوْقَ خُدُودِهِـمْ
وَقَسَـتْ قُلُوبُهُمْ فَبَـانَ جَفَـاءُ

"

إلى أن يقـــول:

يَا وَيـــْحَ مَنْ عَبَثَ الهَوَى بفُــؤَادِهِ
وَتَحَكَّمَتْ وَقَضَتْ عَلَيْـــهِ ظِبَـــاءُ
مِنْ كُلِّ مَا فِي القَلْب مِنْ لَحَظَاتِهَـــا
نَفثَـــاتُ سِحْـــرِ مَا لَهُـــنَّ دَوَاءُ
لِلْبَـــدْرِ سُنَّـــة وَجْهِهَا، وَقِوَامُهَـــا
لِلْغُصْنِ، مُخَطَّفَـــة الحَشَا هَيْفَـــاء
إنَّ امْتِـــدَاحِي مَا يُلِمُّ مِنَ الـــوَرَى
إلاَّ لِمَـــنْ دَانَـــتْ لَـــهُ العَلْيَـــاءُ
مِثْـــل المَلِيـــكِ ابْنِ الرَّشِيـــدِ فَإنَّـــهُ
بَهَـــرَ المُلُوكَ وَحَلَّ حَيْثُ يَشَـــاءُ
وَتَشَابَهَـــــتْ آرَاؤُهُ وَسُيُوفُـــــهُ
كُلٌّ بمَا يَهْـــوَى لَـــهُ ضُمَنَـــاءُ
لَبِـــسَ الجَلاَلَـــة حُلَّـــة أعْلاَمُهَـــا
حُلُـــمٌ يُزَيِّـــنُ ثَوْبَهَـــا وَحَيَـــاءُ
فَهُوَ القَرِيـــبُ تَطَـــوُّلاً وَتَجَمُّـــلاً
وَهُوَ البَعِيـــدُ مَحَلُّـــهُ الجَـــوْزَاءُ
وَلَهُ المَهَابَة فِي النُّفُـــوسِ، وَإنْ غَـــدَا
مُتَوَاضِعـــاً وَالعِـــزَّة القَعْسَـــاءُ
يَا مَنْ شَكَا جَوْرَ الزَّمَـــانِ وَظُلْمِـــهِ
وَأصَابَـــهُ مِـــنْ مَسِّـــهِ الضَـــرَّاءُ
لُـــذ بِالمَلِيـــكِ مُحَمَّـــد فَبِجَـــوْدِهِ
يَحْيَا السَّمَاحُ وَتُكْشَفُ الغُمَّـــاءُ

"

سَلْهُ تَفِدْ، وَاقْصُدْ تجِدْ، وَاشْرَعْ تَرِدْ،
عَــذبَ النَّمِيــرِ وَمَا بِهِ أَقْــذَاءُ
هَذَا العِيَــانُ يُرِيكَ مِــنْ أَوْصَافِــهِ
فَوْقَ الَّذِي أهْــدَت لَكَ الأَنْبَــاءُ
لَوْ نَظَّمَ الأمْــلاكُ سِلْكاً لاغْتَــدى
لِسَنَــاهُ، وَهــوَ الــدُّرَّة الغَــرَّاءُ

ـ ثــم **أبــو يوســف حجــاج بــن يوســف الهــواري** (تــوفي بمراكــش سنــة 572هــ/1176م)؛ وهــو عالــم وأديــب، كــان فصيــح اللســان، وبليغــا.

ـ ثــم **أبــو علــي الحســن بــن حجــاج بــن يوســف الهــواري** (ت: سنــة 598هــ/1201)؛ أصلــه مــن جهــات بجايــة، ويقيــم بمراكــش؛ وكــان مــن الفقهــاء؛ وولي الخطابــة بإشبيليــة سنــة 580هــ/1184م.

ـ ثــم **ميمــون الهــواري** (مــن أعيــان القــرن الســادس للهجــرة)؛ ذكــره ابــن الأبــار بقولــه: **((مــن سكــان قرطبــة؛ كــان أديبــا فقيهــا؛ ولــه شعــر فيمــا جــرى بيــن أبي الوليــد بــن رشــد، وأبي محمــد بــن أبي جعفــر؛ في التفضيــل بيــن الهَيْلَلَــة والحَمْدَلَــة فضــل فيــه قــول ابــن رشــد))**.[1]

---

[1] التكملــة، ج: 2، ص: 718.

"

ـ ثم **أبو موسى عمران بن موسى بن ميمون السلاوي الهواري** (توفي بسلا سنة 640هـ/1242م)؛ كان من الحفاظ المشتغلين بعلوم التفسير، والعربية، والنحو، والأدب.

ـ ثم **أبو موسى عمران بن موسى بن معمر الطرابلسي الهواري** (توفي بتونس سنة 660هـ/1261م)؛ فقيه، ولي القضاء بطرابلس، وتونس فكان محمود السيرة.

ـ ثم **أبو القاسم بن عمر بن أبي القاسم الهواري الإسكندي** (من أعيان النصف الثاني من القرن السابع للهجرة)؛ فقيه، وهو أخو وجيه الدين منصور بن العمادية لأمه. وهو ممن أجاز لابن جابر الوادي آشي.

ـ ثم **جمال الدين محمد بن سليمان بن عبد الله بن يوسف الهواري** المعروف بابن أبي الربيع (توفي بالقاهرة سنة 673هـ/1274م)؛ كان من أفاضل الأدباء؛ له شعر متداول؛ منه:

لَوْلاَ التَّطَيُّرُ بالخِلاَفِ وَأَنَّهُمْ
قَالُوا مَرِيضٌ لاَ يَعُودُ مَرِيضَا
لَقَضَيْتُ نَحْبِي خِدْمَةً بِفَنَائِكُمْ
لأَكُونَ مَنْدُوباً قَضَى المَفْرُوضَا

"

ويقـــول أيضـــا:

أحْبَابَ قـــَلْبي إنْ تَحَكَّمَتِ النَّـــوَى
فِي بَيْنِنَا وَجَرَى القَضَاءُ بمَا جَـــرَى
فَلَقَدْ غَضَضْتُ عَنِ الوَرَى مِنْ بَعْدِكُمْ
طَرفًا يَرَى مِنْ بَعْدِكُمْ أنْ لاَ يَـــرَى

وممـــا قالـــه كذلـــك:

سَرَيْـــتُ مِـــنَ السَّـــوَادِ إلىَ السُّوَيْـــدَا
مَسيرَ البَـــدْرِ فِي طَـــرَفِي وَقَلْـــبي
قَضَيْـــتُ مِـــنَ النَّـــوَى وَطَـــراً وَهَـــا قَـــدْ
قَضَيْتُ ـــ لَكَ البَقَا ـــ فِي البُعْدِ نَحْبِي

ويقـــول في مـــوسى بـــن يغمـــور:

لَكَ اللَّهُ يَا مُوسَى فَأنْتَ مُحمَدُ الـــ
ـــصِّفَاتِ وَفِكْري فِيكَ حَسَّانُ مَدْحِهِ
إذَا مَا دَجَا لَيْلٌ مِنَ الخَطْبِ مُظْلِـــمٌ
فَمِنْ يَدِكَ البَيْضَـــاءِ إسْفَارُ صُبْحِـــهِ

وبعـــث إلى أحـــد أصدقائـــه؛ وكـــان يســـمى الصـــدر هـــذه الأبيـــات:

مَا زِلْتُ فِي بُعْدٍ وَقُرْب صَبًّا إلَيْكَ وَأيَّ صَبِّ
حُزْتَ القُلُوبَ بِأسْرِهَا وَالصَّدْرُ مَوضِعَ كُلِّ قلْبِ

"

وقال فيه أيضا:

وَتَوَسْوَسْتُ باشْتِيَاقِي إلَى الصَّدْ
رِ وَمَا زَالَ مَوْضِعَ الوَسْوَاسِ

ـ ثم **أبو علي الحسن بن موسى بن معمر الطرابلسي الهواري (**ت سنة 682هـ/1283م**)**، وهو أخو أبو موسى عمران السابق الذكر؛ وكان أبو علي من المستوعبين لعلوم الفقه والأدب، وتعرض في حياته العملية لمحن عديدة في ظل الدولة الحفصية؛ وولي خطة القضاء في عهد المستنصر الحفصي، ثم خطة العلامة الكبرى، وخطة الأرفاع، والنظر في خزانة الكتب؛ ولكن السلطان سخطه، ونفاه إلى المهدية؛ ثم رضي عنه. وله شعر كثير؛ منه:

لَوْلاَ احْورَارُ جُفُونِ أودِعَتْ سَقَماً
مَا أمْطَرَتْ سُحْبُ أجْفَاني الدُّمُوعَ دَمَا
وَلاَ وَقَفْتُ أصَيْلاَناً بِرَبْعِكُمْ
وَلاَ سَقَيْت رُبَاهُ مِنْ دَمِي دِيَمَا
وَلاَ نَثَرْتُ عَقِيقَ الدَّمْعِ فِي طَلَلِ
مِنْهُ أذِيعُ الَّذِي قَدْ كَانَ مُكْتَتَمَا
البَيْنُ يُقْطَعُ مِنْه كُلّ مُتَّصِلِ
وَالشَّوْقُ يُنْثَرُ مِنْهُ كُلُّ مَا انْتظَمَا

"

وَالوَجْدُ شَادَ بجسْمِي مَا يُهَدِّمُــهُ
آهٍ عَلَى مَا بَــنَى فِيــهِ وَمَا هَدمَـــا
مَا خَططَ النَّوْمُ فِي جَفْني رَسْمَ كَرَى
إلاَّ مَحَا السُّهْدُ مَا قَدْ خُطَّ أوْ رُسِمَا
أنْبِيكُــمُ إنَّــني مِنْ يَوْمِ بَيْنكُــمُ
مَا زِلْتُ لِلسُّهْدِ وَالتِّذكَــارِ مُلْتَزِمَــا
أرْتَاحُ إنْ هَبَّ رِيحٌ مِنْ جَنَابكُــمُ
أوْ لاَحَ بَــرْقٌ بذَاكَ الأفْقِ مُبْتَسِمَــا
أمَا وَمَنْ قَــدَّرَ الأشْيَــاءَ مُقْتَــدِراً
وَحُبِّكُمْ وَكَــفَى بالحُبِّ لِي قَسَمَــا
مَا رَامَ قَلْبِي اصْطِبَاراً بَعْدَ بُعْدِكُــمُ
وَلاَ تَأخــَّرَ بِي مِنْ وَجْــدِهِ قَدَمَــا

ومــن قولــه لمــا شــفي المستنصــر مــن مرضــه:
اللَّــهُ أنْعَمَ بَعْــدَ اليَــأسِ بالفــَرَجِ
يَا أزْمَةَ الدَّهْرِ عِنْدَ الشدَّةِ انْفــَرِجي
شُكْرُ الخَلاَئِقِ لاَ يَكْفِي لأَيْسَــرِ مَــا
كَفَى وَسَكَّنَ مِنْ هَرْجٍ وَمِنْ رَهَــجِ
أبْقَى الأنَامَ بِإبْقَــاءِ الإمَــامِ فَكَــمْ
بصَوْنِــهِ صَانَ مِنْ مَالٍ وَمِنْ مُهَــجِ
إذَا رَعَى اللَّــهُ لِلإسْلاَمِ رَاعِيَهُــمْ
لَمْ نَأسَ مِنْ فَقْدِ ذِي قدر وَلاَ هَمَجِ

"

مـــن شعـــره أيضـــا:

آهاً نُـــرَدِّدُ لَوْ تشْـــفِي لَنَـــا كَرَبـــاً
وَبالتَّعِلاَتِ نَحْيَا لَوْ قَضَتْ لَنَا أرَبـَـا
وَبِالأمَـــانِي يَنَـــالَ القَلْـــبُ بُغْيَتَـــهُ
وَقَدْ تَحَقَّـــقَ مِنْ مُعْتَادِهَـــا كَذِبَـــا
يَرْتَـــاحُ إنْ لاَحَ بَرْقٌ مِنْ جَهَامَتِهَـــا
وَمَـــا تَـــرَاءَى لَـــهُ إلاَّ وَقَدْ ذَهَبَـــا
يُسَـــرُّ إنْ مُـــدَّ يَوْماً حَبْـــلُ مُنْيَتِـــهِ
وَمَا تَطَـــاوَلَ إلاَّ جُـــذ وَانْقَضَبَـــا
إنْ عَـــزَّ مَا يَبْتَغِيـــهِ فَهْوَ فِي هَـــرَجِ
وَيَخْتَشِي الفَقْدَ إنْ مَا يَبْتَـــغِي قَرُبَـــا
وَارَحْمَتَـــاهُ لِقَلْـــبِيكَـــمْ أجَشَّمُـــهُ
أمْـــراً يُذِيبُ مِنَ الأصْلاَدِ مَا صَلُبَـــا
وَكَمْ يُعَـــانِي مُلِمَّـــاتٌ بأيْسَرهَـــا
يُهَـــوِّنُ المَرْءُ مِنْ دُنْيَـــاهُ مَا صَعُبَـــا
وَكَمْ يُلَجْلِـــجُ فِي أفْكَارهِ لُجَجـــاً
سُـــوداً تُؤَجِّجُ فِي أحْشَائِـــهِ لَهَبَـــا
وَكَمْ تَهُـــبُّ سَمُـــومٌ مِنْ تَنُفسِـــهِ
لَو اسْتَمَرَتْ لَمَا هَبَّتْ نَسيـــمُ صَبَـــا
اسْتَغْفِرُ اللـــَّهَ لاَ أشْكُو الزَّمَـــانَ وَلاَ
أبْـــدِي إذَا طَرَقَتْ أحْدَاثُـــهُ رَهَبَـــا
وَلاَ أئِـــنُّ لِحَـــظٍّ مِنْـــهُ أعْـــوَزَني
وَلاَ أسَـــرُّ إذَا مَاءُ المُـــنَى انْسَكَبَـــا

"

أَنَّى يُسَرُّ لَبِيبٌ إنْ رَأى حُلمَا
وَكَيْفَ يَطْرَبُ مَنْ خَمْرَ الفَنَا شَرِبَا

ـ ثم **أبو الحسن نور الدين علي بن يونس ابن عبد الله التونسي الهواري** (ولد سنة 668هـ/1269م)؛ وهو من العلماء الأفاضل، ومن المصنفين؛ شرح أصلي ابن الحاجب.

ـ ثم **منصور بن سليم بن منصور الجزيري الهواري** (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه أجاز لابن جابر الوادي آشي في السنة المذكورة.

ـ ثم **أبو فارس عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز بن أحمد بن نبيه الجزيري السبتي الهواري** (ت: سنة 701هـ/1301م)؛ فقيه. وهو من شيوخ محمد المجاري الأندلسي.

ـ ثم **أبو يحيى بن أبي بكر بن برنيق المجريسي الهواري** (كان حيا سنة 707هـ/1307م)؛ وهو من سكان طرابلس؛ وكان فقيها؛ له إلمام ومشاركة في علوم شتى؛ منها: أصول الدين، والفقه.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله الهواري** (كان حيا سنة 707هـ/1307م)؛ فقيه، وصوفي من سكان تونس؛ له شعر ؛ منه

"

بعـــض القصائـــد بعـــث بعثهـــا للتجـــاني أثنـــاء رحلتـــه مـــع السلطـــان ابـــن اللحيـــاني الحفـــصي:

مَنْ لِي بِخِلٍّ كَانَ يُؤنسُ وَحْشَــتِي
وَيؤُمُّــني بالبشْــر إذ يَلْقَـــانِي
صَاحَبْتُهُ فِي اللــَّهِ أَحْسَنَ صُحْبَــة
فَشَكَــرْتُ مِنْــهُ كُــلَّ مَا أوْلانِي
وَرَأيْـــتُ مِنْــهُ مَــوَدَّة وَمَحَبَّــــة
وَفَضَائِــلاً زَادَتْ عَــلَى الحُسْبَــانِ
لاَ غَــرْوَ أنْ حَــازَ الكَمَالَ فَإنَّمَــا
وَقْــفُ الكَمَال عَلَى بَنِي تِيجَــانِ
كَمْ زَهْرَة فِي رَوْضَةٍ سَمَحَتْ بــهِ
فَرَأيْــتُ بُسْتَانــاً لَــدَى بُسْتَــانِ
فَــوِدَادَهُ عِنْــدِي نَضِيــرٌ دَائِمــاً
وَثَنَــــاؤُهُ غَـــــضٌ بِكُــلِّ أوَانِ
أمقَــدِّمَ الآبَــاء دُونَ مُنَــــازِعٍ
وَسُلاَلَــة الحُسَبَــاء وَالأعْيَـــــانِ
وَأجَــلَّ حَبْرٍ قَدْ سَمَا فِي عَصْرِنَــا
بالْعِلْــم وَالآدَاب وَالإتْقَـــــانِ
قَدْ جَاءَنِي مِنْكُمْ كِتَــابٌ سَــرَّنِي
بالبشْــر وَالتَّرْحِيــب إذ حَيَّــانِي
إنِّي لأحْيَــا إذ سَمِعْتُ بذِكْركُــمْ
فَأخَــالُ قَلْبِي فَــاضَ مِنْ أجْفَــانِي

"

فَاللَّــهُ يَجْمَــعُ شَمْلَنَــا بِلِقَائِكُــمْ
وَيَزِيدُكُــمْ بِالعَفْــوِ وَالغُفْــرَانِ
وَعَلَيْكُــمُ مِــنِّي سَــلاَمٌ دَائِــمٌ
مُتَعَطِّــرٌ مَا اهْتَــزَّ غُصْــنُ البَــانِ

ويقــول في قصيــدة أخــرى أرسلهــا إلى التجــاني أيضــا:

كِتَابُكُمْ أَهْدَى مِنَ الوَجْدِ مَا أَهْدَى
فَلاَ تَحْسَبُوا أَنِّي نَقَضْتُ لَكُمْ عَهْــدَا
سَــرَى لِي بسرٍّ مِنْهُ عَرْفٌ مُعَــرَّفٌ
أَفَــادَ بِمَسْرَاهُ الصَّبَابَــةَ وَالوَجْــدا
حَبَانِي بِحُبٍّ سَيِّــدٌ فِيهِ مَاجِــدٌ
بِهِ شَرَّفَ اللَّــهُ السِّيَــادَةَ وَالمَجْــدَا
نَسِيمُ الصَّبَا بِاللّــهِ سِــرْ بِتَحِيَّــةٍ
فَضَضْتُ بِهَا مِنْ شُكْرِهِ المِسْكَ وَالنَّدَا
كَأَنِّي بِهِ لَمَّا جَرَى البَيْــنُ بَيْنَنَــا
وَمَدَّ حِجَابَ البُعْدِ مَا بَيْنَنَــا مَــدَّا
يَقُولُ جَفَا أَوْ مَالَ أَوْ مَلَّ أَوْ سَلاَ
وَحَالَ عَنِ الإِخْلاَصِ أَوْ نَسِيَ الــوُدَّا
غَرَامِي غَرَامِي بِالحَبِيبِ وَإِنْ نَــأَى
وَحُبِّي لَهُ حُــبِّي دَنَــا لِي أَوْ صَــدَّا
وَإِنِّي لَمُشْتَــاقٌ إِلَيْــكَ وَصَابِــرٌ
إِذَا لَمْ أَجِــدْ مِمَّا أُكَابِــدُهُ بُــدَّا

"

وَإِذَا خَطَرَتْ ذِكْرَاكَ يَوْماً بِخَاطِرِي
وَجَدْتُ لِحَرِّ الشَّوْقِ فِي إِثْرِهَا بَــرْدَا
أَلاَ نَفْحَــةٌ مِنْكُــمْ تُبَــرِّدُ بَاطِــنِي
فَإِنَّ بِقَلْبِي مِنْ أَلِيمِ النَّــوَى وَقْــدَا
أَلاَ مَوْعِــدٌ مِنْكُمْ يُعَلِّــلُ مُهْجَــتِي
فَأَرْتَاحُ لِلقْيَــا وَأَسْتَنْجِــزَ الوَعْــدَا
لَئِــنْ جَاءَنِي يَوْماً بَشِيرٌ بِقُرْبِكُــمْ
وَهَبْتُ لَهُ نَفْسِي وَأَهْوِنْ بِهَا نَقْــدا
وَإِنِّــي لأَسْتَجْــدِي وِدَادَكَ إِنَّــهُ
أَجَلُّ نَفِيسٍ وَالأَفَاضِــلُ تُسْتَجْــدَا
وَإِنِّي لأَسْتَهْدِي سَلاَمَــكَ جَالِبــاً
بِمَأْتَــاهُ أُنْسِي وَالأَكَارِمُ تُسْتَهْــدَى
وَإِنِّي لأَسْتَــدْعِي جَوَابَــكَ رَاغِبــاً
لِيُفْتَحَ بَابُ القُرْبِ مِنْ بَعْدِ مَا سُــدَّا
لَقَدْ ضَيَّعَ الأَصْحَابُ عَهْدِي وَلاَ نَوَى
وَأَنْتَ بِظَهْرِ الغَيْبِ تَحْفَظُ لِيَ الوُدَّا
سَأَشْكُرُكُمْ شُكْرَ الرِّيَاضِ بِسُحْبِهَــا
وَأَنْظِمُ فِيكُمْ مِنْ حُلَى مَجْدِكُمْ عِقْدَا
وَأَجْهَدُ فِي شُكْرِي لِمَجْدِكُمْ عَسَى
بِفَضْلِكُمْ أَنْ تَقْبَلُوا مِــنِّيَ الجُهْــدَا

"

ـ ثم **أبو بكر يحيى بن أبي القاسم بن جماعة التونسي الهواري** (ت: سنة 712هـ/1312م)؛ فقيه.

ـ ثم **أبو علي عمر بن علي بن قداح التونسي الهواري** (توفي بعد عام 730هـ/1329م)؛ إمام من أئمة الفقه المالكي؛ ومن المختصين بالفتيا؛ وولي قضاء الجماعة بتونس؛ فكان حميد الذكر؛ قام بإعداد بعض التقييدات في بعض المسائل.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد السلام ابن يوسف بن كثير المنستيري الهواري** (توفي في تونس بالطاعون سنة 749هـ/1348م)؛ وهو فقيه مالكي، ومن الحفاظ، ضليع في علوم: الأصول، والعربية، والبيان، والحديث، والكلام؛ ولي قضاء الجماعة بتونس، فكان شديدا في أحكامه؛ وأنجز شرحا مفيدا لمختصر ابن الحاجب؛ وهو شرح جامع الأمهات لابن الحاجب؛ في فقه، والفتوى.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الهواري** المعروف بابن جابر (توفي في إلبيرة سنة 780هـ/1378م)؛ وهو من المرية. قال فيه ابن الخطيب: ((**رجل كفيف البصر، مدلٌّ على الشعر، عظيم الكفاية والمنة، على**

"

زمانتـــه. رحـــل إلى المشـــرق؛ وتظاهـــر برجـــل مـــن أصحابنـــا يعـــرف بأبي جعفـــر الإلبيـــري؛ صـــارا روحيـــن في جســـد؛ وَوَقـــع الشعـــر منهمـــا بيـــن لَـحْيَيْ أســـد، وشمَّـــرا لِلعلـــم وطلبـــه؛ فكـــان وظيفـــة الكفيـــف النَّظـــم، ووظيفـــة البصيـــر الكَتْـــبُ؛ وانقطـــع الآن خبرهمـــا)).[1] وأضـــاف المقـــري إلى هـــذه الترجمـــة:[2] **((ودخـــل مصـــر والشـــام؛ واستوطـــن حلـــب؛ وهـــو صاحـــب البديعيـــة المعروفـــة ببديعيـــة العميـــان؛ ولـــه أمـــداح نبويـــة كثيـــرة، وتواليـــف؛ منهـــا: شـــرح ألفيـــة ابـــن مالـــك، وغيـــر ذلـــك، ولـــه ديـــوان شعـــر، وأمـــداح نبويـــة في غايـــة الإجـــادة)).** قـــام أيضـــا بشـــرح ألفيـــة ابـــن المعـــطي الـــزواوي. ومـــن شعـــره الـــذي أثبتـــه ابـــن الخطيـــب في الإحاطـــة، والمقـــري في نفـــح الطيـــب:

سَلوُا حُسْنَ ذَاكَ الخَالِ فِي صَفحَةِ الخَدِّ
مَتىَ رقَمُوا بالِمسْكِ فِي نَاعِمِ الـــوَرْدِ
وَقُولُوا لِذَاكَ الثَّغْرِ فِي ذَلكَ اللُّـــمَى
مَتىَ كَانَ شَأنُ الدرِّ يُوجَدُ فِي الشَّهْدِ
فَتَـــاة تَفُـــتُّ القَلْـــبَ مِنيِّ بمُقْلَـــةٍ
لَهَا رِقَّة الغُزْلَانِ فِي سَطْوَة الأسْـــدِ

---

[1] الإحاطة، ج: 2، ص: 330.

[2] نفـــح الطيـــب، ج: 2، ص: 664.

"

فَقُلْتُ أَلَيْسَ القَلْبُ عِنْدَكِ حَاصِـــلاً
فَقَالتْ قُلُوبُ النَّاسِ كُلُّهُمُ عِنْـــدِي
فَقُلتُ اجْعَلِيني مِنْ عَبِيدِكِ فِي الهَوَى
فَقَالَتْ كَفَانِي كَمْ لِحُسْنِيَ مِنْ عَبْدِ
إذَا شِئْتَ أَنْ أَرْضَاكَ عَبْداً فَمُتْ جَوًى
وَلاَ تَشْتَكِي وَاصْبِرْ عَلَىَ أَلَمِ الصَّـــدِ
أَلَمْ تـــَرَ أَنَّ النَّحْـــلَ يُحْمَلُ ضُرُّهَـــا
لأَجْلِ الَّذِي تَجْنِيهِ مِنْ خَالِصِ الشَّهْدِ
كَذَلِكَ بَذْلُ النَّفسِ سَهْلٌ لِذِي النُّهَى
لِمَا يَكْسَبُ الإنْسَانُ مِنْ شَرَفِ الحَمْدِ
أَلَسْتَ تَرَى كَفَّ ابْنَ جَانَة طَالَمَـــا
أَضَاعَ كَرِيمَ المَال فِي طَلَب المَجْـــدِ

وفي قصيـــدة أخـــرى يقـــول:

عَـــرِّجْ عَلَىَ بَـــانِ العُذَيْب وَنَـــادي
وَأَنْشـــدْ فَدَيْتُـــكَ أَيْنَ حَلَّ فُـــؤَادِي
وَإذَا مَـــرَرْتَ عَلَىَ المَنَازل بالحِـــمَى
فَاشْـــرَحْ هُنَالِكَ لَوْعَتِي وَسُهَـــادِي
إيـــهٍ فَدَيْتُـــكِ يَانُسَيْمـــَة خَبِّـــري
كَيْفَ الأحِبَّـــة وَالْحِمَى وَالْـــوَادِي
يَا سَعْـــدُ قَدْ بَانَ الْعُذَيْبُ وَبَانُـــهُ
فَانْزِلْ فَدَيْتُـــكَ قَدْ بَـــدَا إسْعَـــادِي

"

خُــذْ فِي البشَارَةِ مُهْجَتِي يَوْمــاً إذَا
بَانَ العُذَيْبُ وَنُورُ حُسْنِ سعَــادِي
قَدْ صَحَّ عِيدِي يَوْمَ أبْصِرُ حُسْنَهَــا
وَكَــذَا الهِــلاَلُ عَلاَمَــة الأعْيَــادِ

ويقــول في قصيــدة مديحيــة:

هَنَاؤُكُــمْ يَا أهْلَ طَيْبَــة قَد حَقَّــا
فَبالقُرْب مِنْ خَيْرِ الوَرَى حُزْتُمُ السَّبْقَا
فَــلاَ يَتَحَــرَّك سَاكِنٌ مِنْكُــمُ إلَى
سِوَاهَا وَإنْ جَارَ الزَّمَانُ وإنْ شَقَــا
فَكَمْ مَلِــكٍ رَامَ الوُصُولَ لِمِثْل مَــا
وَصَلْتُمْ فَلَمْ يَقْدِرْ وَلَوْ مَلَكَ الخَلْقَــا
فَبُشْرَاكُــمُ نِلْتُــمْ عِنَايَــة رَبِّكُــمْ
فَهَا أنْتُمُ فِي بَحْرِ نعْمَتِــه غَــرقَى
تَرَوْنَ رَسُولَ اللَّــهِ فِي كُلِّ سَاعَــةٍ
وَمَنَ يَــرَهُ فَهُوَ السَّعِيــدُ بِهِ حَقَّــا
مَتَى جِئْتُــمُ لاَ يُغْلَقُ البَابُ دُونَكُــمُ
وَبَابُ ذَوِي الإحْسَانِ لاَ يَقْبَلُ الغَلْقَا
بِطَيْبَــة مَثْوَاكُمُ، وَأكْــرَمُ مُرْسَــلٍ
يُلاَحِظُكُمْ فَالَّدهْرُ يَجْرِي لَكُمْ وَفْقَا
فَلاَ تَنْظُــرُوا إلاَّ لِوَجْــهِ حَبِيبِكُــمُ
وَإنْ جَاءَتِ الدُّنْيَا وَمَرَّتْ فَلاَ فَرْقَــا

"

ولـــه المقصـــورة الموصوفـــة بالفريـــدة؛ وهي منظومـــة معشـــرات؛ عـــلى حـــروف المعجـــم؛ منهـــا عـــلى حـــرف الهمـــزة:

بَـــادَرَ قَلْـــبي لِلْهَوَى وَمَا ارْتَـــأى
لَمَـــا رَأى مِـــنْ حُسْنِهَا مَا قَدْ رَأى
فَقَـــرَّبَ الوَجْـــدَ لِقَلْـــبي حُبَّهَـــا
وَكَـــانَ قَلْـــبي قَبْلَ هَذَا قَدْ نَـــأى
يَا أيُّهَـــا العَـــاذِلُ فِي حُـــبِّي لَهَـــا
أقْصِـــرْ فَلِي سَمْعٌ عَنِ العَذْلِ بَـــأى
لَوْ أبْصَـــرَ العَـــاذِلُ مِنْهَـــا لَمْحَـــة
مَا فَـــضَّ بَـــابَ عَذلِـــهِ وَلاَ فَـــأى
سَرَّحْتُ طَـــرْفِي طَالِباً شَـــأوَ العُلاَ
وَتَابعـــاً فِي حُبِّهَـــا مَا قَدْ شَـــأى
إنِّي لأرْعَاهَـــا عَـــلىَ تَتْبِيعِهَـــــا
عَهْدِي، وَمِثْـــلِي مَنْ وَفَى إذَا وَأى
مَنْ مُنْصِـــفِي مِن شَادِنٍ لَمْ أرْجُـــهُ
لِحَاجَـــةٍ مِـــنْ وَصْلِـــهِ إلاَّ زَأى
وَإنْ قَبضْتُ النَّفْـــسَ عَنْ سُلْوَانِـــهِ
مَـــدَّ أدِيـــمَ هَجْـــرِهِ لِي وَسَـــأى
لأقْطَعَـــنَّ البِيـــدَ أفْـــرِي حَاذَهَـــا
بِضَامِـــرٍ يَفْـــرِي الحَصَى إذَا جَـــأى
حَـــتَّ أزُورَ رَبَّـــةَ الخِـــدْرِ وَقَـــدْ
ذَادَ الكَـــرَى عَـــنِّ الوُشَـــاةِ وَذَأى

"

وعـــلى حـــرف البـــاء يقـــول:

يَـــا رُبَّ لَيْـــلٍ قَـــدْ تَعَاطَيْنَـــا بِـــهِ
حَدِيثَ أنْـــسٍ مِثْلَ أزْهَـــارِ الـــرُّبَى
فِي رَوْضَـــةٍ تَعَانَقَـــتْ أغْصَانُهَـــا
إذْ وَاصَلَـــتْ مَا بَيْنَهَا رِيحُ الصَّبَـــا
نَادَمْـــتُ فِيهَـــا مِنْ بَنِي الحُسْنِ رَشَا
يَصْبُـــو لَهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَـــطُّ صَبَـــا
حُلْـــوٌ رَخِيمُ الـــدلَّ فِي أعْطَافِـــهِ
لِيـــنٌ وَفِي ألْحَاظِهِ بِيـــضُ الظُّـــبَى
أيَّـــامَ كَانَ العَيْـــشُ غَضًّا حُسْنُـــهُ
عَذْبَ الجَنَى رَيَّـــانَ مِنْ مَاءِ الصِّبَـــا

وعـــلى حـــرف التـــاء يقـــول:

تَاللَّـــهِ لاَ أعْبَـــا بِعَيْشٍ قَدْ مَـــضَى
وَلاَ زَمَـــانٍ قَـــدْ تَعَـــدَّى وَعَتَـــا
مُذْ عَلِقَتْ كَـــفِّيَ بِالهَادِي الَّـــذِي
سَـــادَ الوَرَى طِفْلاً وَكَهْلاً وَفَـــتَى

وعـــلى حـــرف الثـــاء:

لَـــوْلاَ اشْتِيَـــاقِي لِدِيَـــارٍ كَرُمَـــتْ
لِبُعْدِهَـــا يَـــرْثِي لَنَـــا مَنْ قَدْ رَثَى
وَمَـــدْحُ مَنْ أرْجُـــو بِأمْدَاحِي لَـــهُ
إصْلاَحَ مَا قَدْ عَـــاثَ مِـــنِّ وَعَثَـــا

"

لَمْ أجْعَـــلِ الشِّعْـــرَ لِنَفْسي خِلَّـــة
وَلَمْ يَجـــشْ فِكْري بـــهِ وَلاَ غَثـــا
فَمَا أرَى الأيَّـــامَ تَبْـــدِي مُنْصِفـــاً
وَلوْ حَكَيْتُ المِسْكَ مِنْ حُسْنِ الثنَـــا
يَا ضَيْعَـــة الألْبَابِ فِي دَهْـــرٍ غـــدَا
فِيهِ فَتيـــتُ المِسْكِ يَعْلُـــوهُ الخـــثى

ومـــن حـــرف الجيـــم:

لاَ أسْألُ النَّـــذلَ وَلَـــوْ أنِّي بـــهِ
أمْلـــكُ مَا حَـــازَ النَّهَارُ وَالـــدُّجَى
حَسْبِي بَنُـــو عَبْـــدِ مَنَـــافٍ بهـــمُ
يَغْنَى مَنِ اسْتَـــغْنَى وَيَنْجُو مَنْ نَجَـــا

ثـــم مـــن حـــرف الخـــاء:

يَا عَجَبـــاً مِنْ حَاسِدٍ لِي قَدْ زَهَـــا
بعَيْشِـــهِ الغـــضِّ عَـــلَيَّ وَانْتَـــخَى
كَأنَّـــنِي لَـــمْ أعْـــرفِ العِـــزَّ وَلاَ
صَاحَبْتُ دَهْري فِي سُرُورٍ وَرَخَـــا
وَإنَّمَـــا الدَّهْـــرُ لَـــهُ تَقَلُّـــبٌ
إنِ ارْتَـــخَى شَدَّ وَإنْ شَدَّ ارْتَـــخَى

"

ثـــم حـــرف الـــدال:

إنْ تَحْسبَ الرُّسْلَ سَمَاءً قَدْ بَـــدَتْ
فَإنَّـــهُ فِي أفْقِهَـــا نَجْـــمُ هَـــدَى
وَإنْ يَكُـــنْ كُلُّ كَرِيـــمٍ قَدْ مَضَى
طَـــلاًّ فَقَد أَضْحَى لَنَا غَيْثَ جَـــدَا
وَإنْ يَكُونُـــوا أنْجُمـــاً فِي فَلَـــكٍ
فَإنَّـــه مِـــنْ بَيْنِهِـــمْ بَـــدْرٌ بَـــدَا
وَاسِطَـــة السِّلْـــكِ إذَا مَا نُظِمُـــوا
وَمَلْجَـــأ القَـــوْمِ إذَا الخَطْبُ عَـــدَا
كَالبَحْرِ بَلْ كَالبَـــدْرِ جُوداً وَسَنَـــا
فَحَبَّـــذا مَن اجْتَـــدَى أوِ اقْتَـــدَى
أحْسَـــن أخْلاَقـــاً مِنَ الـــرَّوْض إذَا
مَا اخْتَالَ فِي بُرْدِ الصِّبَا أوِ ارْتَـــدَى
وَسَاقَـــطَ القَطْـــرُ عَلَيْـــهِ دَمْعَـــهُ
فَابْتَـــلَّ بُـــرْدُ الزَّهْرِ مِنْـــهُ وَانْتَـــدَى

وهي كمـــا تـــرى.. تتكـــون مـــن عشـــرة أبيـــات؛ لـــكل حـــرف مـــن الحـــروف الهجائيـــة. ولـــه أيضـــا المطولـــة المسمـــاة البديعيـــة؛ الـــتي قـــال عنهـــا المقـــري: **((ومـــن محاسنـــه أيضـــا البديعيـــة المشهـــورة؛ وهي المعروفـــة ببديعيـــة العميـــان؛ ولـــو لـــم يكـــن مـــن محاسنـــه إلا قصيدتـــه الـــتي في التوريـــة بســـور القـــرآن، ومـــدح النـــبي صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم**

"

لكـــفى؛ وهي مـــن غـــرر القصائـــد؛ وكثيـــر مـــن النـــاس ينسبهـــا للقـــاضي الشهيـــر عالـــم المغـــرب أبي الفضـــل عيـــاض؛ وكنـــت أول الاشتغـــال ممـــن يعتقـــد صحـــة تلـــك النسبـــة؛ حـــتى وقفـــت عـــلى شـــرح البديعيـــة الموصوفـــة لرفيقـــه أبي جعفـــر؛ فـــإذا هي منسوبـــة للناظـــم ابـــن جابـــر... وقـــد عـــارض منحاهـــا جماعـــة فمـــا شقـــوا لهـــا غبـــارا)).[1] وهـــذه عينـــة مـــن البديعيـــة المذكـــورة:

فِي كُـــلِّ فَاتِحَـــةٍ لِلْقَـــوْل معتبـــر
حَـــقُّ الثَنـــاءِ عَلَىَ المَبْعُوثِ أتبقـــره
فِي آلِ عِمْـــرَانَ قَدْماً شَاَعَ مَبْعَثُـــهُ
رِجَالُهُمْ وَالنَّسَاءُ اسْتَوْضَحُوا خَبَـــرَه
مَنْ مَدَّ لِلنَّـــاسِ مِنْ نُعْمَـــاهُ مَائِـــدَة
عَمَّتْ فَلَيْسَتْ عَلىَ الأَنْعَامِ مقتصـــر
أعْـــرَافُ نُعْمَاهُ مَا حَلَّ الرَّجَاءُ بِهَـــا
إلاَّ وَأَنْفَـــالُ ذَاكَ الجُـــودُ مبتـــدؤه
بِـــهِ تَوَسَّـــلَ إذْ نَـــادَى بِتَوْبَتِـــهِ
فِي البَحْرِ يُونُـــسُ وَالظَّلْمَاءُ معكره
هُـــودٌ وَيُوسُفُ كَمْ خَوْفٌ بِهِ أمِنَـــا
ولن يروع صوت الرعد من ذكـــره

---

[1] نفـــح الطيـــب، ج: 7، ص ص: 323. 326.

"

وهي على هذا المنوال في التورية لسور القرآن الكريم؛ ونظرا لشهرتها، وطرافتها فقد أغرت كثيرا من الناظمين، والناثرين على معارضتها بمختلف الأشكال. ولابن جابر الهواري قصائد كثيرة في مختلف الأغراض؛ منها:

وَقَفَتْ لِلْوَدَاعِ زَيْنَبُ لَمَّا
رَحَلَ الرَّكْبُ وَالْمَدَامِعُ تُسْكَبْ
مَسَحَتْ بِالبَنَانِ دَمْعِي، وَحُلْوٌ
سَكْبُ دَمْعِي عَلَى أَصَابِعِ زَيْنَبْ

كما اشتهرت تثمينته التي يقول فيها:

لَمْ يَبْقَ فِيَّ اصْطِبَارُ
مُذْ خَلَّفُونِي وَسَارُوا
وَلِلْحَبِيبِ أَشَارُوا
جَارَ الكِرَامُ فَجَارُوا
لِلَّهِ ذَاكَ الأُوَارُ
بَانُوا فَمَا الدَّارُ دَارُ
يَا بَدْرُ أَهْلُكَ جَارُوا وَعَلَّمُوكَ التَّجَرِّي
كَانُوا مَعَ الوُدِّ أَهْلِي
مَا عَامَلُونِي بِعَدْلِ
أَصْمَوْا فُؤَادِي بِنَبْلِ
يَا بَيْنُ بَيَّنْتَ ثُكْلِي
يَا رُوحَ قَلْبِيَ قُلْ لِي

"

أهُـــمْ دَعَـــوْكَ لِقَتْـــلِي
وَحَرَّمُوا لَكَ وَصْلِي وَحَلَّلُوا لَكَ هَجْرِي
حَسْـــبِي وَمَـــا ذَا عِنَـــادُ
هُـــمُ المُـــنَى وَالمُـــرَادُ
وَإنْ عَنِ الحَـــقِّ حَـــادُوا
أوْ جَامَلُـــونِي وَجَـــادُوا
يَا مَنْ به الكُـــلُّ سَـــادُوا
وَالكُلُّ عِنْـــدِي سَـــدَادُ
فَلْيَفْعَلُـــوا مَا أرَادُوا فَإنَّهُمْ أهْـــلُ بَـــدْرِ

ـ ثـم **أبـو عبـد اللـه محمـد بـن عمـر الهـواري** (تـوفي بوهـران سنـة 843هـ/1439م)؛ وهـو الـولي الصالـح المخصـوص بالزيـارة في مدينـة وهـران. ألـف منظومـة غيـر معربـة عرفـت باسـم سهـو والتنبيـه؛ انكـب عـلى تصحيحهـا عروضيـا، ولغويـا الفقيـه أبـو زيـد عبـد الرحمـن المقلـش؛ ولمـا أخبـر أبـو عبـد اللـه الهـواري بذلـك أجابـه: **((هـذا السهـو يقـال لـه سهـو المقلـش؛ أمـا سهـوي فهـو سهـو الفقـراء؛ إنمـا ينظـرون فيـه إلى المعـنى؛ ومـن أيـن العربيـة، والـوزن لمحمـد الهـواري؛ بـل سهـوي يبـقى عـلى مـا هـو عليـه)).**[1] ويفهـم ـ

[1] ابـن مريـم؛ البستـان، ص: 229.

"

بالطبع ـ من هذا أنه تعمد كتابته بهذا الشكل غير المعرب، ولا الموزون؛ لكي تستفيد منه العامة. وله أيضا التسهيل، والتبيان، وتبصرة السائل.

ـ ثم **أبو محمد عبد السلام الفاسي الهواري** (ت: سنة 1328هـ/1910م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي؛ ولي القضاء؛ وله بعض المؤلفات؛ منها: كتاب شرح وثائق البناني.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الهواري** كان فقيها، وراوية، ومحدثا وكاتبا بليغا.

OOO

هذا ما أمكن إدراجه عن رجال العلم، والأدب من قبيل هوارة أصلا؛ أما أعلام السياسة، والحكم منهم فهم:

ـ **عبد الواحد بن يزيد الهواري** (ت: سنة 124هـ/741م)؛ وهو قائد الصفرية الزاحفين على القيروان؛ في السنة التي ولي فيها حنظلة بن صفوان الكلبي؛ فانتهت ثورته بالفشل، إذ قتل هو، وعدد كبير من أنصاره.

"

ـ ثـم **عيـاض بـن وهـب الهـواري** (كـان حيـا سنـة 196هـ/811م)؛ قـاد ثورتيـن عـلى أمـراء القيـروان: الأولى سنـة 179هـ/795م؛ ضـد هرثمـة بـن أعيـن، أمـا الثانيـة فضـد الأميـر إبراهيـم بـن ألأغلـب، وابنـه عبـد اللـه.

ـ ثـم **مجاهـد بـن مسلـم الهـواري** (مـن أعـلام النصـف الأول مـن القـرن الثـاني للهجـرة)؛ وهـو أحـد قـادة عبـد الرحمـن بـن حبيـب؛ المتغلـب عـلى القيـروان.

ـ ثـم **أبـو يحيـى بـن قَرْيـاس الهـواري** (ت: سنـة 156هـ/772م)؛ ثـار عـلى يزيـد بـن حاتـم والي إفريقيـة؛ ولكنـه لـم يفلـح؛ وقتـل مـع عـدد مـن أنصـاره الهوارييـن، والزناتييـن والنفوسييـن.

ـ ثـم **وزواوة بـن نعـم الحلفـاء الهـواري** (كـان حيـا سنـة 212هـ/827م)؛ وهـو مـن القـادة الذيـن أرسلـوا لغـزو صقليـة.

ـ ثـم **أصبـغ بـن وكيـل الهـواري** المعـروف بفرغلـوش (ت: 216هـ/831م)؛ جـاء هـذا القائـد البحـري مـع رفـاق لـه مـن متطـوعي الأندلـس. ولمـا وصـل وجـد جيـش المسلميـن في صقليـة في حالـة سيئـة؛ فكـان نجـدة إلهيـة إليهـم. وبشـروط منـه سلمـت إليـه قيـادة المسلميـن بالكامـل؛ منعـا

"

للتضارب، والتناقض؛ ولكنه لم يدم طويلا؛ إذ مات بوباء الطاعون؛ الذي اجتاح صقلية، ومات منه كثير من المسلمين.

ـ ثم **زنون** (ذي النون) **بن سليمان بن السمح بن وردجيقن الهواري**؛ وقد سماه المؤرخون العرب في البداية **دنون**، ثم **ذي النون** فيما بعد (توفي بأقليش سنة 274هـ/887م)؛ وهو جد بني ذي النون ملوك طليطلة في زمن الطوائف. كان في بداية أمره بحصن أقليش؛ قاعدة كورة شنتبرية؛ حيث أسند إليه السلطان محمد بن عبد الرحمن بن الحكم إدارة شئون قومه، ومن سكن كورة شنتبرية. وبهذا بدأ شأنهم في الرياسة والملك. وكان أول من دخل من هذه الأسرة إلى بلاد الأندلس جدهم سليمان بن السمح.

ـ ثم الأمير **موسى بن زنون** (ذي النون) **بن سليمان بن السمح بن وردجيقن الهواري** (ت: سنة 295هـ/907م)؛ يعتبر هو المؤسس الأول لإمارة بني ذي النون في بلاد الأندلس؛ ولي إمارة شنتبرية بعد وفاة أخيه **أبي جوشن**؛ الذي لم يدم حكمه طويلا؛ حيث عاجلته المنية. وكان من قبل هو وأخيه رهينتين لدى محمد بن

"

عبد الرحمن بقرطبة؛ ضمانا لطاعة أبيهما زنون. ولما ولي موسى إمارة شنتبرية؛ شرع في التطلع للاستبداد؛ وانتهز فرصته في عهد عبد الله ابن محمد الأموي؛ فكان له ذلك؛ وبقي حتى وفاته.

ـ ثم الأمير **الفتح بن موسى بن زنون (ذي النون) بن سليمان بن السمح الهواري** (ت: سنة 303هـ/915م)؛ خلف والده في الاستبداد بحصن أقليش بالأندلس، وقتله واحد من أتباعه؛ غدرا أمام طليطلة.

ـ ثم **يحيى بن موسى بن ذي النون الهواري** (ت: سنة 325هـ/926م)؛ كان من ولاة الدولة الأموية؛ ولكنه أخذ في قطع الطرق، والتعرض للناس؛ فأرسل الأمير عبد الله بن محمد الأموي جيشا لمطاردته؛ فقبض عليه؛ ثم صفح عنه الناصر؛ فانصلح حاله.

ـ ثم الأمير **مطرف بن موسى بن ذي النون الهواري** (ت: سنة 333هـ/944م)؛ في البداية أقطعه أبوه ـ الأمير المستبد على بني أمية ـ حصن وبذة؛ ولما اعتلى عبد الرحمن الناصر لدين الله عرش الخلافة؛ أعلن الأمير مطرف ولاءه؛ فأقره الناصر في إمارته؛ ثم أضاف إليه أغلب

"

الحصون والقرى في مقاطعة شنتبرية؛ وظل محافظا على العهد، والطاعة إلى يوم وفاته. غير أنه جاء في القطعة التي حققها عبد الرحمن علي الحجي لكتاب المقتبس؛ أن الخليفة المستنصر بالله أقر لمطرف بن إسماعيل إمارة وبذة وبقية الحصون في عام 363هـ/973م؛ مما يعني أن المطرف لم يمت في سنة 333هـ/944م؛ كما ذكرت مصادر أخرى.

ـ ثم **عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون الهواري** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ حكم في عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر؛ وكان مستبدا بنواحي شنتبرية؛ على نهج أسلافه من بني ذي النون. ولما استنجد به سكان طليطلة؛ لصد جور واليهم عبد الملك بن متيوه؛ بعث إليهم ولده إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون؛ الذي استولى على المدينة، وأحسن السيرة فيهم.

"

ـ ثم **الظافر إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون الهواري** (ت: سنة 429 أو 435هـ/1037 أو 1043م)؛ سار سيرة حسنة في حكم طليطلة؛ ثم أضيفت إليه قلعة كونكة؛ وقد أخذ عليه ابن حيان ـ كما نقل صاحب الذخيرة ـ ميله إلى البخل، **((والكلف بالإمساك، والتقتير في الإنفاق))** بالإضافة إلى سبقه لإعلان الخلاف والفرقة، والتطرف.

ـ ثم **هُذيْل بن خَلَف بن لُبّ بن رَزين الهواري** المعروف بابن الأصلع (من أعلام أوائل القرن الخامس للهجرة)؛ نقل كل من: ابن عذاري، وابن الخطيب عن ابن حيان خبر هذيل هذا بقولهما هو: **((صاحب السهلة؛ متوسطة ما بين الثغرين الأعلى والأدنى؛ من قرطبة. وكان من أكابر برابر الثغر؛ ورث ذلك عن سلفه. ثم سما لأول الفتنة إلى اقتطاع عمله، والأمارة بجماعته، والتشبه بجاره إسماعيل بن ذي النون؛ في الشرود عن سلطان قرطبة. فاستوى له من ذلك ما أراد؛ هو وغيره؛ إلا أنه كان مع تعززه على هشام؛ لم يخرج عن طاعته؛ ولا وافق منذرا، وأصحابه على التمالؤ عليه؛ إلى**

"

أن ظفر سليمان بهشام المؤيد؛ المخلوع آخر القوم بقرطبة؛ فسلك مسلكهم. ورضي منه بذلك سليمان؛ وعقد له على ما في يده؛ لعجزه عنه... فسلم من معرة الفتنة أكثر وقته، وتخطته الحوادث لقوة سعده؛ واقتصر مع ذلك على ضبط بلده المرسوم بولاية والده؛ وترك التجاوز لحده، والامتداد إلى شيء من أعمال غيره. فاستقام أمره، وعمر بلده، وأنظر بُعْدَ جُمْهُور الثوار بالأندلس مدة الحياة. وليس في بلد الثغر أخصب بقعة من سهلته المنسوبة إلى بني رَزين سلفه؛ لاتصال عمارتها؛ فكثر ماله؛ إذ ناغى جاره، وشبيهه إسماعيل بن ذي النون في جمع المال؛ ونافسه في خلال البخل، وفرط القسوة... وكان بارع الجمال، حسن الخلق، أرفع الملوك همة في اكتساب الآلات... وتصير أمره إلى الحاجب ذي الرياستين أبي مروان عبد الملك بن رزين بن هذيل؛ حسام الدولة. وعندئذ احتفل مجدهم، وبلغ النهاية في الإشراف نَجْدُهم)).[1] وبعد وفاة هذيل خلفه ابنه عَبود بن هذيل؛ ولما توفي ولي بعده عبد الملك.

---

[1] البيان المغرب، ج: 1، ص ص: 181 ــ 182. أعمال الأعلام، ص ص: 205 ــ 206.

ـ ثم الأمير **المأمون أبو زكرياء يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون الهواري (ت:** سنة 460 أو 467 هـ/1067 أو 1074م)؛ وهو من ملوك الطوائف ببلاد الأندلس؛ تولى ـ بعد وفاة والده ـ على طليطلة؛ وتزاحم مع ابن هود على وادي الحجارة؛ فتقاتلا؛ واستعان كل منهما بالنصارى ضد خصمه؛ مما أدى إلى تخريب بلادهما من طرف النصارى. واستمرت الحرب سجالا بينهما؛ حتى وفاة ابن هود. عندها.. تمكن يحيى بن ذي النون من إخضاع شرق الأندلس كله تحت سلطانه؛ إلى أن مات بطليطلة. وقال فيه أبو محمد الحجاري في كتاب المغرب: ((**لم يكن فيهم** (بنو ذي النون) **أعظم قدرا، ولا أشهر ذكرا منه؛ اجتمع في مجلسه أبو عبد الله محمد بن شرف؛ حسنة القيروان، وعبد الله ابن خليفة المصري؛ الحكيم** (الشاعر)، **وأبو الفضل البغدادي؛ الأديب** (محمد بن عبد الواحد الدارمي). **ولم يجتمع عند ملك من ملوك الأندلس ما اجتمع عنده من الوزراء والكتاب الجلة؛ منهم: أبو عيسى بن لبون** (الأديب الشاعر والوزير القائد)، **وابن سفيان**

"

(أبو محمد الشاعر البليغ)، **وأبو عامر بن الفرج** (الوزير الشاعر)، **وأبو المطرف بن مثنى))**.[1]

ـ ثم حفيده **القادر يحيى بن إسماعيل بن المأمون بن يحيى بن ذي النون** (توفي مقتولا في بلسية سنة 481 أو 485هـ/1088 أو 1092م)؛ لم يسر سيرة أسلافه؛ فكان سيئ الرأي؛ فانتهى أمره بالقتل؛ والوصول بدولته إلى السقوط في يد المرابطين.

ـ ثم **يعقوب بن يوسف بن حيون الهواري** (من أعلام النصف الأول من القرن الثامن للهجرة)؛ ولاه السلطان العبد الوادي **أبو حمو الأول** سنة 710هـ قائدا على **بني توجين**؛ بعد إخضاعهم.

***

ـ ***مواطنهم:*** يقول ابن خلدون أن مواطن جمهور **هوارة**؛ في بداية الفتح الإسلامي؛ تمتد من **طرابلس إلى برقة**. ثم يتابع: **((وكانوا ظواعن، وآهلين. ومنهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر، وجاوزوا لمطة؛ من قبائل الملثمين؛ فيما يلي بلاد كوكو من السودان؛**

---

[1] المغرب في حلى المغرب، ج: 2 ص: 12.

"

تجاه إفريقية؛ ويعرفون بنسبهم هُكّارة؛ قلبت العجمة واوه كافا أعجمية؛ تخرج بين الكاف العربية، والقاف)).[1] وتوجد منهم بعض الفئات بجبل أوراس، وأخرى بمصر، وبعضهم ـ أيضا ـ منتشرون بين برقة، والإسكندرية. ويوجد منهم حي بين تبسة، ومرماجنة، إلى باجة. وآخرون في نواحي الأربس. ثم يضيف ابن خلدون: ((جبل مسلاتة، ويعتمره قبائل هوارة؛ إلى بلد مسراتة، ويفضي إلى بلد سرت، وبرقة؛ وهو آخر جبال طرابلس... وكانت برقة من مواطن هوارة هؤلاء. ومنهم مكان (هكذا) بني خطاب؛ ملوك زويلة؛ إحدى أمصار برقة... ومن قبائل هوارة هؤلاء بالمغرب أمم كثيرة... ومن أشهرهم بالمغرب الأوسط؛ أهل الجبل المطل على البطحاء؛ وهو مشهور باسم هوارة، وأوطنوه؛ وكانت رئاستهم في بني عبد العزيز منهم)).[2]

....

[1] العبر، ج: 6، ص: 286.

2 نفسه، ص ص: 290 ـــ 292.

"

4 ـ صنهاجة:

فعلى الرغم من الدور الخطير الذي لعبته **صنهاجة** في تاريخ المغرب الإسلامي؛ فإن المصادر التاريخية لم تتوصل إلى حقيقة نسبهم. وما جاء فيها.. لا يفي بالحاجة؛ وحتى تسلسل الآباء الذي نسبه ابن خلدون إلى **((المحققين من نسابة البربر))** لم يرد فيه اسم **برنس** (أب البرانس)؛ مع أنهم يقولون بانتسابهم إليهم. وجاءت هذه السلسلة هكذا: **صنهاج بن عاميل بن زعزاع بن يبرين بن مكسيلة بن دهيوس بن حلحال بن شرو بن مصرايم ابن حام.** فأين إذن **برنس** إذا كانوا ينتسبون إليه..؟ وهذا ابن خلدون يقول أيضا: **((وأما ذكر نسبهم؛ فإنهم من ولد صنهاج؛ وهو صناك بالصاد المشممة بالزاي، والكاف القريبة من الجيم. إلا أن العرب عربته، وزادت فيه الهاء؛ بين النون والألف؛ فصار صنهاج. وهو عند نسابة البربر من بطون البرانس؛ من ولد برنس بن بر)).**[1] ومع هذا بقيت الحقيقة غائبة. وتعتبر قبائل صنهاجة من أوفر القبائل وأوسعها. حتى أن بعضهم يزعم أنهم

---

[1] **العبر، ج: 6، ص: 309.**

"

يمثلون ثلث الأمازيغ. ويقول ابن خلدون عنهم أيضا في سياق النص السابق: ((**هذا القبيل من أوفر قبائل البربر، وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد، وما قبله. لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم؛ في جبل أو بسيط))**. وبطون صنهاجة كثيرة جدا. يقول بعضهم أنها تصل إلى سبعين بطنا. اختصرهم ابن خلدون في: **أنجفه، وتلكاتة، وشرطة، وكدالة، ولمتونة، ومسوفة، ومندلة، وبنو وارث، وبنو يتيسن.** ومن أفخاذ **أنجفه: بنو سليب، وفشتالة، ومزوارت، وملوانة.** ويزعم بعض النسابين أن قبائل: **جزولة، ولمطة، وهسكوررة** اخوة صنهاج من أمهم تاصكي؛ فاندرجوا ضمن بطون صنهاجة؛ بالالتحاق. وصنفهم ابن خلدون إلى ثلاث طبقات حسب ظهورهم تاريخيا:

ـ **الطبقة الأولى:** تمثلها **قبيلة تلكاتة**؛ التي تولت حكم إفريقية، والمغرب الأوسط؛ نيابة عن الفاطميين. وهم من أهل المدر. فترأست تلكاتة القبائل الصنهاجية المتواجدة بإفريقية، والمغرب الأوسط. وكانوا بمثابة الدرع الواقي؛ الذي تصدى للقبائل الزناتية؛ المستميتة في قتال

"

الفاطميين. وتدرجت تلكاتة الصنهاجية؛ من مراتب الرئاسة إلى مراتب الملك. فمن مرتبة المشيخة، والرئاسة؛ أصبح أعياهم قادة، وأمراء؛ في ظل الدولة الفاطمية؛ بعدها أضحوا ولاة، وحكاما في الأقطار؛ ثم انتهى بهم الحال إلى الاستبداد، والسلطان المطلق.

ـ **الطبقة الثانية:** وتمثلها قبائل: **لمتونة، ومسوفة.** وهم من أهل الوبر؛ الذين اختاروا حياة الرحلة، والانتجاع؛ في أعماق الصحراء، وتخوم السودان. وقد تمكنت هذه الطبقة من تشييد دولة عظيمة بالمغربين: الأقصى، والأوسط؛ بفضل **الدعوة** الصادقة، والمؤثرة؛ التي تولى أمرها عبد الله بن ياسين الجزولي، ثم **العصبية الصنهاجية** المتماسكة. وقد استطاعوا تحقيق أهدافهم، وإقامة دولتهم بالتدريج؛ كما تقتضيه **سنن العصبية.** فبعد إدماج قبائلهم؛ ضمن عصبية واحدة كبرى؛ شرعوا في ابتلاع الإمارات، والممالك الشمالية؛ حتى وصلوا في أوج ملكهم؛ إلى إحكام قبضتهم على بلاد الأندلس.

ـ **الطبقة الثالثة:** فعلى الرغم من وفرة عدد أعضاء هذه الطبقة؛ فإنهم لم يتوصلوا إلى مرتبة الملك. وهم عبارة عن مجموعة كبيرة من

"

القبائل المتفرقة؛ الذين انتشروا في بعض المناطق من المغرب الأقصى؛ بصورة خاصة. وظلت فئات منهم في عزة، ومنعة من سلطان الدولة، وقهرها؛ بينما خضعت فئات أخرى لقهرها، وأحكامها؛ فأعطوها ــ صاغرين ــ حق الولاء، والطاعة، وانقادوا لمستلزمات الضرائب، والمغارم المفروضة عليهم. وقد صنف صاحب كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب؛ المجاورين منهم لمصمودة إلى: **صنهاجة القبلة** (أي أهل الجنوب سكان السهوب المجاورة لوادي درعة؛ حيث الشمس الساطعة)، **وصنهاجة الظل** (أي أهل الجبال؛ حيث الظلال). أما ابن خلدون فيصنف هؤلاء المجاورين لمصمودة إلى: **صنهاجة البز**؛ بسبب مهنتهم؛ وهي الحياكة. ثم **صنهاجة الذل**؛ بسبب رضوخهم للمغارم. **وصنهاجة العز**؛ نظرا لمنعة جبالهم، واعتزازهم.[1] كما يقول ابن منصور: ((**ولا يزال هذا التقسيم جاريا على القبائل التي تدعى صنهاجة بشمال المغرب الأقصى؛ مع تغيير في الأسماء. فهم اليوم يقسمون إلى صنهاجة غدو، وصنهاجة السراير، وصنهاجة مصباح. وهذا**

[1] ــ العبر، ج: 6، ص ص: 425 ــ 427.

"

الفريق الأخير يقسم بدوره إلى صنهاجة الشمس، وصنهاجة الظل)).[1]

وقام ابن منصور بتحقيق أسماء بعض البطون من صنهاجة؛ تلك التي وردت في العبر؛ منها: **أنجفة** (وتسمى – أيضا – **هنجافة**؛ وبالأمازيغية هي **أينكفو**). وهم بطن كبير يصنف ضمن صنهاجة القبلة، وصنهاجة الظل؛ وكان ابن خلدون قد ذكر من أفخاذ هذه الطبقة: **بني سليب، وفشتالة، وبني مزوارت، وملوانة**، ثم **أنوغة، وبجاية**؛ وهي التي تسمى بها المدينة الساحلية بالجزائر. ويبدو أن أبناء هذه القبيلة ذابوا في قبائل أخرى. ويتساءل ابن منصور عن احتمال انتساب قبيلة بشمال تونس إليهم؛ تسمى **بجاوة**. ثم **بطوية** (وتسمى أحيانا بطيوة). وتوجد في الجزائر مدينة باسم بطِّيوَة – وهي منسوبة إليهم – بالقرب من آرزيو. كما توجد بهذا الاسم قبيلة مشهورة بمنطقة الريف؛ بالمغرب الأقصى. وتنقسم قبيلة بطوية إلى ثلاثة بطون؛ هم: **بنو ورياغل، وبقوية، وأولاد علي.**

---

[1] قبائل البربر، ج: 1، ص: 329.

"

ومـن بطـون صنهاجـة الـتي حقـق أسماءهـا ابـن منصـور: **تاركـة** (تنطـق بجيـم بدويـة)؛ وهـم مـن قبائـل اللثـام؛ سكـان الصحـراء؛ بالجزائـر، وليبيـا. ثـم **بنـو جعـد**؛ منهـم بقيـة في نـواحي البويـرة، وعيـن بسـام؛ بالجزائـر. ثـم **بنـو حميـد**؛ منهـم بقيـة اندرجـوا في قبيلـة يسـر؛ بـدوار يسـر الويـدان بالجزائـر. ثـم **بنـو خليـل** (ويعرفـون الآن بـني خليـلي)؛ وهـم بين بجايـة، وتيـزي وزو بالجزائـر. ثـم **بنـو دركـون** (بجيـم بدويـة؛ ويسمونهـم – أيضـا – **بـني دركـول**). وتتواجـد بقيـة منهـم بناحيـة زمـورة بجـوار غليـزان بالجزائـر؛ ومنهـم جماعـة بالمغـرب الأقـصى.

ثـم **بنـو زروال**؛ يتواجـدون في الجزائـر، وفي المغـرب الأقـصى. ثـم **زناكـة** (يسمـون أحيانـا **إيزناكـن، وإيصنهاكـن**)؛ وتتفـرق أحياؤهـم بيـن الجزائـر، والمغـرب الأقـصى. ثـم **زغـاوة** (مـن أهـل اللثـام). ثـم **كدالـة** (بجيـم بدويـة؛ وهـم مـن أهـل اللثـام). ثـم **لمتونـة** (بـلام أصليـة)؛ وهـم ملـوك المرابطيـن؛ ومـن أهـم بطونهـم: **بنـو زمـال، وبنـو صـولان، وبنـو ناسجـة، وبنـو ورتنطـق.** ثـم **لمديـة** (بـلام أصليـة)؛ وتسـمى بهـم مدينـة في الجزائـر. ثـم **متنـان**؛ منهـم بقيـة بالقـرب مـن

"

عين بسام بالجزائر. ثم **بنو مزكلدة**؛ منهم بقية بين فاس ووزان بالمغرب الأقصى. ثم **مزغنة**؛ نسبت إليها مدينة الجزائر؛ إذ يقولون **جزائر بني مزغنة**. ومازالت منهم بقية؛ على الضفة اليمنى لوادي يسر؛ اندرجوا في قبيلة بني سليمان الشراقة. ومنهم أيضا جماعة في مدينة الأربعاء؛ جنوب شرقي مدينة الجزائر. ثم **ملوانة (أو إيملوان)**، وهم متفرقون بين قبائل عديدة؛ في الجزائر، والمغرب الأقصى؛ وبهم يسمى **حمام ملوان** جنوب مدينة الجزائر. ثم **مليانة**؛ سميت باسمهم مدينة مليانة الجزائرية. ثم **مسوفة** (من أهل اللثام)؛ شاركوا في تأسيس دولة المرابطين. ثم **صنهاجة**؛ احتفظوا بالاسم الجامع للبطون كلها. وبقيت منهم فئة بين عنابة، وسكيكدة بالجزائر، وفئة أخرى قرب وادي يسر. ثم **صنهاجة مصباح**؛ متواجدون شمال إقليم فاس؛ بالمغرب الأقصى؛ ويتفرعون إلى صنهاجة الشمس، وصنهاجة الظل. ثم **صنهاجة غدو**؛ يتواجدون شمال إقليم تازة؛ بالمغرب الأقصى. ثم **صنهاجة السراير**؛ وهم قبيلة كبيرة، تتواجد أحياؤها بإقليم الحسيمة؛ بالمغرب الأقصى؛ ويتفرعون إلى سبعة بطون ضخمة؛

"

هـم: **بنو أحمد**، **وبنو بشير**، **وبنو بوشيبت**، **وتغزوت**، **وبنو خنوس**، **وبنو زرقت**، **وكتامة وبنو سدات**. ثم **بنو عمران**؛ توجد منهم خمسة بطون بالجزائر هم: **بنو عمران** في الساحل الغربي لبجاية؛ بدوار أبراريس. **وبنو عمران** على ضفة وادي يسر، وفي مدينة الأربعاء؛ وفي جنوب مدينة الجزائر. **وبنو عمران** بالقرب من برج منايل، وتيزي وزو. **وبنو عمران**؛ وهم جبالة. **وبنو عمران** بالقرب من ميناء جيجل. ثم **فشتالة** (بالأمازيغية **إيفشتالن**). وينتسبون إلى هنجافة؛ ولهم بقية في شمال إقليم فاس؛ بالمغرب الأقصى. ثم **بنو سليب**؛ تتواجد فئة منهم بجهات قالمة؛ بالجزائر. ثم **بنو وارث** (بالأمازيغية **بنو وارثن**)؛ وتوجد بقية منهم بقرب بجاية؛ يسمون **آيت وارث وَغْلي**. ثم **وانوغة** (أو **أنوغة**)؛ يوجد بطن منهم قرب يسر؛ وهم ضمن قبيلة بني مكلا. ثم **وتريكة** (من أهل اللثام). ثم **ورتنطق** (من أهل اللثام)؛ وينتسبون إلى لمتونة. ثم **بنو ورياكل** (بجيم بدوية)؛ وهم غير بني ورياغل بالغين. يتواجد بنو ورياكل بجهات بجاية؛ إذ هم الذين نزل في ضيافتهم ابن تومرت بملالة؛

"

عند رجوعه من المشرق. ومنهم في وادي ورغة؛ شمال إقليم فاس جماعة كذلك.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** تفيض المصادر التاريخية، والأدبية، والدينية بأعيان صنهاجة؛ بطبقاتها المختلفة. وسنتكلم في هذا المجال عنهم بدءا بأهل الفكر منهم:

ـ **أبو عمرو ميمون بن أبي جميل الصنهاجي** (من أعلام صدر الإسلام)؛ وهو ابن أخت القائد الفاتح طارق بن زياد النفزي. ذكره صاحب مفاخر البربر ضمن فصل: الفقهاء والأعلام من البربر؛ نقلا عن كتاب أعلام القبائل للرازي.

ـ ثم **أبو محمد سِرْوَاس بن حَمود الصنهاجي** (توفي بطليطلة سنة 391هـ/1000م)؛ كان من المحدثين، ومعلما للقرآن بمدينة طليطلة.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن سلام القرطبي الصنهاجي** (ت: سنة 402هـ/1011م)؛ كان من أهل الصلاح، والزهد.

ـ ثم أبو عمر أحمد بن محمد بن العاص ابن أحمد بن سليمان بن دَرَّاج القسطلي الصنهاجي (ت: سنة 421هـ/1030م)؛ وهو من فحول الشعراء؛ وقد عادله الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر بالمتنبي؛ وساواه ابن حزم بالمتنبي وابن تمام. كما أشاد بعلمه وشعره كل علماء اللغة والأدب؛ وقال فيه الحميدي: ((وهو معدود في جملة العلماء، والمقدَّمين من الشعراء، والمذكورين من البلغاء؛ وشعره كثير؛ مجموع يدل على علمه؛ وله طريقة في البلاغة والرسائل تدل على اتساعه وقوته. وأول مدح من الملوك فالمنصور (هكذا) أبو عامر محمد ابن أبي عامر مدبر دولة هشام المؤيد؛ وأول شعر مدحه فقوله يعارض أبا العلاء صاعد ابن الحسن اللغوي بقصيدة أولها:

أضَاءَ لَهَا فَجْرُ النُّهَى فَنَهَاهَا
عَنِ الدَّنَفِ الُمضْنَى بحَرٍّ هَوَاهَا
وَضَلَّلَهَا صَبيحٌ جَلاَ لَيْلَةَ الدُّجَى
وَقَدْ كَانَ يَهْدِيهَا إلَيَّ دُجَاهَا

"

وهي طويلة، ومستحسنة؛ فساء الظن بجودة ما أتى به من الشعر؛ واتهم فيه؛ وكان للشعراء ـ في أيام المنصور أبي عامر ـ ديوان يرزقون منه على مراتبهم؛ ولا يخلون بالخدمة بالشعر في مضافها؛ فسعي به إلى المنصور؛ وأنه منتحلٌ سارقٌ؛ لا يستحق أن يثبت في ديوان العطاء؛ فاستحضره المنصور... واختبره، واقترح عليه؛ فبرَّز، وسبق، وزالت التهمة عنه؛ فوصله بمائة دينار، وأجرى عليه الرزق، وأثبته في جملة الشعراء؛ ثم لم يزل يسهر، ويجود شعره فيما بعد؛ وفي ذلك المجلس بين يدي المنصور أبي عامر قال القصيدة المشهورة التي أولها:

حَسْبِي رِضَاكَ مِنَ الدَّهْرِ الَّذِي عَتَبَا
وَعَطْفِ نُعْمَاكَ لِلْحَظِّ الَّذِي انْقَلَبَا

وهي طويلة، حسنة، كرر فيها المعنى الذي استُحْضِرَ من أجله، وتكذيب الدعوى التي قذف بها؛ منها:

وَلَسْتُ أوَّلَ مَنْ أعْيَتْ بَدائِعُهُ
فَاسْتَدْعَتِ القَوْلَ مِمَّنْ ظَنَّ أوْ حَسِبَا

"

إنَّ امــرأ القَيْسَ فِي بَعْضِ لَمُتَّهــمُ
وَفِي يَدَيْهِ لِوَاءَ الشِّعْــر "إنْ رَكِبــا"
وَالشِّعْرُ قَدْ أسَرَ الأعْشَى وَقَيَّــدَهُ
دَهْراً، وَقَدْ قِيلَ: "وَالأعْشَى إذَا شَرِبَا"
وَكَيْفَ أظْمَا وَبَحْري زاخُر فطنــا
إلَى خَيَالِ مِنَ الضَحْضَاحِ قَدْ نَضَبَا
فَإنْ نَأى الشَّكُ عَنِّي أوْ فَهَا أنَــذَا
مُهيَّــأ لجــلِي الخُبْــر مُرتَقِبــــا
عَبْدٌ لِنُعْمَاكَ فِي فَكَّيْهِ نَجْمُ هُــدًى
سَار لِمَدْحِكَ يَجْلُو الشَّكَ وَالرِّيَبــَا
إنْ شِئْتَ أمْلَى بَدِيعَ الشِّعْرِ أوْ كَتَبَا
أوْ شِئْتَ خَاطَبَ بالمَنْثور أوْ خَطَبــَا
كَرَوْضَة الحَزْنِ أهْدِي الرَّشَى مَنْظَرَهَا
وَالمَاءَ وَالزَّهْــرَ وَالأنْوَارَ وَالعُشْبَــا
أوْ سَابقِ الخَيْلِ أعْطِي الحَضْرَ مُتَّئِداً
وَالشَّدَّ وَالكَرَّ وَالتَّقْرِيبَ وَالخَبَبَــا)).[1]

وله ديوان شعر؛ حققه محمود مكي بدمشق سنة 1381هـ/1961م. ومما قاله في مدح سليمان بن الحكم الأموي:

---

[1] جذوة المقتبس، ص ص: 110 ــ 112.

"

هَنِيئــًا لِهَــذَا المُلْكِ رَوْحٌ وَرِيْحَــانُ
وَلِلدِّيــنِ وَالدُّنْيَــا أمَــانٌ وَإيمَــانُ
فَإنَّ قَعِيدَ الخِــزْيِ قَدْ ثُــلَّ عَرْشُــهُ
وَإنَّ أمِيــرَ المُؤْمِنيــنَ سُلَيْمَــــانُ
سَــمِيُّ الَّذِي انْقَــادَ الأنَامُ لأمْــرِهِ
فَلَمْ يَعْصِهِ فِي الأرْضِ إنْسٌ وَلاَ جَانُ
وَقَــامَ فَقَامَــتْ لِلْمَعَــالِي مَعَالِــمٌ
وَلِلْخَيْــرِ أسْوَاقٌ وَلِلْعَــدْلِ مِيــزَانُ
وَجَــدَّدَ لِلإسْلاَمِ سُــورَ خِلاَفَــةٍ
عَلَيْهَا مِنَ الرَّحْمَنِ نُــورٌ وَبُرْهَــانُ
وَأكَّدَهَــا عَهْــدٌ لأَكْــرَمِ مَنْ وَفَى
بعَهْدٍ، زَكَتْ مِنْهُ عُهُــودٌ وَأيْمَــانُ
قَرِيبُ النــَّبِيِّ المُصْطَفى وَابْنِ عَمــِّهِ
وَوَارِثُ مَا شَادَتْ قُرَيْشٌ وَعَدنَــانُ
وَمَا سَاقَتِ الشُّورَى وَأوْجَبَهُ التُّــقَى
وَأوْرَثَ ذو النُّورَيْنِ عَمُّكَ عُثْمَــانُ
وَمَا حَاكَمَتْ فِيهِ السُّيُوفُ وَحَــازَهُ
إلَيْــكَ أبُو الأمْلاكِ جَدُّكَ مَــرْوَانُ

ويصــف المقاتليــن في جيشــه فيقــول:

وَقَدْ لَمَعَتْ حَوْلَيْــكَ مِنْهُمْ أسِنَّــةٌ
تُخَيَّلُ أنَّ الحَــزْنَ وَالسَّهْلَ نِيــرَانُ

"

أسُــــودُ هَيَــــاجٍ مَا تَــــزَالُ تَرَاهُــــمُ
تَطِيــــرُ بهِمْ نَحْــــوَ الكَرِيهَةِ عِقْبَــــانُ
وَأقْمَــــارُ حَــــرْبٍ طَالِعَاتٌ كَأنَّمَــــا
عَمَائِمُهُمْ فِي مَوْقِفِ الرَّوْعِ تِيجَــــانُ
وَكُــــلُّ زَنَــــاتِيٍّ كَــــأنَّ حُسَامَــــهُ
وَهَامَــــةَ مَــــنْ لاقَــــاهُ نَارٌ وَقُرْبَــــانُ
وَأبْيَــــضَ صِنْهَــــاجٍ كَــــأنَّ سِنَانَــــهُ
شِهَابٌ إذَا أهْوَى لِقِــــرْنٍ وَشَيْطَــــانُ

وقـــال واصفـــا الصلـــح، وداعيـــا إليـــه:

وَقُلْــــتَ لَعــــاً لِلْعَاثِرِيــــنَ كَأنَّــــهُ
نُشُورٌ لِقَوْمٍ حَانَ مِنْهُمْ وَقَدْ حَانُــــوا
وَقَدْ أمِنَ التَّثْرِيبَ أخْــــوَةَ يُوسُــــفٍ
وَأدْرَكَهُــــمْ لِلَّــــهِ عَفْــــوٌ وَغُفْــــرَانُ
وَحَنَّتْ لِدَاعِي الصُّلحِ بَكرٌ وَتَغْلِــــبٌ
وَشَفَّعَــــتِ الأرْحَامَ عَبْسٌ وَذبْيَــــانُ
وَفازَتْ قِدَاحُ المُشْتَــــرِي بسُعُودِهَــــا
وَسَالَــــمَ بَهْــــرَامٌ وَأعْتَــــبَ كِيــــوَانُ

ومـــن قصيـــدة طويلـــة وحسنـــة؛ مـــدح فيهـــا خيـــران العامـــري؛ تعـــرض ضمنهـــا لوصـــف هـــول البحـــر؛ فقـــال:

"

لَكَ الخَيْرُ قَدْ أوْفَى بعَهْدِكَ خَيــرَانُ
وَبُشْرَاكَ قَدْ وَافَاكَ عِــزٌّ وَسُلْطَــانُ
هُوَ النَّجْمُ لاَ يُدْعَى إلَى الصُّبْحِ شَاهِدٌ
هُوَ النُّورُ لاَ يُبْغَي عَلَى الشَّمْسِ بُرْهَانُ
إلَيْكَ رَكِبْنَــا الفُلْكَ تَهْوِي كَأَنَّهَــا
وَقَدْ ذَعِرَتْ مِنْ مَغْرِب الشَّمْسِ غِرْبَانُ
عَلَى لُجَجٍ خُضْرٍ إذَا هَبَّــتِ الصَّبَــا
تَرَامَى بنَــا فِيهَــا ثَبيــرٌ وَثَهْــلاَنُ
مَوَاثِــلَ تَــرْعَى فِي ذَرَاهَا مَوَاثِــلاَ
كَمَا عُبدَتْ فِي الجَاهِلِيَّــةِ أوْثَــانُ
وَفِي طَيِّ أسْمَــالَ الغَريب غَرَائِــبٌ
سَكَنَّ شِغَافَ القَلْب شِيبٌ وَولْــدَانُ
يُــرَدِّدْنَ فِي الأحْشَاءِ حَرَّ مَصَائِــب
تَزيــدُ ظَلاَمــاً لَيْلَها وَهْيَ نيــرَانُ
إذَا غِيــضَ مَاءُ البَحْرِ مِنْهَا مَدَدنَــهُ
بدَمْعِ عُيُــونٍ تَمْتَريهــنَّ أشْجَــانُ
وَإنْ سَكَنَتْ عَنْهَا الرِّيَاحُ جَرَى بهَــا
زَفِيــرٌ إلَى ذِكْــرِ الأحِبَّــةِ حَنَّــانُ
يَقُلْنَ وَمَوْجُ البَحْرِ وَالهَمُّ وَالــدُّجَى
تَمُــوجُ بهَــا فِينَــا عُيُــونٌ وَآذَانُ
ألاَ هَلْ إلَى الدُّنْيَا مَعَــادٌ وَهَلْ لَنَــا
سِوَى البَحْرِ قَبْرٌ أوْ سِوَى المَاءِ أكفَانُ

"

وقال في مدح منذر بن يحي التجيبي صاحب سرقسطة:

يَا عَاكِفِينَ عَلَى المُدَامِ تَنَبَّهُوا
وَسَلُوا لِسَانِي عَنْ مَكَارِمِ مُنْذِرِ
مَلِكٌ لَو اسْتَوْهَبْتَ حَبَّةَ قَلْبِهِ
كَرَماً لَجَادَ بِهَا وَلَمْ يَتَعَذرِ

ويقول فيه حين قدم إليه صاعد بن الحسن الربعي الموصلي اللغوي:

عَلاَ فَحَوَى مِيرَاثَ عَادٍ وَتُبَّعٍ
بهِمَّتِهِ العُلْيَا وَنسْبَتِهِ الدُّنْيَا
فَأعْرَبَ عَنْ أَقْوَامِ يَعْرُبَ وَاحْتَبَى
فَلَمْ يَنْسَ مِنْ هُودٍ سَنَاءً وَلاَ هَدْيَا
وَمِنْ حِمْيَرٍ رَدَّ القَنَا أحْمَرَ الذرَى
وَمِنْ سَبَأٍ قَادَتْ كَتَائِبُهُ السَّبْيَا
وَمَا نَامَ عَنْهُ عِرْقُ قَحْطَانَ إذ فَدَى
عُرُوقَ الثَّرَى مِنْ غُلَّةِ القحْطِ بالسقْيَا
وَمَا أسْكَنَتْ عَنْهُ السّكُونُ سِيَادَةً
وَلاَ رَضِيَتْ طَيٌّ لِرَاحَتِهِ طَيَّا
وَلاَ كَنَدَتْ أسْيَافُهُ مُلْكَ كِنْدَةٍ
فَيَتْرُكَ فِي أرْكَانِ عِزَّتِهَا وَهيَا

"

إلى قولـــه:

وَاهْـــدَتْ لَهُ بَغْدَادُ دِيوَانَ عِلْمِهَـــا
هَدِيَّـــة مَنْ وَالَى وَتُحْفَة مَنْ حَيَّـــا
فَكَانَتْ كَمَنْ حَيَّا الرِّيَاضَ بزَهْرِهـــَا
وَأهْدَى إلَى صَنْعَاءَ مِنْ نَسْجِهَا وَشْيَا
وَحَسْبُ رُوَاة العِلْـــمِ أنْ يَتَدَارَسُـــوا
مَآثِـــرَهُ حِفْظـــاً وَآثَـــارَهُ وَعْيَـــا
وَيَكْفِي مُلُوكَ الأرْضِ مِنْ كُلِّ مَفْخَرٍ
إذَا امْتَثلُوا مِنْ بَعْضِ أفْعَالِـــهِ شَيَّـــا
إذَا لَمَعَـــتْ زُرْقُ الأسِنَّـــةِ حَوْلَـــهُ
كَإضْـــرَامِ نيـــرَانِ الهُمُومِ حَوَالَيَـــا
وَقَد لاَذَ أبْطَـــالُ الجِـــلاَدِ بعَطْفِـــهِ
كَمَا لاَذَ أطْفَـــالُ الجَـــلاَءِ بِعِطْفَيَّـــا
وَقَد قَصَّـــرَتْ عَنْهُ رِمَـــاحُ عُدَاتِـــهِ
كَمَا قَصَّرَتْ عَنْهُم رِيَاشُ جَنَاحَيَّـــا

إلى أن يقـــول:

فَيَالَـــكِ مِنْ ذِكْرَى سَنَـــاءٍ وَرِفْعَـــةٍ
إذَا وَضَعُوا فِي التُّـــرْبِ أيْمَـــنَ شِقَيَّـــا
وَفَاحَـــتْ لَيَالِي الدَّهْـــرِ مِنِّيَ مَيِّتـــاً
فَأخْزَيْـــنَ أيَّامـــاً دُفِنْـــتُ بِهَـــا حَيَّـــا
وَكَـــانَ ضَيَـــاعِي حَسْرَة وَتَنَدُّمـــاً
إذَا لَمْ يُفِـــدْ شَيْئـــاً وَلَمْ يُغْنِنِي شَيَّـــا

"

وَأصْبحْتُ فِي دَارِ الغِنىَ عَنْ ذَوِي الغِنىَ
وَعُوِّضْتُ فَاسْتَقْبَلْــتُ أسْعَــدَ يَوْمَيــّا

سِوَى حَسْرَتَيْ عَرْضٍ وَوَجْهٍ تضَعْضَعَا
لِقَارِعَـــةِ البَلْــوَى وَكَانَــا عَتَادَيَّــا

فَيَا عَبْــرَتِي سُـــحِّي لَعَــلِّي مُبَلَّـــلٌ
بجَرْيكِ مَا أنْزَفْتُ مِنْ مَـــاءِ خَدَيَّــا

وَيَا زَفْرَتِي هَلْ فِي وَقُودِكِ جَـــذوَة
تُنيـــرُ لَنَا صُبْحاً ثَنَاهُ الأسَى مُسْيَــا

وَيَا خَلَّتِي إنْ سَوَّفَ الغَوْثُ بالْمُــــنَى
وَيَا غُلَّتِي إنْ أبْطَأَ الغَوْثُ بِالسُّقْيَــا

فَقُومَـــا إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ فَأسْعِــدَا
تَقَلُّبَ وَجْـــهِي فِي السَّمَاءِ وَكَفِّيَــا

عَسَى مَيِّتُ الأضْمَاءِ فِي رَوْضَةِ النَّدَى
سَيَرْجعُ عَنْ رَبِّ السَّمَاءِ وَقَد حُيَّــا

وَيَا أوْجُـــهَ الأحْـــرَارِ لاَ تَتَبَـــدَّلِي
بِظِـــلٍّ يَحْيَى بَعْدُ ظِـــلاً وَلاَ فَيَّـــا

ولـــه قصيـــدة طويلـــة وبديعـــة؛ في مـــدح المنصـــور ابـــن أبي عامـــر؛ عـــارض فيهـــا قصيـــدة أبي نـــواس الـــتي مطلعهـــا:

أجَـــارَةَ بَيْتَيـنَـــا أبُـــوكِ غَيُـــورُ
وَمَيْسُورُ مَا يُرْجَى لَدَيْـــكِ عَسِيـــرُ

"

فقــال القسطــلي معارضــا:

أَلَمْ تَعْلَــمِي أنَّ الثَّــوَاءَ هُوَ التَّــوَى
وأنَّ بُيُــوتَ العَاجزيــنَ قُبُــورُ
تُخَوِّفُــنِي طُــولَ السِّفَــار، وَإِنَّــهُ
لِتَقْبيــلِ كَــفِّ العَامِــرِيِّ سَفِيــرُ
ذَرِيــنِي أَرِدْ مَــاءَ المَفَــاوز آجنــاً
إِلَى حَيْثُ مَــاءُ المَكْرُمَــاتِ نَمِيــرُ
فَإِنَّ خَطِيــرَاتِ المَهَالِــكِ ضُمَّــنٌ
لِرَاكِبِهَــا أَنَّ الجَــزَاءَ خَطِيــرُ

ثــم يتطــرق فيهــا لــوداع زوجتــه وابنــه الصغيــر، بأسلــوب رائــع؛ قــال عنــه ابــن بســام: **((بمــا لا شبيــه لــه، ولا نظيــر، ولا مثيــل، ولا عديــل)).**

وَلَمَّــا تَدَانَتْ لِلْوَدَاعِ وَقَدْ هَفَــا
بِصَبْــرِيَ مِنْهَــا أَنَّــة وَزَفِيــــرُ
تُنَاشِدُنِي عَهْدَ المَــوَدَّةِ وَالهَــوَى
وَفِي المَهْدِ مَبْغُــومُ النِّــدَاءِ صَغِيــرُ
عَيِيٌّ بِمَرْجُوعِ الخِطَابِ وَلَفْظُــهُ
بِمَوْقِــعِ أَهْــوَاءِ النُّفُــوسِ خَبِيــرُ
تَبَــوَّأَ مَمْنُوعَ القُلُــوب وَمُهِّــدَتْ
لَــهُ أَذرُعٌ مَحْفُوفَــة وَنُحُــورُ

"

فَكُــلُّ مُفَــدَّاة التَّرَائِــب مُرْضِــعٌ
وَكُــلُّ مُحَيَّــاَةِ المَحَاسِــنِ ظِيــرُ
عَصَيْتُ شَفِيعَ النَّفْسِ فِيهِ وَقَــادَني
رَوَاحٌ بِتَــدْآب السُّــرَى وَبُكُــورِ
وَطَارَ جَنَاحُ البَيْنِ بي وَهَفَــتْ بهَــا
جَوَانحُ مِنْ ذُعْــرِ الفِــرَاقِ تَطِيــرُ
لَئِــنْ وَدَّعَتْ مِنِّي غَيُــوراً فَإنَّــني
عَلَى عَزْمَتِي مِنْ شَجْوِهَــا لَغَيُــورُ
وَلَوْ شَاهَدَتْــني وَالهَوَاجِــرُ تَلْتَــظِي
عَلَيَّ وَرَقْــرَاقُ السَّــرَاب يَمُــورُ
أسَلِّطُ حَــرَّ الهاجِــرَاتِ إذَا سَطَــا
عَلَى حُرِّ وَجْهِي وَالأصِيــلُ هَجِيــرُ
وَأسْتَنْشِقُ النَّكْبَــاءَ وَهيَ بَــوَارحٌ
وَأسْتَوْطِئُ الرَّمْضَــاءَ وَهِيَ تَفُــورُ
وَلِلْمَوْتِ فِي عَيْنِ الجَبَــانِ تَلَــوُّنٌ
وَلِلذعْرِ فِي سَمْعِ الجَــرِيءِ صَفِيــرُ

ــ ثــم **أبــو إسحــاق إبراهيــم بــن وَزَمَّــر الحجــاري الصنهــاجي** (مــن أعــلام النصــف الأول مــن القــرن الخامــس للهجــرة)؛ هــو جــد عبــد اللــه صاحــب كتــاب المسهــب الآتي ذكــره. وهــو مــن مدينــة الفــرج بــوادي الحجــارة؛ وقــد صنــف للأميــر المأمــون بــن ذي النــون الهــواري (الأميــر عــلى

"

طليطلة وشرق الأندلس) كتاب مغنطيس الأفكار فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النَّظْم، والنثر، والأخبار. وكان إبراهيم هذا مولعا بالتاريخ، والأدب، وله أشعار متناقلة بين الناس؛ منها:

لَئِنْ كَرِهُوا يَوْمَ الوَدَاعِ فَإِنَّني
أهِيمُ بِهِ وَجْداً لأَجْلِ عِنَاقِهِ
أصَافِحُ مَنْ أهْوَاهُ غَيْرَ مُسَاتِر
وَسِرُّ التَلاقِي مُوَدَّعٌ فِي فِراقِه

ويقول أيضا:

ألاَ إنَّهَا وَاللَّهِ إحْدَى الكَبَائِر
تَعُقُّونَ أسْلافاً لَكُمْ بِالمَآثِر
مَتَى كَانَ مِنْكُمْ مَنْ يَجُودُ لِقَاصِدٍ؟
مَتَى كَانَ مِنْكُم مَنْ يَهَشُّ لِشَاعِرٍ

وفي رد على أبيات لابن عائش؛ في يوم صحو بعد مطر؛ قال:

لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ وَلَوْ أنَّنِي
أسْعَى عَلىَ الرَّأسِ إلىَ مِصْرِ
فَكَيْفَ وَالدَّارُ جِوَارِي وَمَا
عِنْدِيَ مِنْ شُغْلٍ وَلاَ عُذْرِ

"

وَلَو غَـــدَا لِي أَلْـــفُ شُغْـــلٍ بـــلاَ
عُـــذْرٍ تَرَكْـــتُ الْكُـــلَّ لِلْحَشْـــرِ
وَكُلَّمَـــــا أَبْصَـــــرَنِي نَاظِـــــرٌ
بِبَابِكُـــمْ عَظَّـــمَ مِـــنْ قَـــدْرِي
أَنَـــا الَّـــذِي يَشْرَبُهَـــا دَائِمـــاً
مَا حَضَرَتْ فِي الصَّحْـــوِ وَالقَطْـــرِ
وَلَيْـــسَ نَـــقْـــلِي أَبَـــداً بَعْدَهَـــا
إلاَّ الَّـــذِي تَعْهَـــدُ مِـــنْ شُكْـــرِي

ويمدحـــه بقولـــه:

لَوْ كَانَ ثَانٍ فِي النَّدَى لاَبْنِ عَائِشٍ
لَمَا كَانَ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ أَخُو فَقْرِ
يَهَشُّ إلىَ الأَمْدَاحِ كَالْغُصْنِ لِلصَّبَـــا
وَبِشْـــرُ مُحَيَّاه يَنُـــوبُ عَنِ الزَّهْـــرِ
فَيَـــا رَبِّ زِدْ عُمْـــرَه إنَّ عُمْـــرَهُ
حَيَاة أُنَـــاسٍ قَدْ كُفُوا كُلْفَةَ الدَّهْـــرِ

ــ ثـــم **عبـــد الرحمـــن بـــن محمـــد بـــن أحمـــد القرطـــبي الصنهـــاجي** المعـــروف بابـــن اللَّبـــان (ت: سنـــة 480هـــ/1087م)؛ كـــان مـــن العلمـــاء المستنيريـــن المتفوقيـــن؛ متمكـــن مـــن أدوات علمـــه.

"

ـ ثم **أبو بكر زاوي بن مناد بن عطية ابن المنصور الصنهاجي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو فقيه ومحدث؛ ولي خطة القضاء، وله مؤلفات.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن وَزَمَّر الحجاري الصنهاجي** (كان حيا قبل سنة 480هـ/1087)؛ هو عم عبد الله صاحب المسهب؛ له كتاب بعنوان: الحديقة في البديع. وكان أديبا، وشاعرا؛ من شعره:

وَشَادِنٍ يُنْصِفُ مِنْ نَفْسِهِ
أمَّنَنِي مِنْ سَطْوَةِ الدَّهْرِ
يَنَامُ لِلشُّرْبِ عَلَى جَنْبِهِ
وَيَصْرِفُ الذنْبَ إلَى الخَمْرِ

ومما قاله في أبي بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية:

رُدُّوا عَلَيَّ رِكَابَهُمْ بالأجْرَعِ
حَتىَّ يُقَضِّي الشَّوْقُ حَقَّ مُوَدِّعِ
وَأَبُثُّهُمْ مَا قَدْ أثَارُوا مِنْ جَوًى
بِفِرَاقِهِمْ وَاسْتَقْطَرُوا مِنْ أدْمُعِ

"

وقوله في فرس:

وَمُسْتَبِقٍ يَحَارُ الطَّرْفُ فِيهِ
وَيَسْلَمُ فِي الكِفَاحِ مِنَ الجِمَاحِ
كَأنَّ أدِيمَهُ لَيْلٌ بَهِيمٌ
تَحَجَّلَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الصَّبَاحِ
إذَا احْتَدمَ التَسَابُقُ صَارَ جَرْماً
تَقَلَّبَ بَيْن أجْنِحَةِ الرِّيَاحِ

وسأله ابن أخيه عبد الله (صاحب المسهب) عن أفضل من لقي من الأعيان؛ فنوه بالوزير أبي بكر بن عبد العزيز، والمعتمد ابن عباد. وقال له بأنه قصد ابن عباد؛ عندما كان يشارك يوسف بن تاشفين غزواته ضد النصارى؛ فرفع إليه قصيدة جاء فيها:

لاَ رَوَّعَ اللَّهُ سِرْباً فِي رِحَابِهِمُ
وَإنْ رَمَوْنِي بِتَرْوِيعٍ وَإبْعَادِ
وَلاَ سَقَاهُمْ عَلىَ مَا كَانَ مِنْ عَطَشٍ
إلاَّ بِبَعْضِ نَدَى كَفِّ ابْنِ عَبَّادِ
ذِي الَمكْرُمَاتِ التِي مَا زَلتْ تسْمَعُهَا
أنْسُ الُمقِيمِ وَفِي الأسْفَارِ كَالزَّادِ
يَا لَيْتَ شِعْرِيَ مَاذا يَرْتضِيهِ لِمَنْ
نَادَاهُ يَا مَوْئِلِي فِي جَحْفَل النَّادِي

"

وقال لابن أخيه: ((وكنت ممن زاره بسجنه بأغمات؛ وحملتني شدة الحمية له، والامتعاض لما حل به أن كتبت على حائط سجنه متمثلا:

فَإِنْ تسْجُنوا القَسْرِيَّ لاَ تسْجُنوا اسْمَهُ
وَلاَ تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي القَبَائِلِ

ثم تفقدت الكتابة بعد أيام؛ فوجدت تحت البيت: لذلك سجناه [البيت للمتنبي]:

وَمَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغامَ فِي الصَّيْدِ بَازُهُ
تَصَيَّدَهُ الضِّرْغامُ فِيمَا تَصَيَّدَا

فما أدري من جاوب بذلك. ثم عدت له ووجدته قد محي؛ وأعلمت بذلك ابن عباد؛ فقال: صدق المجاوب؛ وأنا الجاني على نفسه، والحافر بيده لرمسه؛ ولما أردت وداعه أمر لي بإحسان على قدر ما استطاع؛ فارتجلت:

آلَيْتُ لاَ أقْبَلُ إحْسَانَكُمْ
وَالدَّهْرُ فِيمَا قَدْ عَرَاكُمْ مُسِي
فَفِي الَّذِي أسْلَفْتُمُ غُنْيَةٌ
وَإِنْ يَكُنْ عِنْدَكُمُ قَدْ نُسِي

"

قال: وفيه أقول من قصيدة:

يَا طَالِبَ الإنْصَافِ مِنْ دَهْرِهِ
طَلَبْتَ أمْراً غَيْرَ مُعْتَادِ
فَلَوْ يَكُونُ العَدْلُ فِي طَبْعِهِ
لَمَا عَدَا مُلْكَ ابْنِ عَبَادِ)).[1]

ـ **ثم المظفر بالله عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس التلكاتي الصنهاجي** (توفي بالسوس الأقصى بعد سنة 483هـ/1090م)؛ خلف جده باديس سنة 460هـ/1067م؛ في إمارة غرناطة، وأسند إمارة مالقة إلى أخيه تميم. وكان عبد الله أديبا بليغا، وشاعرا مطبوعا، وله خط رائع؛ نسخ بخطه الجميل القرآن الكريم، وله أيضا كتاب التبيان؛ هو عبارة عن مذكرات، وتاريخ للأحداث التي عاصرها؛ قام بتحقيقه، وطبعه ليفي بروفنسال بعنوان: مذكرات الأمير عبد الله.

ـ **ثم أبو يحيى تميم بن المعز بن باديس ابن المنصور التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 501هـ/1107م)؛ وهو من سلاطين الدولة الزيرية بإفريقية. لما انتصب على سدة الحكم؛ وجد

[1] نفح الطيب، ج: 3، ص ص: 571 ـ 572.

"

الدولة تعاني من بعض الاضطراب، والخلل؛ نتيجة لعبث القبائل الهلالية؛ فنهض لإصلاح الحال، وضبط الأوضاع؛ فتم له تحقيق ذلك؛ باستعادة سوسة، وتونس، وصفاقس؛ ولكن شاءت الأقدار أن يهاجمه الإفرنج خلال حملاته الترميمية؛ فلم يتركوا له الوقت الكافي؛ لاستعادة الأنفاس؛ فاستولوا ـ في عهده ـ على المهدية، وصقلية؛ ومع هذا لم تلن عزيمته؛ إذ تغلب ـ فيما بعد ـ على حملة شنها ضده الإيطاليون. وكان ـ إلى جانب ممارسته للحكم ـ أديبا، وشاعرا؛ وله ديوان شعر ضخم. هذا وقد طالت فترة حكمه؛ إذ وصلت إلى 46 سنة. وخلف من الأولاد، والأحفاد الذكور حوالي الثلاثمائة. قال فيه ابن عذاري: ((**كان رحمه الله شهما، شجاعا، حازما، عازما؛ يستصغر صعاب الأمور، ويستهل عظائم الخطوب؛ ويغلب عليه شدة البطش، والمبادرة؛ وهو أحد فحول شعراء الملوك؛ وذوي السبق، والتقدم في معانيه، وبدائعه؛ حوى فيه الجودة، والكثرة. وله ديوان كبير من شعره**

"

مشهـــور)).[1] وقـــد أورد العمـــاد الأصفهـــاني مجموعـــة مـــن أشعـــاره في كتابـــه خريـــدة القصـــر؛ منهـــا:

مَا اخْتَلَفَ الصُّبْحُ وَالْمَسَـــاءُ
وَأَنْفِـــذَ الحُكْمُ وَالقَضَـــاءُ
إلاَّ وَلِلَّـــهِ فِيـــهِ سِـــرّ
يَحْكُم فِي الخَلْقِ مَا يَشَـــاءُ

ومـــن شعـــره أيضـــا:

وَجْـــهٌ هُوَ البَـــدْرُ الْمُنِيـــرُ وَقامَـــة
كَالغُصْنِ مَـــاسَ نَضَـــارَة وَشَبَابَـــا
يَسْقِيكَ مِنْ حَلَبِ العَصِيـــرِ مُدَامَـــة
وَمِـــنَ الْمُؤَشَّـــرِ مَسْكَـــة وَرُضَابَـــا
غَنَّـــتْ وَكَاسَاتُ الْمُـــدَامِ مُـــدَارَة
عَـــذُبَ الوصَالُ لَنَـــا بهنَّ وَطَابَـــا
كَـــأسٌ مِنَ الذهَبِ السَّبِيكِ تَضُمـــهُ
قَصَـــبُ اللُّجَيْـــنِ تَعَمَّمَتْ عُنَّابَـــا

ومنـــه أيضـــا:

سُعَـــادٌ قَـــد أَلَمَّـــتْ بي سَتَمْحُو البُعْدَ بالقُـــرْبِ
كَبَـــدْرٍ تَحْتَـــهُ غُصْـــنٌ عَلىَ حِقْفٍ مِنَ الكُثْـــبِ
فَحَلَّتْ فِي حِمَى قَلْـــبِي عَلىَ التَأهِيلِ وَالرَّحْـــبِ

---

[1] البيان المغرب،ج: 1، ص: 303.

"

ومنـــه قولـــه:

وَجَاهِلَـــةٍ بِالحُبِّ لَمْ تَـــدْرِ طَعْمَـــهُ
وَقَدْ تَرَكَتني أعْلَمَ النَّاسِ بـــالحُـــبِّ
قَامَـــتْ عَلىَ قَلْبِي رَقِيباً وَحَارِســـاً
فليـــسَ لِدَانٍ مِنْ سِوَاهَا إلىَ قَلـــبِي
أدَرْتُ الهَوَى حَتَّ إذَا صَارَ كَالرَّحَـــا
جَعَلـــتُ لَهُ قَلْبي بِمَنْزِلـــةِ القُطْـــبِ

وقولـــه كذلـــك:

مَا العَيْـــشُ إلاَّ مَعَ التَّهْجيرِ وَالدُّلَـــجِ
أوِ المُـــدَامِ وَصَـــوْتُ الطَّائِرِ الهَـــزِجِ
والشُّرْبُ بَيْنَ الغَوَانِي وَالقِيَانِ مَعـــاً
فَـــإنَّ أوْجُهَهَـــا تُغْنِي عَنِ السُّـــرُجِ
وَالقَصْرُ وَالبَحْرُ وَالبُسْتَانُ فِي نَسَـــقٍ
وَنَحْنُ فِي مُشْرِفٍ مِنْ مَنْظَرٍ بَهَـــجِ
وَالكَـــأسُ دَائِـــرَة فِي كَفِّ غَانِيَـــةٍ
بَيْضَاءُ فِي دَعَجٍ صَفْـــرَاءُ فِي نَعَـــجٍ
أقُـــولُ وَالكَأسُ تَزْهَى فِي أنَامِلِهَـــا:
رِفْقاً عَلىَ هَـــذِهِ الأرْوَاحِ وَالمُهَـــجِ
اللـــه فِي مُذْنِـــفٍ أوْدَى بِمُهْجَتِـــهِ
طَـــرْفٌ تَقَلَّبَ بَيْنَ السِّحْرِ وَالغَنَـــجِ
كَمْ حُجَّـــة لِي وَلَكِنْ لَيْسَ يَقْبَلُهَـــا
لَوْ كَانَ يَنْتَفِعُ المُشْتَـــاقُ بِالحُجَـــجِ

"

وقـــال في منافـــق:

رَأيْتُـــكَ قَاعِداً عَـــنْ كُـــلِّ خَيـــر
وَأَنْـــتَ الشَّهْمُ فِيً قَالُـــوا وَقُلْـــتُ
وَطَـــرَّاراً لَـــهُ لُطْـــفٌ وَحِـــذقٌ
وَأَلْفَـــــاظٌ يُنَمِّقُهَـــا وَسَمْـــــتُ
وَثِقْـــتُ إلَيْـــهِ مِنْ حَسَب وَبَيْـــتٍ
وَلَـــوْلاَ ذَاكَ مِنْـــهُ مَـــا وَثِقْـــــتُ
وَقدْ يَعِدُ الوُعُـــودَ وَلَيْـــسَ يُـــوفِي
وَلَيْـــسَ بقَائِـــلِ يَوْمـــاً فَعَلْـــــتُ
كَخَـــزِّ المَاءِ فَـــوْقَ المَـــاءَ طَـــافٍ
يَـــرُوقُ وَمَالُـــهُ أصْـــلٌ وَنَبْـــــتُ
كَذلِـــكَ زَهْـــرَةَ الدفْـــلىَ تَرَاهَـــا
تُشَوِّقُ العَيْنَ حُسْنـــاً وَهيَ سُحْـــتُ

وقـــال:

فَنَـــادِ بِمَسْمَعَيْـــكَ لِـــكَيْ يُغَنُّـــوا
وَحُـــثَّ العُـــودَ مِنْ بَـــمٍّ وَزِيـــرِ
وَلاَ تَشْـــرَبْ بِـــلاَ طَـــرَب فَـــإنِّي
رَأيْـــتُ الخَيْـــلَ تَشْرَبُ بِالصَّفِيـــرِ

ويقـــول أيضـــا:

إنْ نَظـــرَتْ مُقْلـــتِي لِمُقْلَتِهَـــا
تَعْلَـــمُ مِمَّـــا أرِيـــدُ فَحْـــواهُ

"

كَأَنَّهَـــا فِي الفُـــؤَادِ نَاظِـــرَة
تَكْشِـــفُ أَسْـــرَارَهُ وَنَجْـــوَاهُ

ويقـــول في أخـــرى:
سَلِ المَطَرَ العَـــامَّ الَّذِي عَمَّ أَرْضَكُمْ
أَجَاءَ بِمِقْدَار الَّذِي فَاضَ مِنْ دَمْـــعِي
إذا كُنْتَ مَطْبُوعاً عَلىَ الصَّدِّ وَالجَفَا
فَمِنْ أَيْنَ لِي صَبْرٌ فَأَجْعَلَـــهُ طَبْـــعِي

ويقـــول أيضـــا:
وَخَمْـــرٍ قَدْ شَرِبْتُ عَلىَ وُجُـــوهٍ
إِذَا وُصِفَتْ تُجَـــلُّ عَنِ القِيَـــاسِ
خُـــدُودٌ مِثْـــل وَرْدٍ فِي ثُغُـــور
كَـــدُرٍّ فِي شُعُـــورٍ مِثْـــلُ آسِ
ويقـــول:
فَكَّرْتُ فِي نَارِ الجَحِيم وَهَوْلِهَـــا
يَـــا وَيْلَتَـــاهُ وَلاَتَ حِيـــنَ مَنَـــاصِ
فَدَعَوْتُ رَبِّي أَنَّ خَيْـــرَ وَسَائِـــلِي
يَـــومَ المَعَـــادِ شَهَـــادَةَ الإِخْـــلاَصِ

وقـــال كذلـــك:
لَهَا وَجْـــهٌ لَهَـــا شَعَـــرٌ كَمِثْلْ الرُّومِ وَالزِّنْـــجِ
لَهَا جَفْنَـــانِ قَدْ شُحِنَـــا بِنَبْلِ السِّحْرِ وَالغُنْـــجِ

"

لَهَا ثَغْرٌ لَهَا رِيقٌ كَمِثْلِ الخَمْرِ وَالبُنْجِ
لَهَا نَهْدَانِ قَدْ نَجُمَا كَنَابَيْ فِيلِ شِطْرَنْجِ

ومما قال أيضا:

أيَا مَنْ وَجْهُهُ حُلْوُ وَيَا مَنْ قَلْبُهُ خِلْوُ
وَيَا مَنْ لَحْظُهُ سُكْرُ وَيَا مَنْ لَفْظُهُ صَحْوُ
وَيَا مَنْ قَدُّهُ غُصْنُ نَمَاهُ الدِّلُّ وَالزَّهْوُ
لَقَدْ أصْبَحْتَ ذَا جَوْرٍ عَلَى مَنْ جِسْمُهُ نِضْوُ
وَقَدْ طَالَتْ مَوَاعِيدِي هَذَا مِنْكِ بِي لَهْوُ
فَإنْ كُنْت أخَا ذَنْبٍ أمَا عِنْدَكَ لِي عَفْوُ

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن إبراهيم بن وَزَمَّر الحِجاري الصنهاجي** (ت: سنة 520هـ/1126م)؛ كان كاتبا ماهرا، وشاعرا مجيدا، يحب الرحلة، والانتقال عبر البلاد، والأوطان. يلقبه أدباء الأندلس ومؤرخوها بحافظ الأندلس، وإمام الأدباء، وبجاحظ الأندلس. ومن مؤلفاته كتاب المُسْهَبْ في فضائل المغرب؛ الذي كان هو الأساس، والقاعدة التي أنجز عليها كتاب المُغْرِبْ في حُلىَ المَغْرِبْ. وقد بدأه عبد الله الحجاري بستة أسفار؛ انطلق فيها من أحداث فتح الأندلس؛ إلى عام 530هـ/1135م؛ السنة التي شرع فيها بكتابة الكتاب؛ وكان

"

تاريخا للسياسة، والفكر، والأدب، والأعلام؛ وانتهى منه في غرة عام 641هـ/1243م. وكتابته حدثت صدفة؛ بعد أن طلب منه عبد الملك ابن سعيد (صاحب قلعة بني سعيد) أن يصنف له كتابا يشمل ما يعرفه من التاريخ، والأدب، والأدباء في ديار المغرب، والأندلس؛ فأنجز ذلك المشروع الأدبي الهام؛ فأعجب به عبد الملك؛ وكان لا يترك قراءته أبدا؛ بل أضاف إليه ما يعرفه هو؛ ثم توارثه: ولده، وأحفاده (أحمد، ومحمد، وموسى، وعلي) فكانوا يتولونه بالعناية، والتنقيح، والإضافة؛ طوال فترة زمنية تصل إلى مائة وخمسة عشر عاما؛ حتى أصبح كما عرفه أهل التاريخ، والأدب؛ في زمن سابق؛ لأن ما هو معروف الآن؛ ليس سوى قسم صغير منه؛ نشرة شوقي ضيف تحت عنوان: المُغْرِبْ فِي حُلىَ المَغْرِبْ. وجاء في الأخبار أن عبد اللـه الحجاري عندما قدم أول مرة على عبد الملك استخف به البوابون وازدروه بسبب زي البداوة التي كان عليه؛ فكتب إليه رقعة طلب فيها المثول بين يديه؛ وسجل فيها مطلع قصيدته التي أراد أن يلقيها أمامه؛ وهي:

"

عَلَيْكَ أحَالَنِي الذكْرُ الجَمِيلُ

ولما قرأ الرقعة، ومطلع القصيدة؛ أمر الحراس بإدخاله. وعندما دخل لم يبادر إلى السلام، والتحية ــ كما جرت العادة ــ بل ظل واقفا في صمت؛ يجيل النظر فيهم. وقد وصف المقّري ذلك الموقف بقوله: **((فاستثقله الحاضرون، واستبردوا مقصده؛ ونسبوه للجهل، وسوء الأدب. فقال له أحدهم: مالك لا تسلم على القائد، وتدخل مداخل الأدباء، والشعراء؟ فقال: حتى أُخجل جميعكم قَدْرَ ما أخجلتموني على الباب مع قوم أنذال، وأعلم أيضا من هو الكثير الفضول من أصحاب القائد أعزه الله تعالى؛ فأكون أتقيه إن قدر لي خدمته. فقال له عبد الملك: أتأخذنا بما فعل السفهاء منا؟ قال: لا، والله؛ بل أغفر لك ذنوب الدهر أجمع؛ إنما هي أسباب نقصدها لنحاور بها مثلك؛ أعزك الله تعالى، ويتمكن التأنيس، وينحل قيد الهيبة)).**[1]
وبعدها أنشده قصيدته المطولة؛ دون ورقة؛ وهي التي يقول فيها:

---

[1] نفح الطيب، ج: 4، ص: 123.

"

عَلَيْــكَ أحَالَنِي الذكْــرُ الجَمِيــلُ
فَجئْــتُ وَمِنْ ثَنَائِــكَ لِي دَلِيــل
أتَيْــتُ وَلَــمْ أقَــدِّمْ مِنْ رَسُــول
لأنَّ القَلْــبَ كَانَ هُــوَ الرَّسُــول

إلى أن يقــول:

وَوَدَّعْــتُ الحَبِيــبَ بغَيــرِ صَبْــر
فَصَــحَّ العَــزْمُ وَاقْتُضِيَ الرَّحِيــلُ
وَأسْبَلْــتُ الظَّــلاَمَ عَــلَيَّ سِتْــرا
وَنَجْــمُ الأفْــقِ نَاظِــرُهُ كَلِيــلُ
وَلَمْ أشْــكُ الهَجيــرَ وَقَدْ دَعَــانِي
إلَى أرْجَائِــكَ الظِّــلُّ الظَّلِيــلُ

ثــم يشيــر إلى شكلــه البــدوي:

أجِلْ طَرْفــاً لــَدَيَّ فَــإنَّ عِنْــدِي
مِــنَ الآدَابِ مَا يَحْــوِي الخَلِيــلُ
وَمَثِّلْــنِي بــِدَنٍّ فِيــــهِ سِــــرٌ
يَخِــفُّ بِــهِ وَمَنْظَــرُهُ ثَقِيــــلُ

ومــن شعــره الجيــد:

مَلِــكٌ طُفَيْلِيُّ السَّمَــا
حِ عَلىَ الأقَــارِبِ وَالأبَاعِــدْ

"

مَــا فُرِّجَـــتْ أبْوَابُــهُ
إلاَّ تَفَرَّجَــــــتِ الشَّدَائِــــــدْ

ومـــن شعـــره أيضـــا:
كَمْ بـِـتُّ مِنْ أسْرِ السُّهَـــادِ بلَيْلَــةٍ
نَادَيْتُ فِيهَا هَلْ لِجُنْحِــكِ آخِــرُ
إذْ قَامَ هَذَا الصُّبْــحُ يُظْهِــرُ مِلَّــة
حَكَمَتْ بِأَنْ ذُبـِـحَ الظَّلاَمُ الكَافِــرُ

وممـــا قالـــه في بـــني سعيـــد:
زَارَتْــكَ فِي اللَّيْــلِ البَهِيــمْ
كَالغُصْـــنِ يَثْنِيـــهِ النَّسِيـــــمْ
سَلَبَـــتْ ظَـــلاَمَ اللَّيــلِ مَــا
أبْصَرْتَ فِي العِقْــد النَّظِيــمْ
فَلِــذَاكَ أمْـــسَى عَاطِـــــــ
ـــلُ الآفَاق مُسْـــوَدَّ الأدِيــمْ
لَــوْلاَ المُــدَامُ لَمَـــا اهْتَــدى
فِيـــهِ إلَى كَـــأسٍ نَدِيــــمْ

ويقـــول أيضـــا:
قَـــوْمٌ لَهُـــمْ فِي فَخْرِهِـــمْ
شَرَفُ الحَدِيـــثِ مَعَ القَدِيـــمْ

"

وَرِثُــوا النَّدَى وَالبَأسَ وَالــ
ــعَلْيَــا كَرِيمــاً عنْ كَرِيــمْ
مِــنْ كُــلِّ وَضَّــاحٍ بِــهِ
يُجْــلىَ دُجَى اللَّيْــلِ البَهِيــمْ

وقــال فيهــم أيضــا:
وَجَدْنَا سَعِيداً مُنْجباً خَيــْرَ عُصْبَــةٍ
هُــمُ فِي بَنِي أزْمَانِهِــمْ كَالَموَاسِــمِ
مُشَنَّفَــة أسْمَاعُهُــمْ بفضَائِــــلٍ
مُسَــوَّرَةَ أيْمَانُهُــمْ بِالصَّـــوَارِمِ
فَكَمْ لَهُمْ فِي الحَرْب مِنْ فَضْلِ نَاثِــرٍ
وَكَمْ لَهُمْ فِي السِّلْمِ مِنْ فَضْلِ نَاظِــمِ

وكتــب إلى القــاضي أبــو عبــد اللــه محمــد اللــوشي؛ يطلــب منــه مــده بأشعــار لــه؛ لــكي يدرجهــا في كتــاب المسهــب؛ فلــم يلــبي طلبــه؛ فأرســل إليــه أبياتــا يلومــه فيهــا:
يَا مَانعاً شِعــْرَهُ عَنْ سَمْعِ ذِي أدَب
نَائِي المَحَلِّ بَعِيدِ الشَّخْصِ مُغْتَــرِبِ
يَسِيــرُ عَنــْكَ بِهِ فِي كُلِّ مُتَّجَــهٍ
كَمَا يَمُرُّ نَسيــمُ الرِّيــحِ بِالعَــذبِ
إنِيِّ وَحَقِّــكَ أهْــلٌ أنْ أفُوزَ بِــهِ
وَاسْــألْ فَدَيتكَ عَنْ ذَاتِي وَعَنْ أدَبِي

"

فأجابه؛ مع ما بعث إليه من أعمال الشعرية:

يَا طَالِباً شِعْرَ مَنْ لَمْ يَسْمُ فِي الأدَب
مَاذَا تُرِيدُ بِنَظْمٍ غَيْرَ مُنْتَخَبِ
إنِّي وَحَقِّكَ لَمْ أبْخَلْ بِهِ صَلَفاً
وَمَنْ يَضِنُّ عَلىَ جيدٍ بِمخْشَلَبِ
لَكِنَّنِي صُنْتُ قَدْري عَنْ روَايَتِهِ
فَمِثْلُهُ قَلَّ عَنْ سَامٍ إلىَ الرُّتَبِ
خُذْهُ إلَيْكَ كَمَا أكْرِهْتُ مُضْطَرِباً
مُحَلِلاً ذَمَّ مَوْلاَهُ مَدَى الحِقَبِ

ولما أراد إبراهيم الحجاري الانتقال إلى جهة أخرى من البلاد ــ لولوعه بالسفر، وحبه للرحلة ــ عذله عبد الملك عن التحول عنه؛ فأجابه بأبيات:

يَقُولُونَ لِي مَاذَا المَلاَلُ تُقِيمُ فِي
مَحَلٍ فَعِنْدَ الأنْسِ تَذْهَبُ رَاحِلاَ
فَقُلْتُ لَهُمْ مِثْلُ الحَمَامِ إذَا شَدَا
عَلىَ غُصْنٍ أمْسَى بِآخَرَ نَازِلاَ

وكانت وجهته؛ بعد قلعة بني سعيد (أو قلعة يَحْصب كما تسمى أيضا)؛ نحو رُوطة حاضرة الأمير المستنصر بن هود. حيث اقتادته

"

المقادير إلى نكبته المعروفة؛ إذ سقط أسيرا في أيدي النصارى؛ عندما شارك في غزوة شنها ابن هود عليهم. ومن هنا بدأت صفحة جديدة من حياته كأسير في بسقاية؛ فأرسل سيلا من الأشعار إلى ابن هود يستعطفه، ويحثه على خلاصه؛ ولكن دون جدوى. فراسل عبد الملك بن سعيد؛ ومما كتب إليه:

أرَئِيسَ الزَّمَانِ أغْفَلْتَ أمْرِي
وَتَلَذذْتَ تَاركاً لِي بأسْرِ
مَاكَذَا يَعْمَلُ الكِرَامُ وَلَكِنْ
قَدْ جَرَى عَلىَ المُعَوَّدِ دَهْرِي

فاستجاب له عبد الملك وافتداه؛ فأضحى بذلك؛ طليق بني سعيد.

ـ ثم **أبو يحيى عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصنهاجي** (ولد بغرناطة سنة 521هـ/1127م)؛ من حفاظ كتاب الله؛ الملتزمين به. أشتهر بالفضل، والزهد، والمعرفة، والأدب.

ـ ثم **أبو عمر ميمون بن ياسين اللمتوني الصنهاجي** (توفي بإشبيلية سنة 530هـ/1135م)؛ كانت له رحلة إلى مكة للحج، والتزود بالعلم؛ وهو من المهتمين برواية الحديث؛ وقد

"

اشترى صحيح البخار: الأصل الخاص بأبي ذر الهروي؛ من ابنه أبي مكتوم بمبلغ كبير من المال؛ وأحضره معه إلى بلاد المغرب.

ـ ثم **أبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي** (توفي بمراكش سنة 535هـ/1140م)؛ وهو من الفقهاء الحفاظ، وكان عالما بالمسائل، والأحكام؛ متمكنا من معارفه؛ ولي القضاء بمراكش فكان من أجل القضاة في زمنه.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن مفرج بن سليمان الصنهاجي** (ت: سنة 536هـ/1141م)؛ وهو من الفقها.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن يوغان الصنهاج** (توفي بتلمسان سنة 537هـ/1142م)؛ وهو من الزهاد الصوفيين.

ـ **أبو بكر بن علي الصنهاجي** الملقب بالبيذق (ربما كانت وفاته في حدود سنة 555هـ/1160م)؛ اشتهر من خلال كتابه الذي سرد فيه أخبار المهدي ابن تومرت، وعبد المؤمن بن علي. وكان قد اكتشفه ليفي بروفنسال، ونشره سنة 1347هـ/1928م.

"

ـ ثم **عز الدين بن محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس** (كان حيا سنة 571هـ/1175م)؛ أديب، ومؤرخ؛ من مؤلفاته كتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان.

ـ ثم **الأمير عبد الرحمن بن زيري الصنهاجي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ أديب وشاعر؛ من شعره هذه القصيدة التي بعثها إلى الأمير ساكن بن عامر بن محمد بن عسكر الهلالي في دمشق؛ وكان ذلك الأمير قد وعده بكتاب:

سَرَى البَرْقُ مِنْ عَلْيَا مَعَالِمِ قَابِسِ
وَفِي القَلْبِ مِنْ لَمْعِ البُرُوقِ كَوَامِنُ
يَذكِّرُنِي عَهْدِي بِهَا وَمَنَازِلِي
بسَاحَتِهَا وَالحَادِثَاتُ سَوَاكِنُ
وَنَحْنُ عَلَى تِلْكَ المَوَاطِنِ وَالرُّبَى
نُزُولٌ وَوَشْكُ البَيْنْ بِالوَصْلِ بَائِنُ
أخَادِعُ عَنْ سُكَانِهَا الدَّهْرَ وَحْدَهُ
كَأَنِّي لِمَا يَأتِي بِهِ الدَّهْرُ ضَامِنُ
وَلَمَّا سَرَى البَرْق الَّذِي ذكَرَ الصِّبَا
تَأوَّهْتُ شَوْقاً وَالدُّمُوعُ هَوَاتِنُ
وَنَادَيْتُ مِنْ عُلْيَا هِلاَل بْنِ عَامِرِ
فَتىً صَادِقَ الدَّعْوَى إذا مَانَ مَائِنُ

"

نَمَتْــه رِيَــاحٌ مِنْ صَلِيبَــةِ فَــادع
لآلِ عَلِيٍّ وَهْــوَ لِلْمَجْــدِ صَائِــنُ
وَحَلَّتْ بَنُــو دَهْمَانَ مِنْــهُ بعَشْــوَةٍ
وَعَــزَّ بهِ بَيْــنَ الأفَاضِــلِ ظَاعِــنُ
فَمَــا هُوَ إلاَّ فِي ذُرَى آلِ عَسْكَــرِ
لِعَامِرِهِمْ نَجْــلٌ وَذَلِــكَ سَاكِــنُ

ـ ثــم **أبــو العبــاس أحمــد بــن محمــد بــن مــوسى ابــن عطــاء اللــه الصنهــاجي** المعــروف بابــن العريــف (تــوفي بمراكــش سنــة 536 أو 538هــ/ 1141م أو 1143م)؛ وهــو مــن المتصوفيــن الزهــاد بالمريــة؛ وكــان ينعــت بشيــخ المتصوفــة؛ فأمــر السلطــان عــلي بــن يوســف بــن تاشفيــن بالقبــض عليــه ضمــن المتصوفيــن؛ ونقلهــم إلى مراكــش؛ أيــن تــوفي مــع أبي الحكــم ابــن برجــان. ومــن مؤلفــات ابــن العريــف: كتــاب محاســن المجالــس. ومــن شعــره:

سَلُوا عَنِ الشَّوْق مَنْ أهْوَى فَإنَّهُــمُ
أدْنَى إلىَ النَّفْسِ مِنْ وَهْمِي وَمِنْ نَفْسِي
فَمَنْ رَسُــولِي إلىَ قَلْبي لِيَسْألَهُــمْ
عَنْ مُشْكِلٍ مِنْ سُؤَالِ الصَّبِّ مُلْتَبِــسِ
حَلُّوا فُؤَادِي فَمَا يَنْدَى وَلَوْ وَطِئُــوا
صَخْــراً جلاَدٍ بِمَاءٍ مِنْــهُ مُنْبَجِــسِ

"

وَفِي الحَشَا نَزَلُوا وَالوَهْمُ يَجرَحُهُـــمْ
فَكَيْفَ قَـــرُّوا عَلىَ أذْكىَ مِنَ القَبَسِ
لأنْهَضَـــنَّ إلىَ حَشْـــرِي بِحُبِّهِـــمُ
لاَ بَارَكَ اللَـــهُ فِيمَنْ خَانَهُمْ وَنَسِي

ومـــن شعـــره أيضـــا:

مَنْ لَمْ يُشَـــاوِرْ عَالِمـــاً بِأصُولِـــهِ
فَيَقِينُـــهُ فِي الُمشْكِلاَتِ ظُنُـــونُ
مَنْ أنْكَـــرَ الأشْيَـــاءَ دُونَ تَيَقُّـــنٍ
وَتَثَبُّـــتٍ فَمُعَانِـــدٌ مَفْتُـــونُ
الكُتْـــبُ تَذكِرَة لِمَنْ هُوَ عَالِـــمٌ
وَصَوَابُهَـــا بِمُحَالِهَـــا مَعْجُـــونُ
وَالفِكْـــرُ غَوَّاصٌ عَلَيْهَا مُخـــرِجٌ
وَالحَـــقُّ فِيهَـــا لُؤْلُـــؤ مَكْنُـــونُ

وقـــال كذلـــك:

وَإذَا نَزَلَتْ بِسَاحَتِكَ الرَّزَايَـــا
فَلاَ تَجْزَعْ لَهَا جَزَعَ الصَّـــبِيِّ
فَـــإنَّ لِكُـــلِّ نَازِلَـــةٍ عَـــزَاءً
بِمَا قَدْ كَـــانَ مِنْ فَقْدِ النَـــبِيِّ

"

ومـــن قولـــه:

شَدُّوا الرِّحَالَ وَقَدْ نَالُوا المُنَى بِمِـــنىً
وَكُلُّهُمْ بأَلِيـــمِ الشَّـــوْقِ قَدْ بَاحَـــا

رَاحَتْ رَكَائِبُهُمْ تَنْـــدَى رَوَائِحُهَـــا
طِيباً بمَا طَابَ ذَاكَ الوَفْدُ أشْبَاحَـــا

نَسِيـــمُ قَبْـــرِ النَّبيِّ المُصْطَفَى لَهُـــمُ
رَاحٌ إذَا سَكِرُوا مِنْ أجْلِـــهِ فَاحَـــا

يَا رَاحِلِيـــنَ إلىَ المُخْتَار مِنْ مُضَـــر
زُرْتُمْ جُسُوماً وَزُرْنَا نَحْنُ أرْوَاحَـــا

إنَّـــا أقَمْنَـــا عَلىَ شَوْق وَعَنْ قَـــدَر
وَمَنْ أقَـــامَ عَلىَ عُذْرٍ كَمَنْ رَاحَـــا

ومنـــه قولـــه:

لَسْـــتُ أدْرِي أطَـــالَ لَيْـــلِيَ أمْ لاَ
كَيْـــفَ يَـــدْرِي بذَاكَ مَنْ يَتَقَـــلىَّ

لَـــوْ تَفَرَّغْـــتُ لاسْتِطَالَـــةِ لَيْـــلِي
وَلِـــرَعْيِ النُّجُـــومِ كُنْـــتُ مُخِـــلاَّ

إنَّ لِلْعَاشِقِيـــنَ عَـــنْ قِصَـــر اللَّيْـــ
ـــلِ وَعَنْ طُولِهِ مِنْ الفِكْـــرِ شُغْـــلاَ

"

ـ ثم **أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي** المعروف بابن العريف (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ وهو أخو أبي العباس المتصوف السابق الذكر. كان راوية لأخيه؛ إذ كتب عنه مجموعة كبيرة من أشعاره.

ـ ثم **أبو الحسن زاوي بن مناد بن عطية الله بن المنصور الصنهاجي** يكنى ـ أيضا ـ أبا بكر، ويعرف بابن تقسوط (توفي بدانية سنة 539هـ/1144م)؛ وهو من مواليد دانية بالأندلس؛ وتعلم بها، وبمرسية، وبقرطبة. كان من أهل العلم، والفضل؛ له إلمام بعلم الحديث.

ـ ثم **أبو علي المنصور بن محمد بن الحاج داود بن عمر اللمتوني الصنهاجي** (توفي ببياسة سنة 549هـ/1154م)؛ كان ـ بالإضافة إلى كونه من رؤساء لمتونة، وأعيانها ـ عالما بالأخبار، والسنن، والآثار؛ ويعد من بين الحفاظ، ورواة الحديث. أما أعماله السياسية؛ فتتمثل في الولاية التي أسندت إليه من طرف يحيى بن غانية؛ الذي ولاه على بلنسية.

"

ـ ثم **أبو الوليد عبد الملك بن أحمد بن أبي يداس الجياني الصنهاجي** (ت: سنة 560هـ/1164م)؛ وهو من علماء اللغة، والقراءات والنحو، والأدب؛ بالإضافة إلى كونه شاعرا؛ ولي الخطابة بجامع شقورة إلى أن وافته المنية.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الصنهاجي** المعروف بابن الأشيري (توفي شمالي بعلبك سنة 561هـ/1165م)؛ كان من كتاب البلاط اللمتوني؛ فنكب بعد سقوط الدولة؛ فهاجر إلى الشام؛ وتصدر في دمشق لتدريس الموطأ، وكتب أخرى؛ زار بغداد، وحدث بها، ثم ذهب إلى حلب؛ وتصدر لتدريس الحديث بها. وهو شاعر جيد الصناعة؛ وله شرح على قصيدة الحصري. توفي أثناء عودته من المدينة إلى الشام.

ـ ثم **أبو بكر محمد بن خير بن عمر ابن خليفة الإشبيلي اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنة 575هـ/1179م)؛ وهو مقرئ، وحافظ للحديث؛ ومستوعب لعلوم اللغة، والأدب؛ وهو موصوف بالدقة، والإتقان، والصدق؛ وعليه فقد كانت كتبه تباع بأغلى الأثمان. ومن مؤلفاته الباقية:

"

فهرسة جمع فيها مروياته عن شيوخه، وشروح على كتاب صحيح مسلم.

ــ ثم **أبو الربيع سليمان بن عبد الرحمن ابن المعز التلمساني الصنهاجي** (توفي بسلا سنة 579هـ/1183م)؛ وهو من الزهاد؛ اشتغل في النسخ؛ ولم يكن يأخذ ثمنا لعمله سوى ما يأخذه العدل.

ــ ثم **أبو الحسن علي بن يحيى بن القاسم الجزيري الصنهاجي** (ت: سنة 585هـ/1189م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي؛ انتقل من الريف المغربي إلى الأندلس؛ فأسندت إليه مرتبة القضاء بالجزيرة الخضراء التي أضحى ينسب إليها. من مؤلفاته: كتاب المقصد المحمود في تلخيص العقود؛ المعروف بوثائق الجزيري.

ــ ثم **يحيى بن علم الملك التلكاتي الصنهاجي** يعرف بابن النحاس (ت: سنة 589هـ/1193م)؛ وهو من أحفاد السلطان تميم بن المعز. كما كان من بين أمراء الدولة الأيوبية؛ وانتقل مع صلاح الدين إلى الشام. وله أعمال شعرية؛ لم تتوفر الآن.

"

ـ ثم **أبو بكر عتيق بن علي بن حسن الصنهاجي** المعروف بالفصيح (توفي بمراكش سنة 595هـ/1198م)؛ وهو من القضاة المتفقهين بمذاهب شتى؛ تنقل كثيرا عبر الأقطار؛ فزار مدنا عديدة ببلاد المغرب؛ ثم انتقل إلى بلاد المشرق؛ أين حج، ثم زار بغداد، ومصر. وبعد عودته إلى المغرب، توقف بتونس، وتلمسان؛ حيث عقد حلقات للتدريس بهما؛ ثم أقام بها نهائيا؛ إذ ولي فيها مرتبة القضاء؛ ولكنه صرف عنها؛ بسبب شكاوى الناس. وله شعر جمعه ضمن ديوان؛ وله أيضا تسجيلات كثيرة.

ـ ثم **أبو علي عمر بن العباس التلمساني الصنهاجي** المعروف بالحباك (توفي غريقا وهو في طريقه للحج سنة 613هـ/1216م)؛ وتصوف بعد حضوره جنازة أبي مدين شعيب؛ فترك لزوجته كل ما يملك، واختار حياة الزهاد والمتنسكين.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي** يسمى ابن حَمَادُوهْ (توفي بمراكش سنة 626 أو 628هـ/1228 أو 1230م)؛ ولد ببرج حمزة؛ في منطقة البويرة حاليا؛ ثم انتقل إلى قلعة بني حماد؛

"

القريـــة مـــن المسيلـــة؛ للدراســـة، ولتحصيـــل العلـــم بهـــا؛ ثـــم ذهـــب إلى بجايـــة، ومدينـــة الجزائـــر، وتلمســـان؛ للغـــرض نفســـه؛ فكـــان يســـعى وراء العلـــم، والعلمـــاء؛ وبعـــد ذلـــك هاجـــر إلى الأندلـــس؛ حيـــث ولي القضـــاء بالجزيـــرة الخضـــراء؛ كمـــا ولي القضـــاء ـــ أيضـــا ـــ في ســـلا بالمغـــرب الأقـــصى. وكـــان عالمـــا في علـــوم، وفنـــون عديـــدة؛ كـــ: التاريـــخ، والأدب، وعلـــوم اللغـــة والنحـــو؛ بالإضافـــة إلى شاعريتـــه المتميـــزة. ولـــه مجموعـــة مـــن المؤلفـــات؛ منهـــا: شـــرح الأربعيـــن حديثـــا، شـــرح كتـــاب الأعـــلام بفوائـــد الأحكـــام؛ لعبـــد الحـــق الإشبيـــلي، وشـــرح مقصـــورة ابـــن دريـــد، وكتـــاب النبـــذة المحتاجـــة في أخبـــار صنهاجـــة بإفريقيـــة وبجايـــة، وكتـــاب ضخـــم ضمنـــه برنامجـــه العلـــمي، وتلخيـــص كتـــاب أخبـــار الرســـل والملـــوك؛ للطبـــري، وكتـــاب أخبـــار ملـــوك بـــني عبيـــد وسيرهـــم، وكتـــاب عجالـــة المـــودع وعلالـــة المشيـــع؛ وهـــو كتـــاب أدبي. وديـــوان شعـــر. ومـــن شعـــره هـــذه الأبيـــات الـــتي يصـــف فيهـــا ـــ متألمـــا ـــ خـــراب قلعـــة بـــني حمـــاد:

إِنَّ العَرُوسَيْنِ لاَ رَسْـــمٌ وَلاَ طَلَـــلُ
فَانْظُرْ هُنَـــا لَيْسَ إِلاَّ السَّهْلُ وَالجَبَـــلُ
وَقَصْـــرُ بَلاَرَة أَوْدَى الزَّمَـــانُ بِـــهِ
فَأَيْنَ مَا شَـــادَ مِنْـــهُ السَّـــادَة الأُوَلُ

"

وَمَــا رُسُــومُ المَنَــارِ الآنَ مَاثِلَــةً
لَكِنَّهَــا خَبَــرٌ يَجْرِي بِــهِ المَثَــلُ

ثــم يقــول:
قَدْ عَفَــا قَصْرُ حَمَــادٍ فَلَيْسَ لَــهُ
رَسْـــمٌ وَلاَ أَثَــرٌ بَــاقٍ وَلاَ طَلَــلُ

وبــث شوقــه إلى بعــض المعالــم:
ألاَ لَيْتَ شِعْــرِي هَلْ أبِيتَــنَّ لَيْلَــةً
بوَادِي الجَوَى مَا بَيْنَ تِلْكَ الجَــدَاوِلِ
وَهَلْ أرِدَنَّ عَيْنَ السَّلاَمِ عَلَىَ الصَّدَى
فَأبْــرَدُ مِنْ حَــرِّ الضُّلُوعِ النَّوَاهِــلِ
وَأنْظُــرُ طِيقَــانَ المَنَــارِ مُطِلَّــــةً
عَلَىَ الدُجُنَّاتِ الزَّهِــرَاتِ الخَمَائِــلِ
كــأَنَّ القِبَــابَ المُشْرِقَــاتِ بِأفْقِــهِ
نُجُــومٌ تَبَدَتْ فِي سُعُــودِ المَنَــازِلِ
فَصَبْــراً جَمِيلاً غَيْر أنْ مَا أصَابَــنِي
سَيَبْــقَىَ بَقَــاءَ الطَّالِعَاتِ الأوَافِــلِ

ــ ثــم **يوســف بــن محمــد بــن عــلي بــن محمــد ابــن جماعــة الصنهــاجي** المعــروف بابــن صامــد (ت: سنــة 633هــ/1235م)؛ وهــو مــن سكــان مالقــة؛ ويعــد مــن أهــل الخيــر والصــلاح؛ ولــه أعمــال،

"

ومؤلفات جيدة؛ منها: كتاب الإقتداء بسنن الهدى؛ في الفقه، وكتاب المنتقى مما هو المرتضى للمتكلمين في أصول الدين، وكتاب المقام الأعلى بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وكتاب المرشد في رواية ورش وقالون.

ــ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي** المعروف بابن عبد المنعم (ت: بعد سنة 635هـ/1237م)؛ اشتهر بملكة الحفظ القوية؛ ولم يظهر في زمانه من يضاهيه في حفظ، واستظهار مواد اللغة؛ حتى قيل أنه كان يستظهر كتاب التاج للجوهري، وكتبا أخرى؛ فكان معجزة من معجزات عصره في هذا الباب. ويسرد عن ظهر قلب ــ أيضا ــ كتاب سيبويه؛ إذ أختبره فيه بعض الفاسيين مرات عديدة. كما أنه فلتة من فلتات زمانه في الشطرنج. وله إلمام بعلم الأصول، وبعض العلوم العقلية؛ مع أنه لم يخرج عن الحدود التي سطرتها السنة النبوية.

"

ـ ثم **أبو عمرو ميمون بن علي بن الخالق الخطابي الصنهاجي** المعروف بابن خبازة (توفي برباط الفتح سنة 637هـ/1239م)؛ وهو من الكتاب المترسلين؛ ومن الشعراء والأذكياء؛ ولي بمراكش حسبة الطعام؛ اتجه في كبره إلى التصوف.

ـ ثم **أبو محمد عبد الحق بن يوسف بن تورنارت بن تمحليت الصنهاجي** (توفي بجيان سنة 640هـ/1242م)؛ وهو من سكان جيان بالأندلس؛ ومن المشتغلين بالقراءات، واللغة، والأدب.

ـ ثم **أبو موسى عيسى بن يوسف بن أبي بكر بن تامْحَجَلت** (توفي بمراكش سنة 641هـ/1243م)؛ كان متمكنا من الرواية، والآداب، وقرض الشعر، والكتابة المرسلة؛ وله خط جيد، ويتميز بالضبط؛ ولي في خطة الكتابة لدى سلطان غرناطة محمد بن يوسف بن نصر.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله النامیسي الصنهاجي** (كان حيا سنة 647هـ/1249م)؛ وهو من الرواة، والمحدثين؛ وله مشاركة في علم الكلام.

"

ـ ثم **أبو إبراهيم عبد الواسع بن عبد السلام الزموري الصنهاجي** (توفي بأزمور سنة 667هـ/1268م)؛ وهو فقيه ومقرئ ومدرس؛ تولى الإفتاء.

ـ ثم **أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين البهنسي الصنهاجي** الشهير بالقَرَافِي (توفي بدير الطين سنة 684هـ/1285م)؛ وهو من أئمة المذهب المالكي؛ إذ تربع على رأس هذا المذهب في عصره. وإلى جانب الفقه؛ فقد برع في الأصول، والعلوم العقلية، والتفسير؛ وله مؤلفات هامة، ومفيدة؛ منها: كتاب الذخيرة؛ في الفقه المالكي؛ وهو في ست مجلدات، وكتاب الخصائص؛ في قواعد اللغة العربية، وكتاب شرح التهذيب، وكتاب شرح الجلاب، وكتاب شرح محصول الإمام فخر الدين الرازي، وكتاب التعليقات على المنتخب، ومختصر تنقيح الفصول؛ في الأصول، وكتاب شرح تنقيح الفصول، وكتاب الأجوبة الفاخرة في الرد عن الأسئلة الفاجرة؛ في الرد على أهل الكتاب، وكتاب الأمنية في إدراك النية، وكتاب الاستغناء في أحكام الاستثناء، وكتاب الإحكام في تمييز الفتاوى عن

"

الأحكام وتصرف القاضي والإمام، وكتاب اليواقيت في أحكام المواقيت، وكتاب شرح الأربعين؛ لفخر الدين الرازي في أصول الدين، وكتاب الانتقاد في الاعتقاد، وكتاب المنجيات والموبقات؛ في الأدعية وما يجوز منها وما يكره وما يحرم، وكتاب الإبصار في مدركات الأبصار، وكتاب البيان في تعليق الأيمان، وكتاب العموم ورفعه، وكتاب الأجوبة عن الأسئلة الواردة على خطب ابن نُباتة، وكتاب الاحتمالات المرجوحة، وكتاب البارز للكفاح في الميدان؛ وكتب أخرى، وكتاب أنوار البروق في أنواء الفروق؛ في أربعة أجزاء. ويقول ابن فرحون: ((**قال الشيخ شمس الدين بن عدلان الشافعي: "أخبرني خالي الحافظ شيخ الشافعية بالديار المصرية أن شهاب الدين القرافي حرر أحد عشر علما في ثمانية أشهر"؛ أو قال: ثمانية علوم في أحد عشر شهرا". وذكر عن قاضي القضاة تقي الدين ابن شكر قال: " أجمع الشافعية، والمالكية؛ على أن أفضل أهل عصرنا بالديار المصرية ثلاثة: القرافي بمصر القديمة، والشيخ ناصر الدين بن مُنَيِّر بالإسكندرية، والشيخ تقي الدين بن دقيق**

"

العيد بالقاهرة المعزية؛ وكلهم مالكية؛ خلا الشيخ تقي الدين؛ فإنه جمع بين المذهبين"... ويَلِّينْ ... لعلها قبيلة من قبائل صنهاجة)).[1]

ـ ثم **أبو عبد الله عبد الله بن علي ابن إسماعيل بن الحسن بن عطية الإسكندري الصنهاجي** المعروف بالأبياري (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ ولاه ناصر الدين قاضيا للقضاة.

ـ ثم **أبو عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي** المعروف بالبوصيري (اختلفت المصادر في تحديد سنة وفاته؛ بين: 695 أو 696 أو 697هـ/1295 أو 1296 أو 1297م)؛ وهو من فحول الشعراء؛ عرف بطول النفس في النظم؛ فكانت ألفاظه عذبة، ونظمه جيد السبك، بديع الصياغة؛ وتميز بحسن التصرف؛ اشتهر بقصائده في مدح الرسول؛ كقصائد: نهج البردة، والهمزية، وغيرهما. وهو في أصوله من قلعة بني حماد بالجزائر؛ قد يكون من بطن يعرف ببني حبنون الصنهاجيين. ومن شعره المشهور:

فَقَدْتُ طَوَائِفَ الْمُسْتَخْدِمِينَا

فَلَمْ أرَ فِيهِمُ رَجُلاً أمِينَا

---

[1] الديباج، ج: 1، ص ص: 238 ـ 239.

"

فَقَــدْ عَاشَرْتُهُــمْ وَلَبثْــتُ فِيهِــمْ
مَعَ التَّجْرِيــبِ مِنْ عُمْرِي سِنِينَــا
فَكُتَّــابُ الشِّمَــالِ هُــمُ جَمِيعــاً
فَــلاَ صَحِبَــتْ شِمَالِهِــمُ اليَمِينَــا
فَكَمْ سَرَقُــوا الغِــلاَلَ وَمَا عَرَفْنَــا
بهِــمْ فَكَأَنَّمَــا سَرَقُــوا العُيُونَــا
وَلَــوْلاَ ذَاكَ مَــا لَبسُــوا حَرِيــراً
وَلاَ شَرِبُــوا خُمُــورَ الأَنْدَرِينَــا
وَلاَ رَبَّــوْا مِــنَ المُــرْدَانِ مُــرْداً
كَأَغْصَــانٍ يَقُمْــنَ وَيَنْحَنِينَــا
وَقَــدْ طَلَعَــتْ لِبَعْضِهِــمُ ذُقُــونٌ
وَلَكِــنْ بَعْــدَ مَــا نَتَفُــوا ذقُونَــا
وَأَقْــلاَمُ الجَمَاعَــةِ جَائِــلاَتٍ
كَأَسْيَــافٍ بأَيْــدِي لاَعِبِينَــا
وَقَــدْ سَاوَقْتُهُــمْ حَرْفــاً بحَــرْفٍ
وَكُلُّ اسْــمٍ يَخُطُّــوا مِنْــهُ سِينَــا
أَمَــوْلاَيَ الوَزِيــرِ غَفَلْــتَ عَمَّــا
يَتِــمُّ مِنَ اللِّئَــامِ الكَاتِبِينَــا
تَنَسَّــكَ مَعْشَــرٌ مِنْهُــمْ وَعُــدُّوا
مِــنَ الزُّهَــادِ وَالمُتَوَرِّعِينَــا
وَقِيــلَ لَهُــمْ دُعَــاءٌ مُسْتَجَــابٌ
وَقَدْ مَلأُوا مِنَ السُّحْــتِ البُطُونَــا

"

إلى أن يقـــول:

وَفِي دَارِ الوَكَالــَةِ أيّ نَهْـــب
فَلَيْتَـــكَ لَـــوْ نَهَّبْـــتَ النَّاهِبِينَـــا
فَقَـــامَ بِهَـــا يَهُـــودِيٌّ خَبيـــثٌ
يَسُـــومُ المُسْلِمِيـــنَ أذىً وَهُونَـــا
إذَا ألْـــقىَ بِهَا مُـــوسَى عَصَـــاهُ
تَلَقَّفَـــتِ القَوَافِـــلَ وَالسَّفِينَـــا
وَشَاهِدُهُـــمْ إذَا اتُّهِمُـــوا يُـــؤَدِّي
عَنِ الكُـــلِّ الشَّهَـــادَةَ وَاليَمِينَـــا

وهـــذه القصيـــدة طويلـــة جـــدا؛ نكتـــفي منهـــا بمـــا تقـــدم. ولـــه في أعْـــوَر؛ بإحـــدى عينيـــه فـــص أبيـــض، وأسمـــه عمـــر:

سَمَّوْهُ غُمَراً فَصَحفْنا اسْمَهُ عُمَـــرا
فَبَيَّنَ الدَّهْـــرُ مِنَّـــا مَوْضِعَ الغَلَـــطِ
فَأصْبَحَتْ عَيْنــُهُ غَيْنـــاً بنُقْطتِهَـــا
وَطَالَ مَا ارْتَفَعَ التَّصْحِيفُ بِالنُّقـــَطِ

وقـــال أيضـــا في مـــن بعينـــه بيـــاض:

أنْظُـــرْ تَجـــدْ لِلَّـــهِ فِي
عَيْنَيْـــهِ سِـــراً أيَّ سِـــرٍ
طَمَـــسَ اليَمِيـــنَ بكَوْكَـــب
وَسَيَطْمِسُ اليُسْرَى بِفَجْرٍ

"

وفي قصيدة أخرى يقول:

أهـوَى وَالمَشِيبُ قَدْ حَالَ دُونَـهْ
وَالتَّصَابي بَعْدَ المَشِيب رُعُونَـهْ
أبَـتِ النَّفْسُ أنْ تُطِيعَ وَقَالَـتْ
إنَّ جِـنِّي لاَ يَدْخُـلُ القِنِّينَـة
كَيْفَ أعْصَى الهَوَى وَطِينَة قَـلْبي
بِالْهَـوَى قَبْـلَ آدَمَ مَعْجُونَـة

وكانت لديه أتان؛ فاستعارها منه ناظر الشرقية؛ فأعجبته، وأحب امتلاكها؛ فبعث إليه ثمنها كما قدره؛ وهو مائتي درهم؛ فأجابه بهذه الأبيات على لسان الحمارة:

يَا أيُّهَا السَيِّـدُ الَّذِي شَهِـدَتْ
ألْفَاظُـهُ لِي بِأنَّـهُ فَاضِـلُ
مَا كَـانَ ظَـنِّي يَبِيعُـنِي أحَـدٌ
قَـطُّ وَلَكِنْ سَيِّدِي جَاهِـلُ
لَـوْ جَرَّسُـوهُ عَلَيَّ مِـنْ سَفَـهٍ
لَقُلْـتُ غَيْظاً عَلَيْه يَسْتَاهِـلُ
أقْصَى مُرَادي لو كنت في بلـدَي
أرْعَى بهَا فِي جَوَانب السَّاحِلِ
وَبَعْـدَ هَذَا فَمَـا يَحِـلُّ لَكُـمْ
أخْذِي لأنِّي مِنْ سَيِّدِي حَامِلُ

"

فلمـــا وصلتـــه الأبيـــات ردهـــا إليـــه؛ ووهبـــه الدراهـــم. وقـــال في الشيـــخ زيـــن الديـــن بـــن الرعـــاد:

لَقَدْ عَابَ شِعْرِي فِي البَرِيَّةِ شَاعِــرٌ
وَمَنْ عَابَ أَشْعَارِي فَلاَ بُدَّ أنْ يُهْجَى
وَشِعْرِيَ بَحْــرٌ لاَ يُوَافِيهِ ضِفْــدَعٌ
وَلاَ يَقْطَعُ الرَّعَـــادُ يَوْمـــاً لَهُ لُجَّـــا

ومـــن أهـــم قصائـــده في مـــدح رســـول اللـــه صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم: القصيـــدة الهمزيـــة، وقصيـــدة البـــردة، والقصيـــدة الـــتي نظمهـــا عـــلى وزن بانـــت سعـــاد؛ ومطلعهـــا:

إلَى مَتىَ أنْتَ بـــاللـــذَاتِ مَشْغُـــولُ
وَأنْتَ عَنْ كُل مَا قَدَّمْـــتَ مَسْئولُ

أمـــا الهمزيـــة فطويلـــة وأبياتهـــا 456 بيتـــا؛ وهي عبـــارة عـــن ملحمـــة؛ سجـــل فيهـــا سيـــرة الرســـول كاملـــة؛ نختـــار منهـــا مقدمتهـــا:

كَيْـــفَ تَـــرْقَى رُقِيَّـــكَ الأنْبِيَـــاءُ
يَا سَمَـــاءً مَـــا طَاوَلَتْهَـــا سَمَـــاءُ
لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عُـــلاَكَ وَقَدْ حَـــا
لَ سَنـــاً مِنْـــكَ دُونَهُـــمْ وَسَنَـــاءُ

"

إِنَّمَـــا مَثَّلُـــوا صِفَاتِـــكَ لِلنَّـــا
سِ كَمَـــا مَثَّـــلَ النُّجُـــومَ المَـــاءُ
أَنْتَ مِصْبَاحِ كُلِّ فَضْـــلٍ فَمَا تَصْــ
ـــدُرُ إِلاَّ عَـــنْ ضَوئِـــكَ الأَضْـــوَاءُ
لَـــكَ ذَاتُ العُلُومِ مِنْ عَالِـــمِ الغَيْــ
ـــبِ وَمِنْهَـــا لآدَمَ الأَسْمَـــــاءُ
لَمْ تَـــزَلْ فِي ضَمَائِرِ الكَوْنِ تُخْتَـــا
رُ لَـــكَ الأُمَّهَـــاتُ وَالآبَـــــاءُ
مَا مَضَـــتْ فَتْـــرَة مِنَ الرُّسْـــلِ إِلاَّ
بَشَّـــرَتْ قَوْمَهَـــا بِـــكَ الأَنْبِيَـــاءُ
تَتَبَـــاهَى بِـــكَ العُصُـــورُ وَتَسْمُـــو
بِـــكَ عَلْيَـــاءٌ بَعْدَهَـــا عَلْيَـــاءُ
وَبَـــدَا لِلْوُجُـــودِ مِنْـــكَ كَرِيـــمٌ
مِـــنْ كَرِيـــمٍ آبَـــاؤُهُ كُرَمَـــــاءُ
نَسَـــبٌ تَحْسَـــبُ العُـــلاَ بِحُـــلاَهُ
قَلَّدَتْهَـــا نُجُومَهَـــــا الجَـــــوْزَاءُ
حَبَّـــذَا عِقْـــدُ سُـــؤْدَدٍ وَفَخَـــارٍ
أَنْـــتَ فِيـــهِ اليَتِيمَـــةُ العَصْمَـــاءُ
وَمُحَيَّـــا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُـــضِيءٌ
أَسْفَـــرَتْ عَنْـــهُ لَيْلَـــةٌ غَـــــرَّاءُ
لَيْلَـــةُ المَوْلِـــدِ الَّذِي كَـــانَ لِلدِّيْــ
ـــنِ سُـــرُورٌ بِيَوْمِـــهِ وَازْدِهَـــاءُ

"

أمــا قصيــدة البــردة الــتي تعــرف أيضــا باســم الكواكــب الدريــة؛ فأبياهــا 162 بيتــا؛ نذكــر منهــا:

أمِنْ تَذَكــُّـرِ جيــرَانٍ بذِي سَــلَم
مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِـــدَمِ
أمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَــاءِ كَاظِمَـــةٍ
وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إضَـــمِ
فَمَا لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفَــا هَمَتَــا
وَمَا لِقَلْبِكَ إنْ قُلْتَ اسْتَفِــقْ يَهِــمِ
أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِــمٌ
مَا بَيْنَ مُنْسَجِــمٍ مِنْــهُ وَمُضْطَــرِمِ
لَوْلاَ الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَــلٍ
وَلاَ أَرِقْتَ لِذِكْــرِ البَــانِ وَالعَلَــمِ
فَكَيْفَ تُنْكِــرُ حُبّاً بَعْدَ مَا شَهِــدَتْ
بِهِ عَلَيْكَ عُــدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَــمِ
وَأَثْبَــتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَضَــنىً
مِثْــلَ البَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالعَنَــمِ
نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فَأَرَّقَــنِي
وَالحُــبُّ يَعْتَرِضُ اللَّــذَّاتِ بِالأَلَــمِ
يَا لاَئِمِي فِي الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْــذِرَةً
مِنِّي إلَيْكَ وَلَــوْ أَنْصَفْــتَ لَمْ تَلُــمِ
عَدَتْكَ حَالِيَ لاَ سِــرِّي بِمُسْتَتِــرٍ
عَنْ الوُشَــاةِ وَلاَ دَائِي بِمُنْحَسِــمِ

"

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أسْمَعُهُ
إنَّ المُحِبَّ عَنِ العُــذالِ فِي صَمَــمِ
إنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْب فِي عَذَلِي
وَالشَّيْبُ أبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التُّهَــمِ
فَإنَّ أمَّارَتِي بالسُّــوءِ مَا اتَّعَضَــتْ
مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْــبِ وَالهَــرَمِ

إلى أن يقــول:

مُحَمَّــدٌ سَيِّــدُ الكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْــ
ــيْنِ وَالفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
نَبِيُّنَــا الآمِــرُ النَّــاهِي فَلَاَ أحَــدٌ
أبَــرَّ فِي قَــوْلِ لاَ مِنْــهُ وَلاَ نَعَــمِ
هُوَ الحَبِيبُ الَّذِي تُــرْجَى شَفَاعَتُــهُ
لِكُلِّ هَــوْلٍ مِنَ الأهْوَالِ مُقْتَحَــمِ

إلى قولــه:

وَكُلُّ آيٍ أتىَ الرُّسْلُ الكِــرَامُ بهَــا
فَإنَّمَا اتَّصَلَــتْ مِنْ نُــورِهِ بِهِــمِ
فَإنَّهُ شَمْسُ فَضْــلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَــا
يُظْهِــرْنَ أنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَــمِ
أكْرِمْ بِخَلْــقِ نَــبِيٍّ زَانَــهُ خُلُــقٌ
بالحُسْــنِ مُشْتَمِــلٍ بالبِشْرِ مُتَّسِــمِ
كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالبَدْرِ فِي شَــرَفٍ
وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْــرِ فِي هِمَــمِ

"

كَأَنَّـــهُ وَهْـــوَ فَـــرْدٌ مِنْ جَلاَلَتِـــهِ
فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَـــمِ

ـ ثـم **أبـو زيـد عبـد الرحمـن الكيمـراني الصنهـاجي** (ت: سنـة 712هـ/1312م)؛ فقيـه، ومقـرئ، ومـدرس.

ـ ثـم **أبـو فـارس عبـد العزيـز بـن عبـد العظيـم ابـن علـي الحفـوي الصنهـاجي** والحفـوي نسبـة إلى بطـن مـن صنهاجـة (عـاش قبـل عـام 712هـ/1312م)؛ وهـو فقيـه عـدل.

ـ ثـم **أبـو عبـد اللـه بـن القـاضي الصنهـاجي** (عـاش قبـل عـام 712هـ/1312م)؛ كاتـب؛ يجيـد النظـم والنثـر.

ـ ثـم **أبـو محمـد عبـد الوهـاب بـن محمـد بـن عبـد القـدوس القرطـبي الصنهـاجي** (عـاش قبـل عـام 712هـ/1312م)؛ فقيـه، وخطيـب جامـع قرطبـة؛ وهـو المقـرئ بهـا.

ـ ثـم **أبـو عبـد اللـه محمـد بـن محـوت الصنهـاجي** (عـاش قبـل عـام 712هـ/1312م)؛ فقيـه، ومفـتي.

"

ـ ثم **أبو عمر ميمون بن علي بن عبد الخالق الفاسي الخطابي الصنهاجي** (عاش قبل عام 712هـ/1312م)؛ من الصوفية، ومحدث، ومفتي.

ـ ثم **زين الدين محمد بن سليمان بن أحمد ابن يوسف المراكشي الصنهاجي** (ت: سنة 717هـ/1317م)؛ أمام، ومقرئ؛ سنن الإسكندرية.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود ابن آجُرُّوم الفاسي الصنهاجي** (ت: سنة 723هـ/1323م)؛ ومعنى آجروم بالأمازيغية: الفقير الصوفي؛ وهو من علماء النحو، والأدب، والقراءات؛ وله إلمام بعلم الفرائض والحساب؛ وله مؤلفات، وأراجيز عديدة في: النحو، والقراءات، وغيرها؛ واشتهرت منها مقدمة الأجرومية في النحو. قال السيوطي عن مذهبه في النحو أنه على مذهب الكوفيين؛ وبذلك فهو يخالف مذهب البصريين. ويقال بأنه ألف مقدمة الأجرومية أمام الكعبة المشرفة. من شعره في الغربة:

يَا غَائِباً كَانَ أنـسي رَهْنَ طَلْعَتِهِ
كَيْفَ اصْطِبَارِي وَقَدْ كَابَدْتُ بَيْنَهُمَا
دَعْـوَايَ أَنَّكَ فِي قَلْبي يُعَارِضُهَا
شَوْقِي إِلَيْكَ فَكَيْفَ الجَمْعُ بَيْنَهُمَا

"

ـ ثم **أبو المكارم منديل بن محمد بن محمد ابن داود بن آجُرُّوم الفاسي الصنهاجي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثامن)؛ وهو ابن صاحب الأجرومية؛ وله شعر جيد؛ منه:

أَيُّهَا العَارِفُونَ قَدْرَ الصَّبُّوحِ
جَدِّدُوا أَنْسَنَا بِبَابَ الفُتُوحِ

إلى أن يقول:

جَدِّدُوا ثَمَّ أَنْسَنَا ثُمَّ جدُّوا
يَسْرَح الطَّرْفُ فِي مَجَالٍ فَسِيحِ
حَيْثُ شَابَتْ مَفَارِقُ اللَّوْز نَوْراً
وَتَسَاقَطْنَ كَاللُّجَيْنِ الصَّرِيحِ
وَبَدَا مِنْهُ كُلَّ مَا احْمَرَّ يَحْكِي
شَفَقاً مَزَّقَتْهُ أَيْدِي الرِّيحِ
وَكَأَنَّ الَّذِي تَسَاقَطَ مِنْهُ
نُقَطٌ لُحْنَ مِنْ دَمٍ مَسْفُوحِ
وَإِذَا مَا وَصَلْتُمْ لِلْمُصَلىَّ
فَلْتَحِلُّوا بِمَوْضِعِ التَّسْبِيحِ
وَبِطَيْفُورِهَا فَطُوفُوا لِكَيْمَا
تُبْصِرُوا مِنْ ذُرَاهُ كُلَّ سُطُوحِ
وَلْتُقِيمُوا هُنَاكَ لَمْحَةَ طَرْفٍ
لِتَرُدُّوا بِهِ ذَمَاءَ الرُّوحِ

"

ثُمَّ حُطـــُّوا رِحَالِكُمْ فَوْقَ نَهْـــرِ
كَـلَّ فِي وَصْفِـــهِ لِسَـــانُ المَدِيـــحِ
فَوْقَ حَافَّاتِـــهِ حَدَائِـــقُ خُضْــرٌ
لَيْـــسَ عَنْهَـــا لِعَاشِـــقٍ مِنْ نُـــزُوحِ
وَكَـــأنَّ الطُّيُـــورَ فِيهَـــا قِيَـــانٌ
هَتَفَـــتْ بَيْـــنَ أعْجَـــمٍ وَفَصِيـــحِ
وَهْيَ تَدْعُوكُـــمُ إِلَى قُبَّـــةِ الجَـــو
زِ هَلُمُّـــوا إِلَى مَكَـــانٍ مَلِيـــحِ
فِيهِ مَا تَشْتَهُـــونَ مِنْ كُلِّ نَـــوْرٍ
مُغْلَـــقٍ فِي الكِمَـــامِ أوْ مَفْتُـــوحِ
وَغُصُونٍ تَهِيـــجُ رَقْصـــاً إذَا مَـــا
سَمِعَتْ صَوْتَ كُلِّ طَيْـــرٍ صَـــدُوحِ
فَأجِيبُـــوا دُعَاءَهَـــا أيُّهَا السِّـــرْ
بُ وَخَلُّـــوا مَقَـــالَ كُـــلِّ نَصِيـــحِ

ومـــن شعـــره الـــذي قالـــه لابـــن مـــرزوق الخطيـــب؛ يسليـــه بـــه؛ عندمـــا سجـــن بعـــد مـــوت السلطـــان المريـــني أبي سالـــم:

يَا شَمْـــسَ عِلْـــمٍ أفَلَـــتْ بَعْدَمَـــا
أضَـــاءَتِ المَشْـــرِقَ وَالمَغْرِبَـــا
حُجِبَتْ قَسْراً عَنْ عُيُونِ الوَرَى
وَالشَّمْسُ لاَ يُنْكَر أنْ تُحْجَبَـــا

"

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن أحمد الصنهاجي** المعروف بابن الحداد (يحتمل أنه كان حيا سنة 723هـ/1323م)؛ وهو من المتصوفين؛ وكان قبل تصوفه شاعرا، ومحدثا ذكيا؛ ولكنه ترك ذلك كله، وانغمس في الصوفية. ويقال أنه كان يستغفر الله عندما يذكره بعضهم بأشعاره، وما كان ينظمها في شبابه؛ بغرض مدح الملوك والأمراء.

ـ ثم **عائشة بنت علي بن عمر بن شبل الصنهاجي** (توفيت بمصر سنة 739هـ/1338م)؛ وهي عالمة فاضلة في علوم الحديث، وراوية له، ومحدثة به.

ـ ثم **وجيه الدين يحيى بن محمد الصنهاجي** (توفي بالإسكندرية سنة 739هـ/1338م)؛ فقيه مالكي، ولي القضاء بالإسكندرية.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عمر بن علي المليكشي الصنهاجي** (توف بتونس سنة 740هـ/1339م)؛ وهو من الأدباء العاملين في مجال الكتابة؛ إذ ولي خطة الإنشاء في بلاط الحفصيين بإفريقية. له شعر سلس، ونثر متقن. ونقل ابن الخطيب، والمقري عن صاحب الإكليل الزاهر قوله فيه: **((كاتب الخلافة، ومشعشع**

"

الأدب الـذي يـزري بالسلافة؛ كان بطل مجال، ورب رواية وارتجال؛ قدم هذه البلاد وقد نبا به وطنه، وضاق ببعض الحوادث عطنه؛ فتلوم تلوم النسيم بين الخمائل، وحل منها محل الطيف من الوشاح الجائل؛ ولبث مدة إقامته تحت جراية واسعة، وميرة يانعة؛ ثم آثر قطره؛ فولى وجهه شطره؛ واستقبله دهره بالإنابة، وقلده خطة الكتابة؛ فاستقامت حاله، وحطت رحاله؛ وله شعر أنيق، وتصوف وتحقيق، ورحلة إلى الحجاز سعيها في الخير وثيق ونسبها في الصالحات عريق)). [1]

ومن شعره؛ قوله:

رِضىً نِلْتِ مَا تَرْضَيْنَ مِنْ كُلِّ مَا يَهْوَى
فَلاَ تُوقِفِينِي مَوْقِفِ الذلِّ وَالشَّكْوَى

وَصَفْحاً عَنِ الجَانِي المُسيءِ لِنَفْسِهِ
كَفَاهُ الَّذِي يَلْقَاهُ مِنْ شِدَّةِ البَلْوَى

بِمَا بَيْنَنَا مِنْ خَلْوَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ
أرَقَّ مِنَ النَّجْوَى وَأحْلَى مِنَ السَّلْوَى

قِفِي أتَشَكَّى لَوْعَةَ البَيْنِ سَاعَةً
وَلاَ يَكُ هَذَا آخِرَ العَهْدِ بِالنَّجْوَى

[1] الإحاطة، ج: 2، ص: 563. نفح الطيب، ج: 6، ص: 240.

"

قِفِي سَاعَةً فِي عَرْصَةِ الدَّارِ وَانْظُــرِي
إِلَى عَاشِــقٍ مَــا يَسْتَفِيــقُ مِــنَ البَلْــوَى
وَكَمْ قَدْ سَأَلْتُ الرِّيــحَ شَوقاً إِلَيْكُــمُ
فَمَــا حَــنَّ مَسْــرَاهُ عَــلَيَّ وَلاَ أَلْــوَى
فَيَا رِيــحُ حَتَّى أَنْتِ مِمَّنْ يَغَــارُ بِي
وَيَا نَجْــدُ حَتَّى أَنْتَ تَهْــوَى الَّذِي أَهْــوَى
خُلِقْــتُ وَلِي قَلْبٌ جَلِيدٌ عَلَى النَّــوَى
وَلَكِــنْ عَــلَى فَقْــدِ الأَحِبَّــةِ لاَ يَقْــوَى

تعــرف صدفــة عــلى قينــة رائعــة؛ فمــال إليهــا؛ بعــد أن توافقــا؛ ولكنــه انعطــف عنهــا خوفــا مــن السقــوط في هواهــا؛ زهْــدا، ونسْكــا؛ ثــم قــال:

لَمْ أَنْــسَ وَقْفَتَنَــا بِبَــابِ المَلْعَــبِ
بَيْنَ الرَّجَــا وَاليَــأْسِ مِنْ مُتَجَنِّــبِ
وَعَــدَتْ فَكُنْتُ مُرَاقِبــاً لِحَدِيثِهَــا
يَــا ذُلَّ وَقْفَــةِ خَائِــفٍ مُتَرَقِّــبِ
وَتَدَلَّلَــتْ فَذَلِلْــتُ بَعْــدَ تَعَــزُّزٍ
يَأْتِي الغَــرَامُ بِكُلِّ أَمْــرٍ مُعْجِــبِ
بَدَوِيَّــةٌ أَبْــدَى الجَمَالُ بِوَجْهِهَــا
مَا شِئْتَ مِنْ خَدٍّ شَرِيــقٍ مُذهِــبِ
تَدْنُــو وَتَبْعُــدُ نَفْــرَةً وَتَجَنِّيــاً
فَتَكَادُ تَحْسِبُهَــا مَهَــاةَ الرَّبْــرَبِ

"

وَرَنَــتْ بلَحْظٍ فَاتِــنٍ لَكَ فَاتِــرٍ
أنْضَى وَأمْضَى مِنْ حُسَامِ الْمُضْــرَبِ
وَأرَتْكَ بَابِــل سِحْرِهَــا بجُفُونِهَــا
فَسَبَتْ، وَحُقَّ لِمِثْلِهَــا أنْ تَسْتَــبِي
وَتَضَاحَكَتْ فَحَكَتْ بنَيِّــرِ ثَغْرِهَــا
لَمَعَانَ نُــورِ ضِيَاءِ بَــرْقٍ خُلَّــبِ
بِمُنَظَّمٍ فِي عِقْدِ سَمْــطَيْ جَوْهَــرٍ
عَنْ شِبْهِ نُــورِ الأقْحُوَانِ الأشْنَــبِ
وَتَمَايَلَتْ كَالغُصْنِ أخْضَلَهُ النَّــدَى
رَيَّــانَ مِنْ مَاءِ الشَّبِيبَــةِ مُخْصِــبِ
تَثْنِيــهِ أرْوَاحُ الصَّبَابَــةِ وَالصَّبَــا
فَتَــرَاهُ بَيْــنَ مُشَــرِّقٍ وَمُغَــرِّبِ
أبَــتِ الرَّوَادِفُ أنْ تَمِيــلَ بمَيْلِــهِ
فَرَسَتْ وَجَــالَ كَأنَّــهُ فِي لَوْلَــبِ
مُتَتَوِّجــاً بهِــلاَلِ وَجْــهٍ لاَحَ فِي
خَلَلِ السَّحَابِ لِحَاجِبٍ وَمُحَجَّــبِ
يَا مَنْ رَأى فِيهَــا مُحِبــاً مُغْرَمــاً
لَــمْ يَنْقَلِــبْ إلاَّ بقَلْــبٍ قُلَّــبِ
مَا زَالَ مُــذ وَلَّى يُحَــاوِلُ حِيلَــةً
تُدنيــهِ مِنْ نَيْــلِ الْمُــنَى وَالمَطْلَــبِ
فَأجَالَ نَــارَ الفِكْرِ حَتَّى أوقَــدَتْ
فِي القَلْــبِ نَار تَشَــوُّقٍ وَتَلَهُّــبِ

"

فَتَلاقَتِ الأَرْوَاحُ قَبْــلَ جُسُومِهَــا
وَكَذا البَسِيطُ يَكُونُ قَبْــلَ مُرَكَّــبِ

ولــه أيضــا:

أَرَى لَكَ يَا قَلْـــبي بقَلْـــبي مَحَبَّـــة
بَعَثْتُ بهَا سِـــرِّي إلَيْـــكَ رَسُـــولاَ
فَقَابلْـــهُ بالبُشْرَى، وَأَقْبِـــلْ عَشِيَّـــة
فَقَدْ هَـــبَّ مِسْكِيُّ النَّسيـــمِ عَلِيـــلاَ
وَلاَ تَعْتَذِرْ بالقَطْرِ أَوْ بَلَـــلِ النَّـــدَى
فَأَحْسَـــنُ مَا يَـــأتِي النَّسِيمُ بَلِيـــلاَ

ــ ثــم **أبــو هــادي مصبــاح بــن سعيــد الصنهــاجي** (تــوفي بقسنطينــة سنــة 747هــ/1346م)؛ وهــو مــن فقهــاء الذهــب المالــكي؛ وكــان مــن أهــل الزهــد، والصــلاح.

ــ ثــم **أبــو محمــد عبــد العزيــز بــن صالــح الســلاوي الصنهــاجي** (كــان حيــا سنــة 763هــ/1361م)؛ وهــو مــن المتصوفيــن؛ دمــث الأخــلاق، مــن أهــل الخيــر والصــلاح، يعمــل جاهــدا لقضــاء حاجــات المسلميــن. وعندمــا يحــس بــأن أحدهــم أنكــر عليــه شيئــا ينشــد قائــلا:

"

وَاحِيـرَتِي مِنْ قَلْبِيَ القَـاسِي
وَمَا جَرَى مِنْـهُ عَلَى رَاسِي
العِـزُّ مَوْجُـودٌ لِمَنْ يَشْتَـرِي
وَإِنَّمَـا المِحْنَـة إِفْـلاَسِي
إِنْ أَنْكَـرُوا دُفِّي وَشَبَّابَـتِي
وَهزَّ عِطْفِي بَيْنَ جُـلاَّسِي
لاَ غَـرْوَ أَنْ أَفْتَوْ عَلَىَ علْمِهِـمْ
فَإِنَّهُمْ مَا شَرِبُـوا كَـاسِي

ـ ثم **حسن بن عبد الله المليكشي الصنهاجي** (توفي بالقاهرة سنة 778هـ/1376م)؛ وهو من علماء الحديث؛ ومن الفقهاء المالكيين؛ واشتغل في علوم عديدة. وهو من مواليد بجاية؛ رحل إلى مصر؛ حيث تصدر للتدريس في المدرسة الناصرية.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد بن منصور ابن علي بن الأشهب التلمساني الصنهاجي** (توفي بمكناسة سنة 791هـ/1388م)؛ أستاذ، وراوية، ومن المولعين بالرحلة.

ـ ثم **برهان الدين إبراهيم بن عبد الله ابن عمر الصنهاجي** (توفي بدمشق سنة 796هـ/1393م)؛ ولي قضاء المالكية بدمشق؛ وهو

"

من حفاظ الموطأ؛ وكان عالما بالأصول، والفقه، وعلوم العربية، والنحو.

ـ ثم **إبراهيم بن عبد الله بن عمر الصنهاجي** (توفي بدمشق سنة 798هـ/1395م)؛ وهو من الفقهاء؛ كان يحفظ الموطأ؛ ولي قضاء دمشق؛ فلم يقبل إلا بإلحاح عليه.

ـ ثم **عثمان بن سليمان الجزائري الصنهاجي** (توفي بالقاهرة سنة 825هـ/1421م)؛ نشأ بمدينة الجزائر، وأخذ العلم في تونس، ومصر. يفهم من وصف ابن حجر له أنه من فئة الأقزام؛ وكان من أصحاب العلم، والفضل.

ـ ثم **أبو الخير خليل بن هارون بن مهدي ابن عيسى بن محمد الجزائري الصنهاجي** (توفي بالمدينة المنورة سنة 826هـ/1422م)؛ وهو من فقهاء المالكية؛ درس في مدينة الجزائر، وفي تونس، والإسكندرية، ومكة؛ وله مؤلفات؛ منها: كتاب تذكرة الإعداد لهول يوم الميعاد؛ في الأذكار، والأدعية، وكتاب مختصر التذكرة، وكتاب أشرف مسموع في تحقيق الموضوع.

"

ـ ثـم **أبـو العبـاس أحمـد بـن عيـسى التلمسـاني البطـوي الصنهـاجي** (كـان حيـا سنـة 843هـ/1439م)؛ وهـو مـن فقهـاء المذهـب المالـكي؛ ولي القضـاء؛ وصـف بالعـدل، والتوثيـق.

ـ ثـم **عثمـان بـن يوسـف بـن محمـد بـن علـي الجزائـري الصنهـاجي** (تـوفي بمكـة المكرمـة حـوالي 863هـ/1458م)؛ وهـو مـن علمـاء المذهـب المالـكي؛ نشـأ ودرس بالجزائـر، ثـم رحـل إلى المشـرق بغـرض الحـج، وطلـب العلـم.

ـ ثـم **سالـم بـن إبراهيـم بـن عيـسى الصنهـاجي** (تـوفي بدمشـق سنـة 873هـ/1468م)؛ وهـو فقيـه مالـكي، مـن الحفـاظ، وأصحـاب الحديـث. ولـد بمشدالـة، وترعـرع ببجايـة، وأكمـل تعليمـه بتونـس ومصـر والحجـاز ودمشـق. تعـرض للأسـر مـن طـرف قراصنـة النصـارى؛ ثـم أطلـق سراحـه. ولي القضـاء بدمشـق، والقـدس؛ فكـان حازمـا، صارمـا، عـادلا، عفيـف النفـس عزيزهـا، نزيهـا في سيرتـه.

ـ ثـم **أحمـد بـن محمـد بـن يوسـف الصنهـاجي** المعـروف بالدقـون (ت: سنـة 921هـ/1515م)؛ أستـاذ وخطيـب ومحـدث وراويـة وأديـب؛ لـه معرفـة بقـرض الشعـر؛ ولي الخطابـة بالقروييـن. كـان خفيـف الظـل؛ وعـرف بكثـرة المـزاح؛ وممـا أجـاز

"

به أبا القاسم محمد بن إبراهيم المشرائي قوله نظما:

أشْهَدُكُمْ يَا مَنْ حَضَرْ أهْلَ البَدَاوَى وَالحَضَرْ
أنِّي أجَزْت قَاسِماً ابْنَ الفَقِيهِ المُعْتَبَرْ

وفي إجازة أخرى لأبي عبد الله محمد ابن أحمد شقرون بن أبي جمعة المغراوي قوله:

أجَازَ لَكَ الدقُّونُ يَا نَجْلَ سَيِّدِي
أبِي جُمْعَةٍ وَالآل كُلَّ الَّذِي رَوَى
فَحَدِّثْ بِمَا اسْتُدْعِيتَ فِيهِ إجَازَة
وَسَلِّمْ عَلَى مَنْ خَافَ النَّفْسَ وَالهَوَى

ـ ثم **أبو هادي مصباح بن سعد الصنهاجي** (توفي بقسنطينة سنة 947هـ/1540م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي.

ـ ثم **حمد بن محمد بن عيسى التلمساني البطوي الصنهاجي** (من أعلام النصف الأول من القرن العاشر للهجرة)؛ وهو من فقهاء المالكية؛ له إلمام بعلم الحديث؛ ويميل إلى التصوف؛ هاجر إلى المدينة المنورة، وتوفي بها.

"

ـ ثم أبو الثناء **محمود بن عمر بن محمد أوقيت الصنهاجي** (توفي بتنبوكتو سنة 955هـ/1548م)؛ ولي قضاء تنبكتو؛ فكان حازما، شديدا، وعادلا في أحكامه؛ لا يحابي، ولا يجامل أهل الجاه، والسلطان؛ فظهر فضله، وسما شأنه. وكان يقوم بالتدريس إلى جانب عمله في القضاء؛ فتخرج على يديه نخبة من الطلاب، والشيوخ. وله شرح على مختصر خليل؛ في الفقه المالكي؛ وهو في مجلدين، وكتاب تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس.

ـ ثم **أبو عبد الله عبد الخالق الصنهاجي** (كان حيا سنة 999هـ/1590م)؛ وهو من بني أمغار أهل تيط. ذكره ابن القاضي بالسوء؛ إذ قال فيه: **((وهو رأس الطائفة الأندلسية الملعونة؛ ولقد شاهدت بمدينة مكناسة ثُلْمَة عظيمة في الدين: أجلسوه على كرسي بجامعها الأعظم؛ وهو يتكلم في التصوف بزعمه! ويضل العامة بمذهبه الشنيع! أهلكها الله ـ من طائفة مضرة بالسنة السمحة ـ بحمده)).**[1]

[1] درة الحجال ج: 3، ص: 168.

"

ـ ثم **سعيد بن مسعود الماغوسي المراكشي الصنهاجي** (ت: سنة 1016هـ/1607م)؛ وهو من العلماء الأفاضل؛ له مؤلفات عديدة؛ منها: شرح لامية العرب، ونظم الفرائد الغرر في سلك فصول الدرر؛ وهو شرح لدرر السمط في مناقب السبط؛ لابن الأبار.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التكروري التنبكتي الصنهاجي** (توفي بتنبكتو سنة 1036هـ/1626م)؛ وهو من الفقهاء، والحدثين. نكب عندما عارض حملة سلطان السعديين المنصور؛ الموجهة لاحتلال بلده تنبكتو؛ فأسر، وضاعت كتبه التي تقدر بـ 1600 مجلد. وفي هذه الحادثة نقل مع أسرته إلى مراكش؛ وبعد إطلاق سراحه؛ توجه إلى فاس؛ ثم سمح له بالعودة إلى تنبكتو؛ أين توفي هناك. وكان من أهل العلم، والفضل؛ لا يجامل في الحق، ولا يتساهل فيه. وله مؤلفات عديدة؛ أهمها: كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج؛ وهو في التراجم، وله أيضا مصنفات تدخل في إطار الحواشي، والمختصرات قد تصل إلى الأربعين؛ وجلها في الفقه والحديث والعربية؛ بقيت كلها ضمن المخطوطات.

"

ـ ثم **عثمان بن زيان الصنهاجي** اشتهر باسم الصنهاجي (من أعلام القرن الحادي عشر للهجرة)؛ وهو من علماء النحو، والفقه؛ توفي ببلدة أولاد علي بن صناج؛ ألف كتابا في النحو، وآخر في التوحيد.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد ماني الفاسي الصنهاجي** (ت: سنة 1333هـ/1913م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي؛ وله إلمام بالإفتاء. ألف بعض الكتب؛ منها: منظومة في البدريين، والتعريف بمعاذ، ومعوذ؛ ابني عفراء المذكورين في الشمائل.

ooo

وبعد ذكر العلماء، ورجال الفكر من بني صنهاجة؛ نتكلم الآن عن زعمائهم، ورجال السياسة فيهم؛ وهم:

ـ **ثابت بن وزريون الصنهاجي** (كان حيا سنة 127هـ/744م)؛ وهو الذي ثار في باجة على عبد الرحمن بن حبيب (والي القيروان). ولكن مصيره بقي مجهولا؛ بعد إخماد تلك الثورة؛ التي قتل خلالها عبد الرحمن بن حبيب أعدادا كبيرة من الأمازيغ.

"

ـ ثـم **عبـد الملـك بـن سكرديـد الصنهـاجي** (كـان حيـا سنـة 153هـ/769م)؛ وهـو أحـد قـادة الصفريـة؛ الثائريـن بإفريقيـة في عهـد والي القيـروان عمـر بـن حفـص بـن قبيصـة؛ كمـا شـارك في الحلـف الأمازيـغي الـذي حاصـر عمـر بطبنـة.

ـ ثـم **تيولوتـان بـن تيكـلان اللمتـوني الصنهـاجي** (ت: سنـة 222هـ/836م)؛ ملـك جميـع الصحـراء الفاصلـة بيـن الأقطـار المغربيـة بكاملهـا، وبيـن بـلاد السـودان. ويقـول صاحـب روض القرطـاس: أنـه في إمكانـه حشـد مائـة ألـف مقاتـل عـلى النجـب؛ وأن أزيـد مـن عشريـن ملكـا مـن ملـوك السـودان كانـوا تحـت سلطانـه، ويـؤدون إليـه الجزيـة؛ وكانـت البـلاد الخاضعـة لهيمنتـه تمتـد لثلاثـة أشهـر سيـرا.

ـ ثـم حفيـده **الأتيـر بـن يطيـن** (أو بطيـن) **بـن تيولوتـان بـن تيكـلان اللمتـوني الصنهـاجي** (ت: سنـة 237هـ)؛ ملـك مناطـق الصحـراء ـ بعـد جـده ـ عـلى أحسـن وجـه.

ـ ثـم **تميـم بـن الأتيـر بـن يطيـن بـن تيولوتـان اللمتـوني الصنهـاجي** (تـوفي مقتـولا سنـة 306هـ/918م)؛ قتلـه أشيـاخ بعـض القبائـل مـن

"

صنهاجة؛ مما أدى إلى افتراق أمرهم؛ وبقائهم على فرقتهم طوال 120 سنة.

ـ ثم مناد بن منقوش بن صناك الأصغر (من أعلام القرن الثالث للهجرة)؛ كبير قبيل تلكاتة الصنهاجية، وأميرهم في عهد الأغالبة، وبني العباس. كان ـ في وقته ـ مواليا لهم، وتابعا لسلطانهم.

ـ ثم زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي (ت: سنة 361هـ/971م)؛ وهو الممهد الأول للدولة الصنهاجية بالمغرب الأوسط؛ في ظل الدولة الفاطمية. شيد مدينة آشير الحصينة؛ بجبل تيطري. كما أمر ولده بلكين ببناء: مليانة، ولمدية، والجزائر. وكان له عشرة من الأبناء؛ أصغرهم بلكين. وقُتل زيري في معركة دارت بينه وبين منافسه، وخصمه جعفر بن علي أمير المسيلة. ومن صفات زيري بن مناد؛ أنه ـ إلى جانب ما عرف عنه من كرم، وشجاعة ـ فقد كان يميل إلى الوحشية، والقسوة مع أعدائه.

ـ ثم أبو الفتوح سيف الدولة بلكين بن زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي ويسمى يوسف (ت: سنة 373هـ/983م)؛ هو مؤسس الدولة الزيرية بالمغرب الأوسط وإفريقية؛ بعد أن

"

استخلفه المعز لدين الله الفاطمي على تلك الديار. وكانت له حروب حامية ضد قبائل زناتة؛ التي كانت تميل إلى طاعة بني أمية بالأندلس. تميز هو الآخر بالقسوة؛ مثل أبيه.

ـ ثم **أبو الفتح المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 386هـ/1027م)؛ تربع على عرش المغرب الأوسط، وإفريقية بعد موت أبيه؛ فكان شهما، كريما، حازما، شجاعا؛ عادلا. من إنجازاته العمرانية: بناء مصلى للعيد برقادة، وتشييد قصر صبرة؛ القريب من القيروان؛ الذي انتقل إليه من بلاده آشير. ويقال أنه أنفق في بنائه ثمانمائة ألف دينار.

ـ ثم **حُباسة بن ماكسن بن زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي** (توفي في وقعة رمداي خارج قرطبة سنة 402هـ/1011م)؛ ويعد من الفرسان الأبطال؛ فهو ـ كما كان يوصف عادة ـ فارس صنهاجة، وفتاها بدون منازع. والسبب في مماته ـ كما ذكرت المصادر التاريخية ـ أنه خاض عباب المعركة التي كانت دائرة خارج قرطبة؛ ونظرا لبعض حركاته الخطيرة؛ من على ظهر حصانه؛ الذي كان عليه سرج طري العمل، متفتح اللِّبد ـ

"

كما قال أبو حيان ــ فإنه مال به أثناء المراوغة، والمحاولة؛ فسقط؛ فبادره المدعو النبيه النصراني بطعنة؛ كانت بها نهايته.

ــ ثم **أبو مناد نصير الدولة باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 406هـ/1015م)؛ سلطان إفريقية بالقيروان. حدثت في أيامه فتن؛ بينه وبين قرابته على الحكم؛ فقمع محاولاتهم بشدة. كما ثارت عليه قبائل زناتة؛ فقضى بقية عمره في الحروب ضدهم؛ إذ توفي فجأة بالقرب من المسيلة؛ بينما كان خارجا لملاقاة المتمردين.

ــ ثم **أم ملال السيدة بنت المنصور بن بلكين التلكاتي الصنهاجي** (توفيت سنة 414هـ/1023م)؛ وهي من شهيرات النساء بالمغرب الإسلامي؛ شاركت أخاها باديس في الحكم،؛ إذ انشغل بالفتن، والحروب، وترك لها تسيير شئون الدولة؛ ولما مات فجأة؛ تولت الوصاية على عرش ابنه المعز؛ الذي يبلغ لم يبلغ التاسعة من عمره؛ فكانت تتحلى بالحنكة، والحكمة، والحزم؛ وظلت في مهامها إلى يوم وفاتها؛ فرثاها أكثر من مائة شاعر.

"

ـ ثم **حماد بن بلكين بن زيرى بن مناد التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 419هـ/1028م)؛ بدأ يظهر في عهد ابن أخيه باديس بن المنصور؛ الذي ولاه تيهرت؛ ولكن عاد فعزله وولى عمه الآخر يطوفت. وقد اضطر باديس إلى الاعتماد عليه للمرة الثانية؛ ولكن في هذه المرة؛ احتاط حماد لكي يدوم له الأمر؛ فقضى بقية حياته في صراع حثيث؛ ضد باديس، والمنصور من جهة، وقبائل زناتة من جهة أخرى. وفي سنة 405هـ أسقط دعوة الفاطميين من منابر دولته، وأعلن دعوة العباسيين، وأظهر المذهب السني. وبهذه الخطوة يكون قد سبق المعز في الارتداد عن المذهب الشيعي. ويبدو أن حمادا كان سيئ الحكم، قاسيا على أنصاره، ورعيته؛ بل كان لا يتورع عن الغدر والخيانة؛ إذا لزم الأمر. وقد انتهى ببعض تصرفاته إلى حد الوحشية؛ إذ وصل به الحال إلى قتل حرمه بيديه؛ عند هزيمته أمام ابن أخيه باديس؛ لكي لا تقع في الأسر، ويلحقه منها العار. ومع هذا فقد استطاع بعد إلحاح حثيث، وكفاح شديد؛ من تشيد دولة كبيرة له، ولأبنائه في المغرب الأوسط؛ تميزت ـ فيما بعد ـ بازدهار حضاري، وثقافي عظيم؛ تجلى ذلك

"

في المنجزات العظيمة؛ التي قامت بعاصمة الدولة؛ المعروفة بقلعة بني حماد. ويشير ابن خلدون إلى تلك الإنجازات بقوله: **((تم بناؤها وتمصيرها على رأس المائة الرابعة. وشيد من بنيانها، وأسوارها؛ وأستكثر فيها من المساجد، والفنادق؛ فاستبحرت في العمارة، واتسعت في التمدن؛ ورحل إليها من الثغور، والقاصية، والبلد البعيد طلاب العلوم، وأرباب الصنائع؛ لنفاق أسواق المعارف، والحرف، والصنائع بها)).**[1]

ـ ثم **أبو مثْنى الحاجب المنصور زاوي بن زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي** (كان حيا سنة 420هـ/1029م)؛ هو الذي لجأ مع أنصاره من صنهاجة إلى الأندلس أيام ابن عامر؛ هاربين من باديس بن المنصور. كما أنه الممهد الحقيقي لملك بني زيري بالأندلس. ولكنه بعد الفتنة الكبرى التي انطلقت من قرطبة؛ كره البقاء في الأندلس، وعاد إلى القيروان.

ـ ثم **أبو مسعود حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي** (توفي بغرناطة سنة

---

[1] العبر، مج: 6 ، ص: 350.

"

429هـ/1037م)؛ أقام ملكه بإلبيرة، وغرناطة، وما تبعها؛ وأورثه بنيه.

ـ ثم **محمد بن تيفاف** (أو تيفاب) **اللمتوني الصنهاجي** المعروف بتارسنا (توفي حوالي سنة 429هـ/1037م)؛ تمكن هذا الأمير من جمع شمل صنهاجة الصحراء ـ من جديد ـ تحت لوائه. وكان رجلا صالحا؛ ومتدينا؛ قتل في إحدى المعارك الجهادية؛ ضد بعض الفئات من اليهود.

ـ ثم **يحيى بن إبراهيم الجدالي الصنهاجي** (توفي بعد عام 440هـ/1048م)؛ وهو صهر محمد ابن تيفاف؛ فأضحى ـ بعد مماته ـ زعيما لصنهاجة في الصحراء؛ هو الذي طلب من أبي عمران الفاسي؛ شيخ المالكية بالقيروان ـ أثناء عودته من الحج ـ أن يبعث معه فقيها؛ ليعلم قومه شئون دينهم؛ فكتب إلى من يعرفه بالمغرب الأقصى؛ فدله على عبد الله بن ياسين الجزولي؛ فأخذه معه، وحمل قومه على طاعته؛ إلى أن مات.

ـ ثم **القائد بن حماد بن بلكين بن زيري التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 446هـ/1054م)؛ افتتح عهده بصد هجمات زناتة؛ في الوقت الذي

"

سادت البلاد هدنة حذرة؛ بينه وبين بني عمه في إفريقية. ويقول ابن خلدون أنه أعاد الدعوة للفاطميين؛ فأتحفوه بلقب "شرف الدولة"؛ وهو اللقب الذي سبق أن منحوه إلى المعز؛ بينما ينفي آخرون ذلك. ويمكن أن يكون هذا قد تم نكاية في المعز بن باديس الذي أسقط دعوتهم. وقد ورث عن أبيه حماد قسوته، وشراسته؛ إذ قتل ابنه زيري بنفسه؛ ولكنه قاصر عنه في الحنكة السياسية، والموهبة الحربية. ومع هذا فقد عرفت دولته فترة هادئة، مستقرة.

ـ ثم **محسن بن القائد بن حماد بن بلكين التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 447هـ/1055م)؛ قبل أن يموت والده القائد أوصاه بأمرين: الأول؛ أن يحسن إلى أعمامه؛ خاصة يوسف، وريغلان. والأمر الثاني؛ آلا يخرج من القلعة مدة ثلاث سنين. والغريب في شأن محسن؛ أنه أخل بالوصيتين؛ إمعانا، وإصرارا. فأساء إلى أعمامه جميعا؛ بعزلهم من مناصبهم وقتلهم. كما خرج من القلعة لمحاربة عمه يوسف؛ وأثناء ذلك حاول الغدر بعمه الآخر بلكين؛ فانكشفت المكيدة، ودارت عليه الدائرة؛ وقتله بلكين بمساعدة أنصاره من عرب هلال.

"

ـ ثم **يحيى بن عمر بن تكلاكين اللمتوني الصنهاجي** (توفي بجهات درعة سنة 448هـ/1056م)؛ وهو المهد الأول لقيام الدولة المرابطية. كان مع يحيى بن إبراهيم الدكالي؛ في العودة من الحج، وشاركه في جلب عبد الله بن ياسين إلى الصحراء. ولما تنكرت جدالة؛ خرج مع ابن ياسين إلى جزيرة في نهر السينغال؛ فتنسك معه في رباطه؛ ثم أخذت شلتهم تتنامى ؛ معتزلين عمن خالفهم؛ ولما قويت شوكتهم، وكثرت عصبتهم؛ خرجوا لقتال المخالفين من قومهم، وقتال الوثنيين من السودان. وقتل يحيى بن عمر في بعض الوقائع ضد جدالة ببلاد درعة.

ـ ثم **بلكين بن محمد بن حماد بن زيري التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 454هـ/1062م)؛ بتوليه الحكم انتقل الملك من بيت القائد إلى بيت أخيه محمد بن حماد. كان بلكين ـ كغيره من أمراء تلكاتة ـ يميل إلى القسوة، وسفك الدماء، والجبروت. فافتتح عهده بقتل وزير سلفه الأمير محسن، ثم قتل جعفر بن أبي رمان صاحب بسكرة، ونكب المدينة، وأثخن في أهلها. ثم توغل غربا؛ في بلاد زناتة، والمناطق الصحراوية؛ طالبا المرابطين؛ دون جدوى.

"

وامتدت يده الفاتكة إلى زوجته؛ تانميرات بنت عمه علناس بن حماد؛ الأمر الذي دفع بأخيها؛ الناصر بن علناس لرصد الفرصة المواتية؛ للانقضاض على بلكين؛ قاتل أخته؛ فكان له ذلك. وقد ساعدت الأوضاع السياسية المتردية؛ في دولة بني باديس الزيرية بإفريقية – بعد الغزو الهلالي – وتضعضع أحوال زناتة في غرب البلاد – بفعل زحف المرابطين – على ديارهم على تعزيز نفوذ بني حماد، واتساع رقعة دولتهم شرقا، وغربا؛ على حساب الطرفين الضعيفين. وبدأت قوة الحماديين تظهر، وتزداد ظهورا منذ عهد بلكين بن محمد بن حماد؛ ووصلت بعنفوانها في عهد الناصر بن علناس إلى حد كبير.

– ثم **شرف الدولة المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري التلكاتي الصنهاجي** (توفي بالمهدية سنة 454هـ)؛ خلف والده على عرش إفريقية؛ وعمره لم يصل إلى التاسعة. ولما اشتد ساعده؛ أعلن ما يجيش به صدره، وما نشأ عليه خفية؛ فترك – بذلك – أثرا تاريخيا لا يمحى؛ إذ كان أول من تمرد – من بني زيري – على الفاطميين، ومذهبهم الشيعي؛ وشجع رعيته على اعتناق المذهب

"

المالكي؛ لأن المذهب السني الذي كان معمولا به؛ إلى جانب الشيعة في إفريقية آنئذ؛ هو المذهب الحنفي. وبهذا فتح المعز على نفسه باب المصائب؛ إذ أرسل الفاطميون إليه قبائل بني هلال، وسليم؛ لتأديبه؛ فعاثت تلك القبائل بالبلاد فسادا؛ وقامت بمهمة تدميرية؛ تعجز عنها الجيوش النظامية.

ـ ثم **سيف الدولة بلكين بن باديس بن حبوس التلكاتي الصنهاجي** (توفي مسموما في حياة أبيه سنة 456هـ/1063م)؛ **وكان** وليا لعهد أبيه؛ ولاه والده ـ في البداية ـ على إمارة مالقة. التي انتقلت إليهم بعد انتزاعها من حكم بني حمود؛ فتحولت إلى كورة من كور غرناطة. وتقول المصادر أن الذي قتله ـ غدرا بالسم ـ وزير أبيه: يوسف بن نغْرالة اليهودي؛ ولكنه حول التهمة ـ بدهائه ـ إلى فتيان القصر؛ فانتقم منهم باديس ظلما. وتقول المصادر ـ أيضا ـ بأنه تآمر على الدولة؛ بمداخلة ابن صمادح؛ أمير المرية إذ أطمعه في تحويل إمارة باديس إليه. وعندما قرأ الناس في غرناطة ـ الصنهاجيون منهم على الخصوص ـ قصيدة الشيخ أبي إسحاق الإلبيري؛

"

ثاروا على ابن نغرالة وقتلوه. ومما جاء في تلك القصيدة التحريضية:

ألاَ قُلْ لِصَنْهَاجَةٍ أجْمَعِينْ
بُدُورُ الزَّمَانِ وَأسْدُ العَرِينْ
مَقَالَة ذِي مُقَّةٍ مُشْفِق
يَعُدُّ النَّصِيحَة زُلْفَى وَدِينْ
لَقَدْ زَلَّ سَيِّدِكُمْ زَلَّة
تَقَرُّ بهَا أعْيُنُ الشَّامِتينْ
تَخَيَّرَ كَاتِبَهُ كَافِراً
وَلَوْ شَاءَ كَانَ مِنَ المُؤْمِنينْ
فَعَزَّ اليَهُودُ بِهِ وَانْتَخَوا
وَتَاهُوا وَكَانُوا مِنَ الأرْذَلينْ
وَنَالُوا مُنَاهُمْ وَجَازُوا المَدَى
وَقَدْ جَازَ ذَاكَ وَمَا يَشْعُرُونْ
فَكَمْ مُسْلِمٍ رَاهِب رَاغِب
لأرْذَل قِرْدٍ مِنَ المُشْرِكِينْ

ــ ثم **أبو مناد المظفر بالله باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 467هـ/1074م)؛ خلف والده حبوس في إمارة غرناطة؛ في ظل الدعوة لآل حمود بمالقة. وكان طاغية، جبارا، وداهية وشجاعا وحازما وجَلْدا. وقال ابن خلدون أنه

"

هو الذي اختط قصبة غرناطة، وشيد قصورها، وأقام حصونها، ومختلف المنشآت التي ظلت إلى عهده؛ وبذلك يكون هو الذي مصَّرها. كما زحف على مالقة ــ بعد ظهور بوادر الضعف عليها ــ فاحتلها، واكمل بنا ء قصبتها؛ ثم أسند إمارتها ــ بعدئذ ــ لولده بلكين.

ــ ثم **أبو بكر بن عمر اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنة 480هـ/1087م)؛ عينه عبد الله بن ياسين ــ بعد موت يحيى بن عمر الجدالي ــ قائدا للصنهاجيين؛ فتولى إدارة الحرب بينهم بجدارة، وكفاءة عالية؛ إذ تمكن من السيطرة على المناطق الشمالية لبلاهم؛ مثل بلاد فازاز، والسراير ومكناسة، وبرغواطة. ثم وصلته أخبار باشتعال فتن داخلية بين قبائل صنهاجة في أعماق الصحراء؛ فعاد لإصلاح حال قومه؛ بعد أن أسند أمر جيشه، والمناطق المفتوحة إلى يوسف بن تاشفين؛ الذي استبد بالأمر، وانفرد بالحكم.

"

ـ ثم **الناصر بن علناس بن حماد بن زيري التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 481هـ/1088م)؛ باستيلائه على الحكم؛ يكون المُلك قد انتقل إلى بيت ابن ثالث لحماد؛ وهو علناس. وكان الناصر ـ كغيره من بني حماد ـ شديدا وقاسيا؛ إذ كان لا يتورع عن القتل لأبسط الأسباب. وقد افتتح حكمه بقتل أعيان بسكرة؛ من بني جعفر ابن أبي رمان، وبعض الفئات من صنهاجة، وبعض الموظفين في بلاطه، وكثير من زعماء زناتة. هذا وقد تدعم ـ في بداية عهده ـ سلطان الدولة الحمادية؛ التي استفادت من تدهور الأوضاع في دولة بني باديس بالمهدية، وانشغال زناتة في كفاح المرابطين. ولكن لم تدم الأحوال كما كانت؛ إذ ساعدت بذور الفرقة بين بني زيري؛ في إفريقية والمغرب الأوسط على تعزيز نفوذ قبائل بني هلال؛ التي ترصدت الفرص ـ واحدة بعد الأخرى ـ لكي تضعف سلطان الدولة ونفوذها؛ وتوسع سلطان القبائل الهلالية وتنشره عبر البلاد كافة بالتدريج؛ شيئا فشيئا؛ حتى أصبحت جل المناطق السهبية، والسهلية خاضعة لنفوذهم. بل أجبروا الناصر بن علناس نفسه على إخلاء قلعته، والهجرة إلى شاطئ البحر؛

"

حيث شيد مدينة الناصرية (بجاية) واتخذها عاصمة لملكه. وفي هذا يقول ابن خلدون: **((وفي سنة ستين [وأربعمائة] افتتح جبل بجاية، وكان له قبيل من البربر يسمون بها الاسم... وهذا القبيل من صنهاجة... فلما افتتح هذا الجبل اختط به المدينة، وسماها الناصرية؛ وتسمى عند الناس باسم القبيلة؛ وهي بجاية. وبنى بها قصر اللؤلؤة؛ وكان من أعجب قصور الدنيا، ونقل إليها الناس، وأسقط الخراج عن ساكنيها، وانتقل إليها سنة إحدى وستين. وفي أيام الناصر هذا كان استفحال ملكهم، وشغوفه على ملك بني باديس إخوانهم بالمهدية... فبنى المباني العجيبة المؤنقة، وشيد المدائن العظيمة)).**[1]

ـ ثم **المنتصر تميم بن بلقين بن باديس بن حبوس** (توفي بمراكش سنة 488 هـ)؛ ولاه جده باديس على مالقة؛ تحت وصاية شيخ من صنهاجة؛ نظرا لصغره؛ فكان جريئا، وشهما؛ ولكنه قاسيا وعنيفا. ولما استولى يوسف بن تاشفين على غرناطة؛ اتبعها بمالقة، وألقى القبض على تميم ، ثم أرسله إلى السوس؛

[1] العبر، مج: 6، ص: 357.

ولكنه عفى عنه فيما بعد، فاستقر بمراكش حتى مات.

– ثم **عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان الصنهاجي** (ت: سنة 488هـ/1095م)؛ وهو مؤسس إمارة بني خراسان بتونس.

– ثم **المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 498هـ/1104م)؛ أمه هي بلارة بنت تميم بن العز؛ وهي التي بنى لها زوجها الناصر قصري بلارة: أحدهما بالقلعة، والآخر ببجاية. وورث المنصور عن والده الدهاء، والشجاعة، والحزم. وهو أقل قسوة، ووحشية من أسلافه؛ وإن كان قد قتل زوجته ظلما؛ بسبب خلاف حدث بينه وبين والدها؛ ماخوخ زعيم بني وامانوا. وسار المنصور على نهج والده في جل الميادين: السياسية، والعسكرية، والحضارية؛ فكان نسخة منه. وعليه فقد قضى جل وقته في مطاردة القبائل الزناتية، وصد أطماع المرابطين، ومواجهة عيث، وفساد قبائل بني هلال، وتأديب الخارجين عن سلطانه من أهل بيته، وعمومته. وكان ولوعا بالبناء، والعمران، وأسباب الحضارة. وقال ابن خلدون فيه: ((**فاتخذ بجاية**

"

هـــذه معقـــلا، وصيرهـــا دارا لملكـــه، وجـــدد قصورهـــا، وشيـــد جامعهـــا. وكـــان المنصـــور هـــذا جماعـــا، مولعـــا بالبنـــاء؛ وهـــو الـــذي حضـــر ملـــك بـــني حمـــاد، وتأنـــق في اختطـــاط المبـــاني، وتشييـــد المصانـــع، واتخـــاذ القصـــور، وإجـــراء الميـــاه في الريـــاض، والبساتيـــن؛ فبـــنى في القلعـــة قصـــر الملـــك، والمنـــار، والكوكـــب، وقصـــر السلـــم؛ وفي بجايـــة قصـــر اللؤلـــؤة، وقصـــر أميمـــون)).[1]

ـ ثـــم **أبـــو معبـــد باديـــس بـــن المنصـــور بـــن الناصـــر بـــن علنـــاس التلكـــاتي الصنهـــاجي** (ت: سنـــة 500هـــ/1106م)؛ كـــان قاسيـــا شديـــد الوحشيـــة. افتتـــح عهـــده بقتـــل وزيـــر أبيـــه عبـــد الكريـــم بـــن سليمـــان؛ ثـــم قتـــل عامـــل أبيـــه عـــلى بجايـــة؛ الـــتي لـــم ينتقـــل إليهـــا بعـــد؛ ثـــم أســـاء إلى أخيـــه العزيـــز؛ والي الجزائـــر؛ فعزلـــه، ونفـــاه إلى جيجـــل. كمـــا ألـــقى أحـــد الصالحيـــن إلى أســـد؛ فلـــم يفترســـه الأســـد. وبذلـــك تصبـــح وحشيـــة الأســـد أقـــل حـــدة مـــن وحشيـــة باديـــس بـــن المنصـــور. ويقـــال أن موتـــه حـــدث بواسطـــة الســـم؛ الـــذي دستـــه أمـــه في طعامـــه؛ بعـــد أن توعدهـــا بالقتـــل.

---

[1] العبـر، مج: 6، ص: 358.

"

ـ ثم **عبد العزيز بن عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان الصنهاجي** (ت: سنة 500هـ/1106م)؛ وهو ثاني الأمراء من بني خراسان بتونس؛ وقد اتصف بالضعف.

ـ ثم **أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت اللمتوني الصنهاجي** (توفي بمراكش سنة 500هـ/1106م)؛ وهو ممهد الدولة المرابطية، وباسط سلطانها في بلاد المغرب والأندلس. شارك ابن عمه أبا بكر بن عمر في فتوحاته، وانتصاراته ببلاد المغرب؛ ولما قرر العودة إلى الصحراء استخلفه على البلاد المفتوحة؛ فنهض بهمة، وحزم عظيمين؛ فأضاف جزءا كبيرا من البلاد إلى ملكه؛ فاستفحل أمره، وعظم شأنه؛ فلما عاد ابن عمه أبو بكر وجه قد استبد بالملك؛ فتركه وعاد إلى الصحراء؛ متجنبا الفتنة، زاهدا في مغريات الدنيا. وهكذا أضحى ابن تاشفين هو الآمر الناهي؛ فتحول إلى ملك عظيم؛ نشر سلطانه على بلاد المغرب والأندلس. ويتحلى ابن تاشفين بالتدين، والخلال الحميدة، والتفاني في الجهاد، والغيرة على المسلمين.

"

ـ ثم **سير بن أبي بكر اللمتوني الصنهاجي** (توفي قرب إشبيلية سنة 507هـ/1113م)؛ وهو ابن عم يوسف بن تاشفين؛ وكان من الذين يكلفهم بالمهام الكبرى. ويعد من بين القادة الكبار للدولة المرابطية.؛ فهو الذي فتح إشبيلية، وقام بنفي المعتمد ابن عباد. وبعدها أسندت ولايتها إليه. كما فتح قرمونة، ولبلة. ومات فجأة؛ أثناء تشييعه لزوجته حواء بنت تاشفين، خلال زفاف ابنته فاطمة.

ـ ثم **مَزْدَلِي بن بُوبْلِنْكَانْ بن حمني** أو (حسن) **بن محمد بن ترْقوت اللمتوني الصنهاجي** (توفي في حصن مسطاسة سنة 508هـ)؛ وهو من أعيان المرابطين، وابن عم يوسف بن تاشفين، وعضده الأيمن؛ إذ تولى مهام كبرى في الدولة؛ وهو الذي أعاد فتح بلنسية، وأخرج النصارى منها عام 494هـ/1100م. وولي على تلمسان، وقرطبة، وغرناطة، والمرية.

ـ ثم **أبو طاهر يحيى بن تميم بن العز بن باديس التلكاتي الصنهاجي** (توفي بالمهدية سنة 509هـ/1115م)؛ وهو من سلاطين الدولة الزيرية بإفريقية. تمكن من بناء أسطول غزا به جنوة، وسردانية؛ حيث فرض على أهلها

"

الجزية. وكان شجاعا، حازما؛ وله اشتغال بالشعر، والأدب؛ ولكنه ترك ذلك بعد اعتلاء سدة الحكم. حدث خلاف بينه وبين بعض إخوته؛ فنفاهم؛ فغدر به بعضهم؛ فطعنوه طعنات؛ أودت بحياته؛ بعد حين.

ـ ثم **أبو بكر بن إبراهيم المسوفي الصنهاجي** المعروف بابن تيفلويت (توفي بسرقسطة سنة 510هـ/1116م)؛ وهو صهر علي بن يوسف. كان واليا للمرابطين على غرناطة، ثم سرقسطة؛ كان من أهل الفضل، والجود، والحياء، والشجاعة. ومدح من طرف الفيلسوف ابن باجة، ومن الشاعر ابن خفاجة.

ـ ثم **العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 515هـ/1121م)؛ افتتح عهده؛ بعقد صلح مع زناتة؛ وأصهر إلى أحد زعمائهم؛ فتزوج بنت ماخوخ. وكانت أيامه في غالب أوقاتها آمنة، هادئة؛ باستثناء بعض العمليات القليلة؛ التي اضطرته إليها الظروف؛ مثل: حصاره لجزيرة جربة ثم احتلالها، وإخضاع تونس؛ ومناوشة الأعراب، ومكافحة عيثهم، وفسادهم في القلعة ونواحيها ومنطقة الزاب. ومع هذا فقد كان يعقد مجالس للعلماء، والأدباء؛ بالإضافة إلى

ولوعه بالبناء. وفي عهده مر ابن تومرت ببجاية؛ عائدا من المشرق عام 512هـ؛ فاجتهد فيها لتغيير المنكر؛ فرفعت به الشكاوى إلى السلطان عبد العزيز؛ فأمر بإحضاره؛ فهرب إلى بني ورياكل؛ القاطنين في وادي بجاية.

ـ ثم **علي بن يحيى بن تميم بن المعز التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 515هـ/1121م)؛ وهو أحد سلاطين بني زيري بإفريقية؛ كان حازما، وشجاعا؛ قضى فترة حكمه في إخماد الفتن التي يشعلها الأعراب من بني هلال، وسليم. وحاول في آخر أيامه غزو صقلية؛ لكبح عدوان روجر الثاني المتكرر؛ ولكن عاجله القدر؛ فتوفي قبل تحقيق غرضه.

ـ ثم **أبو طاهر تميم بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنة 520هـ/1126م)؛ كلف بمهام عديدة؛ عسكرية، وسياسية في المغرب، والأندلس. ويبدو أنه لم يحالفه التوفيق في كثير منها.

"

ـ **ثم أبو بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي** المعروف باسم بكور (كان حيا سنة 522هـ/1128م)؛ أسندت إليه ولاية من إشبيلية سنة 518هـ/1124م إلى سنة 522هـ/1106م. وهو أكبر أبناء السلطان علي بن يوسف.

ـ **ثم أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنة 537هـ/1142م)؛ خلف والده يوسف في ملك المغرب، والأندلس؛ فسار على نهجه، واقتفى أثره في مواصلة الجهاد، ونصرة الحق، وإنصاف المظلومين، وكبح الظالمين، والانتصار للدين، والورع، ومخافة الله. وفي عهد ظهرت بوادر الدعوة الموحدية؛ وذلك في سنة 514هـ. وعندما شعر بدنو أجله أوصى بأن يدفن بين عامة المسلمين؛ فكان له ذلك.

ـ **ثم أبو المعز تاشفين بن علي بن يوسف ابن تاشفين اللمتوني الصنهاجي** (توفي في وهران سنة 539هـ/1144م)؛ اشتهر بالشجاعة، والشهامة؛ وكانت له في حياة أبيه ملاحم ضد النصارى بالأندلس؛ إذ فتح مدنا عديدة بها؛ منها: طليطلة، وكركي، وأشكونية، وغيرها. ولما

"

انتصب على سدة الحكم بمراكش؛ مرت أيام حكمه كلها في حروب، وفتن ضد الموحدين؛ الذين استفحل أمرهم بالمغرب الأقصى. وكانت نهايته في معركة بينه وبين عبد المؤمن بن علي أمام وهران؛ حيث سقط به جواده في هوة؛ مات إثرها.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف اللمتوني الصنهاجي** (قتل بمراكش سنة 540هـ/1145م)؛ بايعه المرابطون بعد مقتل أبيه بوهران؛ ولكنهم عدلوا عنه بعد أيام؛ وبايعوا عمه إسحاق.

ـ ثم **إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين** (ت: سنة 541 هـ/1146م)؛ وهو آخر سلاطين الدولة المرابطية؛ وبقتله انتهى أمرها. بويع في مراكش بالملك بعد تنحية ابن أخيه إبراهيم؛ فزحف إليه عبد المؤمن بن علي؛ الذي قتله؛ بعد أن تغلب عليه.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن علي بن غانية المسوفي الصنهاجي** (توفي بغرناطة سنة 543هـ/1148م)؛ وهو من الأبطال المعدودين؛ حمل لواء الجهاد بالأندلس؛ فكان من أكفأ الأمراء المسلمين بتلك الديار؛ وكان شهما، داهية،

"

حازما، خبيرا بفنون الحرب. بدأ حياته السياسية، والعسكرية في ظل أمير قرطبة اللمتوني محمد بن الحاج (زوج أمه، وكفيله بعد أبيه)؛ الذي ولاه مدينة أستجة في البداية؛. واشتهر يحيى تبعا لما أظهره من بسالة، وإقدام، وحنكة عسكرية؛ خاصة عندما هزم ابن رُذْمير (ألفونسو المحارب ملك أرغون). ويقال أنه تزوج امرأة من صنهاجية جميلة، وفاضلة؛ ولكنه طلقها؛ فلما سألوه عن سبب طلاقه لها؛ قال: **((والله ما فارقتها عن خلة تُذَم؛ ولكن خفت أن أشْتَغَلَ بها عن الجهاد))**. وفي أواخر حياته واجهته ضغوط كثيرة؛ نتيجة لخيانة بعض المسلمين؛ مثل ابن حمدين؛ الذي تحالف مع النصارى، وأدخلهم على ابن غانية بقرطبة؛ فعاثوا بالمدينة فسادا، ونهبوا المسجد، ودنسوه.

ـ ثم **أبو بكر بن إسماعيل بن عبد الحق ابن عبد العزيز بن خراسان الصنهاجي** (ت: سنة 544هـ/1149م)؛ وهو رابع أمراء بني خراسان بتونس؛ ولما استولى بنو حماد على تونس؛ نزل أبو بكر هذا بمدينة بنزرت؛ حتى ثار سكان تونس على معد بن منصور الحمادي؛ فاستدعوه للإمرة عليهم؛ وبعد مدة

"

غدر به ابن أخيه؛ فقتله، ورمى به في البحر؛ مدعيا بأنه غرق.

ـ ثم **محمد بن علي بن يوسف بن غانية المسوفي الصنهاجي** (ت: سنة 546هـ/1151م)؛ وهو مؤسس إمارة بني غانية بميورقة؛ انتقل إليها بعد موت أخيه يحيى، وانقراض دولة المرابطين؛ فأنشأ إمارته في تلك الجزر؛ معلنا بالدعوة لبني العباس، وبقي على ذلك الحال حتى مات.

ـ ثم **يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 547هـ/1152م)؛ كان ضعيف الشخصية، مولعا بمجالسة النساء، وبالصيد؛ ولم يخلف أثرا يستحق أن يذكر. وفي هذا يقول ابن الخطيب: **((وكان مولعا بالصيد، مغرما به، كلفا بالملهين؛ يحضر منهم عنده نحو العشرين؛ بين رجل وامرأة؛ من شيوخ، وعجائز، وحمقى؛ فكان يستلقي في بيته على الفرش الوثيرة الحشايا، ويستدعي المضحكين، وجوارح الصيد؛ فيختبر هذا البازي، ويتفقد هذا الكلب، ويستنهض هذا المضحك في النوع الذي سلكه؛ فيلهيه، ويضحكه. ويجلس أبدا بين أخواته: تقسوط، وأم ملال، وشبلة؛ في زي**

"

العرائس؛ من الحلي، والملابس. فلا يزال كذلك إلى أن ينام. ثم يغتدي إلى الصيد)).[1]
وانتهى أمره إلى تسليم أمره للموحدين؛ وإنهاء عمر الدولة الحمادية؛ وذلك سنة 547هـ؛ بمبايعته لعبد المؤمن بن علي.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن فاطمة الصنهاجي(**كان حيا سنة 549هـ/1154م)؛ كان من القادة المحنكين في الجيش اللمتوني. شارك في استنقاذ بلنسية من أيدي النصارى. ثم أسندت إليه ولايتها سنة 503هـ/1109م؛ وبعدها كلف بولاية فاس ؛ ثم نقل إلى ولاية إشبيلية من سنة 509هـ/1115م إلى سنة 511هـ/1115م.

ـ ثم **علي بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحق بن خراسان الصنهاجي** (ت: سنة 555هـ/1160م)؛ وهو آخر أمراء بني خراسان بتونس. اقتحم عليه عبد المؤمن بن علي حاضرة ملكه، ونقله إلى مراكش؛ فتوفي في طريقه إليها.

ـ ثم **الحسن بن علي بن يحيى بن تميم ابن المعز بن باديس التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 563هـ/1167م)؛ هو آخر العقد من سلاطين

---

[1] أعمال الأعلام، ق: 3 ، ص ص: 99 ـ 100.

"

الدولة الزيرية بإفريقية؛ تربع على العرش وهو طفل لا يتجاوز عمره الإثني عشر سنة؛ فحكم في ظل الأوصياء؛ فاختل شأن الدولة، وتعرضت لغزو النصارى بقيادة روجار Roger II ملك صقلية؛ الذي استولى على المهدية حاضرة الدولة الزيرية؛ فاستنجد الحسن بعبد المؤمن بن علي؛ فزحف إلى المهدية بجيش الموحدين فافتتحها، وأخرج منها النصارى، وبقي الحسن في رعاية عبد المؤمن، وابنه يوسف حتى توفي وهو في طريقه إلى مراكش.

ـ ثم **علي بن إسحاق بن محمد بن غانية المسوفي الصنهاجي** (ت: سنة 585هـ/1189م)؛ كان أميرا على مايورقة بالأندلس؛ فانتهز فرصة غفل فيها الموحدون؛ فجهز أسطوله، وغزا به مدينة بجاية. وكانت محاولته هذه شرارة أشعلت ـ من جديد ـ نار الثورة، والفتن المتتالية ببلاد المغرب الأوسط، وإفريقية. وكانت نهايته القتل بواسطة سهم في موقعة توزر.

ـ ثم **داود بن عائشة الصنهاجي** (ربما كان حيا سنة 585هـ/1189م)؛ وهو من القادة العسكريين الأفذاذ. كان يتحلى بالشجاعة، والعزيمة الفولاذية. فهو الذي أسقط ملك بني

"

صمادح بالمرية؛ ثم استولى على مرسية، فدانية، فشاطبة؛ فبلنسية، فشنتمرية، فشقورة.

ـ ثم **إبراهيم بن إسماعيل بن علان اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنه 627هـ/1229م)؛ شيخ اللمتونيين في حامية تلمسان؛ حاول الاستيلاء عليها ـ أيام المأمون الموحدي ـ بعد نزوة من نزوات العصبية؛ فتصدى له بنو عبد الواد، وقتلوه؛ فكان سببا غير مباشر؛ لتدرج بني عبد الواد نحو ملك تلمسان.

ـ ثم أبو علي عمر بن يحيى بن مُحَلىً البطوي الصنهاجي (توفي مقتولا سنة 785هـ/1383م)؛ تجمعه مع أبي يوسف سلطان بني مرين قرابة خؤولة؛ أهلته لكي يتولى ـ من طرفة ـ أعمال مالقة؛ التي خرجت من أيدي بني اشقيلولة؛ في جوازه الثاني للأندلس. ولكنة خان الأمانة؛ بتخليه عنها لأبن الأحمر؛ مقابل بعض المغريات؛ دون الرجوع إلى صاحب العهدة؛ سلطان بني مرين. ومع هذا لم تدم علاقته الحميمة مع ابن الأحمر؛ إذ فسد الجو بينهما؛ فنشبت فتن متتالية بينهما؛ حتى عاد سلطان بني مرين مرة أخرى إلى الأندلس؛ فقبض عليه، وأرجعه إلى المغرب؛ أين أطلق سراحه بعد مدة. ولما مات أبو يوسف عاد عمر

"

هـذا إلى الأندلـس؛ طلبـا للمغامـرة؛ ولكنـه ــ هـذه المـرة ــ انقـاد إلى مصيـره المحتـوم؛ إذ قتـل في النهايـة بأيـدي أبنـاء أبي العـلاء المريـني اللاجئيـن ببـلاد الأندلـس؛ ثـأرا منـه في دم عمهـم؛ مقتـول أبيـه.

ــ ثـم **طلحـة بـن يحـيى بـن مُحَـليّ البطـوي الصنهـاجي** (تـوفي مقتـولا سنـة 786هــ/1384م)؛ وهـو مثـل أخيـه عمـر؛ يستنـد إلى القرابـة الـتي تربطـه بالسلطـان يعقـوب بـن عبـد الحـق. ويعـد طلحـة هـذا مـن بيـن الأبطـال المشهوريـن؛ إذ استعانـت الدولـة المرينيـة بخبرتهـم في بدايـة تكوينهـا؛ إلا أنـه شـارك أخيـه في خيانتـه للدولـة فيمـا بعـد؛ سـواء في الأندلـس؛ حيـث قاسـم أخـاه عمـر الفوائـد الـتي اتفـق عليهـا مـع ابـن الأحمـر؛ أو في ديـار المغـرب؛ حيـث ثـار عـلى السلطـان، وأعلـن العصيـان. هـذا وقـد انتـهى بـه الأمـر إلى القتـل في إحـدى المعـارك.

ــ ثـم **محمـد بـن عـلي بـن مُحَـليّ البطـوي الصنهـاجي** (ت: سنـة 787هــ/1385م)؛ ولاه السلطـان المريـني يعقـوب بـن عبـد الحـق عـلى أعمـال مراكـش كافـة سنـة 768هــ/1366م؛ بعـد افتكاكهـا مـن أيـدي الموحديـن. وكانـت ولايتـه محمـودة، إذ

"

سار في الأمر سيرا حسنا؛ وبقي فيها إلى عام 787هـ/1385م؛ السنة التي هلك فيها بمحبسه.

***

ـ ***مواطنهم:*** يقول ابن خلدون عن شعب صنهاجة: **((وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد، وما قبله؛ لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم؛ في جبل أو بسيط)).**[1] وينقسم الصنهاجيون؛ حسب مواطنهم، ونظام حياتهم؛ إلى فئتين عظيمتين: صنهاجة الشمال **(سكان التلول، والجبال)**؛ ومن أهم قبائلهم **تلكاتة**؛ ويسكنون بيوت الطين والحجر. وصنهاجة الجنوب (سكان الصحراء)؛ وأعظم قبائلهم هي: **لمتونة، ومسوفة، وكدالة.** وتمتد مواطنهم **جنوب المفازة الصحراوية الكبرى**؛ وحتى بلاد السودان. وهم من أهل الوبر.

فأما قبائل صنهاجة الشمال فهم على طبقتين: إحداهما تمثلها قبيلة **تلكاتة**؛ من أهل المدر. والأخرى تتكون من القبائل الصنهاجية التي اختارت العيش في الأرياف، والجبال؛ حيث انتشرت جماعاتهم في شمال المغرب؛ بعد سقوط

---

[1] **العبر، مج: 6 ، ص: 309.**

"

دول صنهاجة؛ وظلت على حالها حتى عصر ابن خلدون. وهذه الطبقة لم تتوصل إلى إقامة إمارات، وممالك؛ على الرغم من ضخامة هياكلها، وتعدد قبائلها. ومواطن هذه الطبقة مجاورة لمواطن قبائل مصمودة؛ حيث تتواجد فئات منهم **بجبل درن**، ثم إلى الشرق منه؛ في المحيط الذي تربض فيه: **تازي، وتادلا، ومعدن بني فازان، وآكرسلوين، ودرعة**، وضواحي السوس الأعلى ومدنه مثل: **تارودانت، وإفري، وفونان**..إلخ.[1] أما **تلكاتة** فهم مدريون. وقد تمكنوا من تأسيس دول هامة في إفريقية، والمغرب الأوسط، والأندلس. وتتواجد أوطانهم الأولى **بالمغرب الأوسط**؛ من **المسيلة، إلى الجزائر، ثم لمدية، ومليانة**. وأوطانهم هذه هي التي تغلبت عليها — فيما بعد — قبائل الثعالبة، وزغبة، كـ: بني يزيد، وحصين، العطاف.[2] أما صنهاجة الجنوب فتمكنوا — بدورهم — من تشييد دولة عظمى؛ وهي دولة المرابطين. وثمة نص لابن خلدون يصفهم، ويصف أوطانهم بقوله: **((وهذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر؛ وراء الرمال الصحراوية**

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 425 — 427.

[2] نفسه، ص ص: 309 — 316.

"

الجنوبيــة؛ أبعــدوا في المجــالات هنالــك؛ منــذ دهــور قبــل الفتــح؛ لا يعــرف أولهــا؛ فأصحــروا عــن الأريــاف، ووجــدوا بهــا المــراد، وهجــروا التلــول، وجفوهــا؛ واعتاضــوا منهــا بألبــان الأنعــام، ولحومهــا؛ انتبــاذا عــن العمــران، واستئناســا بالإنفــراد، وتوحشــا بالعــز عــن الغلبــة، والقهــر. فنزلــوا مــن ريــف الحبشــة جــوارا، وصــاروا مــا بيــن بــلاد البربــر، وبــلاد الســودان حجــزا، واتخــذوا اللثــام خطامــا؛ تميــزوا بشعــاره بيــن الأمــم؛ وعفــوا في تلــك البــلاد، وكثــروا؛ وتعــددت قبائلهــم مــن: كدالــة، فلمتونــة، فمسوفــة، فوتريكــة، فتاركــا، فزغــاوة، ثــم لمطــة اخــوة صنهاجــة؛ كلهــم مــا بيــن البحــر المحيــط بالمغــرب، إلى غدامــس؛ مــن قبلــة طرابلــس، وبرقــة)).[1]

....

[1] العبــر، مج: 6، ص ص: 370 ـــ 373.

"

5 ـ عَجيسة:

لم تسعفنا المصادر التاريخية بمعلومات كافية؛ تخص بطون **عَجيسة**، وتسلسل أنسابها؛ كما جرت العادة مع غيرها من القبائل. وكل ما وصلنا عنهم؛ هو عبارة عن لمحات عامة؛ سردها ابن خلدون؛ في جمل خاطفة؛ تبعث على الحيرة، والاستفسار. من ذلك قوله: **((وأما عَجيسة: وهم بطون البرانس من ولد عَجيسة من برنس؛ ومدلول هذا الاسم البطن؛ فإن البربر يسمون البطن بلغتهم عدّس؛ بالدال المشددة؛ فلما عربتها قلبت دالها جيما مخففة؛ وكان لهم بين البربر كثرة، وظهور)).**[1] ويبدو أن كثرتهم انتهت إلى التقلص والانكماش؛ في عهد الدولة الزيرية؛ التي سلطت عليهم آلة الانتقام الجهنمية؛ نتيجة للضعف، والهوان الذين أضحيا يخيمان عليهم؛ بعد القضاء على ثورة أبي يزيد؛ التي تورطوا فيها؛ حين أجاروه ضد الدولة الفاطمية.

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 295 ـــ 296.

"

ولما اختار حماد بن بلكين أرضهم لبناء قلعته العتيدة؛ نشبت مناوشات عديدة بينهم وبين الدولة؛ فانتهى بهم الحال إلى القتل، والتشرد في الأقطار. ثم أضافت عشائر عياض الهلالية ما كانت قد تعففت عنه الدولة الحمادية. وهكذا هلكت أحياء **عَجيسة**، وتفرقت عبر بلاد المغرب، وإفريقية. وبمرور الزمن؛ ذاب أبناء عَجيسة ضمن قبائل أخرى مجاورة لمواطنهم الأصلية؛ مثل: كتامة، وصنهاجة، وزواوة. وقد بقيت منهم بعض الفئات التي احتفضت باسم القبيلة الأول؛ من بينها: قبيلة عَجيسة المتواجدة على بعد 26 كلم إلى الجنوب الغربي من مدينة بجاية الجزائرية. ثم قبيلة أخرى باسم عَجيسة؛ متواجدة في الحضنة الشرقية؛ ضمن دوار الجزار؛ بجوار مدينة بريكة الجزائرية. كما توجد قرية باسم عَجيسة ــ أيضا ــ ضمن أرض بني تيلالان؛ بين مدينتي: قسنطينة، والقل. وقد اندمجت بعض البطون من عَجيسة ضمن قبيلة الأعراش (دوار رأس تالا تينزار ــ الكركور)، ثم قبيلة الساحل القبلي(دوار ذرا قبيلة ــ الكركور) بالمغرب الأوسط.[1]

[1] قبائل المغرب، ج: 1 ، ص: 336. دور كتامة، ص ص: 70 ــ 71.

"

ويبدو أن بعض الفئات منهم اختارت الهجرة إلى بلاد الأندلس.

! ! !

ـ ***أعيانهم***: نبغ من **عَجيسة** رجال علم وفقه ذاع صيتهم؛ في المغرب، والمشرق؛ من بينهم أسرة بني مرزوق الشهيرة؛ منهم:

ـ **أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد ابن محمد بن محمد بن محمد بن مرزوق التلمساني العَجيسي** الشهير بالخطيب (توفي سنة 781هـ/1379م)؛ وهو من أعلام الفقه المالكي؛ وله عناية بالأدب، وعلوم الدين، وفنون أخرى. وصل عدد مؤلفاته حوالي 17 كتابا؛ في الفقه، والفتوى، والتوحيد، والتفسير، والحديث الشريف، والتاريخ، والتراجم، والخطابة، والأدب، والشعر، والتنجيم، وغير ذلك من الفنون. ولاه السلطان أبو الحسن المريني الخطابة بمسجد العباد بتلمسان؛ ثم نقله قربه بالمغرب؛ حيث ولاه الخطابة؛ كما كلفه ببعض السفارات. أما السلطان أبو عنان فقد حاول في البدء تقريبه إليه؛ وبعثه في سفارة إلى تونس؛ ولكنه اتهمه ــ فيما بعد ــ بالتآمر؛ فسجنه، ثم أطلق سراحه. وبعد مدة رحل إلى تونس؛ ثم إلى

القاهرة؛ التي استقر بها حتى وافته المنية. له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم والفنون؛ كـ: الفقه والتوحيد والفتاوى والتفسير والحديث والمنطق والعروض والقوافي والشعر، وغيره من الفنون المختلفة. منها: كتاب عجلة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من الشيوخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز، وكتاب تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام؛ وهو في خمسة أجزاء، وكتاب شرح الأحكام الصغرى؛ وهو شرح لكتاب عبد الحق الإشبيلي، وشرح كتاب الشفاء للقاضي عياض؛ لم يكتمل، وإزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب، وتحفة الطرف إلى الملك الأشرف، والمسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، وكتاب الإمامة، وكتاب إيضاح الرشد فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد، وشرح صحيح البخاري، والإمامة، وشرح البردة، وديوان خطب وقصائد، وكتاب في التنجيم، وكتاب جني الجنتين في فضل الليلتين؛ وهما ليلتي: القدر، والمولد، وكتاب الأربعين المسندة في الخلافة والخلفاء، وكتاب جمع فيه ما قيل في الصبر. وقد أورد له ابن الخطيب، ومن بعده المقري؛ بعض المقطوعات

الشعرية القليلة؛ منها هذه القصيدة الطويلة؛ التي سنثبتها هنا كاملة؛ لأنها تكاد تكون الوحيدة؛ مما وصل إلينا من شعر ابن مرزوق الخطيب؛ باستثناء أبيات قليلة؛ استشهد بها ابن الخطيب ـ أيضا ـ في بعض المواضع، وفي مناسبات مختلفة. أما القصيدة الكاملة فنظمها عن الحج، وزيارة الديار المقدسة؛ وقرِئَتْ بمناسبة ليلة المولد عام 763هـ/1361م.

[أيا نسيم][1] السحر	بالله[2] بلغ خبر
إن أنت يوماً بالحمى	جررت فضل المئزر
ثم حثثت الخطو من	فوق الكثيب الأعفر
مستقرياً في عشبه	خفيَّ[3] وطء المطر
تروي عن الضحاك في الر	وضِ حديث الزهر
مخلق الأذيال بال	عبير أو بالعنبر
وصف لجيران الحمى	وجدي بهم وسهري
وحقهم ما غيرت	ودي صروف الغير
لله عهد فيه قَضَّ	يْت حميد الأثر

[1] في النفح: ((قل لنسيم)).

[2] نفسه: ((لله)).

[3] نفسه: ((مخفيَّ وطء)).

"

أيامـــــه هـــي الــــتي	أحسبهـــا من عمـــري
وباليـــــل فيـــــه مـــا	عيــب بغيــر القصـــر
العمـــر فينـــان ووجـــــ	ـــه الدهر طلق الغـــرر
والشمـــل بالأحبـــاب منـــ	ـــظـــوم كنظم الـــدرر
صفـــو من العيـــش بـــلا	شائبـــة مـــن كــــــدر
ما بيـــن أهل تقطـــف الـــ	ـــأنـــس جـــني الثمـــر
وبيـــن آمـــــال تبيـــــ	ـــح القرب صافي الغدر[1]
يا شجـــرات الـــحي حيَّـــ	ـــاك الحيـــا من شجـــر
إذا أجـــال الشـــوق فـــي	تلـــك المغـــاني فكـــري
خرجت من خـــدي حديـــ	ـــث الدمع فوق الطـــرر
وقلـــت يا خَـــدُّ أرْوِ مِـــنْ	دمعي صحاح الجوهري
عهدي بحادي الركب[2] كالـــ	ـــورقـــاء عند السحـــر
والعيـــس تجـــتاب الفـــلا	واليَعْمَـــلاتُ[3] تَنْبَـــري[4]
تخبـــط بالأخفـــاف مظـــ	ـــلوم البَرَى[5] وهو بَرِي[6]
قـــد عطفـــت عـــن مَيَـــدٍ	والتفَّـــت[7] عن حـــــور
قِسِيُّ سَيْـــرٍ ما سوى الـــ	ـــعـــزم لهـــا من وتـــر
حتى إذا الأعـــلام حـــلْـــ	لَـــــت لحـــفي البشـــر

[1] مفردهـــا غديـــر: وهـــو النهـــر، أو بقيـــة مـــن المـــاء يتركهـــا السيـــل.

[2] أي الـــذي يتغـــنى بالحـــداء لتنشيـــط حرطـــة الإبـــل في سيرهـــا.

[3] مفردهـــا يَعْملـــة: وهي الناقـــة النجيبـــة المطبوعـــة عـــلى العمـــل.

[4] أي تبـــاري بقيـــة الإبـــل في السرعـــة.

[5] البَـــرَى هنـــا: التـــراب.

[6] أي بـــريء؛ وقـــد خففـــت الهمـــزة واكتـــفي باليـــاء.

[7] في النفـــح: ((والتفتـــتْ))؛ وهـــو أسلـــم.

"

واسبتشــر النـــازح بالـــ ـــقــرب ونيل الوطـــر
وعيـــن الميقـــات للسَّـــ ـــفْـــرِ[1] نجـــاح السفـــر
والنـــاس[2] بيـــن محـــرم بالحـــــج أو معتمـــر
لبيـــــك لبيـــــك إلـــــ ـــه الخلق باري الصور
ولاحـــــت الكعبـــة بيـــ ـــت الله ذات الأثـــــر
مقـــام إبراهيـــم[3] والمـــ ـــأمـــن عنـــد الذعـــر
واغتنـــم القـــوم طـــــوا ف القـــادم المبتـــدر[4]
وأعقبـــوا ركعـــتي السّـــ ـــعي استـــلام الحجـــر[5]
وعرفـــوا فـــي عرفـــــا ت كـــل عـــرف أذفـــر[6]

---

[1] أي للمسافريـــن.

[2] في النفـــح: ((فالنـــاس)).

[3] مقـــام إبراهيـــم: هـــو الحجـــر الـــذي وقـــف عليـــه سيدنـــا إبراهيـــم عليـــه الســـلام. وضعـــه لـــه ابنـــه إسماعيـــل؛ ليقـــف عليـــه؛ وهـــو يرفـــع الحجـــارة عـــلى الكعبـــة؛ فأنطبـــع أثـــر قدميـــه عليـــه بشكـــل غائـــر. وبـــقي هـــذا الحجـــر ملتصقـــاً بحائـــط الكعبـــة؛ إلى عهـــد الخليفـــة عمـــر بـــن عبـــد العزيـــز؛ الـــذي فصلـــه عـــن البيـــت، وأخـــره بضعـــة أمتـــار؛ لئـــلا يشغـــل المصليـــن والطائفيـــن. ومـــا تـــزال أثـــر قـــدمي إبراهيـــم الخليـــل ظاهـــرة عـــلى الحجـــر إلى الآن. وقـــد أحيـــط بغطـــاء زجـــاجي مأطـــر بدعائـــم مذهبـــة لحمايتـــه مـــن التأثيـــرات المناخيـــه.

[4] أي المبـــادرة بسرعـــة والشـــروع في طـــواف القـــدوم.

[5] أي استـــلام الحجـــر الأســـود؛ ســـواء بالمســـح عليـــه أو بتقبيلـــه.

[6] أي: كـــل ذي رائحـــة طيبـــة.

"

ثـم أفــاض النــاس سعيـــ ـــاً في غــد للمشعــــر[1]
فـــــوقفـــوا وكبـــــروا قبــل الصباح المسفـــر
وفي منى نالــوا المـــنى وأيقنـــــوا بالظفـــــر
وبعــد رمـــي الجمــــرا ت كـــان حلق الشعــر
أكرم بذاك الصحب[2] والـــ ـــلــه وذاك النَّفَـــر[3]
يا فــوزه مــن موقــف يا ربحـــه مـــن متجـــر
حـــتى إذا كـــان الـــودا ع وطـــواف الصـــدر[4]
فـــأي صبـــر لم يخـــن أو جلــــد لـــم يغــدر
وأي وجــد لــم يصـــل وسلــــوة لــم تهجــر
مـــا أفجـــع البيـــن لقلـــ ـــب الوالـــه المستغفر[5]
ثـــم ثنـــوا نحـــو رســو لِ اللــــه سير الضمـــر
فعاينـــوا فـــي طيبــــة[6] لألاء نـــــور نيـــــر

[1] هــو المشعــر الحــرام؛ بيــن عرفــات ومــنى؛ يســمى مزدلفــة. وفيــه قــال سبحانــه وتعــالى: ﴿لَيْـسَ عَلَيْكُـمْ جُنَـاحٌ أَنْ تَبْتَغُـوا فَضْـلاً مِـنْ رَبِّكُـمْ فَـإِذَا أَفَضْتُـمْ مِـنْ عَرَفَـاتٍ فَاذْكُـرُوا اللَّـهَ عِنْـدَ الْمَشْعَـرِ الْحَـرَامِ وَاذْكُـرُوهُ كَمَـا هَدَاكُـمْ وَإِنْ كُنْتُـمْ مِـنْ قَبْلِـهِ لَمِـنَ الضَّالِّيـنَ﴾. ســورة البقــرة؛ الآيــة: **198**. وقــد اخْتُلِـفَ في تحديــد مكــان المشعــر بالضبــط؛ فمــن قائــل في جبــل قــزح الرابــض في آخــر مزدلفــة؛ وقائــل مــا بيــن، الجبليــن. ولكنهــم أجمعــوا عــلى المزدلفــة كلهــا. وجــاء في الأثــر عــن جابــر أن النــبي صــلى اللــه عليــه وسلــم ((صــلى الفجــر بالمزدلفــة، ركــب ناقتــه حــتى أتى المشعــر الحــرام؛ فــدعى وكبــر وهلــل؛ ولــم يــزل واقفــاً حــتى أسفــر)).

[2] في النفــح: ((السَّفْــر)).

[3] نفســه: ((السَّفْــرِ)).

[4] طــواف الصــدر: هــو طــواف الــوداع؛ (الطــواف الأخيــر)؛ ومنــه يتجهــز النـــاس للعــودة إلى بلدانهــم.

[5] في النفــح: ((المُستَعْبِــر)).

[6] طيبــة: أحــد أسمــاء المدينــة المنــورة.

"

زاروا رسـول الله واسـ ـتشفعوا بلثم الجـدر
نالـوا بـه مـا أملـوا وعرجـوا في الأثـر
عـلى الضجيعيـن أبـى بكـر الرضـا وعمـر
زيـارة الهـادي الشفيـ ـع جُنَّة[1] في المحشـر
فأحسـن اللـه عـزا ءَ قاصـد لـم يـزر
ربـع ترى مستنزل الـ ـآيِ بـه والسـور
وملتـقى جبريـل بالـ ـهادي الزكي العنصر
وروضـة الجنـة بـ ـيـن روضة ومنبـر[2]
منتخـب اللـه ومخـ ـتار الورى من مضر[3]
والمنتـقى والكـون مـن ملابس الخلـق عـري
إذ لـم يكـن في أفـق من زحـل أو مُشْتَـرِ[4]
ذو المعجزات[5] الغرّ أمـ ـثـال النجوم الزهـر
يشهـد بالصـدق لـه منهـا انشقـاق القمـر
والضـبّ والظـبي إلى نطق الحصى والشجـر
من أطعم الألـف بصـا ع في صحيـح الخبـر

---

[1] أي وقايـة.

[2] الروضـة الشريفـة: تقـع وسـط، وفي مقدمـة المسجـد النبـوي؛ وملاصقـة لبيـت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلـم وموضـع قبـره. قـال فيهـا عليـه الصـلاة والسـلام: ((مـا بيـن منبـري وبيـتي روضـة مـن ريـاض الجنـة؛ ومنبـري عـلى حـوضي))؛ وفي روايـة: ((ومنبـري عـلى ترعـة مـن تـرع الجنـة)).

[3] مضـر بـن نـزار بـن معـدّ بـن عدنـان. أبـو عـرب الشمـال.

[4] في النفـح: ((ومشتـري)).

[5] سيذكـر ـ فيمـا يـلي ـ بعـض معجـزات رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلـم. ومنهـا: انشقـاق القمـر، وكـلام: الضـب والظـبي والحـصى والشجـر، وإطعـام الجيـش بصـاع، واتجـاج إيـوان كسـرى، وانطفـاء نـار المجـوس...إلـخ.

"

والجيـــش رواه بمـــا ءِ الراحـــة المنهمـــر
يا نكتـــة الكـــون الـــتي فاتـــت منـــال الفِكَـــر
يا حجـــة اللـــه على الـــ ـــرائـــح والمبتكـــــر
يا أكرم الرســـل على الـــ ـــلـــه وخيـــر البشـــر
يا مـــن لـــه التقـــدم الـــ ـــحـــق عـــلى التأخـــر
يـــا مـــن لـــدى مولـــده المقـــــدس المطهـــــر
إيـــوان كسرى ارتـــج إذ ضاقت[1] قصور قيصـــر
وموقـــد النـــار طفـــا كأنهـــا لـــــم تسعــــر[2]
يا عمـــدتي يـــا ملجـــئي يـــا مفـــزعي يا وزري
يا من لـــه اللـــواء والـــ ـــحوض وورد الكوثـــر
يا منقـــذ الغـــرقى وهـــم رهن العـــذاب الأكبـــر
إن لـــم تحقـــق أمـــلي بُـــؤْتُ بسعي المخســـر
صلى عليـــك اللـــه يـــا نـــور الدجـــا المعتكـــر
يا ويـــح نفـــسي كم أرى من غفلـــتي في غمـــر[3]
واحسرو[4] من قلـــتي الـــ ـــزَّاد وبعـــد السفـــــر
يحجـــني واللـــــه بالـــ ـــبرهان وعـــظ المنبـــر
يا حسنهـــا مـــن خطـــب لو حركـــت من نَظَـــرِ[5]
يـــا حسنهـــا من شجـــر لو أورقـــت من ثمـــر

---

[1] في النفـــح: ((ضـــاعت)).

[2] جـــاء هـــذا البيـــت في نفـــح الطيـــب هكـــذا:

((وموقـــد النـــار طـــفى كأنـــه لـــم يسعـــر)).

[3] ورد هـــذا الشطـــر في النفـــح هكـــذا: ((في غفلـــة مـــن عُمُـــري)).

[4] في النفـــح: ((واحســـرتي))؛ وهـــو أصـــوب.

[5] في النفـــح: ((نظـــري)).

"

أومـــل الأوبـــة والـــ ـــأمـــر بكـــف القـــدر
أسَـــوِّفُ العـــزم بهـــا[1] مـــن شهـــــر لشهـــر
مـــن صفـــر لرجـــب مـــن رجـــب لصفـــر
ضيعت في الكبـــرة مـــا أعددتـــه في صغـــري
وليـــس مَا مَـــرَّ من الـــ ـــأيــــام بالمنتظـــــر
وقـــلّ مـــا أن حمـــدت سلامـــة فـــي غـــرر
ولـــي غريـــم لا يـــني عـــن[2] طلـــب المنكســـر
يا نفـــس جدي قد بدا الـــ ـــصبح ألا فاعتبـــري
واتعـــظي بمـــن مـــضى وارتدعي وازدجـــري
ما بعد شيـــب الفود مـــن مرتقــــب فشمـــــري
أنـــت وإن طال المـــدى في قلعـــة[3] أو سفـــــر[4]
وليـــس من عـــذر يقيـــ ـــــم حجـــة المعتـــذر
يا ليـــت شعري والمـــنى تســـرق طيـــب العمـــر
هل ارتـــجي من عـــودة أو رجعـــــة أو صـــدر
فأبـــرد الغلـــــة مـــــن ذاك الـــزلال الخَصِـــر[5]
مقتديـــاً بمـــن مـــــضى مـــن سلـــف ومعشـــر
نالـــوا جـــوار الله وهـــ ـــــو الفخـــر للمفتخـــر
أرجـــو بإبراهيم مـــــو لانـــا بلـــوغ الوطــــر

---

[1] في النفـــح: ((بـــه)).
[2] نفســـه: ((في)).
[3] أي في انتقـــال.
[4] في النفـــح: ((وسفـــر)).
[5] أي العـــذب البـــارد.

"

فوعـــده لا يمتــــري في الصدق منه الممتـــر[1]
فهـــو[2] الإمام المرتـــضى والخيّـــر ابـــن الخيّـــر
أكـــرم من نـــال المـــنى[3] بالمرهفـــات البتــــر
ممهـــد الملـــــك وسيـــ ـــف الحق والليث الجري
خليفــــة اللـــه الـــــذي فـــاق بحســـن السيـــر
وكان منه الخُبْـــرُ في الـــ ـــعليـــاء وفـــق الخبـــر
فصـــدق التصديق مـــن مــــرآه للتصــــــور
ومستعيـــن اللــــــه فـــي ورد لــــــه وصـــــدر
فاق الملوك الصيـــد[4] بالـــ ـــمجـــد الرفيع الخطـــر
فأصبحــــت ألقابهــــم منسيـــة لـــم تذكـــــر
وحـــاز منهم[5] أوحــــــد وصف العديد الأكثـــر
برأيــــه المأمـــون أو عسكــــره المظفــــر[6]
بسيفــــه السفــــــاح أو بعزمــــه المقتــــــدر
بالعلــــم المنصـــــور أو بالذابـــل المستنصــــر[7]
بابــــن[8] الإمــــام الطـــ ـــاهر البر الزكي السير

---

[1] في النفــح: ((ممتـــري)). والممتـــري: هـــو الـــذي يشـــك في شيء مـــا.
[2] نفســـه: ((وهـــو)).
[3] نفســـه: ((العُـــلا)).
[4] في النفــح: ((الصيـــدا)).
[5] نفســـه: ((منـــه)).
[6] سيشيـــر فيمـــا يـــلي بتوريـــة إلى بعـــض الخلفـــاء العباسييـــن.
[7] في النفــح: ((المنتصـــر)).
[8] نفســـه: ((يـــا ابـــن)).

"

مدحـــك قـــد علـــم نظـــ   ـــم الشعر من لم يشعر[1]
جهـــد المقل اليـــوم مـــن   مثـــلي كوسع المكثـــر
فـــإن يقصـــر ظاهـــري   فلم يقصر مُضْمِـــري

كمـــا أورد ابن الخطيـــب لـــه هـــذه الأبيـــات؛ حيـــن قـــال: ((ركـــب مـــع السلطـــان [ابـــن الأحمـــر] خـــارج الحمـــراء؛ أيـــام ضربـــت اللـــوز قبابهـــا البيـــض، وزينـــت الفحـــص العريـــض، والـــروض الأريـــض؛ فارتجـــل في ذلـــك:

[أنظـــر إلى النـــوار في أغصانه
يحكي النجوم إذا تبدت في الحلك[2]]
حيا أميـــر المسلميـــن وقال قـــد
عميت بصيرة من بغيـــرك مَثَّلَـــكْ[3]
يا يوسفاً حـــزت الجمال بأســـره
فمحاسن الأيـــام تومي هيـــت لك[4]

[1] نظـم ابـن مـرزوق هـذه الأبيـات الأخيـرة؛ بغـرض إلقائهـا في المولـد النبـوي؛ أمـام السلطـان المريـني أبي سالـم إبراهيـم بـن علـي؛ ولكـن هـذا الأخيـر لـقي مصرعـه قبـل المولـد النبـوي في سنـة 762هـ/1360م.

[2] سقـط هـذا البيـت في الإسكوريـال.

[3] أي عميـت بصيـرة مـن زعـم أن لـك مثيـلاً.

[4] أي: هلـم تعـالى. وجـاء هـذا القـول في الذكـر الحكيـم: ﴿ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾؛ سورة يوسف؛ من الآية: 23. وقد أوردنا الآية كاملـة من قبـل.

"

أنت الذي صعــدت به أوصافــه

فيقــال فيــه ذا مليــك أو ملــك[1]

وممــا قالــه عنــد وداعــه لأهــل تونــس:

أُوَدِّعُكُــمْ وَأُثْــنِي ثُــمَّ أُثْــنِي

عَــلَى مَلِــكٍ تَطَــاوَلَ بِالْجَمِيــلِ

وَأَسْــأَلُ رَغْبَــةً مِنْكُــمْ لِــرَبِّي

بِتَيْسِيــرِ المَقَاصِــدِ وَالسَّبِيــــلِ

سَــلاَمُ اللَّــهِ يَشْمَلُنَــا جَمِيعــاً

فَقَــدْ عَــزَمَ الغَرِيبُ عَلَى الرَّحِيــلِ

وحليــت بعــض المراســلات؛ المتبادلــة بيــن ابــن الخطيــب وابــن مــرزوق؛ بمقطوعــات شعريــة؛ منهــا هــذه القطعــة لابــن مــرزوق؛ الــتي رحــب فيهــا بمقدم صديقــه إلى مدينــة فــاس؛ للمثــول بيــن يــدي السلطــان أبي عنــان المريــني:

يــا قادمــاً وافــى بكــل نجــاج

أبشــر بما تلقــاه مــن أفــراح

هــذي ذرى ملك الملوك فلذ بهــا

تنل المــنى وتفــز بكل سمــاح

[1] اقتبــس هــذا مــن قولــه تعــالى: ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾. ســورة يوســف؛ مــن الآيــة: 31. وقــد سبــق إثبــات الآيــة كاملــة.

"

معـــنى الإمـــام أبي عنـــان يممن

تظفــر ببحر في العــلى[1] طفـــاح

من قاس جود أبي عنان ذي الندى[2]

بسواه قاس البحر بالضحضـــاح[3]

ملك يفيــض على العفـــاة نوالـــه

قبل الســؤال وقبــل بسطـــة راح

فلجود كعب وابن سعدى[4] في الندى

ذكـــر محـــاه مـــن نـــداه مـــاح

ما أن رأيت ولا سمعــت بمثلــه[5]

مـــن أريـــحي للندى مـــرتـــاح

بســـط الأمان على الأنام فأصبحوا

قـــد ألحفـــوا منه بظـــل جنـــاح

وهمى على العافين سيـــب نوالـــه

حتى حـــكى سح الغمـــام الســـاح

فنوالــــه وجلالــــه وفعالـــــه

فاقـــت وأعيـــت ألســـن المـــداح

---

[1] في الاستقصـــا: ((بالنـــدا)).

[2] في النفـــح: ((في النـــدى)).

[3] الضحضـــاح: المـــاء القليـــل.

[4] يقصـــد بكعـــب: كعـــب بـــن مامـــة بـــن عمـــرو الإيـــادي الـــذي يضـــرب المثـــل بجـــوده؛ أمـــا ابـــن سعـــدى؛ فهـــو: أوس بـــن خالـــد ابـــن حارثـــة بـــن لام الطـــائي. يضـــرب بـــه المثـــل في الجـــود والفضـــل.

[5] في النفـــح: ((ما إن سمعـــت ولا رأيـــت بمثلـــه)).

"

وبه الدنا أضحت تـروق وأصبحـت
كل المـنى تنقـاد بعـد جمـاح
من كـان ذا ترح فرؤية وجهـه
متـلافـة الأحـزان والأتـراح
فانهض أبا عبد الإلـه تفـز بمـا
تبغيـه من أمـل ونيـل نجـاح
لا زلـت ترتشـف الأماني راحة
من راحـة المولى بكل صبـاح

ـ ثـم **أبـو عبـد اللـه محمـد بـن أحمـد بـن محمـد بـن أحمـد بـن محمـد بـن محمـد بـن أبي بكـر بـن مـرزوق التلمسـاني العَجيـسي** المعـروف بالحفيـد (تـوفي بتلمسـان سنـة 842هـ/1438م)؛ وهـو حجـة في الفقـه المالـكي؛ ومـن علمـاء النحـو والأصـول والحديـث والتفسيـر وفنـون أخـرى؛ كمـا أنـه ينظـم الشعـر. ومـن مؤلفاتـه: كتـاب المفاتيـح المرزوقيـة لحـل الأقفـال واستخـراج خبايـا الخزرجيـة؛ وهـو في العـروض والقـوافي، وكتـاب إسمـاع الصـم في إثبـات الشـرف مـن جهـة الأم، وكتـاب المفاتيـح القرطاسيـة في شـرح الشقراطسيـة،

"

وكتاب المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج؛ وخصصه لإجابة ابن سراج في بعض المسائل النحوية والمنطقية، وكتاب الروضة؛ وهو رجز في علم الحديث، وكتاب مختصر الحديقة؛ وهو مختصر مرجوز لألفية العراقي في علم الحديث؛ وكتاب المقنع الشافي؛ أرجوزة في الميقات تحتوي على 1700 بيت، وأرجوزة في ألف بيت على الشاطبية، وأرجوزة في تلخيص المفتاح، وأرجوزة في تلخيص ابن البنا، وأرجوزة في جمل الخونجي، وكتاب نهاية الأمل في شرح الجمل؛ وهو في المنطق، وأرجوزة؛ اختصر بها ألفية ابن مالك، وكتاب اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة،؛ وهو في الفقه والتفسير، وكتاب نور اليقين في شرح أولياء الله المتقين، وكتاب الدليل الموفي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي، وكتاب النصح الخالص في الرد على المدعي رتبة الكمال للناقص؛ وهو في سبعة كراريس؛ رد فيه على فتوى الإمام قاسم

العقباني، ومختصر كتاب الحاوي في الفتاوى؛ لابن عبد البر التونسي، وكتاب الاعتراف في ذكر ما في لفظ أبي هريرة من الإنصاف، وكتاب الروض البهيج في مسألة الخليج، وكتاب أنوار الدراري في مكررات البخاري، ورسالة في ترجمة إبراهيم المصمودي، وكتاب برنامج الشوارد، وكتاب تفسير سورة الإخلاص؛ اتبع فيه طريقة الحكماء، وشرح على ابن الحاجب،، وشرح على التسهيل، وثلاثة شروح على البردة: الأول عرف بالأكبر؛ هو إظهار صدق المودة في شرح البردة؛ كل بيت يشتمل على سبعة فنون، والثاني عرف بالأوسط، الثالث عرف بالأصغر؛ وهو الاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب. وله أيضا بعض الكتب لم يتمكن من إكمالها؛ وهي: روضة الأريب في شرح التهذيب، والمنزع النبيل في شرح مختصر خليل، وإيضاح المسالك في شرح ألفية ابن مالك، وعقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد، والآيات

"

الواضحات في وجه دلالة المعجزات، والدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم، وشرح صحيح البخاري؛ بعنوان المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح والوجه الصبيح والخلق السميح في شرح الجامع الصحيح؛ وهو في جزأين. ومما قاله عن تلمسان نظما:

بَلَدُ الجِدَار مَا أمَرَّ نَوَاهَا
كَلِفَ الفُؤَادُ بِحُبِّهَا وَهَوَاهَا
يَا عَاذِلِي كُنْ عَاذِرِي فِي حُبِّهَا
يَكْفِيكَ مِنْهَا مَاؤُهَا وَهَوَاهَا

وقال فيها أيضا ضمن أرجوزة في علم الحديث:

وَمَنْ بِهَا أهْلُ ذَكَاءٍ وَفِطَنْ
فِي رَابِعٍ مِنَ الأقَالِيمِ قُطِنْ
يَكْفِيكَ أنَّ الدَّاوُدِيَّ بِهَا دُفِنْ
مَع ضَجِيعِهِ ابْن غَزْلُون الفَطِنْ

"

ـ ثم **أبو زكرياء شرف الدين يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح بن علي ابن عمر بن عَقيل الزرماني العَجيسي** (توفي بالقاهرة سنة 862هـ/1457م)؛ فقيه مالكي، وعالم في النحو، وعلوم العربية، وتاريخ الصحابة؛ كما أنه مشارك في علوم أخرى كثيرة. رحل إلى القاهرة سنة 804هـ/1401م؛ وولي تدريس المذهب المالكي بالشيخونية، وجامع ابن طولون، والأشرفية القديمة، والخروبية. من مؤلفاته: شرح على ألفية ابن مالك؛ في أربعة مجلدات؛ بالإضافة إلى بعض الشروح الأخرى على الألفية أيضا، وشرح على البخاري؛ لم يكتمل، وكتاب التذكرة.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب التلمساني العَجيسي** الشهير بالعبادي (توفي بتلمسان سنة 868هـ/1463م).

ـ ثم **بدر الدين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد العَجيسي** (ت: سنة 871هـ/1466م)؛ فقيه مالكي، ونحوي؛ اشتغل في تديس الفقه بمصر؛ في جامع ابن طولون، والأشرفية، والخروبية.

"

ــ ثم **سليمان بن صالح بن علي بن حسن ابن علي البجائي العَجيسي** (توفي بمكة سنة 884هـ/1479م)؛ فقيه مالكي، له مشاركة في علوم عديدة؛ رحل إلى الحج؛ واختار الإقامة بمكة المكرمة.

ــ ثم ولده **محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق التلمساني العَجيسي**؛ المعروف بالكفيف (توفي بالقاهرة سنة 901هـ/1495م)؛ وهو ولد ابن مرزوق الحفيد؛ كان من أعلام الفقه المالكي. له مؤلفات عديدة؛ منها: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مناقب، وروضة النسرين في مناقب الأربعة الصالحين: الهواري، والتازي، وأبركان، والغماري، ثم كتاب تآليف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

ــ ثم **محمد بن أحمد بن محمد بن أبي يحيى ابن أحمد بن محمد بن مرزوق التلمساني العَجيسي**؛ المعروف بالسبط؛ لأنه سبط ابن مرزوق الحفيد(كان حيا سنة 920هـ/1514م)؛ وهو فقيه، ومحدث.

OOO

"

أما أهل السيف، والسياسة من العجيسيين؛ فلم تشر إليهم المصادر المتوافرة حتى الآن؛ ولا يوجد تفسير لهذا الصمت؛ سوى أن هذا القبيل كانت له اهتمامات أخرى غير الحرب والسياسة؛ تبعا لما كان عليه حالهم من الضعف ووهن الشوكة. غير أن هناك استثناء واحدا ويتمثل في شخص:

ـ **داود بن إبراهيم العجيسي** (كان حيا سنة 323هـ/934م)؛ ولي على تيهرت؛ أيام الدولة الفاطمية.

***

ـ **مواطنهم:** كانت مواطن عجيسة مجاورة لمواطن قبيلة تلكاتة الصنهاجية؛ بالمغرب الأوسط. ويقول ابن خلدون أن بقاياهم ـ في وقته ـ كانوا متواجدين في **ضواحي تونس، وفي الجبال المشرفة على المسيلة.** أما مواطنهم الأولى فهي في الجبل الذي بنيت فيه قلعة بني حماد؛ قرب المسيلة. وقد تغلبت عليه قبائل عياض الهلالية؛ حتى أصبح يسمى باسمهم. ويقول موسى لقبال أن اسم عياض حرفته العامة؛ حتى صار معضادا، ومعاضيد؛ كما

"

يسمـــون في الوقـــت الحاضـــر. وعليـــه فقـــد أصبـــح **جبـــل عجيســـة**، أو عيـــاض ــ بعـــد ذلـــك ــ **يســـمى جبـــل المعاضيـــد**.[1]

....

6 ــ *كتامـــــة:*

وهـــم أبنـــاء **كتـــام** أو (كتـــم) **بـــن برنـــس.** وقـــد اختلفـــت الآراء حـــول الأصـــل الأول لكلمـــة كتامـــة؛ فمـــن قائـــل.. بأنهـــا اســـم علـــم؛ لشخـــص ينتســـب إليـــه أبنـــاء هـــذه القبيلـــة. وقائـــل بعلاقتهـــا بمعـــنى الكتمـــان. وقائـــل آخـــر بعلاقتهـــا ــ بشكـــل مـــا ــ مـــع كلمـــتي: **الكتيـــم**؛ الـــتي أطلقهـــا ابـــن خلـــدون عـــلى سكـــان إيطاليـــا؛ عنـــد احتكاكهـــم بالقرطاجييـــن. أو **القطيـــم**؛ الـــتي تـــرمي إلى معـــنى؛ ينسجـــم مـــع الشـــذوذ الخلـــقي. وقـــد قـــام الدكتـــور مـــوسى لقبـــال بتحليـــل هـــذه الآراء كلهـــا؛ ثـــم ركـــز عـــلى النقـــوش البيزنطيـــة؛ المكتشفـــة في مواطـــن كتامـــة القديمـــة؛ (في فـــج فيـــدول **Col de fedoules**)؛ بيـــن ميلـــة، وجيجـــل. تلـــك النقـــوش الـــتي وردت فيهـــا عبارتـــان هامتـــان؛ هي: **Ucutamii** أو **Ucutumani** والعبـــارة الأخيـــرة وضعـــت في صيغـــة الجمـــع؛ لـــدى اللاتينييـــن؛ وهي تقابـــل كلمـــة **كتاميـــن** المعربـــة. ومـــن هنـــا ننضـــم

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص ص: 295 ـــ 296. دور كتامـــة، ص ص: 70 ـــ 71.

"

إلى رأي لقبال؛ الـــذي يميـــل إلي وجـــود اســـم كتامـــة؛ قبـــل الفتـــح؛ حيـــث كـــان يـــدل عـــلى مجموعـــة مـــن النـــاس؛ يعيشـــون في ظـــل نظمهـــم الخاصـــة؛ بالمناطـــق المعروفـــة الآن كمواطـــن لكتامـــة.[1] وبطـــون كتـــام جميعهـــا تجتمـــع في ولديـــه الاثنيـــن: **غرســـن، ويســـودة.** وعنهمـــا تفرعـــت بطـــون كتامـــة كلهـــا؛ فمـــن بطـــون غرســـن: **إيـــان وقـــلان وماوطـــن مُصالـــة ومعّـــاذ وينـــاوة وينطاســـن.** وتفـــرع عـــن إيـــان: **ملوســـة.** أمـــا ينـــاوة فتفـــرع عنهـــم بطـــون: **جيمْلـــة ووهيصـــة ومسالتـــة.** وينطاســـن ـــ هـــم الآَخـــرون ـــ تفـــرع عنهـــم: **إجّانـــة وأوفـــاس وغسمـــان.** أمـــا بطـــون يســـودة بـــن كتـــام؛ فهـــم: **دِهَاجَـــة وفلاســـة ومَتْوَسَـــة ووريســـن.** ويقـــول ابـــن خلـــدون أن قصـــور كتامـــة بالمغـــرب ـــ في وقتـــه ـــ تنســـب إلى دهاجـــة. وهـــذه أهـــم بطـــون كتامـــة؛ الـــتي اتفـــق عليهـــا النسابـــون. ولكـــن.. نلاحـــظ ـــ خلافـــا لمـــا اتفـــق عليـــه نسابـــة الأمازيـــغ كلهـــم ـــ فابـــن حـــزم ينســـب زواوة إلى كتامـــة. وكمـــا يقـــول ابـــن خلـــدون أيضـــا؛ أن **((البرابـــرة))** ينسبـــون: **بـــني**

[1] **دور كتامـــة، ص ص: 93 ـــ 97.**

"

قِنْسيلــة ومصالــة وهَشْتَيْــوَة إلى كتامــة. وربمــا يقصــد بعبــارة ((البرابــرة)) نسابتهــم.[1]

ويستحســن الاستعانــة ــ في هــذا البــاب ــ بمــا قــام بــه مــوسى لقبــال مــن تحقيقــات تتعلــق ببطــون كتامــة. مــن ذلــك أنــه تفــرع عــن **إيــان ابــن غرســن:** قبيلــة **ملوســة**؛ الــتي تنســب إليهــم بلــدة **ملــوزة** الجزائريــة؛ في الوقــت الحاضــر. وقبيلــة ملوســة أو ملــوزة مــا زالــت معروفــة؛ وهي متواجــدة قــرب المسيلــة؛ بالجزائــر. كمــا توجــد بقيــة منهــم؛ ضمــن قبيلــة أنجــرة؛ المستقــرة بيــن سبتــة، وطنجــة؛ حيــث توجــد في تلــك الجهــات بلــدة سماهــا البكــري **ملوثــة**؛ ومنهــم ــ أيضــا ــ فــرع **بــني زلــدوي** الموجــودون بالجبــال المشرفــة عــلى قسنطينــة؛ ويعرفــون بــ **بــني زونــداي**؛ حيــث كانــت تقــام بينهــم ســوق زنــداي؛ في أيــام الجمعــة مــن كــل أسبــوع؛ وقــد اشتهــروا بالشــدة، والخــلاف، والتمــرد، وتعــدد الفتــن فيمــا بينهــم. ومــن ملوســة جماعــات أخــرى؛ اندرجــوا ضمــن قبيلــة أولاد عبــد النــور؛ إلى الشــرق مــن جبــل غــروس؛ ثــم إن مدينــة **تامالــوس**؛ القريبــة مــن القــل تنتــمي هي الأخــرى إلى ملوســة. وعــن **قــلان**

---

[1] **العبــر، مج: 6، ص: 302.**

"

ابن غرسن؛ يقول موسى لقبال أن بلدة **قلال** القرية من سطيف لها علاقة ما؛ بهم؛ وإن تعرض الاسم للتصحيف. كذلك **ماوطن بن غرسن**؛ وهم بنو **ماوطنت**؛ الذين ينتسب إليهم **كادو بن مُعارك الماوطي**؛ ذلك الصبي الذي نصبته جماعة من كتامة بمثابة الإله؛ إذ اتخذوه قبلة يصلون إليه، وكتبوا صفحات زعموا أنها نزلت عليه؛ ثم سموه المهدي؛ كل هذا بسبب العصبية الكتامية؛ التي تحركت في داخلهم؛ بعد أن فاض مرجلها، وتململت من سباتها؛ غيرة على أبناء العم المقتولين بالقيروان. ثم **مُصالة بن غرسن**؛ وهو الذي يرجع إليه ــ حسبما يبدو ــ **فج مصالة** أو **فج مزالة**؛ المعرف حاليا. ثم **معاذ بن غرسن**؛ الذي يبدو أن **بني معاذ** ــ القرية من الميلية ــ تنتسب إليه. أما **يناوة بن غرسن**؛ فأهم بطونهم هي: قبيلة **جيملة**؛ وهم موجودون ــ في هذه الأيام ــ على ضفاف وادي جندين؛ إلى جوار جيجل؛ وقد يمتد انتشار أحيائهم حتى نواحي العلمة. ويطلق اسم هذه القبيلة ــ بعد تصحيفه ــ على المدينة الرومانية الأثرية **Cuiculum** المعروفة حاليا بـ **جميلة**. ثم قبيلة

"

مسالتة؛ التي توجد بقية منهم؛ يدعون بهذا الاسم؛ وهم مندرجون ضمن قبيلة الساحل القبلي بدوار (تالا إيفاسين)؛ هم بين آقبو، وسطيف؛ بالجزائر؛ وربما سمي باسمهم وادي **مسالقة** الواقع بين مدينتي: قالمة، وعزابة؛ بعد أن صحفته ألسن العامة. ثم **هيصة**؛ التي لم يبق منهم أثر يذكر؛ على الرغم من ظهورهم، ونشاطهم؛ أيام الدعوة الفاطمية. أما ينطاسن بن غرسن؛ فمنهم: قبيلة إجانة؛ التي تكون بقاياهم موجودة بين الميلية، والطاهير؛ وبين جبل سدات، والمسيد؛ حيث تعرف تلك المنطقة ــ بعد تصحيفها ــ بـ **أرجانة**؛ كما يسمى أحد أودية تلك الجهة بوادي أرجانة. وربما انتسبت إليهم فئة تسمى ورجانة؛ وهي متواجدة في جهات جبل شلية بالأوراس؛ وتتواجد فئة أخرى في محيط سدراتة. أما **أوفاس**؛ فلا نعرف عنهم ــ في الحاضر ــ سوى اسم تالا **إفاسين**؛ بين آقبو وسطيف؛ والتي سبق ذكرها عند الكلام عن مسالتة. أما غسمان؛ فوردت في بعض المصادر ــ أيضا ــ عثمان؛ وربما كانت التسمية الأخيرة هي الصحيحة؛ بدليل وجود حي بهذا الاسم؛ قرب

"

فج مزالة؛ في سفح جبل الحلفا؛ كما توجد مدينة باسم العثمانية؛ وتقع على وادي العثمانية أيضا؛ وهي قريبة من قلعة تازروت؛ موطن قبيلة عثمان قديما؛ وإلى هذه القبيلة ينسب بنو عثمان؛ ويوجدون في حوز مكناسة بالمغرب الأقصى.

هؤلاء هم أبناء غرسن بن كتام؛ أما أبناء يسودة بن كتام فهم: **دهاجة أبناء يسودة**؛ ومنها بطن بالاسم نفسه؛ اندرج أبناؤه ضمن قبيلة زردازة (دوار بوطيب)؛ المتواجدة بين سكيكدة، وعنابة؛ حيث يوجد سد زردازة؛ كما كان يوجد بالقرب من سكيكدة ميناء باسم دهاجة؛ ذكره اليعقوبي في كتاب البلدان. وذكر النعمان قبيلة باسم دهاجة؛ بين قبائل ميلة. ونسب إليهم البكري موضعا سماه قصر دهاجة؛ قال أنه بالقرب من جبل صرصر؛ بالمغرب الأقصى. أما **فلاسة أبناء يسودة**؛ فلا نعرف عنهم شيئا. أما **متوسة أبناء يسودة**؛ فهم معروفون الآن؛ بالقرب من مدينة عين البيضاء الجزائرية؛ حيث اندمج أبناؤهم ضمن قبيلة الحراكتة؛ كما يوجد بطن منهم يدعى متوسين؛ اندرج أبناؤه ضمن قبيلة جيملة السابقة الذكر؛ وبالقرب من بجاية؛ توجد قرية

"

بقيت إلى اليوم؛ تسمى متوسة. أما **وريسن أبناء يسودة**؛ فمن آثارهم قرية **الوريسية**؛ القريبة من إيكجان؛ يبدو أن لها علاقة ما باسم **وريسن**. وثمة قبيلتان من كتامة؛ ولكن.. لا يُعرف تسلسل نسبهم؛ في أبناء كتام؛ مع أن جل النسابين، والمؤرخين يعدونهم من بين قبائل كتامة؛ وهاتان القبيلتان هما: **بنو ثابت**، **وسدويكش**.[1]

وقد أزال موسى لقبال بعض الغموض الذي يكتنف هاتين القبيلتين؛ حين قال عن **سدويكش** أنهم اختاروا الحياة في التلول والسهول؛ من مواطن كتامة القديمة. وأبناء هذه القبيلة عُرفوا لدى العامة؛ **بقبائل الحدرة**. وكلمة الحدرة ــ هنا ــ صُحفت؛ بسبب لهجة سكان المنطقة؛ من كلمة **حضرة**؛ بمعنى حاضرة؛ أي مدينة؛ إلى كلمة **حدرة**. وكما هو معروف؛ فإن لهجة أبناء المنطقة تنطق الذال دالا. أما **بنو ثابت** فقد ظلوا في مواطنهم الجبلية الأولى. وعليه.. يمكننا ــ بواسطة هذا التفسير ــ كشف اللغز الذي تسبب في حيرة ابن خلدون؛ حين قال أنه يجهل إلى أي القبائل من

---

[1] أنظر دور كتامة، ص ص: 98 ــ 111.

"

كتامـة تنتـمي هاتـان الفئتـان (سدويكـش وبنـو ثابـت)؛ وإن كـان متيقنـا مـن انتسابهمـا إلى كتامـة. والحقيقـة هي أنهمـا عبـارة عـن تجمعـات قبليـة؛ شملـت بقايـا البطـون الكتاميـة؛ السابقـة الذكـر؛ فأضحـت جميعهـا تسـمى بهذيـن الاسميـن المستحدثيـن؛ بعـد أن أضحـوا ينفـرون مـن نسبتهـم القديمـة لكتامـة؛ كمـا ذكـر ابـن خلـدون: **((وهـم ينتفـون مـن نسـب كتامـة، ويفـرون منـه؛ لمـا وقـع منـذ أربعمائـة سنـة؛ مـن النكيـر علـى كتامـة؛ بانتحـال الرافضـة، وعـداوة الـدول بعدهـم؛ فيتفـادون بالانتسـاب إليهـم. وربمـا انتسبـوا إلى سليـم؛ مـن قبائـل مضـر؛ وليـس ذلـك بصحيـح. وإنمـا هـم مـن بطـون كتامـة))**.[1]

وجملـة القـول.. تعتبـر قبائـل كتامـة مـن أشهـر القبائـل الأمازيغيـة، وأوفرهـا عـددا، وأمضاهـا عصبيـة. وهـم مـن أهـل المـدر المستقريـن في بيـوت مبنيـة بالطيـن والحجـر. مـع بعـض الاستثنـاءات الطفيفـة؛ الـتي تخـص جماعـات مـن بـني سدويكـش؛ الـتي اختـارت حيـاة البـدو، والانتجـاع. كمـا تعتبـر كتامـة مـن أهـم القبائـل الأمازيغيـة الـتي تركـت أثـرا بـارزا في تاريـخ المغـرب

---

[1] العبـر، مج: 6، ص: 304.

"

الإسلامي؛ بل تركت أثرا عظيما في التاريخ الإسلامي ككل؛ في المغرب والمشرق. وعلى الرغم من كون هذه القبيلة العظيمة لم تتوصل – منفردة – إلى إقامة دولة خاصة بأبناء كتامة؛ إلا أنها تمكنت – بفضل تضحيات أبنائها، وأبناء صنهاجة – من تشييد إمبراطورية إسلامية عظمى للفاطميين؛ أحفاد علي بن أبي طالب.

وإذا كانت عشائر بني سدويكش قد اختارت حياة البدو، بسكنى الخيام، وامتلاك الأغنام، والبقر، والجمال؛ فإن إخوانهم من بني ثابت ظلوا على عادات أسلافهم؛ في سكنى المدر، والاعتزاز بجبالهم الوعرة الشاهقة. وكانت للبطنين المذكورين ارتباطات طاعة، وخضوع نحو دول المنطقة؛ إذ التزمت عشائرهم جميعا؛ بإعطاء الضرائب المستحقة. وقد تولى بعض أبناء بني ثابت مهاما سامية في الدولة الحفصية؛ منهم حسن بن ثابت الذي تولى منصب الحجابة؛ في ديوان السلطان أبي يحيى زكرياء الحفصي. ويبدو أن مهام موظفي الدولة من بني ثابت؛ انحصرت في أعمال الجباية، وجمع المغارم. وقد بقي بنو ثابت على هذه الحال؛ انطلاقا من عهد عبد المؤمن ابن علي؛

"

وحتى عهد أبي العباس الحفصي؛ الذي أزال مشيخة بني ثابت، وأدمجهم في عداد جنده، وحاشيته.

! ! !

ــ ***أعيانهم:*** أما رجالات كتامة، وأعيانها؛ فهم كثيرون؛ في مختلف العهود؛ ظهر أكثرهم بدءا بالعهد الفاطمي. ونبدأ ــ هنا ــ بالحديث عن علمائهم، ثم ننتقل إلى زعمائهم السياسيين، والعسكريين:

ــ **أبو علي حسن بن سعد بن إدريس خلف بن رزيق بن كسلة بن مليكة القرطبي الكتامي** (ت: سنة 332هـ/942م)؛ فقيه؛ من أهل الصلاح؛ رحل مرتين إلى المشرق؛ فزار مصر، ومكة، واليمن، وبغداد. قال عنه ابن الفرضي: **((وكان يذهب إلى النظر، وترك التقليد؛ ويميل إلى قول محمد بن إدريس الشافعي. وكان يحضر الشورى؛ ولما رأى الفتيا دائرة على مذهب المالكيين؛ ترك شهودها، ولزم بيته...وكان شيخا صالحا؛ لم يكن بالضابط جدا)).**[1]

[1] تاريخ علماء الأندلس، ص: 110.

"

ـ ثم **أحمد بن عبد الله بن موسى الكتامي** المعروف بابن العجوز (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ كان فقيها، وشاعرا؛ وهو من بيت علم في المغرب.

ـ ثم **أبو زيد عبد الرحمن بن مسعود الكتامي** المعروف بابن عامر (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ فقيه مالكي.

ـ ثم **أبو عبد الرحمن عبد الرحيم بن أحمد ابن عبد الرحمن السبتي الكتامي** المعروف بابن العجوز (ت: سنة 418هـ/1027م)؛ مفتي، وفقيه؛ عالم بالمذهب المالكي؛ له رواية واسعة بإفريقية، والأندلس ومفتي.

ـ ثم **أبو جعفر أحمد بن سليمان بن أحمد الطنجي الكتامي** المعروف بابن أبي الربيع (توفي قبل 440هـ/1048م)؛ من المتخصصين في القراءات؛ قام بإقراء الناس في بيجانة، والمرية بالأندلس. وله رحلة إلى المشرق.

"

ـ ثم **عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد السبتي الكتامي** المعروف بابن العجوز (ت: سنة 449هـ/1057م)؛ فقيه، ومفتي؛ كان من أهل الفضل، والاستقامة.

ـ ثم **عبد الواحد بن فتوح الزواق الكتامي** المعروف بالمنبِّز (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ قال عنه ابن رشيق: **((وهو كتامي؛ نشأ بتونس؛ وبها تأدب. وهو شاعر مفلق؛ قوي أساس الشعر، وأركانه؛ وثيق دعائمه وبنيانه؛ كأنه أعرابي بدوي؛ يركب ظهر الشعر؛ ويخوض بحر الفكر. يتكلف بعض التكلف؛ وفي قصائده طول. عريان الظاهر من حلية الأدب؛ لغفلة في طبعه، وثقل في سمعه)).**[1] من شعره؛ ما قاله في وصف ديك:

وَهَبَّ لِلأَطْيَارِ ذُو خِبْرَةٍ
عَنْهُ بِمَا يُعْرِبُ عَنْ خُبْرِهَا
فَنَّص جِيدا وَرَقَّى مِنْبَراً
دَار الذِي عوّدَ مِنْ خِدْرِهَا

[1] الأنموذج، ص: 226.

"

وَاسْتَفتَــحَ الصَّـــوْتَ بتَصْفِيقَـــهِ اسْــ
ـــتَفْتَاحَ ذَاتِ الطَّارِ فِي شَعْرِهَـــا
فَبَلْبَـــلَ البُلْبُـــلَ فِي غُصْنِـــهِ
وَأَرَّقَ الوَرَقَـــاءَ فِي وَكْرِهَـــا
كَأَنَّمَـــا تُـــوِّجَ يَاقُوتَـــةً
فَاتَّخَـــذَ الشِّنْفَيْـــنِ مِنْ شَطْرِهَـــا
كَأَنَّمَـــا يَخْطُـــرُ فِي حُلَّـــةٍ
مِنْ عَـــدَنِيِّ الوَشْيِ لَمْ يَشْرِهَـــا

ولـــه أيضـــا:
وَمَـــلاَة زِنْجِيـــةٍ كَبُطُـــونِ الـــ
ـــرَّاحِ مَـــرَّتْ بَعِيـــدَةَ الأرْجَـــاءِ
قَدْ تَجَشَّمْتُ هَوْلَهَـــا وَدُجَى اللـــَّ
ـــيْلِ كَذَيْـــلِ الغِفَارَةِ السَّـــوْدَاءِ

ويصـــف فـــرس؛ فيقـــول:
مُخْلَوْلَـــقُ الصَّهْوَةِ مِثْل المِـــدْوَكِ
يَعْـــدُو وَمُعْدِيـــهِ بِـــلاَ تَحَـــرُّكِ
كَأَنَّـــهُ فَـــوْقَ مِهَـــادٍ مُتَّـــكِ
يَضْحَـــكُ لِلْعَيْـــنِ وَلَمَّا يضْحَـــكِ
ذُو مُقْلَـــةٍ تَنْظُـــرُ فِي مُخْلَوْلَـــكِ
كَأَنَّهَـــا فِلْـــذَة قَلْـــبِ المشْـــرِكِ

"

وعـــن وصفـــه للحمـــام الداجـــن؛ قـــال ابـــن رشيـــق: **((لا أعـــرف أحـــدا وصفـــه بمثـــل هـــذه الصفـــة))**؛ إذ قـــال:

يَجْتَــابُ أَرْدِيَةِ السَّحَاب بخَافِــق
كَالبَرْق أوْمَضَ فِي السَّحَابِ فَأبْرَقَــا
لَوْ سَابَــقَ الرِّيحَ الجَنُــوب لِغَايَــة
يَوْمــاً لَجَاءَكَ مِثْلَهَــا أوْ أسْبَقَــا
يَسْتَقْــرِبُ الأرْضَ البَسيطَة مَذهَبــاً
وَالأفْقَ ذَا السُّقُفِ الرَّفِيعَــةِ مُرتَــقَى
وَيَظَــلُّ يَسْتَرْقِي السَّمَــاءَ بخَافِــق
فِي الجَوِّ تَحْسبُهُ الشِّهَــابَ المُحْرِقــَا
قِسْــهُ بأعْتَــق كُلِّ حَامِلِ رِيشَــةٍ
مِمَّــا يَطِيــرُ تَجِــدْهُ مِنْــهُ أعْتَقَــا
يَبْــدُو فَيَعْجبُ مَنْ يَــرَاهُ لِحُسْنــِهِ
وَتَكَــادُ آيَــة عِتْقِــهِ أنْ تَنْطِقَــا
مُتَرَقْرِقــاً مِنْ حَيْــثُ دُرْتَ كَأَنَّمَــا
لَبِسَ الزُّجَاجَة أوْ تَجَلْبَــبَ زِئبَقَــا

وقـــال في القـــاضي جعفـــر بـــن عبـــد اللـــه الكـــوفي:

حُــرُّ المُــرُوءَةِ وَالأبُــوَّةِ سَيِّــدٌ
ينْــمِي لأشْــرَفِ سَادَةٍ أخيَــارِ

"

القَاطِعِيـــنَ نِيَـــاطَ كُـــلِّ مُبَالِـــغٍ
فِي المَـــدْحِ تَحْتَ دَقَائِقِ الأفْكَـــارِ
كَانُـــوا إذَا بَخِـــلَ السَّحَابُ بمَائِـــهِ
وَهَبُوا سَحَائِـــبَ فِضَّةٍ وَنُضَـــارِ
يَا صَيـــْرَفِيِّ بَنِي الزَّمَـــانِ أمَا تـــرَى
عِـــزَّ الفُلُـــوسِ وَذِلَّـــة الدِّيَنَـــارِ

ولـــه في العتـــاب:

قَدْ كُنْتُ أحْسَبُ عِلِّيِيـــنَ مَنْزِلَـــتِي
فِي وُدِّكُمْ وَإذَا بي أسْفَلَ الـــدَّرَكِ
يَا حُسْنَ وُدِّي لَوْ أنِّي نَعِمْـــتُ بـــهِ
فِيكُمْ وَفُزْتُ بحَظٍّ غَيْرَ مُشْتَـــرِكِ
يَا رَوْضَـــة شَأنُهَا فِي عَيْنِ زَائِرِهَـــا
وَقَدْ تَنَـــزَّهَ مَا فِيهَـــا مِنَ الحَسَـــكِ

ــ **ثـــم إبراهيـــم بـــن يعقـــوب السبـــتي الكتـــامي** (مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الخامـــس للهجـــرة)؛ فقيـــه.

ــ **ثـــم أبـــو محمـــد عبـــد اللـــه بـــن إبراهيـــم بـــن جمـــاح السبـــتي الكتـــامي** (تـــوفي حـــوالي عـــام 470هــــ)؛ فقيـــه، وعالـــم بالتوحيـــد، والاعتقـــاد؛ كمـــا أشتهـــر بالقـــدرة عـــلى الحفـــظ. وهـــو مـــن أصحـــاب أبي الوليـــد البـــاجي؛ حـــتى أنـــه كـــان يستخلفـــه في تدريـــس طلابـــه عندمـــا يسافـــر.

"

ـ ثم **محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ابن أحمد الكتامي** المعروف بابن العجوز (توفي بفاس سنة 474هـ/1081م)؛ فقيه من بيت علم؛ ولي قضاء فاس.

ـ ثم **أبو طاهر جعفر بن علي بن دواس الكتامي** المعروف بقمر الدولة (توفي بعد عام 500هـ/1106م)؛ وهو من مواليد مصر؛ ثم نشأ بطرابلس الشام. له شعر عذب الإنشاد، حسن المعاني، رشيق الألفاظ؛ كما كان يعزف على العود، ويجيد الغناء؛ وله أسلوب حسن في ذلك؛ انتقل إلى بغداد؛ حيث لقي بها حفاوة؛ تليق به. من شعره:

إنْ صَارَ مَوْلاَيَ ذَا يَسَار
فَإنَّني ذَلِكَ المُقِلُّ
كَالشَّمْسِ إنْ زِيدَتِ ارْتِفَاعاً
يَقْصُرُ فَيءٌ لَهَا وَظِلُّ

وله أيضا:

لَمَّا رَأَيْتُ المَشِيبَ فِي الشَّعَرِ الأسْـ
ـوَدِ قَدْ لاَحَ صِحْتُ وَاحَزَني
هَذَا وَحَقِّ الإلَهِ أحْسَبُهُ
أوَّلَ خَيْطٍ سُدِّي مِنَ الكَفَنِ

"

وقـــال كذلـــك:

أنَـــا مِمَّنْ إذَا أتَى صَاحِبُ البَيْتِ لِلْكِـــرَا
تَتَجَافَى جُنُوبُهُـــمْ كُلَّ وَقْتٍ عَنِ الكَـــرَى

وقـــال:

لاَ يَظُـــنُّ العَـــدُوُّ أنَّ انْحِنَـــائِي
كِبَـــراً عِنْدَمَـــا عَدِمْتُ شَبَـــابِي
ضَاعَ مِـــنِّي أعَـــزَّ مَا كَانَ مِـــنِّي
فَأنَـــا نَاظِـــرٌ لَـــهُ فِي التُّـــرَابِ

وقـــال أيضـــا:

تَعَجَّبَـــتْ دُرُّ مِنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَـــا
لاَ تَعْجَبِي فَطُلُوعُ البَدْرِ فِي السَّدَفِ
وَزَادَهَا عَجَباً أنْ رُحْتُ فِي سَمَـــلٍ
وَمَا دَرَتْ دُرُّ أنَّ الدُّرَّ فِي الصَّـــدَفِ

ـ **ثـم أبـو القاسـم عبـد الرحمـن بـن محمـد بـن عبـد الرحمـن بـن عبـد الرحيـم بـن أحمـد الكتـامي** المعـروف بابـن العجـوز (ت: سنـة 515هـ/1121م)؛ وهـو مـن الذيـن سمـع منهـم الشيـخ عيـاض. وقـال فيـه: **((مـن بيـت علـم وجلالـة. فقيـه ابـن فقيـه ابـن فقيـه ابـن فقيـه؛ خامـس**

"

خمسة. وعبد الرحيم أكبرهم في العلم، والجلالة، والأمانة؛ وهو المنتقل إلى سبتة من أصيلا؛ وأصلهم من بلدهم: كتامة... كان يميل إلى النظر، والحجة؛ ودرس الفقه ببلدنا. وولي قضاء الجزيرة الخضراء، ثم قضاء سلا، ثم خلافة القضاء بالحضرة؛ وتوفي مصروفا عن ذلك)).[1]

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف الإشبيلي الكتامي** (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ فقيه، وراوية.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن عيسى الكتامي** المعروف بابن المدرة (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من سكان قصر عبد الكريم؛ كان من أصحاب أبي العباس ابن العريف، وكان له عناية، واهتمام بالآداب.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زكرياء بن عبد الله بن إبراهيم بن حسنون البياسي الكتامي** (توفي بعد عام 560هـ/1164م)؛ تصدر للإقراء، والخطبة، والصلاة في بياسة؛ كما ولي القضاء بها.

---

[1] الغنيـة، ص ص: 69 ـــ 70.

ـ ثم **أبو تميم ميمون بن جبارة بن خلفون الكتامي** (توفي بتلمسان وهو في طريقه إلى مراكش سنة 584هـ/1188م)؛ عالم في الفقه والنحو والأدب؛ ولي قضاء بلنسية بالأندلس؛ فترك أثرا محمودا؛ ودرس بها الأصول فاستنفع الناس به؛ ثم ولي القضاء ببجاية أيضا.

ـ ثم **محمد بن خلف الله بن خليفة بن محمد القسنطيني الكتامي** المعروف بابن الشمني (ولد بقسنطينة سنة 593هـ/1196م)؛ وهو عالم في الحديث، والفقه. رحل إلى مصر؛ أين تصدر لتدريس الفقه، والحديث بجامعها؛ كما تولى خطة الشهادة بين الناس.

ـ ثم **أبو علي حسن بن عمر القسنطيني الكتامي** الشهير بابن الفكون (كان حيا سنة 602هـ/1205م)؛ وهو شاعر المغرب الأوسط في وقته؛ بدون منازع. قال فيه الغبريني: **((من الأدباء الذين تستظرف أخبارهم، وتروق أشعارهم؛ غزير النظم، والنثر؛ وكأنهما أنوار الزهر. رحل إلى مراكش، وامتدح خليفة بني عبد المؤمن، وكانت جائزته عنده من أحسن الجوائز... وهو من الفضلاء، النبهاء؛ وكان مرفع المقدار، ومن له الحظوة والاعتبار.**

"

وكان الأدب له من باب الزينة والكمال؛ ولم يكن يحترف به لإقامة أود، أو إصلاح حال)).[1]

أما ابن القنفذ فذكر في الفارسية؛ بأن ابن الفكون مدح الناصر الموحدي؛ عند وصوله إلى قسنطينة **((بقصيدة عظيمة))**. ومن مؤلفاته: الرحلة؛ التي سجل فيها مشاهداته خلال تنقله من قسنطينة إلى مراكش، ثم ديوان شعر قال فيه الغبريني: **((وهو موجود بين أيدي الناس، ومحبوب عندهم))**. وهذه عينات من شعره؛ نبدأ بمقطع رائع تغنى فيه ببجاية:

دَعِ العِرَاقَ وَبَغْدَادٍ وَشَامِهَا
فَالنَاصِرِيَّةُ مَا إنْ مِثْلُهَا بَلَدُ
بَرٌ وَبَحْرٌ وَمَوْجٌ لِلْعُيُونِ بِهِ
مَسَارِحُ بَانَ عَنْهَا الهَمُّ وَالنَّكَدُ
حَيْثُ الهَوَى وَالهَوَاءُ الطَّلْقُ مُجْتَمِعٌ
حَيْثُ الغِنَى وَالْمُنَى وَالعِشَةَ الرَّغَدُ
وَالنَّهْرُ كَالصِّلِّ وَالجَنَّاتُ مُشْرِفَةَ
وَالنَّهْرُ وَالبَحْرُ كَالِمرْآة وَهوَ يَدُ

---

[1] عنوان الدراية، ص: 334.

"

فَحَيْثُمَــا نَظَرْتَ رَاقَتْ وَكُلُّ نَــوَا
حِي الدَّار لِلْفِكْر، لِلأَبْصَارِ تَتَّقِــدُ
إنْ تَنْظُــرِ البَــرَّ فَالأَزْهَــارُ يَانعَــة
أوْ تَنْظُرَ البَحْرَ فَالأَمْــوَاجُ تَطَّــرْدُ
يَا طَالِباً وَصْفِهَا إنْ كُنْت ذَا نَصَفٍ
قُلْ جَنَّة الخُلْدِ فِيهَا الأَهْلُ وَالوَلَــدُ

ثــم قولــه في بعــض ســادات بــني عبــد المؤمــن؛ حيــث تعــض لجمــال قصــر الربيــع:

عَشَوْنَــا إلَى نَــار الرَّبيــع وَإنَّمَــا
عَشَوْنَــا إلَى نَار النَّــدَى وَالمُحَلَّــقِ
رَكِبْنَــا بوَادِيــهِ جيَــادَ زَوَارق
نَزَلْنَــا إلَيْهَا عَــنْ ضَوَامِــرَ سُبَّــقِ
وَخُضْنَــا حَشَاهُ وَالأصِيــلُ كَأنَّــهُ
بصَفْحَتِــهِ تبــدِّى مُــرَوَّق زَنْبَــقِ
وَسَيِّدُنَــا قَــدْ سَــارَ فِيــهِ لأنَّــهُ
بزَوْرَقِــهِ إنْسَــانُ مُقْلَــةٍ أزْرَقِ
فَقُلْــتُ وَطَرْفِي يَجْتَلِي كُلَّ عبْــرَةٍ
وَزَوْرَقُــهُ يَهْــوي بهِ ثُمَّ يَرْتَــقِي
أيَــا عَجَبــاً لِلْبَحْرِ عَــبَّ عُبَابَــهُ
تجَمَّــعَ حَتَّى صَارَ فِي بَطْنِ زَوْرَقٍ

"

وَلَمَّـــا نَزَلْنَـــا سَاحَةَ القَصْرِ رَاعَنَـــا
بِكُلِّ جَمَالٍ مُبْهِجِ الطـــَّرْفِ مُرْتَـــقِ
فَمَا شِئْتَ مِنْ ظِلٍّ وَرِيفٍ وَجَـــدْوَل
وَرَوضٍ مَتَى تَلَمَّـــمَ بِهِ الرِّيحُ يَعْبَـــقِ
وَشَـــادِي مَغَانِي الحُسْنِ فِي نَغَمَاتِـــهِ
يُطَارِحُـــهُ هَـــدْرُ الحَمَامِ المُطَـــوَّق
فَيَا حُسْنَ ذَاكَ القَصْرِ لاَ زَالَ آهِـــلاً
وَيَـــا طِيـــبَ رَيَّا نَشْـــرِهِ المُتَنَشِّـــقِ
رَتَعْنَا بِهِ فِي رَوْضَـــةِ الأُنْسِ بَعْدَمَـــا
هَصَرْنَـــا بِهِ غُصْنَ المَسَـــرَّةِ مُـــورَقِ
وَيُضْحِكُنَـــا طُولَ الوِصَـــا وَرُبَّمَـــا
يَمُـــرُّ عَلَى الأَوْهَـــامِ ذِكْرُ التَّفَـــرُّق
فَتَضْحَى مُوصُونَاتُ الدُّمُوعِ هَدَالَـــةَ
وَنَحْنُ عَلَى طَرَفٍ مِنَ الدَّهْرِ أَبْلَـــقِ
لِمِثْلِهِمَـــا مِـــنْ مَنْـــزَهٍ وَنَزَاهَـــةٍ
يُجَـــرِرُ ذَيْـــلَ الذيْلِ كُلَّ مُوَفَّـــقِ
فِلِلَّـــه سَاعَـــاتٌ مَضَيْـــنَ صَوَالِـــحٌ
عَلَيْهِنَّ مِنْ زَيِّ الصِّبَـــا أَيُّ رَوْنَـــقِ
خَلَعْنَـــا عَلَيهَـــا النُّسْـــكَ إِلاَّ أَقَلَّـــهُ
وَإِنْ عَاوَدَتْ، نَخْلَعُ عَلَيْهَا الَّذِي بَقِي

"

ثـــم يكمـــل قولـــه نثـــراً، ويتبعـــه بالشعـــر:

"ولمـــا نضـــب مـــاء الأصيـــل، ورق نسيمـــه العليـــل، وهـــم العـــشي بالانصرام، وودع النهـــار بســـلام، وأرخى الليـــل فوقنـــا سدولـــه، وجـــرر عـــلى الأفـــق ذيولـــه؛ عدنـــا إلى زورقنـــا ذلـــك، ومُحَـــيَّـــا الجـــو غيـــر محتجـــب، ووجـــه الأفـــق غيـــر متلفـــع بثـــوب الغمـــام ولا منتقـــب، وقـــد تشكلـــت الكواكـــب في المـــاء؛ فكأنمـــا يجـــري بنـــا زورقنـــا في السمـــاء. فأمـــروا أعزهـــم اللـــه بوصـــف تلـــك الحالـــة؛ فبادرتهـــم بهـــذه العجالـــة":

وَلَيْـــلِ مَسَـــرَّةٍ مَـــا زِلْـــتُ مِنهَـــا
أمـــرُّ عَـــلَى صِـــرَاطٍ مُسْتَقِيـــمِ
لَبِسْـــتُ ثِيَابَـــهُ عِـــزا إِلَي أنْ
تَحَـــدَّرَتِ النُّجُـــومُ مِنَ النُّجُـــومِ
فَنَهْـــرٌ كَالسَّجَنْجَـــلِ قَدْ تـــرَاءَتْ
عَـــلَى شَطَّيْـــهِ جَنَّـــاتُ النَّعِيـــمِ
يَسُـــرُّ النَّفْـــسَ فِي نَظَـــر وَشِيـــم
مِنَ المَـــرْأى الوَسِيـــم أَوِ النَّسِيـــمِ
تَشَكَّلَـــتِ الكَوَاكِـــبُ فِيـــهِ حَـــتَّى
جَـــرَتْ فِي قَعْرِهِ شُهُـــبُ النُّجُـــومِ

"

وَأشْكَــلَ مَنْظَــراً عُلْــواً وَسُفْــلاً
مِنَ الفَلَــكِ الأثِيــرِ إلَى التُّخُــومِ
فَمَــا تَمْتَــازُ أرْضٌ مِــنْ سَمَــاءِ
وَحُوتُ المَــاءِ مِنْ حُوتِ النُّجُــومِ

وهــذه القصيــدة أوردهــا العبــدري في رحلتــه؛ كمــا نقلهــا المقــري في كتابــه نفــح الطيــب؛ بعــد أن مهــد لهــا بقولــه: **((قصيــدة مشهــورة عنــد العلمــاء بالمغــرب؛ وهي مــن در النظــام، وحــر الكــلام؛ وقــد ضمنهــا ذكــر البــلاد الــتي رآهــا في ارتحالــه مــن قسمطينــة إلى مراكــش؛ وأولهــا:)).**[1]

ألاَ قُــلْ لِلسَّــرِيِّ ابْنِ السَّــرِيِّ
أبِي البَــدْرِ الجَــوَادِ الأرْيَــحِيِّ

ومنهــا:

وَكُنْتُ أظُــنُّ أنَّ النَّــاسَ طُــرًّا
سِــوَى زَيْدٍ وَعَمْرو غَيْــرِ شَيِّ
فَلَمَّــا جِئْــتُ مِيلَــةَ خَيْــرَ دَارٍ
أمَالَتْــنِي بِكُــلِّ رشَــاً أبِــيِّ

---

[1] ج: 2، ص: 483.

"

وَكَــمْ أوَّرَتْ ظِبَــاءُ بَني وِرَار
أوَارَ الشَّــوْق بالرِّيــقِ الشَّــهِيِّ
وَجِئْــتُ بِجَايَة فَجَلَتْ بُــدُوراً
يَضِيــقُ بِوَصْفِهَا حَرْفُ الــرَّوِيِّ
وَفِي أرْضِ الجَزَائِــرِ هَامَ قَلْــبِي
بِمَعْسُــول المَرَاشِــفِ كَوْثَــرِيِّ
وَفِي مِلْيَانَــةٍ قَدْ ذبْــتُ شَوْقــاً
بِلِيــنِ العِطْفِ وَالقَلْبِ القَــسِيِّ
وَفِي تَنسٍ نَسَيْتُ جَمِيلَ صَبْــرِي
وَهِمْــتُ بِكُلِّ ذِي وَجْــهٍ وَضِيِّ
وَفِي مَازُونَــةٍ مَا زِلْــتُ صَبًّــا
بِوسْنَــانِ المَحَاجِــرِ لَــوذَعِيِّ
وَفِي وَهْــرَانَ قَدْ أمْسَيْتُ رَهْنَــاً
بِظَــامِي الخَصْرِ ذِي رِدْف رَوِيِّ
وَأبْــدَتْ لِي تِلِمْسَــانٌ بُــدُورا
جَلَبْــنَ الشَّــوْقَ لِلْقَلْبِ الخَــلِيِّ
وَلَمَّا جئتُ وَجْدَة هِمْتُ وَجْــداً
بِمُنْخَنــثِ المَعَاطِــفِ مَعْنَــوِيِّ
وَحَلَّ رَشَــا الرِّبَاطِ رِشَا رِبَــاطِي
وَتَيَّمَــنِي بِطَـــرْفٍ بَابِــلِيِّ

"

وَأطْلَــعَ قُطْرُ فَاسٍ لِي شُمُوســاً
مَغَارِبهــنَّ فِي قَلْــبِ الشَّــجِيِّ
وَمَــا مَكْنَاسَــة إلاَّ كِنَــاسٌ
لأحْوَى الطَّرْفِ ذِي حُسْنٍ سَــنِيِّ
وَإنْ تَسْألْ عَنَ ارْضِ سَلاَ فَفِيهَــا
ظِبَــاءٌ كَاسِــرَاتٌ لِلْكَــمِيِّ
وَفِي مَرَاكِــشٍ يَا وَيْــحَ قَلْــبي
أَتَى الوَادِي فَطَــمَّ عَلَى القَــرِيِّ
بُــدُورٌ بَلْ شُمُــوسٌ بَلْ صَبَــاحٌ
بَــهِيٌّ فِي بَــهِيٍّ فِي بَــــهِيٍّ
أبَحْــنَ مَصَارِعَ العُشَّــاق لَمَّــا
سَعَيْــنَ بِهِ فَكَــمْ مَيْــتٍ وَحَيِّ
بقَامَــةِ كُلِّ أسْمَــرَ سَمْهَــرِيِّ
وَمُقْلَــةِ كُلِّ أبْيَــضَ مشْــرَفِيِّ
إذَا أنْسَيْنَــنِي حُسْنــاً فَــإنِّي
أنَسِّيهــمْ هَــوَى غَيْــلاَنِ مَــيِّ
فَهَا أنَا قَد تَخَذتُ الغَــرْبَ دَاراً
وَأدْعَى اليَــوْمَ بِالمَرَاكِــشِيِّ
عَلَى أنَّ اشْتِيَــاقِي نَحْــوَ زَيْــدٍ
كَشَوقِكَ نَحْوَ عَمْــرٍو بِالسَّــوِيِّ

"

تَقَسَّمَنِي الهَـوَى شَرقـاً وَغَرْبـاً
فَيَـا لِلْمَشْـرِقِيِّ المَغْـرِبِيِّ
فَلِي قَلْبٌ بِأَرْضِ الشَّـرْق عَـانٍ
وَجسْم حَلَّ بالغَـرْبِ القَـصِيِّ
فَهَـذَا بِالغُـدُوِّ يَهِيـمُ غَرْبـاً
وَذَاكَ يَهِيـمُ شَرْقـاً بِالعَـشِيِّ
فَلَوْلاَ اللَّـهُ مِـتُّ هَوًى وَشَوقـاً
وَكَـمْ لِلَّـهِ مِنْ لُطْـفٍ خَـفِيِّ

ـ ثـم **أبـو بكـر محمـد بـن عـلي بـن عبـد الرحمـن بـن عبـد العزيـز بـن زكريـاء بـن عبـد اللـه بـن إبراهيـم بـن حسنـون البيـاسي الكتـامي** (ت: سنـة 604هـ/1207م)؛ أخـذ القـراءات عـن أبيـه وآخريـن؛ ولي الصـلاة، والخطبـة ببلـده بياسـة. ويعتبـر مـن القـراء الماهريـن؛ ومـن أصحـاب الضبـط المحققيـن، وكـان صحيـح الروايـة.

ـ ثـم **أبـو جعفـر أحمـد بـن محمـد بـن إبراهيـم ابـن يحـيى بـن إبراهيـم بـن يحـيى بـن خلصـة القرطـبي الكتـامي** (تـوفي بقرطبـة في حـدود عـام 609هـ/1212م)؛ وهـو أستـاذ، وعالـم في القـراءات؛ ولي الخطابـة بقرطبـة، وقـام بتدريـس علـوم العربيـة، وآدابهـا، والقـراءات.

"

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى القرطبي الكتامي** المعروف بابن القطان (توفي بسلجماسة سنة 628هـ/1230م)؛ وهو من علماء الحديث. كان بارعا في التمحيص، والنقد؛ مهتما بالضبط، والتقييد؛ عارفا بعلل الحديث؛ حريصا على ذكر الرجال، والتاريخ. ولي القضاء بسجلماسة. ومن مؤلفاته: كتاب الوهم والإيهام الواقِعَيْن على كتاب الأحكام؛ وهو نقد لأحكام أبي محمد عبد الحق بن الخراط الإشبيلي، وله أيضا مقالة في الأوزان، وكتاب النظر في أحكام النظر، وبرنامج؛ ذكر فيه شيوخه، ونظم الجمان في أخبار الزمان.

ـ ثم **أبو محمد عصام بن أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن يحيى بن خلصة القرطبي الكتامي** (توفي بقرطبة سنة 631هـ/1233م)؛ متمكن من علوم اللسان؛ سواء كانت نحوا أو لغة أو أدبا؛ وله إلمام بالتاريخ؛ كما خلف أباه في الخطابة، والإقراء.

"

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي الملياني الكتامي** (توفي بمليانة سنة 644هـ/1246م)؛ عالم في العربية، والفقه، وأصول الدين؛ كما كان يميل إلى التصوف، وينكب على العبادة؛ له تقييدات على كتاب التلقين لمحمد بن علي المازري. وقد علق على ذلك الغبريني بقوله: **((وكان له في "التلقين" تقدم، ونظر لم يكن لغيره، ولم يكن مثل في غيره من الكتب؛ وإن كان الرجل إماما في الفقه؛ ولكنه في هذا الكتاب أجل من غيره من الكتب؛ وله عليه تقييد فيه تنبيهات خفيفة؛ سمعت أنه كمل بعض ما فات المازري على التلقين))**.[1]

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن زكرياء بن محجوبة السطيفي الكتامي** (توفي ببجاية سنة 677هـ/1278م)؛ وهو صوفي؛ رحل إلى المشرق، وعاد؛ حيث استقر ببجاية. له كتاب في شرح أسماء الله الحسنى، وله أيضا تقاييد في التصوف؛ وكان ينظم الشعر الصوفي؛ منه:

---

[1] عنوان الدراية، ص: 188.

"

أَتَتْ وَاللَّيْلُ مَمْدُود الجَنَاحْ
تَعُودُ مُسْهَداً رَطبَ الجِرَاحْ
فَقَالَتْ: كَيْفَ أَنْتَ وَلاَ جَنَاح؟
فَقُلْتُ: العَودُ يَذهَبُ بِالجَنَاحْ
فَوَالَهْفِي عَلَى الشَّكْوَى لِسَار
وَوَاجَزَعِي لإعْجَالِ الصَّبَاحْ

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد بن علي ابن يوسف الإشبيلي الكتامي** المعروف بابن الضايع (ت: سنة 680هـ/1281م)؛ كتب عنه ابن الخطيب نقلا عن أبي جعفر بن الزبير: **((قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: بلغ** [ابن الضائع] **الغاية في الفن النحوي، وفاق أصحاب الأستاذ أبي علي الشلوبين بأسرهم؛ وله في مشكلات الكتاب العجايب. وقرأ ببلده أيضا علم الكلام، وأصول الفقه؛ وكان متقدما في هذه العلوم الثلاثة، متصرفا فيها. أما فن العربية، وعلم الكلام؛ فلم يكن في وقته من يقاربه في هذين العلمين. أما فهمه، وتصرفه في كتاب سيبويه؛ فما أراه يسبقه في ذلك أحد. وله إملاء على طايفة كبيرة من إيضاح الفارسي. وكان له اعتناء كبير بكلام**

"

الفارسي على الجملة... وكان بالجملة إماما في هذا كله؛ لا يجارى)).[1] من مؤلفاته: شرح جمل الزجاجي؛ الكبير، والصغير، وكتاب شرح سيبويه، والرد على ابن عصفور. وفيه يقول ابن الأزرق الوادي آشي:

بَضَائِعُكَ ابْنَ الضَّائِعِ النَّدْبَ قَدْ أَتَتْ
بحَظٍّ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالعِلْمِ مَوْفُورِ
فَطِرْتَ عُقَاباً كَاسِراً أَوَمَا تَرَى
مَطَارَكَ قَدْ أَعْيَا جَنَاحَ ابْنِ عُصْفُورِ

ـ ثم **أبو مروان عبد الملك بن محمد ابن إسحاق الكتامي** (توفي بأزمور سنة 693هـ/1293م)؛ وهو فقيه صالح.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الضرير التلمساني الكتامي** المعروف بابن الخضار (ت: سنة 727هـ/1229م)؛ فقيه، ومن علماء الحديث.

---

[1] **الإحاطة، ج: 4، ص: 120.**

"

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد عيسى الزنديوي (الكتامي** (ت: سنة 882هـ/1477م)؛ فقيه، ومفسر؛ ولي القضاء بمدينة قسنطينة في سنة 839هـ/1435م.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن غازي العثماني** (أو الغسماني) **الكتامي** (توفي بفاس سنة 929هـ/1522م)؛ فقيه؛ ولي الإمامة، والخطابة بجامع القرويين؛ كما كان شيخا للجماعة بفاس. وله مشاركة في التاريخ؛ من مؤلفاته: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون. وفهرست بعنوان: التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والنادي.

ـ ثم **قاسم بن يحيى بن محمد الفكون القسنطيني الكتامي** (ت: سنة 965هـ/1557م)؛ فقيه مالكي، ومفسر؛ له مشاركة في علوم عديدة؛ ولي القضاء، والإمامة بقسنطينة.

ـ ثم **عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني الكتامي** (توفي في قسنطينة بالطاعون سنة 1073هـ/1662م)؛ وهو عالم المغرب الأوسط في وقته. كان أديبا ونحويا، وعالما في الحديث؛ جمع بين: علمي الظاهر، والباطن. وكان أميرا للحج؛ فهو الذي يقود

"

حجاج الجزائر إلى الديار المقدسة. تصوف؛ فأضحى منقبضا، ومترويا عن الناس؛ وترك كثيرا من العلوم الدنيوية التي كان — من قبل — مهتما بها، وكان إماما يقتدي الناس به فيها، وتعددت تآليفه عنها؛ وشهد له بالتقدم على أهل عصره فيها. ولما تذكر أعماله في تلك العلوم أمامه؛ يقول: "قرأتها لله، وتركتها لله".
من مؤلفاته: شرح على البسط والتعريف في علم التصريف؛ للمكودي، وشرح على شواهد الشريف على الأجرومية، ورسالة محدد السنان في نحور إخوان الدخان؛ وهي في تحريمه، وديوان في مدح النبي العربي الكريم صلى الله عليه وسلم؛ رتبه على حروف المعجم، وشرح جمل المجراد ومخارج الحروف من الشاطبية، وتأليف في حوادث فقراء الوقت؛ ربما كان هو منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية.
هذا ونشر له المقري خطابا أرسله إليه، مع قصيدة؛ منها:

لاَ زِلْتَ بَحْراً بِكُلِّ فَن
يَرْوِي بِهِ الطَّالِبُونَ غَايَهْ

"

لَقَــدْ تَصَــدَّرْتَ فِي المَعَــالِي
كَمَــا تَعَالَيْــتَ فِي العِنَايَــهْ
مِنْ فِيــكَ تُسْتَنْظَــمُ المَعَــانِي
بُلِّغْــتَ فِي حُسْنِهَــا النِّهَايَــهْ
رَقَّــاكَ مَــوْلاكَ كُــلَّ مَــرقًى
تَحْــوِي بِهِ القُــرْبَ وَالوِلاَيَــهْ
أعْجُوبَــة مَــا لَهَــا نَظِيــرٌ
فِي الحِفْــظِ وَالفَهْــمِ وَالهِدَايَــهْ
بِجَــاهِ خَيْــرِ العِبَــادِ طُــراً
وَالآل وَالصُّحْــبِ وَالنُّقَايَــهْ
صَــلَّى عَلَيْــهِ الإلَــهُ تَتْــرَى
نُكْــفِي بِــهِ الشَّــرَّ وَالغِوَايَــهْ

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم ابن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطني الكتامي** (توف بعد عام 1073هـ/1662م)؛ خلف والده في إمارة الحج. وكان عالما في الفقه المالكي.

ooo

"

هؤلاء بعض علماء، وأدباء كتامة؛ وبقي الآن الحديث عن رجال كتامة؛ ممن تخصص في فن السيف والسياسة. من هؤلاء:

ـ **مهدي بن كناوة** (أو أبي كناوة) **اللهيصي الكتامي** (توفي مقتولا بعد عام 288هـ/900م)؛ وهو شيخ لهيصة، وزعيمها. كان فارسا مقداما، ومقاتلا شجاعا. عارض الدعوة الفاطمية منذ البداية؛ وظل في موقفه المعادي لأبي عبد الله الداعي؛ حتى قتله أخوه أبو مديني ابن كناوة؛ الذي كان متحمسا للدعوة الشيعية. وقد سجل القاضي النعمان خبره؛ فقال: **((وكان جميع المؤمنين أنصار غشمان** (أو غسمان أو عثمان)، **والجماعة المخالفون أنصار لهيصة؛ وكان صاحب أمرهم مهدي بن أبي كناوة؛ وكان أخوه أبو مديني قد دخل الدعوة، وصار إلى أبي عبد الله مهاجرا؛ وكانت له بصيرة ونية ونجدة. وكان أخوه مهدي من أشد فارس كان** (هكذا) **في عصره، وأهوله منظرا. يقال أنه كان أشعر البدن كله؛ هائل المنظر، شديد الضربة. فيقال: أن الأولياء احتالوا عليه في بعض تلك الحروب؛ وقد زحف إليهم، والتحم القتال؛**

"

وفي موضع المعركة مقبرة فيها قبور محجر عليها؛ فأدخلوا له رجالا من أشد من قدروا عليه في ذلك التحجير؛ وقدموا إليه فارسا ليجره إليهم؛ فشتمه، وأغضبه؛ فحمل عليه؛ وانجر له الفارس إلى موضع الرجالة؛ فرماه مهدي برمح؛ فأصابه؛ فأنفذه، وسقط الرمح بين يدي الفارس؛ وظن الناس أنه قد أخطأه؛ فما علموا أنه أصابه حتى رأوه قد سقط عن برذونه؛ وخرج الرجال على مهدي؛ فأخذوا عنانه، وأحاطوا به؛ وحملت الخيل عليه؛ فضرب في الرجالة؛ ففرقهم؛ وحمى نفسه من الخيل؛ وخلص منهم. فكان من شأنه من يومئذ أعجوبة؛ لم ير الناس مثلها)).[1] وهكذا لما عجز الآخرون عن قتل الخصم العنيد للدعوة؛ مهدي ابن كناوة؛ تولى أخوه أبو مديني المهمة. فتم له ذلك بواسطة مكيدة، وخيانة. وبموت مهدي توحد الحيان: غسمان ولهيصة؛ في ظل الدعوة الشيعية.

---

[1] رسالة افتتاح العوة، ص ص: 106 ــ 107.

"

ـ ثم **فتح بن يحيى المسالتي الكتامي** المعروف بالأمير (توفي مقتولا سنة 293هـ/905م)؛ وهو من أعيان كتامة الموالين للأغالبة. بقي على عدائه للشيعة حتى قتله أبو عبد الله الداعي؛ عندما فتح طبنة.

ـ ثم **لاوه بن صوحان اللهيصي الكتامي** (كان حيا سنة 288هـ/900م)؛ لم تشر إليه المصادر بعد عام 288هـ/900م. وهو العام الذي تآمر فيه مع أبي مديني لقتل أخيه مهدي. وقد ذكر القصة النعمان؛ فقال: ((**وطالت الحرب بين الفريقين** (قبيلة غسمان المناصرة للداعي، وقبيلة لهيصة المعادية له)؛ **ينتصف بعضهم من بعض؛ فلما نظر أبو مديني إلى تمادي أخيه مهدي في غيه، وإصراره؛ اغتم لذلك وساءه؛ وكان ربما وقف إليه؛ فوعظه، ودعاه إلى الله، وخوفه، وحذره عقابه؛ فلا يزداد على ذلك إلا غيا، وتماديا. فلما رآه لا ينصرف عن ذلك؛ اجتمع مع فتى من لهيصة؛ كان قد صار إلى الدعوة، وهاجر إلى تازروت في من هاجر من المؤمنين؛ يقال له لاوة بن صوحان؛ وكان له شدة، ونجدة. فقال له أبو مديني؛ وقد خلا معه: "ويحك فقد ترى**

"

تمادي مهدي؛ وما أكسبنا من العار، وأدخل لهيصة فيه؛ من الخلاف، والعصيان. ولو قد أراح الله منه لافترق أمر لهيصة، وصاروا إلى الدين. فقد رأيت أن وصاروا إلى الدين. فقد رأيت أن نجتمع؛ أنا وأنت؛ إذا التقينا، ونخرج ناحية إليه؛ على حسب ما كنت أفعله؛ لنعظه، ونكلمه؛ فإذا أمكننا؛ رميناه جميعا؛ برمحين في ساعة واحدة؛ فإن اتقى؛ فلعله أن يتقي أحدهما؛ ولعل الله أن يريح منه، ويقطع أثره. فاتفقا على ذلك، وتعاقدا عليه. فلما التقوا للحرب؛ خرجا ناحية، وَدَعَوَا به؛ فأقبل إليهما؛ وكلمه أخوه أبو مديني؛ بمثل ما كان يكلمه؛ حتى أنس إليه؛ ثم ضرباه جميعا ضربة رجل واحد؛ فاختلف رمحاهما فيه؛ فسقط إلى الأرض. وحمل الأولياء عليه؛ وحملت لهيصة؛ فاستنقذته، وحملته؛ فمات من جراحته تلك؛ بعد أن وصل إلى موضعه. وتفرق أمر لهيصة من بعده، وأقبلوا إلى الدعوة؛ واصطلح غشمان، ولهيصة، وتآلفوا على الدين)).[1]

---

[1] رسالة افتتاح العوة، ص ص: 107 ــ 108.

"

ـ ثم **أبو مديني بن كناوة اللهيصي الكتامي** (كان حيا سنة 296هـ/908م)؛ انضم إلى الدعوة الشيعية منذ بدايتها. وقد وصل تعصبه للدعوة؛ انه قتل أخاه مهدي؛ بعد استدراجه؛ وخيانة ثقته فيه. وقد أضحى منذ ذاك التاريخ محل ثقة أبي عبد الله الداعي؛ الذي كان يكلفه في المهام الصعبة؛ على رأس جيشه.

ـ ثم **أبو زاكي تمام بن معارك بن ضبارة (أو دبَّارة) الأجاني الكتامي** (توفي مقتولا سنة 298هـ/910م)؛ وهو من القادة الكتاميين الذين قامت على كاهلهم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. وهو ممن يثق فيهم الداعي؛ إذ كان يوليه المهام الكبرى عند الحاجة. تآمر مع أبي عبد الله الداعي، وأخيه أبي العباس على نقض طاعة عبيد الله الشيعي. فلما انكشف أمرهم قتلهم؛ وكان مقتل تمام بواسطة عمه ماقنون؛ الذي كان واليا على طرابلس؛ إذ بعثه إليه عبيد الله برسالة حملها معه؛ ولما فتحها عمه؛ وجد بها الأمر بقتل تمام. ولما عرضها قنون على ابن أخيه أجابه: "يا عم؛ نفذ ما أمِرْت به!" فنفذ فيه الأمر.

"

ـ ثم **هارون بن يونس المسالتي الكتامي** المعروف بشيخ المشائخ (ت: مقتولا سنة 298هـ/910م)؛ وهو من الذين قامت بسواعدهم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. قتله عبيد الله الشيعي بتهمة التآمر عليه مع عبد الله الداعي، وأخيه أبي العباس.

ـ ثم **أبو حميد دواس بن صولات اللهيصي الكتامي** (توفي مقتولا بعد عام 299هـ/911م)؛ وهو من قادة كتامة الذين قامت بسواعدهم الدولة الفاطمية. ولاه أبو عبد الله الداعي تيهرت؛ بعد فتحها، وإسقاط الدولة الرستمية.

ـ ثم **كادو بن معارك الكتامي** المعروف بالمارطِيِّ (توفي مقتولا سنة 300هـ/912م)؛ كان صغير السن عندما قدمه قومه الكتاميون عليهم، وادعوا أنه المهدي الحقيقي. وفي هذا يقول ابن عذاري: ((**ولحق من كان حوالي رقادة من كتامة ببلادهم. فلما حصلوا بها؛ أظهروا الخلاف على عبيد الله؛ وقدموا على أنفسهم حدثا يعرف بالمارطي؛ واسمه كادو ابن معارك، وجعلوه قبلة يصلون إليه؛ وزعموا أنه المهدي المنتظر؛ وكتبوا كتابا فيه شريعة؛ زعموا أنها نزلت عليه. فتغلب على**

جميع الزاب؛ وقوي أمره، واشتدت شوكته. فأخرج إليه عبيد الله قوادا؛ حاربوهم. وهرب إليهم أحد القواد؛ وهو صولات ابن جندة؛ في نحو مائتي رجل. ثم أخرج عبيد الله ابنه أبا القاسم إلى بلد كتامة؛ لمحاربة المارطي... وكانت له على المارطي وقائع. وهرب من قواد أبي القاسم إلى المارطي رجال؛ ثم أمنهم أبو القاسم، ولاطفهم حتى انصرفوا إليه)).[1] ويبدو أن كلمة مارطي هي نتيجة للتصحيف الذي لحق كلمة ماوطي؛ نسبة إلى فخذ ماوطنت؛ التابع لبطن غرسن؛ من كتامة. هذا وقد تم قتل المارطي (أو بالأحرى ماوطي)، وأنصاره؛ بعد أسرهم، ونقلهم إلى رقادة.

ــ ثم **حباسة بن يوسف الملوسي الكتامي** (توفي مقتولا سنة 302هـ/914م)؛ وهو أحد كبار القادة في الدولة الفاطمية؛ وممن قامت على عاتقهم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. كما تولى مهمة فتح سرت، وأجدابية، وبرقة؛ ونكل بأهلها؛ بوصية من أبي عبيد الله الشيعي؛ لسوء معاملتهم له عند قدومه من

---

[1] البيان المغرب، ج: 1، ص ص: 166 ـــ 167.

"

المشرق. وكان أيضا هو فاتح الإسكندرية؛ إلى جانب أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي سنة 302هـ/914م، ثم انتقل أبو القاسم إلى الفيوم؛ وهنا حدث الخلاف بينهما؛ إذ أرسل إليه أبو القاسم أبو فريدن القائد ليخلفه؛ على أن يلحق به حباسة إلى الفيوم؛ فغضب حباسة وقال: "لما أشرفت على أخذ البلد؛ يفوز أبو فريدن بخيره وذكره"؛ ثم ركب مع ثلاثين فارسا من كتامة، وعاد إلى المغرب؛ قاصدا تيهرت؛ حيث كان أخوه عروبة واليا عليها؛ ولكن قبض عليه في الطريق، وقتل مع أخيه عروبة. وهكذا انتهت هذه الحملة على مصر بانهزام أبي القاسم، وعودته إلى رقادة.

ـ ثم **أبو ميمون عروبة** (أو غَرَوَيْه) **بن يوسف الملوسي الكتامي** (توفي مقتولا سنة 302هـ/914م)؛ أحد كبار القادة في الدولة الفاطمية؛ وهو من الذين قامت بسواعدهم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. عين واليا على تيهرت. وهو الذي نفذ أمر عبيد الله الشيعي في أبي عبد الله الداعي، وأخيه أبي العباس؛ إذ قتلهما قائلا لأبي عبد الله "أمرني بقتلك من أمرت الناس بطاعته، وانخلعت له من الملك بعد توطئته"؛ ثم طعنه. وذكر ابن

"

عـــذاري نـــادرة؛ جـــاء فيهـــا: **((وحـــدث الثقـــة أن أبـــا عبـــد اللـــه نـــام يومـــا بحضـــرة أصحابـــه. وعنـــده جماعـــة مـــن دعـــاة كتامـــة؛ فتحـــرك في نومـــه؛ فانكشفـــت سوءتـــه؛ فنظـــر بعضهـــم إلى بعـــض؛ ولـــم يقدمـــوا أن يستـــروه؛ فمـــد عروبـــة ابـــن يوســـف يـــده إلى الملحفـــة الـــتي كانـــت عليـــه؛ فستـــره بهـــا. وانتبـــه أبـــو عبـــد اللـــه؛ فقـــال: " مـــن ستـــرني إذا انكشـــف؟" فقالـــوا لـــه: "عروبـــة"؛ فقـــال: "هـــو واللـــه قاتـــلي". فجعـــل عروبـــة يبـــكي بيـــن يدييـــه، ويقـــول: "ياسيـــدي مـــر بقتـــلي"؛ فقـــال لـــه: "لا سبيـــل إلى ذلـــك؛ لكنـــك واللـــه قاتـــلي)).**[1] ومـــع هـــذا فقـــد دارت الدوائـــر عـــلى عروبـــة؛ بعـــد خروج أخيـــه حباســـة عـــن طاعـــة الدولـــة؛ فحـــاول الهـــرب؛ ولكـــن قبـــض عليـــه؛ وأعـــدم مـــع أخيـــه. وجـــاء في المصـــادر التاريخيـــة؛ أن رأسيهمـــا عرضـــا عـــلى عبيـــد اللـــه الشيـــعي؛ فقـــال عنـــد مشاهدتهمـــا: " مـــا أعجـــب أمـــور الدنيـــا! هـــذه الـــرؤوس ضـــاق بهـــا المشـــرق والمغـــرب؛ وحملتهـــا هـــذه القفـــة".

---

[1] البيـــان المغـــرب، ج: 1، ص: 164.

"

ـ ثـم **أبـو حـدو الكتـامي** (كـان حيـا سنـة 303هــ/915م)؛ وهـو مـن القـادة الكتاميين الذين كانـوا ضمـن الجيـش الفاطـمي الزاحـف علـى مصـر. انتهـز فرصـة مـا؛ وهـرب إلى الجيـش العبـاسي؛ فاستقبـل بحفـاوة؛ ثـم أرسـل إلى بغـداد؛ أيـن بـقي في خدمـة الخلافـة العباسيـة.

ـ ثـم **أبـو مدين بـن فـروخ اللهيـصي الكتـامي** (تـوفي ببرقـة سنـة 306هــ/918م)؛ وهـو مـن قـادة الدولـة الفاطميـة ببـلاد المغـرب. أعـاد فتـح برقـة؛ بعـد خروجهـا عـن الطاعـة؛ ثـم أسنـدت إليـه ولايتهـا حـتى مماتـه.

ـ ثـم **أبـو معلـوم فحلـون الكتـامي** (تـوفي مقتـولا سنـة 310هــ/922م)؛ وهـو مـن قـادة الدولـة الفاطميـة ببـلاد المغـرب؛ بعثـه عبيـد اللـه إلي جبـل أوراس؛ قصـد إخضـاع سكانـه؛ فأسـاء السيـرة فيهـم؛ فقتلـوه، وممـن معـه مـن جنـد كتامـة كافـة.

ـ ثـم **معـلى بـن محمـد الملـوسي الكتـامي الـداعي** (تـوفي مقتـولا سنـة 315هــ/927م)؛ وهـو مـن الدعـاة للمذهـب الشيـعي؛ في الدولـة الفاطميـة ببـلاد المغـرب. أرسلـه أبـو القاسـم بـن عبيـد اللـه مقيـدا إلى أبيـه برقـادة؛ فأمـر بقطـع رأسـه.

"

ـ ثم **أبو مالك بن يغمراسن بن شُحْمة اللهيصي الكتامي** (كان حيا سنة 323هـ/934م)؛ ولي على تيهرت في ظل الدولة الفاطمية؛ فقام عليه أهلها؛ وأخرجوه منها سنة 223هـ/934م.

ـ ثم **موسى بن محمد الكتامي** (كان حيا سنة 349هـ/960م)؛ وهو من قادة الجيش في الدولة الفاطمية ببلاد المغرب.

ـ ثم **أبو يوسف ماقنون** (أو ماكنون) **ابن ضبارة** (أو دبـَّارة) **الأجاني الكتامي** (كان حيا سنة 349هـ/960م)؛ وهو من قادة الدولة الفاطمية بالمغرب؛ ممن أقاموها، ووطدوا أركانها. والي طرابلس، ثم ميلة في عهد الفاطميين.

ـ ثم **يعقوب الكتامي** (كان حيا سنة 349هـ/960م)؛ كان رئيسا للبحر في الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. وكان موصوفا بالشجاعة، والإقدام؛ قاد النجدة البحرية؛ التي وجهت إلى الإسكندرية؛ لدعم أبي القاسم بن عبيد الله عام 306هـ/918م؛ ولكن الحملة فشلت، وأسر يعقوب؛ وأرسل إلى بغداد؛ ولكنه تمكن من الهرب، والعودة إلي إفريقية.

"

ـ ثم **أبو علي جعفر بن فلاح بن مرزوق الكتامي** (توفي مقتولا بالشام سنة 360هـ/970م)؛ وهو أحد القادة الكبار في جيش الدولة الفاطمية. جهزه المعز لدين الله الفاطمي مع جوهر الصقلي لفتح مصر؛ ولما تحقق لهما ذلك؛ وجهه جوهر على رأس جيش لفتح الشام؛ فتم له ذلك. ولما زحف إليه الحسن بن أحمد القرمطي؛ كان آنئذ جعفر مريضا على نهر يزيد؛ فخرج إليه بعلته فظفر به القرمطي، وقتله. وعنه يقول ابن خلكان: **((قال بعضهم: قرأت على باب قصر القائد جعفر بن فلاح المذكور؛ بعد قتله؛ مكتوبا:**

يَا مَنْزِلاً عَبَثَ الزَّمَانُ بأَهْلِهِ
فَأَبَادَهُمْ بتَفَرُّق لاَ يُجْمَعُ
أيْنَ الذِّينَ عَهِدْتُهُمْ بكَ مَرَّةً
كَانَ الزَّمَانُ بهِمْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
ذَهَبَ الذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ
وَبَقى الذِينَ حَيَاتُهُمْ لاَ تَنْفَعُ

"

وكان جعفر المذكور رئيسا جليل القدر؛ ممدوحا؛ وفيه يقول أبو القاسم محمد بن هاني الأندلسي الشاعر المشهر:

كَانَتْ مُسَاءَلَةَ الرُّكْبَانِ تُخْبِـرُني
عَنْ جَعْفرِ بْنِ فَلاَحٍ أَطْيَبَ الخَبَـرِ
حَتَى الْتَقَيْنَا فَلاَ وَاللــَّـهِ مَا سَمِعَتْ
أذنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأى بَصَرِي)).

والناس يرون هذين البيتين لأبي تمام في القاضي أحمد بن داود؛ وهو غلط.)).[1] ولا بد من التنبيه إلى سقوط البيت الثالث من النسخة التي حققها إحسان عباس؛ وهي التي تشير إلى ما كتب على باب قصر جعفر؛ بينما أثبته ابن العماد الحنبلي؛ حين نقل الأبيات إلى كتابه شذرات الذهب.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن جعفر بن فلاح ابن مرزوق الكتامي** (توفي مقتولا بالقاهرة سنة 409هـ)؛ وهو أحد أكابر الوزراء في الدولة الفاطمية بمصر؛ فلقب بوزير الوزراء؛ ذي الرياستين الآمر، المظفر، قطب الدولة؛ وكان له النظر في شئون الدولة كلها. كما يعد

---

[1] ـ وفيات الأعيان، ج:1، ص ص: 361 ـــ 362 شذرات الذهب، ج: 3 ص: 29.

"

من قادة جيوشها الكبار؛ إذ قاد الجيوش الفاطمية نحو الشام. ولما مرض سنة 406هـ؛ ذهب الحاكم بأمر الله إلى داره لعيادته. وتم مقتله بمؤامرة؛ إذ قتل بواسطة فارسين متنكرين.

ـ ثم **سيف الدولة حسين** (أو طليب) **بن دواس الكتامي** (ت: سنة 411هـ)؛ كان من كبار القادة في الدولة الفاطمية بمصر. وهو الذي دبر مقتل الحاكم بالله الفاطمي؛ بإيعاز من أخته ست الملك. وكانت العلاقة قد ساءت بينه وبين الحاكم؛ فاستدعاه مرة إلى قصره؛ فلم يجبه؛ ولما التقيا في بعض المناسبات؛ سأله عن عدم تلبية طلبه؛ فأجاب: "لأن تقتلني في داري أحب إلي من أن تقتلني في قصرك". واستغلت ست الملك تغير الحال بينهما؛ فأوعزت إلى ابن دواس بقتل أخيها؛ على أن تطلق يده في شئون الدولة بعده؛ ولكنها خانته؛ بعد استكمال مهمته؛ وأمرت من قتله.

ـ ثم **أبو محمد سند الدولة الحسن بن محمد بن ثعبان الكتامي** (توفي بحلب سنة 415هـ/1024م)؛ أمير من أمراء الدولة الفاطمية؛ ولي على حصن أفامية بالشام، ثم ولي على

"

حلب. كان هو الذي أرسل إليه أبو العلاء المعري "الرسالة السَّندية" وهي في مجلد واحد.

ــ ثم **أبو محمد عبد الله بن شعيب أبي مدين بن مخلوف الغشماني** (العثماني) **الكتامي** (توفي مقتولا سنة 709هـ)؛ وهو من الفقهاء المنحدرين من بيت علم وورع؛ ولي خطة الكتابة، والعلامة في الدولة المرينية؛ ولكنه تعرض لمؤامرة من بعض اليهود؛ الذين بثوا الضغينة عليه؛ في قلب السلطان المريني؛ فقتله ظلما؛ ولكنه اكتشف الدسيسة ــ فيما بعد ــ ففتك بالمتآمرين من اليهود.

***

ــ ***مواطنهم:*** تمتد مواطن كتامة من تخوم بجاية غربا، إلى بونة شرقا، ومن سواحل البحر الأبيض المتوسط شمالا، إلى جبل أوراس جنوبا. قد لخصها ابن خلدون بقوله: **((وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة؛ أكثرها لهم، وبين ديارهم، ومجالات تقلبهم؛ مثل: ايكجان، وسطيف، وباغاية، ونقاوس، وبلزمة، ويتكست، وميلة، وقسنطينة، والسيكرة، والقل، وجيجل؛ من حدود جبل أوراس، إلى سيف البحر؛ ما**

"

بين بجاية، وبونة... وكان من هذه البطون (الكتامية) بالمغرب الأقصى كثير منتدبون عن مواطنهم، وهم بها إلى اليوم)).[1]

....

7ـ كزولة:

لا يوجد الكثير مما يمكن أن يقال بخصوص **كزولة** أو (جزولة). وكل ما هناك؛ أن جدهم غير معروف؛ وأنهم اخوة لصنهاجة ولمطة وهسكورة؛ من أمهم المسماة **تصكي العرجاء بنت زحيك بن مادغيس الأبتر**. ويقال أنها تزوجت ــ بعد ذلك ــ من أوريغ؛ فولدت له هوار؛ وهكذا يصبح ــ بدوره ــ أخا لهم من أمهم تصكي. ويقول ابن خلدون أن بطون كزولة كثيرة. وهم ظواعن؛ ينتجعون بأنعامهم في بلاد السوس. ومن أفخاذ كزولة فخذ يسمى يزدكتن؛ ببلاد السوس. وبعد دخول عرب المعقل إلى تلك الديار؛ تغلبوا على بطون كزولة، وأدرجوهم ضمن رعاياهم.[2]

! ! !

---

[1] العبر مج: 6، ص: 301.

[2] العبر مج: 6، ص ص: 419 ــ 420.

"

ـ ***أعيانهم:*** اشتهر من هذه القبيلة عدد من العلماء؛ الذين خلفوا أثرا محمودا في بلاد المغرب كلها. من هؤلاء:

ـ **عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير علي بن ياسين الجزولي** (توفي بتامسنا سنة 451هـ/1059م)؛ كان فقيها مالكيا؛ درس العلم بالسوس؛ على واجاج بن زلو اللمطي. ولما وصل خطاب أبي عمران الفاسي إلى واجاج؛ طالبا فيه البحث عن فقيه؛ يتوجه مع زعيم صنهاجة إلى بلده في الصحراء؛ لكي يعلمهم دينهم. وقع اختياره على عبد الله بن ياسين؛ فأرسله معهم. فكان بينهم بمثابة ابن تومرت بين الموحدين؛ إذ أضحى زعيما روحيا لديهم؛ يطيعه الكبير والصغير فيهم. وكانوا لا يقدمون إلى إمامة الصلاة بينهم إلا من صلى خلف عبد الله بن ياسين. وكان يرافق الجيوش المرابطية في الغزوات. وتوفي مقتولا في إحداها.

ـ ثم **أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت بن عيسى بن يوماريلي اليَزْدَكْتَني المراكشي الجزولي** (توفي بمراكش غير أن الآراء اختلفت في سنة الوفاة: 606 أو607 أو610 أو616

"

أو617هـ/1209 أو 1210 أو 1213 أو 1219 أو 1220م)؛ وهو من علماء اللغة، والنحو. كما كان إماما في القراءات. رحل إلى المشرق؛ حيث حج؛ ثم انتقل إلى مصر؛ أين درس فيها على ابن بري الجمل؛ وقام بالتعليق عليها في تسجيلاته. ثم عاد إلى المغرب؛ حيث تصدر لتدريس النحو مدة طويلة في، والجزائر، والمرية. كما وُلِي خطة الخطابة بمراكش. من مؤلفاته: رسالة في النحو بعنوان: الجزولية، وشرح قصيدة بانت سعاد، وكتاب الأمالي في النحو، ومختصر شرح ابن جني لديوان المتنبي؛ وهو كتاب الفَسْر. قال عنه ابن خلكان: **((كان إماما في النحو؛ كثير الإطلاع على دقائقه، وغريبه، وشاذه. وصنف فيه المقدمة التي سماها القانون؛ ولقد أتى فيها بالعجائب؛ وهي في غاية الإيجاز؛ مع الاشتمال على شيء كثير من النحو؛ ولم يسبق إلى مثلها؛ واعتنى بها جماعة من الفضلاء فشرحوها؛ ومنهم من وضع لها أمثلة... وكان إماما في القراءات، والنحو، واللغة. وكان يتصدر في الجامع للإقراء؛ وأنه شرح مقدمته في مجلد كبير؛ أتى فيه بغرائب، وفوائد. وذكر بعض أصحابه أنه حضر عنده**

"

ليقرأ عليه قراءة أبي عمرو؛ فقال بعض الحاضرين: "أتريد أن تقرأ على الشيخ النحو؟" قال: فقلت: "لا". قال: فسألني آخر كذلك. فقلت: "لا"، فأنشد الشيخ، وقال: "قل لهم:

لَسْتُ لِلنَّحْوِ جِئْتُكُمْ   لاَ وَ لاَ فِيهِ أرْغَبُ
خَلِّ زَيْداً لِشَأنِهِ   أيْنَمَا شَاءَ يَذهَبُ
أنَا مَا لِي وَلامْرِيءٍ   أبَدَ الدَّهْرِ يَضْرِبُ"".[1]

ـ **ثم أبو فارس عبد العزيز بن تليلا الجزولي** الشهير بالجزولي (توفي بأزمور سنة 680هـ/1281م)؛ فقيه مالكي، ومفتي؛ تصدر للتدريس بازمور. ثم اتجه نحو التصوف، وكان معظما من طرف السلطان أبي الحسن المريني.

ـ **ثم أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي** (توفي بفاس سنة 741 أو 744هـ/1340 أو 1343م)؛ وهو من كبار العلماء في الفقه المالكي. قيد طلبته نقلا عنه ثلاثة شروح على رسالة أبي زيد؛ أولها في سبعة مجلدات، وثانيها في ثلاثة مجلدات، وثالثها في مجلدين اثنين.

---

[1] وفيات الأعيان، ج: 3 ص ص: 488 ـ 490.

"

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي** المعروف بابن الحاج (توفي بفاس سنة 758هـ/1356م)؛ عالم متفنن؛ له اهتمام بفنون عديدة. كان خطيبا بليغا، وكاتبا بارعا، وأديبا محنكا. ولي الخطابة والقضاء بفاس زمنا.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان بن داود الجزولي** (ت: سنة 863هـ/1458م)؛ وهو من علماء الفقه، والعربية، والحساب. مات أبوه وهو في الثامنة تقريبا. فتجول رفقة أخيه عيسى بمراكش؛ وبعدها رحل من بلاد جزولة ـ بعد أن تلقى بها شيئا من العلم ـ قاصدا فاسا، ثم تلمسان؛ أين تلقى علوما مختلفة بهما؛ ثم توجه إلى تونس، فالقاهرة؛ للغرض نفسه. وبعدها ذهب إلى الديار المقدسة؛ حيث زار المدينة؛ ثم استقر بمكة؛ أين تصدر للتدريس، والإفتاء بها. قال عنه القرافي: **((كان بارعا في الفقه، والأصلين؛ متقدما في العربية)).**[1]

ـ ثم **محمد بن سليمان الجزولي** (توفي مسموما بآفغال سنة 870هـ/1465م)؛ وهو فقيه من أهل الصلاح. من مؤلفاته دلائل الخيرات،

---

[1] توشيح الديباج، ص: 206.

"

وحـــزب الفـــلاح، وحـــزب الجـــزولي؛ وهـــو بالعاميـــة. ولـــه أتبـــاع يدعـــون "الجزوليـــة" وهـــم عـــلى الطريقـــة الشاذليـــة.

ــ ثـــم **أبـــو الحجـــاج يوســـف التغاتيـــني الجـــزولي** (تـــوفي في حـــدود سنـــة 900هــ/1494م)؛ فقيـــه؛ لـــه شـــرح عـــلى ابـــن الحاجـــب.

ــ ثـــم **أحمـــد بـــن مـــوسى الجـــزولي** (ت: سنـــة 927هــ/1520م)؛ فقيـــه جزولـــة في وقتـــه؛ ووصفـــه صاحـــب درة الحجـــال بـــ **((عمـــدة بـــلاد جزولـــة))**.

ــ ثـــم **عبـــد المسيـــح** (أو عبـــد السميـــح) **بـــن محمـــد القنفيـــسي الجـــزولي** (تـــوفي بعـــد عـــام 940هــ/1533م)؛ فقيـــه بـــلاد جزولـــة في وقتـــه.

ــ ثـــم **أبـــو إسحـــاق إبراهيـــم بـــن سعيـــد الجـــزولي** (ت: سنـــة 986هــ/1578م)؛ فقيـــه؛ لـــه اهتمـــام ومشاركـــة في الأصليـــن؛ وكـــان يستظهـــر مختصـــر خليـــل بالكامـــل.

ــ ثـــم **محمـــد بـــن محمـــد بـــن عـــلي التافجـــروني الـــدرعي الجـــزولي** (تـــوفي بفـــاس سنـــة 988هــ/1580م)؛ فقيـــه؛ رحـــل إلى مصـــر وحـــج؛ ثـــم عـــاد؛ بعـــد تـــزوده بالعلـــم.

***

"

_ ***مواطنهم:*** يمكن تحديد مواطن كزولة بأرض السوس؛ حيث يتنقلون في ربوعها؛ طلبا للكلأ. وهم بذلك يجاورون قبيلة لمطة؛ التي تناصبهم العداء؛ إذ كانت تنشب بينهم الفتن؛ بين الحين والآخر. كما أنهم موزعون بين القبائل في المغرب الأوسط. إذ ينسب إليهم جبل كزول؛ القريب من تيهرت.[1]

8_ *لمطة:*

فالذي قيل عن قبيلة كزولة يصدق قوله على قبيلة **لمطة**. فهم _ بدورهم _ لا يعرف اسم أبيهم؛ أما أمهم فهي **تصكي العرجاء**؛ تلك الأم الأسطورية؛ المشتركة بينهم، وبين كل من: صنهاجة، وكزولة، وهسكورة، وهوارة. حتى وإن كان بعضهم ينسب صنهاجة إلى عاميل بن زعزاع، وهوارة إلى أوريغ بن برنس؛ فإن أباء: لمطة، وكزولة، وهسكورة غير معروفين. وعلى الرغم من قول ابن خلدون بكثرة شعوب لمطة؛ فأنه لم يذكر سوى

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 419، 420.

"

قبيلتيـــن اثنتيـــن؛ همـــا: قبيلـــة **زكـــن**، وقبيلـــة **لخـــس**. وقـــد أضحـــت هاتـــان القبيلتـــان في عـــداد قبيلـــة ذوي حســـان الهلاليـــة؛ بينمـــا ظـــل الآخـــرون مـــن أبنـــاء لمطـــة في أعمـــاق الصحـــراء؛ بيـــن الملثميـــن مـــن صنهاجـــة.[1]

! ! !

ـــ ***أعيانهـــم:*** ومـــن أعيـــان لمطـــة وعلمائهـــا المذكوريـــن:

ـ **واجـــاج** (واكـــاك) **بـــن زلـــو اللمـــطي** (كـــان حيـــا سنـــة 440هــ/1048م)؛ وهـــو مـــن سكـــان الســـوس الأقـــصى؛ انتقـــل إلى القيـــروان؛ حيـــث تلـــقى العلـــم بهـــا عـــن أبي عمـــران الفـــاسي؛ وبعـــد عودتـــه إلى الســـوس؛ شيـــد داراً سماهـــا: "دار المرابطيـــن"؛ وخصصهـــا لطلبـــة العلـــم، وقـــراءة القـــرآن الكريـــم.

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص: 420.

"

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد بن وقاص الميورقي اللمطي** (توفي مقتولا بميورقة سنة 580هـ/1184م)؛ فقيه، ومفتي ميورقة؛ ولي الخطابة والصلاة بجامعها أيضا. كان قد رحل إلى المشرق، وحج.

ـ ثم **علي بن اللمطي** (توفي مقتولا سنة 602هـ/1205م)؛ كان كاتبا ليحيى بن غانية. وقتل في وقعة تاجرا بين ابن غانية، وجيش الموحدين؛ بقيادة عبد الواحد بن أبي حفص.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن محمد بن وقاص الميورقي اللمطي** (توفي في حدود سنة 618هـ/1221م)؛ فقيه، ومحدث؛ ولي الصلاة، والخطبة بجامع ميورقة. قال فيه ابن الأبار: **((وكان خطيبا مصقعا؛ بليغا مفوها؛ يقرض يسيرا من الشعر؛ أخذ عنه))**.[1]

ـ ثم **مجير الدين عمر بن عيسى بن نصر ابن محمد بن علي بن اللمطي** (توفي بقوص سنة 721هـ/1321م)؛ وهو من أصدقاء أبي حيان النفزي؛ قال فيه محمد ابن شاكر الكتبي: **((كان صحيح الود، حافظ العهد حسن الصحبة))**.[2] اشتغل ـ بعض الوقت ـ كاتبا

---

[1] التكملة، ج: 2، ص: 608.

[2] فوات الوفيات، ج: 3، ص: 139.

"

لـــدى ابـــن دقيـــق القشيـــري؛ القـــاضي بمصـــر. لـــه اهتمـــام بعلـــوم العربيـــة؛ ولـــه أشعـــار مدحهـــا أبـــو حيـــان، ووصفهـــا بالجيـــدة؛ وكـــان قـــد نقلهـــا عنـــه. مـــن شعـــره:

أَبى الدَّمْعُ إلاَّ أنْ يَفِيضَ وَأنْ يَجْـــرِي
عَلَى مَا مَضَى مِنْ مُدَّةِ النَّأيِ مِنْ عُمْرِي
وَمَالِيَ إنْ كَفَفْتُ مَـــاءَ مَحَاجِـــرِي
وَقَدْ بَعُـــدَتْ دَارُ الأَحِبَّـــةِ مِنْ عُـــذرِ
أمَا إنَّه لَـــوْلاَ اشْتِيَـــاقِي لِذِكْرِهِـــمْ
وَلاَ شَـــوقَ إلاَّ مَـــا يُهَيِّـــجُ بِالذكْـــرِ
لَمَا شَاقَنِي نَظْمُ القَرِيـــضِ وَلاَ صَبَـــا
فُؤَادِي عَلَى البَلْوَى إلَى عَمَلِ الشِّعْـــرِ
وَكَانَ لِمِثْـــلِي عَنْ أفَانيـــنَ مَنْطِـــقِي
هُنَالِكَ مَا يُلْـــهِي عَنِ النَّظْـــمِ وَالنَّثْـــرِ

ولـــه أيضـــا:

جَفْـــنٌ قَرِيـــحٌ بِالْبُكَـــاءِ مُوَكَّـــــلُ
فَعَلَـــتْ بِهِ العَبَـــرَاتُ مَا لاَ يُفْعَـــلُ
وَجَوَانِحٌ مِـــنِّي عَلَى شَحَـــطِ النَّـــوَى
أضْحَتْ تُمَزِّقُ فِي الهَوَى وَتُوَصِّـــلُ

"

عَجَبـــاً لِحُكْـــمِ الحُـــبِّ فِيَّ، فَلَيْتَـــهُ
يَوْماً يَجُـــورُ بِـــهِ وَيَوْمـــاً يَعْـــدِلُ
إِنِّي وَإِنْ أمْـــسَى يُحَمِّلُـــنِي الهَـــوَى
مِنْ ثِقْلِـــهِ فِي الحُبِّ مَا لاَ يُحْمَـــلُ
فَلَقَـــدْ حَلَتْ مِنْهُ مَـــرَارَاتُ الجَـــوَى
عِنْـــدِي وَخَـــفَّ لَـــدَيَّ مَا يُسْتَثْقَـــلُ
لاَ يَطْمَـــعِ اللُّـــوَامُ فِي تَـــرْكِ الهَـــوَى
إنْ كَثَّـــرُوا مِنْ لَوْمِهِـــمْ أوْ قَلَّلُـــوا
لَهْفِي عَلَى زَمَـــنِي بِمُنْعَـــرَجِ اللِّـــوَى
وَالشَّمْـــلُ مُجْتمِعٌ وَجَـــدِّيَ مُقْبِـــلُ
مَا كَانَ أهْنَـــا العَيْـــشَ فِيـــهِ فَلَيْتَـــهُ
لَـــوْ دَامَ مِنْـــهُ رَيْثَمَـــا أتَأمَّـــلُ

ولـــه كذلـــك:

وَزَهَّـــدَنِي فِي الخِـــلِّ أنَّ وِدَادَهُ
لِرَهْبَةِ جَـــاهٍ أَوْ لِرَغْبَـــةِ مَـــالِ
فَأصْبَحْتُ لاَ أرْتَـــاحُ مِنْهُ لِرُؤْيَـــةٍ
وَلاَ أرْتَجِي نَفْعاً لَدَيْـــهِ بِحَـــالِ

"

ـ ثم **عبد العزيز بن محمد البوفرجي اللمطي** (توفي بفاس سنة 899هـ/1493م)؛ فقيه، وخطيب القرويين.

ـ **عبد العزيز بن عبد الواحد الميموني اللمطي** (توفي بالمدينة المنورة سنة 980هـ/1572م)؛ ورد هذا التاريخ في درة الحجال؛ لابن القاضي؛ بينما أرخ الزركلي وفاته في سنة 880هـ/1475م. وهو من الفقه، والنحو؛ ألف ألفية في النحو تضاهي ألفية ابن مالك، كما أعد تقييدا على مختصر خليل، وكتاب منهج الوصول، وكتاب مهيع السالك للأصول، ونظم جواهر السيوطي؛ في علم التفسير، وكتاب درر الأصول، وكتاب نتائج الأنظار، وكتاب نخبة الأفكار، وكتاب الجدل، وكتاب نزهة الألباب؛ في الحساب وغيره.

ـ ثم **إبراهيم بن أحمد اللمطي** (ت: سنة 988هـ/1580م)؛ كان أستاذا ؛ وكان يعلم الصبيان؛ فانتفع به عدد كبير من الناس.

ـ ثم **أبو مالك عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد الميموني اللمطي** (توفي بالجزائر سنة 988هـ/1580م)؛ وهو من علماء الفقه،

"

والفرائض، والنحو. رحل من فاس إلى الجزائر؛ أين استقر بها، وتوفي فيها.

ــ ثم **أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الواحد الميموني اللمطي** (ولد بعد عام 940هـ/1533م)؛ كان يستظهر مختصر ابن الحاجب؛ وهو أستاذ في النحو؛ أخذ علومه عن والده أبوعمر عثمان اللمطي، وابن غازي.

***

ــ ***مواطنهم:*** ذكر ابن خلدون أن مواطن لمطة؛ تمتد بجوار مواطن الملثمين الصنهاجيين؛ وأكثر أحياء لمطة ظواعن؛ يرتحلون طلبا للنجعة؛ وهم بذلك يصنفون ضمن أهل الوبر. وتتواجد قبيلتان منهم ببلاد السوس؛ هما: **زكن، ولخس**. منهم من اختار الصحراء موطنا، ومنهم من ساح في السهوب الجنوبية لتلمسان، وإفريقية. ولهم بقية ــ الآن ــ مستوطنة بجبل زالغ المشرف على فاس.[1]

....

[1] أنظر العبر، مج: 6، ص:420. وقبائل المغرب، ج: 1، ص: 332.

"

9ـ مصمـودة:

يكتنف نسب مصمودة بعض الغموض؛ فبينما يتجاهل ابن حزم ذكر تسلسل نسبهم؛ مخالفا ـ بذلك ـ عادته؛ التي اتبعها مع جل القبائل البترية؛ نراه ـ مع ذلك ـ يتطرق إلى نتفة من نسبهم بشيء من الاحتشام، والاضطراب معا؛ حين يقول: أنهم أبناء **مصمود بن يونس بن بربر.** ثم يتخلص حين ينتقل مباشرة إلى تعداد قبائلهم؛ إذ يقول أنهم: **بطون برغواطة، وغمارة، وأهل جبل درن.** وفي الفصل المخصص لأهل جبل درن؛ يذكر أسماء قبائل مصمودة؛ وهي: **آصادن وتينملل وحاحة ودكالة وركراكة وغمارة وكدميوة وكنفيسة وهرغة وهزميرة وهنتاتة وهيلانة ووريكة وواوزكيت.** وفي مواضع أخرى يضيف إليهم: **برغواطة وكلاوة وهزرجة.** علما بأنه يصر على كون برغواطة قبيلة مصمودية.[1]

وبمقابلة أسماء القبائل المصمودية التي وردت في العبر؛ مع ما جاء في المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، وما ورد في كتاب قبائل المغرب؛ يتضح الآتي: فبالنسبة إلى قبيلة

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 427 ـ 428. 460 ـ 471.

"

اصــادن؛ يذكــر ابــن خلــدون مــن بطونهــم: **مسفــاوة، وماغــوس**؛ مــع احتمــال انتســاب غمــارة، ورهــون، وأمــول إليهــم أيضــا. أمــا صاحــب كتــاب الأنســاب؛ فيصنفهــم مــرة ضمــن هسكــورة الظــل؛ باســم **آيْصّــاد**(صــادة)، ومــرة أخــرى ضمــن فقــرة القبائــل باســم **آصّــادَن** (صــادة). وإليهــم تنســب المدينــة الأزليــة اصــادة؛ الــتي قــال البكــري: أنهــا تقــع جنــوب مدينــة يُجاجيــن؛ التابعــة لبــني مســارة مــن مصمــودة. أمــا قبيلــة **تينملّــل**؛ فذكــر منهــا صاحــب كتــاب الأنســاب إحــدى عشــر فخــذا. وتكــاد منــزلــة قبيلــة تينملــل ـــ بيــن الموحديــن ـــ تســاوي منــزلــة هرغــة؛ قبيلــة المهــدي؛ بسبــب أسبقيتهــم في نصــرة الدعــوة، ولجــوء المهــدي إليهــم، وبنــاء مسجــده، ومنزلــه بينهــم. وقــد لحــق بهــم مــا لحــق بهرغــة مــن الفنــاء، والاندثــار؛ بعــد أن أكلتهــم الأقطــار، والحــروب. وأضحــت بقاياهــم في حكــم غيرهــم مــن المصامــدة. ويقــول ابــن منصــور أنهــم أصبحــوا يعرفــون بأهــل وادي نفيــس؛ الذيــن يتواجــدون ـــ الآن ـــ في الجهــة الجنوبيــة الغربيــة مــن مراكــش؛ إلى جــوار قريــة أميزميــز. أمــا قبيلــة **حاحــة**؛ فلــم يرد اسمهــم بيــن قبائــل الموحديــن في كتــاب الأنســاب؛

"

ولكنهم ذكروا في بعض المواضع من كتاب أخبار المهدي؛ كمخالفين للموحدين. ويقول ابن خلدون أن بطني: زكن، وولخص البدويان من حاحة. وهم ضمن حلف ذوي حسان بالسوس. وقال عنهم ابن منصور أن قبائلهم عديدة؛ ويحملون الاسم القديم نفسه، ويسكنون بمواطنهم الأولى؛ على ساحل البحر؛ بين أكادير، والصويرة.

وأما قبيلة **دكالة**؛ فهي الأخرى لم تكن ضمن الحلف الذي يجمع قبائل الموحدين؛ وإن أشار إلى اسمها صاحب كتاب الأنساب بوجود بعض الفئات منهم ضمن قبيلة كدميوة كمهاجرين. أما غالبيتهم فقد انحازوا إلى المرابطين. ويبدو أن موقفهم هذا.. أوهم النسابين بانتمائهم إلى صنهاجة. ومواطنهم في ساحة الجبل من جهته الشمالية؛ ومن مراكش إلى البحر المحيط غربا. وهناك يوجد رباط آسفي؛ الذي اشتهر بأحد بطون دكالة؛ وهم بنو ماكر. وتجاورهم في تلك الجهات قبيلة حاحة. وتوجد بآخر أوطانهم؛ وإلى الجنوب منها؛ بلدة دنست؛ التي يستقر فيها رؤساء دكالة؛ الذين ينتسبون إلى بطن منهم اسمه مغراوة. وبالطبع.. فهم ليسوا من مغراوة

"

الزناتية. ومن أولائك الرؤساء: إبراهيم بن حسين بن حماد بن حسين، ثم ابنه محمد ابن ابراهيم، ثم ابن عمهم خالد بن عيسى ابن حماد. وكانوا جميعهم في عهد بني مرين. واشتهرت دكالة بوفرة جبايتها، واتساع مغارمها. ويقول ابن منصور أنها بقيت إلى الآن في مواطنها الأولى؛ في السهول الساحلية؛ بين وادي أم الربيع، ووادي نسيفة (تنسيفت). وأن قبائلهم كثيرة؛ اختلطوا مع العرب الهلاليين، واندمجوا فيما بينهم. ومنذئذ انقسمت دكالة إلى قسمين: **دكالة الحمراء**؛ المتمركزة جنوبا؛ حول آسفي؛ وهي معروفة ــ الآن ــ باسم **عبدة**، ثم **دكالة البيضاء**؛ المتمركزة شمالا؛ وقد احتفظت باسم **دكالة**. وأما قبيلة **ركراكة**؛ فيقولون أنها أسبق قبائل المغرب الأقصى إلى الدخول في الإسلام؛ وذكرهم صاحب كتاب الأنساب ضمن فقرة القبائل. يقول صاحب قبائل المغرب: أن مواطنهم الأولى كانت على ضفتي وادي نسيفة (تنسيفت)؛ وبالتحديد.. عند مصبه في البحر. ومن بقي منهم؛ اندرجوا ضمن قبائل أخرى.

أما قبيلة **غمارة**؛ فلهم شهرة خاصة؛ بسبب دورهم المتميز بين قبائل مصمودة؛ إذ كانوا السباقين لإقامة الدول المصمودية. كما ساهموا في صنع الأحداث التاريخية ببلاد المغرب. وهم أبناء **غمار بن مصمود**. وربما غمار بن مسطاف بن مليل بن مصمود. أو غمار بن أصاد بن مصمود. لهم بطون كثيرة جدا؛ وذكر منها ابن خلدون: **أغصاوة وبني حميد وبني زروال ومتيوة ومجكسة وبني نال.** ومواطنهم الأولى كانت في جبال الريف المغربي؛ وتمتد على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط، وحتى ساحل المحيط الأطلسي؛ مشتملة على: غساسة، فنكور، فبادس، فتيكيساس، فتيطاوين، فسبتة، فالقصر؛ حتى طنجة. ثم تنحدر أوطانهم إلى بسائط قصر كتامة، ووادي ورغة؛ وتمتد إلى حدود تامسنا؛ أين تتواجد برغواطة.

أما قبيلة **كدميوة**؛ وهم من قبائل الموحدين؛ فيقول عنهم صاحب كتاب الأنساب: أنهم يتفرعون على 46 فخذا. وصنفهم إلى صنفين: **كدميوة الجبل، وكدميوة الفحص.** ويتواجدون في المناطق الجنوبية من مراكش؛

"

حيث تقع قرية أميزميز. والجبل الذي يسكنون فيه بجوار جبل هنتاتة. من رؤسائهم أيام الموحدين؛ بنو سعد الله. وفي عهد بني مرين خالفهم شيخ كدميوة؛ يحيى بن سعد الله؛ بامتناعه عن دفع الضرائب؛ فانتهى أمره إلى الهلاك. ثم تقلد رئاسة كدميوة ـ لفترة قصيرة ـ أحد المنافسين ليحيى وهو عبد الكريم بن عيسى؛ ولكنه قتل بدوره من طرف المرينيين. وبعده عادت رئاستهم إلى أسرة بني سعد الله.

أما قبيلة **كلاوة**؛ فلا نعرف عنها ما يكفي؛ سوى أنها تنقسم إلى فرعين: كلاوة شمالية؛ في دائرة أولاد آيت ورير، وكلاوة جنوبية؛ في دائرة وزرزازات. وهم جميعا بالجهة الجنوبية الشرقية من مراكش. أما قبيلة **كنفيسة**؛ فهي ـ أيضا ـ من قبائل الموحدين. وذكر صاحب كتاب الأنساب منهم 22 فخذا. أما ابن خلدون فاكتفى بذكر بطن واحد منهم؛ أعطاه مرتبة قبيلة؛ هي سكسيوة أو (سكساوة)؛ التي قال أن موطنهم: **((بأمنع المعاقل من هذا الجبل. يطل جبلهم على بسيط السوس من القبلة؛ وعلى ساحل**

"

البحر المحيط من الغرب؛ ولهم بمنعة معقلهم ذلك؛ اعتزاز على أهل جلدتهم)).[1] أما قبيلة **هرغة** (أرغن)؛ فهي قبيلة المهدي؛ وعليه.. فلها مترلة خاصة بين قبائل الموحدين. إذ كانت من بين أولى القبائل تعصبا للدعوة الموحدية. وقد ذكر صاحب كتاب الأنساب من أفخاذهم حوالي 15 فخذا؛ دون المضافين إليهم. ولكنهم فنوا، واندثروا؛ وفي عهد ابن خلدون لم يبق منهم سوى أخلاط، وأوشاب؛ في حكم غيرهم من المصامدة. أما قبيلة **هزميرة**؛ فلم يكونوا ضمن حلف قبائل الموحدين؛ وكل ما نعلمه عنهم أنهم تعرضوا للتصفية من طرف جيوش الموحدين. وأنهم كانوا يسكنون حوز مراكش.

أما قبيلة **هنتاتة** (ينتي)؛ فتأتي في المرتبة الثالثة؛ بعد هرغة، وتينملل. وذكر صاحب كتاب الأنساب منهم تسع أفخاذ. وكانت مواطنهم في جبل درن المتاخم لمراكش. ومن أهم شيوخهم؛ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي؛ صاحب المهدي، وجد ملوك الدولة الحفصية بتونس. ثم أبو محمد بن يونس؛ وهو من

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 462.

"

وزراء الدولة الموحدية. ومنهم ـ أيضا ـ علي ابن محمد، وموسى بن علي بن محمد، وعبد العزيز بن محمد؛ وكلهم من أسرة أولاد يونس؛ الذين اضطلعوا بخدمة الدولة المرينية؛ منذ انحيازهم إلى أصحابها؛ في أواخر الدولة الموحدية؛ بعد الجفاء الذي حصل بين سلاطين الدولة الموحدية، وبين الهنتاتيين؛ في آخر عمرها.

أما قبيلة **هيلانة** (إيلانة)؛ فجاء في كتاب مفاخر البربر: أنهم ينتسبون إلى إيلان بن مصمود؛ ثم ينقل عن أبي عبد الله بن أبي المجد؛ صاحب كتاب الأنساب؛ زعمه بكون إيلانة من أصول عربية. ومواطنهم كانت بجوار مراكش؛ وبهم يسمى باب إيلان بتلك المدينة، كما تنسب إليهم أغمات إيلان. ويبدو أنهم اندثروا الآن. ومنهم الفقيه المؤرخ أبو علي صالح بن الشيخ الولي أبي صالح عبد الحليم الإيلاني نزيل نفيس(كان حيا سنة 712هـ/1312م).

أما قبيلة **وريكة** (ايوريكن)؛ فهم بجوار هنتاتة؛ وكانت بينهم ـ في القديم ـ فتن، واقتتال دائم. ولما قامت الدولة الموحدية؛ تعزز نفوذ الهنتاتيين؛ وقويت شوكتهم بالولاية؛ فخضعت إليهم وريكة، وصارت في جملتهم.

"

ومواطنهم معلقة في الجبال الشاهقة؛ المطلة جنوب مراكش؛ على أطراف الوادي المنسوب إليهم. أما قبيلة **وازكيتة** (واوزككيت)؛ ذكرهم صاحب كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب ضمن أهل تينملل. ويقول ابن منصور أنهم — الآن — يتواجدون في مواطنهم الأولى بالقرب من مراكش؛ وهم على فرعين: فرع **وزكيتة**؛ بجوار آسني، وفرع **آيت واوزكيت**؛ بجوار ورزازات؛ ويتكونون من 25 قبيلة؛ كما اندرجت بعض أفخاذهم ضمن قبائل أخرى.

أما **برغواطة**؛ فقد اختلف المؤرخون، والنسابون في تحديد نسبهم؛ فبعضهم يميلون إلى الاعتقاد بأنهم خليط من قبائل عديدة؛ **بترية**، **وبرنسية**؛ تجمعوا في حلف يسمى **برغواطة**؛ نسبة إلى **قرية برباط** في الأندلس؛ حيث نشأ صالح ابن طريف؛ مؤسس دولتهم؛ ومن هؤلاء: البكري، وصاحب كتاب مفاخر البربر، ولسان الدين بن الخطيب. أما الآخرون فيرون بأن برغواطة قبيلة من قبائل مصمودة؛ وينكرون هذه الرواية؛ وأبرز هؤلاء ابن خلدون؛ الذي يستند — كعادته — إلى حجة الموطن الذي يجاور مصمودة. ويقول: ((**وقد**

"

يغلط بعض الناس في نسب برغواطة هؤلاء؛ فيعدهم في قبائل زناتة، وآخرون يقولون في صالح أنه يهودي؛ من ولد شمعون بن يعقوب... وقيل له برباطي؛ نسبة إلى الموطن الذي نشأ به؛ وهو برباط؛ وادٍ بفحص شريش من بلاد الأندلس؛ فعربت العرب هذا الاسم؛ وقالوا برغواط. ذكر ذلك كله صاحب نظم الجوهر، وغيره من النسابين للبربر. وهو من الأغاليط البينة. وليس القوم من زناتة؛ ويشهد لذلك كله موطنهم، وجوارهم لإخوانهم المصامدة. أما صالح بن طريف؛ فمعروف منهم؛ وليس من غيرهم. ولا يتم الملك، والتغلب على النواحي، والقبائل لمنقطع جذمة، دخيل في نسبه. سنة الله في عباده. وإنما نسب الرجل في برغواطة؛ وهم شعب من شعوب المصامدة معروف)).[1]

ونلاحظ ــ هنا ــ كيف يعلل ابن خلدون موقفه بأمرين: **الموطن، والنسب**. وكلا الأمرين؛ فيهما قول. فبالنسبة للموطن؛ فقد سبق أن أشرنا إلى شواهد أخرى؛ تثبت أن كثيرا من القبائل المتباينة الأنساب؛ تعيش في مواطن قريبة،

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 434 ــ 435.

"

ومتداخلة مع بعضها. وأبرز مثال — في هذا المجال — اختلاط قبائل مصمودة، مع قبائل صنهاجة وغيرها؛ في موطن واحد؛ كـ: كزولة ولمطة وهسكورة. ومن جهة أخرى؛ فمواطن برغواطة — في الأصل — هي مواطن لزناتة وزواغة؛ وليست لمصمودة فحسب.[1] أما قضية النسب؛ فابن خلدون بنفسه؛ وضع بعض الاستثناءات في نظريته عن العصبية إذ يقول: **((أنه يحدث لبعض أهل النصاب الملكي دولة تستغني عن العصبية)).**[2] وصالح بن طريف كما نعلم؛ من أهل النصاب الملكي؛ نظرا لمرتبة والده بين الأمازيغ الثوار؛ على الحكم الأموي. أما قبيلة **هزرجة** (ايليزركن)؛ فقد ورد اسم هذه القبيلة في كتاب الأنساب؛ ضمن فقرة القبائل. ويعتقد ابن منصور أن قبيلة الزرقيين؛ المتواجدة في جنوب وادي درعة؛ ممن تبقى من هزرجة.

---

[1] أنظر البكري؛ المغرب، ص: 135. وقبائل المغرب، ج: 1، ص: 323.

[2] المقدمة، ج: 2، ص: 635.

"

وقد تركت قبائل مصمودة أثرا كبيرا في تاريخ دول المغرب الأقصى. فمنذ الفتح الإسلامي برزت منهم غمارة؛ بشمال المغرب الأقصى؛ حيث شيدت إمارة غمارية بجتة في سبتة؛ عرفت بدولة بني عصام، ثم إمارة أخرى في حمايتهم وحماية صنهاجة؛ في نكور؛ كان يتأمر عليها عربي؛ هو صالح بن منصور الحميري. هذا بالإضافة إلى البدع التي ظهرت في أوساط تلك القبيلة؛ مثل: تنبؤ حاميم بن من الله بن حريز الغماري، وتنبؤ عاصم بن جميل اليزدجومي الغماري. ويخالف ابن خلدون من سبقه؛ بخصوص برغواطة؛ كما سبقت الإشارة إليه. وإن صح ما يزعم ابن خلدون؛ في كون برغواطة من مصمودة. عندئذ تضاف بدعة أخرى إليهم؛ تتمثل في النحلة البرغواطية. تلك النحلة التي يزعم أصحابها أن صالحا نبي يوحى إليه. والفرق بين غمارة، وبرغواطة؛ يكمن في أن برغواطة تمكنت من الصمود بنحلتها؛ زمنا أطول بكثير مما عرفته غمارة. ومع هذا فقد انتهى أمرهما جميعا إلى الفشل، والاندثار. وأهم الأدوار التي قامت بها قبائل مصمودة؛ يمكن إجمالها في وقوفها وراء نشأة الدولة الموحدية، والتمكين لها

"

في البلاد. وقد تحققت تلك الملحمة بفضل عدد من قبائلهم؛ هي: **هرغة، تينملل، وهنتاتة، وكنفيسة، وكدميوة.** بالإضافة إلى قبائل حليفة من غيرهم؛ مثل: **كومية، وصنهاجة القبلة، وصنهاجة الظل.**[1]

! ! !

ـ *أعيانهم:*

لمصمودة علماء كبار، ورجالات عظماء؛ تركوا وراءهم ذكرا محمودا؛ كما خلفوا آثارا جليلة ببلاد المغرب الإسلامي؛ منهم:

ـ **أبو العلاء عباس بن ناصح بن تلتيت المصمودي الثقفي الجزيري** (من أعلام النصف الأخير من القرن الثاني للهجرة)؛ عاش في عهد الحكم بن هشام في الأندلس. انتقل إلى المشرق في صغره رفقة والده؛ فتقى علوما كثيرة ثم عاد إلى الأندلس؛ حيث أسند إليه الأمير الحكم خطة القضاء بشذونة والجزيرة الخضراء. وكان عالما في اللغة والفقه، وشاعرا مجيدا. وقال فيه ابن الفرضي: ((**فلقي الأصمعي**

---

[1] للتوسع أنظر: أنظر إبراهيم الهرغي؛ المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ص ص: 33 ـــ 49. وابن خلدون؛ العبر؛ مج: 6، ص ص: 427 ـــ 446. 460 ـــ 472. وإبن منصور؛ قبائل المغرب، ج: 1 ص ص: 321 ـــ 328.

"

وغيره من علماء البصريين والكوفيين... ثم إن العباس بن ناصح انصرف إلى الأندلس فلم يزل مترددا على الحكم ابن هشام بالمديح، ويتعرض للخدمة. فاستقضاه على شذونة والجزيرة. وولي القضاء بعده ابنه عبد الوهاب ابن عباس؛ وكان شاعرا. ثم ابن ابنه محمد ابن عبد الوهاب بن عباس؛ وكان شاعرا؛ فهم ثلاثة قضاة في نسق، وثلاثة شعراء في نسق. وكان عباس من أهل العلم باللغة العربية. وكان جزل الشعر؛ يسلك في أشعاره مسالك العرب القديمة. وكان له حظ من الفقه والرواية؛ لم تشهر عنه لغلبة الشعر عليه. وقرأت في كتاب محمد بن احمد بخطه: عباس بن ناصح بن تلتيت المصمودي)).[1]

ومن الحكايات التي ذكرها عنه المقري: أن عباسا قدم من مدينة الفرج بوادي الحجارة إلى قرطبة. ولما مثل أمام الحكم ابن هشام أخبره بما قام به النصارى من فساد وعيث في ديار المسلمين؛ وذكر له أنه سمع امرأة تقول: "واغوثاه بك يا حكم، لقد أهملتنا حتى

[1] تاريخ علماء الأندلس، ج: 1، ص ص: 296 ـــ 297.

"

كلب العدو علينا، فأيمنا وأيتمنا" ثم أنشد أمامه قصيدة أولها:

تَمَلْمَلْتُ فِي وَادِي الحِجَارَةِ مُسْهَرَاً
أرَاعِي نُجُوماً مَا يُرِدْنَ تَغَوُّراً
إلَيْكَ أبَا العَاصِي نَضَيْتُ مَطِيَّتِي
تَسيرُ بِهَمٍّ سَارياً وَمُهَجِّرَا
تَدَارَكْ نِسَاءَ العَالَمِينَ بنصْرَةٍ
فَإنَّكَ أحْرَى أنْ تغِيثَ وَتَنْصُرَا

فلما سمع الحكم قوله؛ نادى ـ في الحال ـ إلى الجهاد، وخرج بعد أيام ثلاثة. فأثخن في ديار العدو، وأعاد للمسلمين حقهم، وخلص النساء من الأسر. ثم طلب تلك المرأة فمثلت بين يديه. فقال للعباس سلها: هل أغاثها الحكم؟ فأجابت المرأة: والله لقد شفى الصدور، وأنكى العدو، وأغاث الملهوف؛ فأغاثه الله، وأعز نصره. فارتاح لقولها، وظهر السرور على محياه؛ ثم أنشد:

أَلَمْ تَرَ يَا عَبَّاسُ أنِّي أجَبْتُهَا
عَلى البُعْدِ أقْتَادُ الخَمِيسَ المُظَفَّرَا
فَأدْرَكْتُ أوْطَاراً وَبَرَّدْتُ غُلَّة
وَنَفَّسْتُ مَكْرُوباً وَأغنَيْتُ مُعْسِرَا

"

وهـــذه الحكايـــة شبيهـــة بحكايـــة المـــرأة المستنجـــدة بالخليفـــة العبـــاسي المعتصـــم مـــن عموريـــة في المشـــرق؛ وعـــلى الرغـــم مـــن قـــدم القصـــة الأندلسيـــة وأسبقيتهـــا ــ زمنيـــا ــ إلا أنها لـــم تشتهـــر؛ بسبـــب مـــا كـــان يغلـــف التـــراث الأندلـــسي مـــن إهمـــال.. فالقصـــة الأندلسيـــة حدثـــت سنـــة 194هـــ/809م، بينمـــا تكـــون القصـــة المشرقيـــة وقعـــت في سنـــة 224هـــ/838م. وأبطـــال القصـــة الأندلسيـــة هـــم: الأميـــر الحكـــم بـــن هشـــام، والشاعـــر الفقيـــه عبـــاس بـــن ناصـــح بـــن تلتيـــت المصمـــودي، والمـــرأة المستنجـــدة بالأميـــر في الثغـــر. أمـــا القصـــة المشرقيـــة فأبطالهـــا هـــم: الخليفـــة العبـــاسي المعتصـــم، والشاعـــر العبـــاسي أبـــو تمـــام، والمـــرأة المستنجـــدة في عموريـــة بندائهـــا: "وامعتصمـــا".[1]

ــ **عبـــد الوهـــاب بـــن عبـــاس بـــن ناصـــح بـــن تلتيـــت المصمـــودي** (مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الثالـــث للهجـــرة)؛ وهـــو فقيـــه وقـــاضي؛ ومـــن شعـــراء الأندلـــس. خلـــف والـــده في قضـــاء شذونـــة والجزيـــرة.

---

[1] أنظـــر القصـــة في نفـــح الطيـــب، ج: 1، ص ص: 343 ـــ 344.

"

ـ **محمد بن عبد الوهاب بن ناصح بن تلتيت المصمودي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ فقيه وقاضي خلف أباه أيضا في منصب القضاء بشوذنة والجزيرة. ويعد أيضا من بين شعراء الأندلس. كما كان عليه والده وجده.

ـ **أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وَسلاَسْ بن شملل بن منقايا القرطبي المصمودي** الشهير بالليثي (ت: سنة 233هـ/944م)؛ جده كثير المكنى بأبي عيسى هو الذي دخل الأندلس مع طارق بن زياد. وهو من مصمودة طنجة رحل إلى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة؛ فسمع من مالك بن أنس؛ ثم حج. كما سمع في مكة من سفيان بن عيينة؛ وفي مصر من الليث ابن سعد، وعبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن القاسم؛ وتفقه بالمدينة، وبمصر من علماء الفقه المالكي. ومن النوادر التي نقلها المؤرخون؛ أنه كان يوما في مجلس مالك؛ فسمعوا بعضهم يقول: قد حضر الفيل؛ فانفض المجلس من الطلاب؛ حبا في مشاهدة الفيل؛ ولم يبق مع ملك إلا يحيى؛ فقال له مالك: "مالك لا تخرج فتراه؛ لأنه لا

"

يكـون بالأندلـس؟" فأجابـه يحيى: "إنمـا جئـت مـن بلـدي لأنظـر إليـك، وأتعلـم مـن هديـك، وعلمـك؛ ولـم أجـيء لأنظـر إلى الفيـل". فاستحسـن مالـك جوابـه؛ وسمـاه عاقـل أهـل الأندلـس. وعـاد إلى الأندلـس بعـد ذلـك. ثـم كانـت لـه رحلـة ثانيـة إلى المشـرق؛ فوجـد مالكـا مريضـا؛ وتـوفي أثنـاء وجـوده بالمدينـة؛ فحضـر جنازتـه. وبعدهـا لـقي عـددا مـن أصحـاب مالـك؛ فاستفـاد منهـم بعلـم غزيـر.

ـ ثـم **حاميـم بـن مـنَّ اللـه بـن حريـر بـن عمـر بـن رحفـو المجكسي الغمـاري المصمـودي** (تـوفي مقتـولا سنـة 315هـ/927م)؛ ادعى النبـوة، وابتـدع نحلـة، وانتحـل نصـوصـا؛ زعـم ـ باطـلا ـ بأنهـا أوحيـت إليـه مـن اللـه. وأورد صاحـب مفاخـر البربـر بعـض أخبـاره؛ فقـال: ((**وحاميـم ابـن مـنَّ اللـه الملقـب بـالمفتـري؛ ادعى النبـوة ببـلاد غمـارة سنـة 310هـ/922م؛ وشـرع ديانـة تشبـه ديانـة برغواطـة؛ في الضلالـة، والكفـر؛ وهي صلاتـان: صـلاة عنـد شـروق الشمـس، وأخـرى عنـد غروبهـا. وفـرض صـوم يـوم الاثنيـن، والخميـس، وعشـرة أيـام مـن رمضـان. وأحـل لهـم الأنـثى مـن الخنازيـر؛ وقـال: " إنمـا حـرِّم في**

"

قـرآن محمـد الذكـر!" وجعـل الحـوت لا يؤكـل إلاَّ بذكـاة، وحـرم رأس كـل حيـوان. ونحـو هـذا مـن الضلالـة، والكفـر. فبعـث إليـه الأمير الناصـر الأمـوي ــ مـن قرطبـة ــ عسكـرا ضخمـا؛ فالتقـوا معـه في قصـر مصمـودة؛ بمقربـة مـن طنجـة؛ فقتـل، ورجـع أصحابـه للإسـلام)).[1]

وأورد ابـن خلـدون عينـات مـن النصـوص الـتي ادعى بأنهـا وحي؛ فقـال: ((**وصنـع لهـم قرآنـا كـان يتلـوه عليهـم بلسانهـم؛ مـن كلامـه: "يـا مـن يخـلي البصـر، وينظـر في الدنيـا، خلـني مـن الذنـوب. يـا مـن أخـرج مـوسى مـن البحـر؛ آمنـت بحاميـم، وبأبيـه أبي خلـف مـنَّ اللـه. وَأمـِّنْ رأسي، وعقـلي، ومـا يكنـه صـدري، وأحـاط بـه دمي، ولحـمي؛ وآمنـت بتابعيـت عمـة حاميـم؛ أخـت أبي خلـف مـنَّ اللـه)).**[2] وكانـت عمتـه هـذه تشتغـل بالسحـر، والكهانـة. ويلجـأ إليهـا النـاس في الحـروب، وسنـوات القحـط؛ مستغيثـن بهـا. وفي ذلـك قـال بعـض الشعـراء:

وَقَالُوا افْتِـرَاءً: إنَّ حَامِيـمَ مُرْسَـلٌ
إلَيْهِمْ بِدِينٍ وَاضِـحِ الحَـقِّ بَاهِـرِ

---

[1] مفاخـر البربـر، ص: 77.

[2] العبـر، مج: 6، ص: 446.

"

فَقُلْتُ: كَذبْتُمْ! بَدَّدَ اللــّهُ شَمْلَكـُـمْ!
فَمــَا هُوَ إلاَّ عَاهِــرٌ وَابْنُ عَاهِــرٍ!
فَإنْ كَانَ حَامِيــمُ رَسُــولاً، فَإنَّــني
بِمُرْسِــلِ حَامِيــم لَأَوَّلُ كَافِــرِ!
رَوَوْا عَنْ عَجُوزِ ذَاتِ إفْــكٍ بَهِيمَــةٍ
تَجَــاوَزَ فِي أسْحَارِهَــا كُلَّ سَاحِــرِ
أحَادِيثُ إفْــكٍ حَاكَ إبْلِيسُ نَسْجَهَــا
يُسِرُّونَهَا وَاللَّــهُ مُبْــدِي السَّرَائِــرِ!

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن هارون بن خلف بن عبد الكريم بن سعيد الأشبوني المصمودي** المعروف بالزاهد (ت: سنة 360هـ/970م)؛ أقام بقرطبة في طلب العلم مدة أربعين سنة قال فيه ابن الفرضي: **((كان ضابطا لما كتب؛ ثقة فيما روى)).**[1]

ـ **أبو الأصبغ عيسى بن عبد الرحمن بن حبيب بن واقف بن يعيش بن عبد الرحمن ابن مروان بن سكثان الشذوني المصمودي** (توفي بأشونة سنة 366هـ/976م)؛ رحل إلى مصر، ومكة؛ أين سمع على عدد من

---

[1] تاريخ علماء الأندلس، ج: 1، ص: 17.

"

العلماء، ثم عاد إلى الأندلس؛ حيث ولاه المستنصر بالله الأموي قضاء أشونة وما يتبعها.

ـ ثم **يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى ابن كثير بن وسلاس بن شملل بن منقايا المصمودي** (ت: سنة 367هـ/977م)؛ كان من أفاضل الفقهاء؛ وله مرتبة جليلة بين قضاة الأندلس. ولي قضاء إلبيرة، وبجانة، وجيان، وطليطلة.

ـ ثم **أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب المصمودي** (ت: سنة 404هـ/1013م)؛ وهو من علماء النحو، واللغة.

ـ ثم **أبو الزبير طلحة بن الزبير بن سليمان بن تميم الحاحي المصمودي** (توفي في العشر الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من الأدباء؛ وله تأليف بعنوان: الترجبح والتنقيح في الناسخ والمنسوخ. وقال صاحب مفاخر البربر: أنه ليس من تأليفه؛ وإنما رواه عن صاحبه أبي علي الكفيف الماجري.

ـ ثم **أبو القاسم خَلِفَة بن تامَصَلْت بن يحيى البرغواطي المصمودي** (كان حيا سنة 467هـ/1074م)؛ وهو عالم بالقراءات.

"

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن وُجَلِّيد بن تامصال بن حمزة بن عيسى الهرغي المصمودي** الشهير بابن تومرت والمدعو المهدي (ت سنة 522 أو 524هـ/1128 أو 1129م)؛ أختلف الناس في نسبه، وفي أسماء أسلافه. وهناك من ينسبه إلى سليمان بن عبد الله حفيد علي بن أبي طالب. غير أن بعض المحققين ينفون هذا النسب. ونشأ ابن تومرت في بيت نسك، وعبادة. وكان محبا للعلم، حريصا على المعرفة، ساعيا للتزود بها؛ حيثما توفرت؛ وعليه فقد سافر للمشرق ـ بعد مروره ببلاد الأندلس ـ طلبا للعلم. فكانت وجهتة الأولى ـ بعد الأندلس ـ الإسكندرية، ثم الحجاز؛ بغرض أداء فريضة الحج؛ ثم انتقل إلى العراق؛ أين لقي جملة من العلماء الأفاضل؛ منهم الإمام الغزالي؛ فتتلمذ عليه. وفي هذا يقول ابن خلدون: **((ولقي جلة العلماء يومئذ، وفحول النظار. وأفاد علما واسعا. وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يديه؛ لما كان الكهان، والحزاء يتحينون ظهور دولة يومئذ بالمغرب. ولقي فيما زعموا أبا حامد الغزالي، وفاوضه بذات صدره في ذلك؛ فأراده عليه؛ لما كان**

فيه الإسلام يومئذ بأقطار المغرب من اختلال الدولة، وتقويض أركان السلطان الجامع للأمة، المقيم للملة؛ بعد أن سأله عمن له من العصابة، والقبائل؛ التي تكون بها الاعتزاز، والمنعة، وبشأنها يتم أمر الله في درك البغية، وظهور الدعوة. وانطلق هذا الإمام راجعا إلى المغرب بحرا؛ منفجرا من العلم، وشهابا واريا من الدين. وكان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة، وأخذ عنهم، واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية، والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة في صدور أهل البدعة. وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث... وكان من رأيه القول بعصمة الإمام على رأي الإمامية من الشيعة. وألف في ذلك كتابه في الإمامة الذي افتتحه بقوله: "أعز ما يطلب". وصار هذا المفتتح لقبا على ذلك الكتاب. واحتل بطرابلس؛ أول بلاد المغرب؛ مفتيا بمذهبه ذلك، مظهرا النكير على علماء المغرب في عدولهم عنه. وأخذ نفسه بتدريس العلم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ما استطاع؛ حتى لقد

"

لـــقي ــ بســـبب ذلـــك ــ إذايـــات في نفســـه؛ احتسبهـــا مـــن صالـــح أعمالـــه)).[1] مـــن منظومـــه:

أنِّي وَفِي النَّفْـــس أشْيَـــاءٌ مُخَبَـــأة
لأَلْبسَـــنَّ لَهَـــا دِرْعـــاً وَجِلْبَابَـــا
وَاللـــَّـهِ لَوْ ظَفِـــرَتْ كَفِّي ببُغْيَتِهَـــا
مَا كُنْت عَنْ ضَرْبِ أعْنَاقِ الوَرَى آبى
حَتَّى أطَهِّـــرَ هَذَا الدِّينَ مِنْ نَجَـــسٍ
وَأوجبُ الحَـــقَّ لِلسَّـــادَاتِ إيجَابَـــا
وَأمْلأ الأرْضَ عَدْلاً بَعْدَ مَا مُلِئَـــتْ
جُـــوراً وَأفْتَحُ لِلْخَيْـــرَاتِ أبْوَابَـــا

ولـــه أيضـــا:

أخَـــذْتَ بِأعْضَادِهِـــمْ إذْ نَـــأوا
وَخَلَّفَـــكَ القَـــوْمُ إذْ وَدَّعُـــوا
أخَـــذْتَ بِأعْضَادِهِـــمْ إذْ نَـــأوا
وَخَلَّفَـــكَ القَـــوْمُ إذْ وَدَّعُـــوا
فَكَمْ أنْـــتَ تَنـــْهَى وَلاَ تَنْتَـــهِي
وَتُسْمِـــعُ وَعْظـــاً وَلاَ تَسْمَـــعِ
فَيَا حَجَـــرَ الشَّحْذِ حَتَّى مَـــتَى
تَسِـــنُّ الحَدِيـــدَ وَلاَ تقْطَـــعُ

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص ص: 465 ـــ 467.

"

وممـــا كـــان يـــردده في مدح عبـــد المؤمـــن بـــن عـــلي:

تَكَامَلَتْ فِيكَ أَوْصَافٌ خُصِصْتَ بِهَا
فَكُلُّنَـــا بِـــكَ مَسْـــرُورٌ وَمُغْتَبِـــطُ
السِّـــنُّ ضَاحِكَة، وَالكَفُّ مَانِحَـــة
وَالصَّـــدْرُ مُتَّسِعٌ، وَالوَجْهُ مُنْبَسِـــطُ

ولابـــن تومـــرت مؤلفـــات عديـــدة؛ في الأصـــول والفقـــه؛ أهمهـــا: كتـــاب أعـــز مـــا يطلـــب؛ ســـمي بهـــذا؛ تبعـــا للجملـــة الأولى الـــتي ابتـــدأ بهـــا الكتـــاب. وهـــذا الكتـــاب عبـــارة عـــن مجموعـــة مـــن الرسائـــل الـــتي تعالـــج مواضيـــع أصوليـــة وفقهيـــة وسياسيـــة وجهاديـــة وأحاديـــث للرســـول. ثـــم كتـــاب موطـــأ الإمـــام المهـــدي؛ ويســـمى في الأصـــل "محـــاذي الموطـــأ"؛ وهـــو ـــ في الحقيقـــة ـــ موطـــأ الإمـــام ملـــك بروايـــة يحـــيى بـــن بكيـــر؛ تـــم اختصـــار السنـــد فيـــه. ثـــم كتـــاب مختصـــر صحيـــح مسلـــم. ثـــم مجموعـــة مـــن الرسائـــل الأخـــرى، وبعـــض الأدعيـــة، والخطـــب؛ الـــتي لـــم تـــرد في كتـــاب أعـــز مـــا يطلـــب؛ وقـــد نشـــر بروفنســـال أربـــع رسائـــل في كتـــاب أخبـــار المهـــدي. كمـــا كتـــب باللســـان الأمازيـــغي المصمـــودي رسائـــل أخـــرى منهـــا: السبعـــة أحـــزاب، و(الدواتـــر)؛ وهـــو الطهـــارة، وعلامـــة المنافـــق،

"

و(أمحانت أكوصت)، و(تازكوت أن تيتار) (أو تحيار)، و(نوفنا درا أن يا العالمين).[1]

ـ ثم **أبو الربيع بن جابر الدكالي المصمودي** (توفي في العشر الأول من السنة السابعة للهجرة)؛ وهو فقيه، وراوية.

ـ **أبو سعيد بن تونارت الدكالي المصمودي** (من أعلام القرن السابع للهجرة)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي. كان مستوعبا للفقه، ومتمكنا من مواضيع المدونة؛ تولى التدريس ببجاية.

ـ ثم **عبد الله بن ياسين الرجراجي المصمودي** (ت: سنة 624هـ/1226م)؛ فقيه، ومفتي.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن عبد الكريم الغماري المصمودي** (كان حيا سنة 654هـ/1256م)؛ وهو فقه؛ رحل من المغرب إلى المشرق؛ ولما مر بطرابلس؛ أطال الإقامة فيها؛ حيث أسمع لطلاب العلم كتابه في الفرائض، وكتب أخرى. وكان هذا في السنة المذكورة آنفا.

[1] يمكن التوسع من خلال مراجعة كتاب أعز ما يطلب الذي حققه عمار طالبي. وكتاب المهدي بن تومرت لعبد المجيد النجار.

"

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري المصمودي** (كان حيا سنة 658هـ/1259م)؛ وهو فقيه، وولي القضاء بطرابلس في السنة المذكورة.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن مناد البرغواطي المصمودي** (توفي بسبتة سنة 670هـ/1271م)؛ وصفه صاحب مفاخر البربر بـ ((**الفقيه البارع، والأديب المتفنن**)).

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري المصمودي** (توفي بتونس سنة 682هـ/1283م)؛ وهو فقيه مالكي، وقاضي. جمع بين علوم: الفقه، وأصول الدين؛ وبين فنون الأدب. وكانت له عناية بالتنقيح، والمنهج المفيد.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن علي الغماري المصمودي** (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه مالكي.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز البرغواطي المصمودي** (توفي بأزمور سنة 688هـ/1289م)؛ هو فقيه من أهل الفضل.

ـ ثم **أبو بكر بن فتح الغماري المصمودي** (كان حيا سنة 706هـ/1306م)؛ وهو فقيه، وأديب من سكان نفزاوة؛ بالجنوب التونسي. قال فيه التجاني: ((**وهذا الفقيه أبو بكر بن**

"

فتح له من الأدب، ولطافة الشعر ما تراه؛ وهو ممن يستغرب وجوده في مثل تلك البقاع؛ وله التقدم في حسن الخط؛ وهو انفرد فيه بطريقة اخترعها؛ لم تعرف قط في أنواع الخط المعدودة، وبرع فيها في وقتنا هذا جماعة من أهل الجريد أخذوها عنه)).[1]

ومن شعره قصيدة طويلة مدح بها ابن اللحياني؛ منها الأبيات التي تعرض فيها لذكر التجاني؛ كاتبه:

هَذا انْتِصَابُ العَبْدِ خِيفَةَ نَاقِدٍ
أَوْ ذِي مَعَارِفَ يَسْتَطِيلُ بَيَانِي
لاَ سِيَّمَا وَلَدَيْكَ جِهْبِذُ نَقْدِهَا
وَالوَبْلُ مِنْ ثَجَّاجِهَا التِّيجَانِي
الفَاضِلُ الفَطِنُ المُجَلِّي فِي المَدَى
وَالأَخْصَلُ المُخْتَارُ خَصْل رِهَانِ
بِأَبِي مُحَمَّدٍ اسْتَقَلَّ رِوَاؤُهَا
وَشَفَى الرِّوَى مِنْهَا صَدَى الضَّمْآنِ
غَوَّاصُ لُجَّتِهَا وَمُخْرِج مَا بِهَا
مِنْ لُؤلُؤ رَطْبٍ وَمِنْ مَرْجَانِ
وَمُقَلِّد الأَجْيَاد كُلَّ سَنِيَّةٍ
أَرْبَتْ عَلَى اليَاقُوتِ وَالعِقْيَانِ

[1] الرحلة، ص: 153.

"

وَلَرُبَّمَا أهْـــدَى إلَيَّ جَمِيـــلَ مَــا
مِنْـــهُ بظَهْـــرِ الغَيْـــبِ قَدْ أوْلاَنِي
فَلأجْعَلَـــنْ مِمَّـــا عَنَـــانِي شُكْـــرَهُ
وَأسَجِّلَـــنْ فِيـــهِ هُمُـــومِ عِنَـــانِي
وَأعُـــوذُ مَـــنْ بَـــاعَ ذَوِي قَرِيحَـــةٍ
خَمَـــدَتْ بِحُكْمِ طَوَارِقِ الأزْمَـــانِ

ومـمـــا كتبـــه للتجـــاني أيضـــا:

يَا أيُّهـَـا السَّيِّـــدُ وَالُمسْتَفَـــادْ
جَوْهَـــرَةَ أحْسَـــدُ فِيهَا العِبَـــادْ
خَاطَبْتُ ذاكَ الَمجْدُ أثْنَاءَ مَـــا
رَفَعْتُ لِلْمَوْلَى الأجَـــلِّ العِمَـــادْ
وَإن عَـــلَيَّ أنَّـــهُ صَائِـــرٌ
إلَيْـــكَ تَقْرِيـــراً عَنِ الاعتمـــادْ

إلى أن يقـــول:

مُنْتَظِراً عَنْهُ الجَـــوَابَ الـــَّذِي
أنَا الثَّرَى وَهُوَ انْسِكَابُ العِهَـــادْ
مُسَافِـــراً مِنْـــهُ تَـــزَوَّدْتُ مِنْ
رِضَـــاه زَاداً مَا لَـــهُ مِنْ نَفَـــادْ
وَأنْـــتَ زَوِدْني مُقِيمـــاً فَـــلِي
مِنْ فَضْلِ سَعْيٍ صَالِح خيـــر زَادْ
زَادَانِ ذَا يُغْـــنِي لأدْنَى مَـــدَى
وَذاك يَبْـــقَى ذُخْـــرَةَ لِلْمَعَـــادْ

"

وَدُمْ لِعَيْـــنِ الأدَب المُنْتَـــقَى
قَرِيـــرَ عَيْنِ قُـــرَّةٍ فِي السَّـــوَادْ

وكتـــب جوابـــا عـــلى أبيـــات بعـــث بهـــا التجـــاني إليـــه:

أرَاحَـــــة غِـــبٍّ أَلِيـــم العَنَــــا
أمْ سِنَـــة مِنْ بَعْدِ طُـــولِ السُّهَـــادْ
أمْ فَجْأة الوَصْـــلِ عُقَيْـــبَ الجَفَـــا
أمْ مُسْتَطَـــابُ الـــرَّيِّ بَعْدَ الجِـــرَادْ
أمْ رِقْعَــــــة مَنَّ بِهَـــا سَيِّــــدٌ
طَابَـــتْ بهَا الأذكَارُ فِي كُلِّ نَـــادْ
أشْعَـــرَنِي البُشْـــرَى وَحَسْـــبِي بمَا
قَـــرَّرَ مِنْ ودّ وَحُسْـــنَ اعْتِقَـــادْ
أَيَّتُهَـــا النَّفْـــسُ اتِّكَـــالاً عَـــلَى
مَنْ رَفَـــعَ السَّبْعَ الطِّبَـــاقِ الشِّـــدَادْ
وَفِعْـــلِ مَوْلَى شَـــدَّ رُكْنِ العُـــلَى
مُطَـــرِّزاً أعْلامُهَــــــا بِالجِهَــــــادْ
أَيَّــــــدَهُ اللَّـــهُ بأيْـــــدٍ لَــــهُ
فِعْـــلِ العَوَالِي وَالسُّيُـــوف الحِـــدَادْ
وَأنْـــتَ يَا أفْضَـــلَ مَنْ يُرْتَـــجَى
لِفَضْـــلِ سَـــعْيٍ صَالِـــحٍ مُسْتَفَـــادْ
دَارَكَـــــكَ اللَّـــهُ بِألْطَافِــــهِ
مُقَرِّبـــاً شَمْلَـــكَ بَعْـــدَ البِعَـــــادْ

"

صَابرْ لَكَ الخَيْــرُ ضُرُوبَ النــوَّى
وَاقْطَــع مَسَافَاتِ الرُّبَى وَالوِهــَادْ
فَعَـــنْ قَلِيـــلٍ سَـــوْفَ تُلْــفِي الأَلَى
مُحْضَتُهُــمْ مِنْـــكَ صَرِيح الـــوِدَادْ
قَرِيـــرُ عَيْـــنٍ بالَّذِي شِئْـــتَ مِـــنْ
قُرْبَ وِسَـــادٍ بَعْدَ طُـــولِ السُّهَـــادْ
وَفَضْـــلُ نُعْـــمَى بُرْدُهَـــا سَابِـــغٌ
مَا انْهَـــلَّ قَطْرٌ فَوْقَ قطْـــرٍ وَجَـــادْ
وَصَلِّ صَـــلاَةَ اللـــَّهِ لِلْمُصْطَـــفَى
خَيْـــرَ شَفِيـــعٍ ضَامِنِ الخُلْدِ هَـــادْ

وأرســـل إليـــه أرجـــوزة مداعبـــا؛ نذكـــر منهـــا:

إِرْبَـــأ بِنَفْسٍ حُرَّةٍ عَنْ ذِكْرِ مَـــا
يُبَلْبِـــلُ البَالَ لِسُكَّـــانِ الحِـــمَى
وَعَـــدِّ عَنْ رِقَةِ طَبْـــعٍ عُـــذرِي
فَمَـــا لِذِي عَقْلٍ بِـــهِ مِنْ عُـــذرِ
وَإِنَّمَـــا الإِنْسَـــانُ بِالشَّهَامَـــه
فَدُمْ بِهَا حَفَّـــتْ بِكَ الكَرَامَـــه
وَاحْتَمِـــلِ القَسْـــوَة وَالبَـــدَاوَه
وَأَهْلَهَـــا مَا دُمْـــتَ فِي نَفْـــزَاوَه
طَبْـــعِ المِيَـــاهِ وَالهَـــوَاءِ وَالبَلَـــد
لُذ عَائِـــذاً بِقُلْ هُوَ اللَّـــهُ أَحَـــد

"

إنْ هِيَ إلاَّ سَفْــرَة سَتُسْفِــــــر
عَنْ حُسْــنِ عُقُبَى مَعَ وَفْرٍ يَفِــر
لَوْ بِعْــتَ فِي أثْنَائِهَــا دُنْيَاكَــا
وَأنْــتَ ذُو مُلْــكٍ وَمَا أدْرَاكَــا
بِجَلْسَـــةٍ بَيْــنَ يَــدَيْ عِمَــاد
وُقِيــتَ فِيهَــا أعْيُــن الحُسَّــاد
وَنَظْــرَة لِوَجْهِــــهِ مُشْتَقَــــه
مِنْ نَظْــرَةِ النَّعِيــم فاعلمْ وَافْقَــه
كُنْتَ عَلىَ مَا بِعْتَ مِنْــهُ رَابِحَا
فَاضْمُمْ عَلَى يَقِينِــكَ الجَوَانِحَــا
زَهْر النُّجُومِ حَاسِدَاتٌ مَوضِعَــك
إيْ وَالَّــذِي بِفَضْلِهِ قَدْ رَفَعَــك
وَأنْــتَ بِالتَّمْيِيــز جِــدّ عَالِــم
بَيْــنَ الَّذِي رَأيْــتَ مِنْ عَوَالِــم
فَاحْكُــمْ بِعَقْلٍ رَاجِــحٍ وَفَهْــم
تَجِــدْكَ فُــزْتَ بِأجَــلِّ سَهْــم
فَاشْكُــرْ يَزِدْكَ اَللَّــهُ مِنْ إكْرَامِه
وَالحَسَــبُ المَــرْضِيِّ مِنْ إمَامِــه
بِأفْضَــلِ الخَصْلَــةِ وَالمَرَاتِــــب
أضْحَى لَكَ الخَيْــرُ وَيُمْنُ رَاتِــب
صَابِــرْ عَلَى التَأوِيبِ وَالإدْلاَج
وَدَائِــمِ الإلْجَــامِ وَالإسْــرَاج

"

وَاقْطَــعْ مَدَاهَــا فَدْفَداً فَفَدْفَــدَا
وَاصْــغِ لِحَادٍ فِي مَرَاعِيهَا حَــدَا
وَاشْرَبْ زُلاَلاً لاَ زُعَاقــاً آسِــن
وَعَــدِّ عَنْ تَعْتِيــقِ كُلِّ مَاجِــن
كَــذاكَ حَتَّى تُبْصِــر المَعَالِمَــا
مِنْ دَارِ تَرْشِيشَ صَحِيحاً سَالِمَــا

ـ ثم **أبو زيد عبد الرحمن بن الهزميري المصمودي** (توفي بفاس سنة 706هـ/1306م)؛ وهو من الصوفية.

ـ ثم **أبو محمد عبد الجليل بن ويجلان الدكالي المصمودي** (توفي بأغمات قبل عام 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه، ومن الزهاد الصالحين.

ـ ثم **أبو علي عمر بن أبي العباس أحمد ابن سلكو الدكالي المصمودي** (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه، وولي القضاء.

ـ ثم **أبو عيسى الدكالي المصمودي** (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو من الزهاد، والصوفية؛ من مؤلفاته: كتاب تلقين المريدين.

ـ ثم **أبو يعقوب الحساني الغماري الصمودي** (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه، ومحدث، وراوية.

"

ـ ثم **أبو عبد الله بن أبي علي عمر بن مخلد الدكالي الحاحي المصمودي** (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه ابن فقيه.

ـ ثم **أبو العباس حميد بن قاسم الحاحي المصمودي** (ت: سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه، من أهل الصلاح.

ـ ثم **أبو علي صالح بن أبي صالح عبد الحليم الإيلاني المصمودي** (كان حيا سنة 712هـ/1312م)؛ كان مقيما بنفيس. وهو فقيه، وتاريخي.

ـ ثم **أبو زيد عبد الرحمن الرجراجي المصمودي** (ت: سنة 718هـ/1318م)؛ وهو من فقهاء المالكية؛ ومن الحفاظ. كان يعلق في دروسه على المدونة في مسجد الطاعة بفاس.

ـ ثم **أبو القاسم بن محمد الغماري المصمودي** (كان حيا سنة 720هـ/1320م)؛ وهو فقيه مالكي، ومحدث؛ اشتغل في تدريس المدونة بمسجد زنقة حجامة. كان متفوقا في حفظ المدونة، وتحصيل مسائل المذهب؛ ومعترف له بالعلم. ومن أنشاده:

قُنُوعُ النَّفْسِ يَعْقِبُهَا رَوَاحاً
وَحِرْصُ النَّفْسِ يُدْنِي لِلتَّوَانِي

"

وَلَيْسَ بِزَائِدٍ فِي الرِّزْق حِرْصٌ
وَلَيْسَ بِنَاقِصٍ مِنْهُ التَّوَانِي
إِذَا مَا اللَّهُ سَبَّبَ رِزْقَ عَبْدٍ
أَتَى لَكَ بِالتَّوَانِي وَالتَّدَانِي

ـ ثم **أبو محمد عبد الكريم بن الحسين ابن عبد الملك بن يحيى بن باسيو بن تادررت اليدرازتيني الواغديني التنمالي المصمودي** (توفي بجهات غرناطة سنة 723هـ/1323م)؛ وهو من الفقها، والعلماء؛ ذوي الفضل، والصدق. ولد ببجاية، ثم انتقل إلى غرناطة؛ فولي القضاء ببعض جهاتها؛ مثل ما كان يعرف باسم شالش؛ التابعة لغرناطة. من مؤلفاته: كتاب المعاني المبتكرة الفكرية في ترتيب المعالم الفقهية، وكتاب الإيجاز في دلالة المجاز، وكتاب نصرة الحق ورد الباغي في مسألة الصدقة ببعض الأضحية، وكراس المباحث البديعة في مقتضى الأمر من الشريعة.

ـ ثم **أبو عمران موشى المصمودي** (توفي بتلمسان سنة 730هـ/1329م)؛ هكذا جاء اسمه في درة الحجال؛ بالشين؛ وقال ابن القاضي ـ في جملة مقتضبة ـ أنه فقيه، وتوفي بتلمسان.

"

ولسنا ندري الأسباب التي جعل المصادر الأخرى تصمت عنه.

- ثم **يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطي المصمودي** (توفي في سجنه بالمطبق سنة 768هـ/1366م)؛ وهو من أهل أنفا. انقطع لمعاشرة السائرين في طريق الصوفية؛ من الفقراء، والصالحين؛ ثم ذهب إلى الأندلس؛ دون أن يتخلى عن تعبده؛ فنزل برباط السودان؛ خارج مالقة. وهناك اشتهر أمره، وتزاحم عليه الناس من كل مكان. قال فيه ابن الخطيب: **((هذا الرجل نسيج وحده في الكفاية، وطلاقة اللسان؛ مدل على أغراض الصوفية، حافظ لكل غريبة من غرائب طريقتهم؛ متكلم في مشكلات أقوالهم، قايم على كثير من أخبارهم؛ يستظهر حفظ جزأي إسماعيل الهروي؛ المسمى بـ: منازل السائرين إلى الحق، والقصيدة الكبيرة لابن الفارض. عديم النظير في ذلك كله؛ مليح الملبس، مترفع عن الكُدْية، عزيز النفس، قليل الإطراء، حسن الحديث، عذب التجاوز فيه، على سنن من السذاجة، والسلامة، والرجولة، والحمل؛ صاحب شهرة قرعت به أبواب الملوك بالعدوتين. وعلى**

"

ذلك فمغضوض منه، محمول عليه؛ لما جبل عليه من رفض الاضطلاع، وترك السمت، واضطراح التغافل، وولوعه بالنقد، والمخالفة في كل ما يطرق سمعه؛ مرشحا ذلك بالجد المبرم؛ ذاهبا أقصى مذاهب القحة؛ كثير الفلتات. نالته بسبب هذه البلية محن كثيرة؛ أفلت منها بجريعة الذقن؛ وَوُسِمَ بالوَهَنِ في دينه؛ مع صحة العقل... وأفضى به الهوى، وتسور حمى السياسة؛ والإغياء في ميدان القحة إلى مصرع السوء؛ فجلد جلدا عنيفا بين يدي السلطان؛ كان سبب وفاته في المطبق)).[1] له مؤلفات عديدة؛ منها: نِسْبَة الذنب إلى الذاكر؛ وصف بأنه جزء نبيل وغريب المأخذ، وفيما أشكل من كتاب أبي محمد بن الشيخ، ،كتاب في الاعتقاد؛ وهو في مجلد كبير؛ وقد اشتمل على كثير من الأقوال، والحكايات؛ كان قد استحسنه عبد الله بن المقري؛ ولم يعجب تلميذه ابن الخطيب.

---

[1] الإحاطة، ج: 4، ص ص: 427 ـــ 428.

"

- ثم **أبو عبد الله محمد بن موسى بن عابد الغماري المصمودي** (كان حيا سنة 780هـ/1378م)؛ رحل إلى مكة، واستقر بها في السنة المذكورة. وهو من الزهاد، والعباد.
- ثم **شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الركراكي** (الرجراجي) **المصمودي** (توفي بحمص الشام سنة 793هـ/1390م)؛ عاش في مصر، والشام. وهو فقيه مالكي، وعالم بالأصول، والمعقول؛ فاتهم من جراء آرائه؛ وسجن، ثم نفي إلى الشام. وبعدها ولاه الظاهر القضاء؛ إلى أن مات. وقد رثاه حجاج بن عيسى بقوله:

لَهْفِي عَلَى قَاضِي القُضَاةِ مُحَمَّدٍ
أَلِف العُلُوم الفَارِس الرَّكْرَاكِي
قَدْ كَانَ رَأساً فِي القَضَاء فَلأَجْلِ ذا
أسِفَتْ عَلَيْهِ عِصَابَةِ الأَتْرَاكِ

ومما قاله القرافي بخصوصه: ((**من المائة الثامنة قدم من الغرب؛ وقد راهق، أو بلغ الحلم. فلازم الاشتغال على مشائخ عدة من أبناء العرب والعجم؛ ومهر في المعقول، وقرأ الأصلين، والعربية؛ وكان غاية في الذكاء؛ وحصل من الفقه طرفا جيدا. فأول ما**

"

اشتهـر أمـره أن نـازع البرهـان الأخنـائي في تدريـس المنصوريـة. وكـان كثيـر الاستهتار بالكبـار، والاستهزاء بالصغـار. فكتبوا فيـه محاضـر؛ ونسبـوه إلى العمـل بالنجـوم، والسحـر؛ فخلعـه أكمـل الديـن. ثـم ولاه بـدر الديـن الأخنـائي مـدرس الحجازيـة، وتصـدر بالجامـع الأزهـر، ثـم شغـر درس الفقـه بالشيخونيـة؛ فقـرره فيـه الأكمـل. ثـم درس بالقمحيـة بمصـر؛ واتصـل بالملـك الظاهـر؛ فـراح عليـه، وأجلسـه عنـده يـوم المحاكمـات)).[1]

ـ ثـم **شمـس الديـن محمـد بـن محمـد بـن علـي ابـن عبـد الـرازق الغمـاري** (تـوفي بمصـر سنـة 802هـ/1399م)؛ فقيـه وعالـم في النحـو، وكـان عارفـا باللغـة العربيـة؛ وكـان مـن الحفـاظ؛ فيستظهـر كثيـر مـن الشعـر؛ ولـه مشاركـة جليلـة في فنـون الأدب.

ـ **أبـو إسحـاق إبراهيـم بـن محمـد المصمـودي** (تـوفي بتلمسـان سنـة 805هـ/1402م)؛ نشـأ وترعـرع في بـلاد صنهاجـة؛ قـرب مكناسـة؛ إذ تلـقى تعليمـه الأول بتلـك الديـار، ثـم أكمـل تعليمـه بفـاس؛ وبعدهـا انتقـل إلى تلمسـان؛ أيـن استقـر حـتى وفاتـه. وهـو مـن شيـوخ ابـن مـرزوق الحفيـد،

---

[1] توشيـح الديبـاج، ص:255.

"

ومحمد المجاري الأندلسي. غلب عليه الاتجاه الصوفي. وصفه المجاري بقوله: ((**قرأت عليه في بيته جميع البرهانية في أصول الدين؛ تفقها بلظي. وكان ــ رحمه الله ــ صائم الدهر، شديد الانقباض عن الناس. وكان بيته في غاية الضيق؛ كانت له فيه سجادة يصلي عليها، وعليها ينام؛ إذا غلبه النوم، ويتوسد حجرا، ولباسه كساء. وبالجملة إني لم ألق مثله؛ من جمع العلم، والعبادة... وكان شيخنا الإمام أبو عثمان العقباني رحمه الله يحدث له تردد في بعض المسائل؛ في أصول الدين؛ فيبعثني إليه أسأله عن نظره فيها، وأرد عليه الجواب؛ فإذا أخبرته بما عنده فيها استحسنه غاية**)).[1]

ــ ثم أبو حفص عمر الرجراجي المصمودي (توفي بفاس سنة 810هـ/1407م)؛ وهو من فقهاء المالكية؛ يميل إلى الزهد، والورع؛ وكان متقدما في الفقه. ولي إمامة جامع الأندلسيين بفاس.

---

[1] برنامج المجاري، ص: 133.

"

ـ ثم **أبو وكيل ميمون بن مساعد المصمودي** (توفي جوعا في تلمسان سنة 816هـ/1413م)؛ وهو من علماء النحو، والعربية؛ توفي مع جماعة من الفقهاء؛ من جراء المجاعة التي انتشرت بتلك الديار في السنة المذكورة. من مؤلفاته: كتاب الدرة، وكتاب التحفة، ونظم الأجرومية.

ـ ثم **أبو مهدي عيسى بن علال المصمودي** (ت: سنة 823هـ/1420م)؛ وهو ينسب إلى قصر كتامة؛ أين يتواجد قومه؛ من مصمودة الهبط. وهو فقيه مالكي؛ له تعليق على مختصر ابن عرفة.

ـ ثم **محمد بن يعقوب الغماري المصمودي** (من أعلام النصف الأول من القرن التاسع للهجرة)؛ فقيه مالكي، وعالم في الأصول، والفروع.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سعيد بن عثمان الهزميري المصمودي** (من أعلام القرن التاسع للهجرة)؛ نزيل مصر. وهو من علماء اللغة، والنحو، والفقه.

"

ـ ثم **أبو مهدي عيسى بن علال المصمودي** (ت: سنة 830هـ/1426م)؛ وهو إمام جامع القرويين؛ ولي القضاء؛ وكان زاهدا، ورعا. وله تعليق على مختصر ابن عرفة.

ـ ثم **أبو محمد الهنتاتي المصمودي** (توفي بتونس سنة 833هـ/1429م)؛ وهو من كبار الفقهاء؛ اشتهر بالتحقيق. ولي من طرف أبي فارس في خطة القضاء. وله تأليف في الرد على البرزلي؛ بخصوص العقوبة بالمال؛ التي كان البرزلي يجيزها؛ هذا وقد رد عليه البرزلي بدوره. ونقل عنه الونشريسي بعض فتاويه في المعيار.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد الحسين بن أحمد الحفصي الهنتاتي المصمودي** (ت: سنة 839هـ/1435م)؛ وهو أخو السلطان أبي فارس عبد العزيز. كان من كبار الفقهاء بتونس. وهو مفتي العسكر بالدولة الحفصية.

ـ ثم **عبد الله بن أبي البركات الغماري المصمودي** (توفي مقتولا في السجن سنة 853هـ/1449م)؛ فقيه؛ ولي حجابة أبي العباس أحمد ابن أبي حمو الزياني، وكان صاحب أشغاله أيضا. أمر بقتله خنقا في محبسه.

"

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن البجائي الغماري** (توفي بتونس سنة 862هـ/1457م)؛ وهو فقيه وأديب؛ ولي القضاء بتونس؛ كما أسند إليه السلطان المستنصر الحفصي مهمة السفارة؛ مرات عديدة.

ـ ثم **أحمد بن الحسن التلمساني الغماري المصمودي** (توفي بتلمسان سنة 874هـ/1469م)؛ وهو من الصوفية، والزهاد الصالحين.

ـ ثم **بدر الدين الغماري** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة)؛ فقيه مالكي؛ ولي القضاء بدمشق.

ـ ثم **محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي** (توفي بفاس سنة 885هـ/1480م)؛ كان فقيها مالكيا؛ ولي القضاء بفاس؛ فكان محمود السيرة.

ـ ثم **الحسين بن علي الشوشاوي الرجراجي المصمودي** (توفي في آخر المائة التاسعة للهجرة)؛ فقيه مالكي؛ قام بإعداد شرح على كتاب مورد الضمآن، وشرح على تنقيح القرافي، وله أيضا نوازل في الفقه المالكي.

"

ـ ثم **أبو مالك عبد الواحد بن الحسن الرجراجي المصمودي** (توفي في حدود عام 900هـ/1494م)؛ تصدر للإقراء؛ وله مؤلفات؛ منها: في ظاءات القرآن، وطاءات القرآن، وذالات القرآن، ودالات القرآن.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم الفاسي المصمودي** (توفي بفاس سنة 912 أو 913هـ/1506 أو 1507م)؛ وهو من علماء الفرائض، والحساب.

ـ ثم **شمس الدين محمد بن علي المصمودي** (ت: سنة 915هـ/1509م)؛ فقيه مالكي . قال فيه ابن العماد: ((**كان فقيها فاضلا؛ ناب عن العفيف بن حنبل قاضي المالكية بحلب؛ وكتب بها على الفتوى**)).[1]

ـ ثم **أبو محمد عبد الحق المصمودي** (ت: سنة 955هـ/1548م)؛ وهو فقيه مالكي؛ متمكن من الفرائض، والحساب.

ـ ثم **أحمد بن علي بن عرضون الغماري المصمودي** (توفي بعد عام 970هـ/1562م)؛ وهو فقيه، ومحاسب، وفرضي.

---

[1] شذرات الذهب، ج: 8، ص: 72.

"

ـ ثم **مبارك بن علي بن إبراهيم التورختي المصمودي** (ت: سنة 980هـ/1572م)؛ فقيه مالكي؛ سماه ابن القاضي "شيخ الجماعة".

ـ ثم **إبراهيم بن الحسن المصمودي** (كان حيا سنة 999هـ/1590م)؛ وهو من الفقهاء، والنحويين؛ ولي إمامة جامع علي بن يوسف بمراكش.

ـ ثم **عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله الرجراجي المصمودي** (كان حيا سنة 999هـ/1590م)؛ كان يستظهر مختصر خليل، وله مشاركة في علوم أخرى.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن الحسن** (أو الحسين) **بن عرضون الرجني الغماري المصمودي** (ت: سنة 1012هـ/1603م)؛ وهو فقيه، ونحوي؛ له دراية جيدة بألفية ابن مالك؛ كما أنه متمكن من علوم العروض، والأصلين، والمنطق، والبيان؛ وله أيضا نضم حسن. ولي خطة قاضي القضاة بشفشاون. ومن شعره قوله لرفيق له؛ يحرضه على مواصلة العادة في الخروج لوادي ويَسْلان للتنزه:

إذَا القَلْبُ مِنِّي دَهَاهُ شَجَنْ

وَأجْفَانُ عَيْنِي جَفَهَا الوَسَنْ

"

وَجَمْــرُ الغَضَا فِي الحَشَا قَدْ أضَــا
حَتَتْــتُ المَـطِيَّ إلَى وِيسَلَـــنْ
فَسَرَّحْتُ طــَرْفِي وَأجْرَيْتُ طِــرْفِي
وَمَسَّتْ فَشَاهَتْ وُجُــوهُ الحَــزَنْ
كَتَائِــبُ نُــورٍ رَكَائِــبُ طَيْــرٍ
أمِيَــرُ الجَمِيــعِ ذُرَاهُ سَكَــنْ
وَهَــذَا الخَمِيــسَ ألاَ نُزْهَــــة
بِبَطْحَائِــهِ يَــا سَلِيــلَ الحَسَــنْ
نُدِيــرُ كُئُوسَــاً نُسَــلِّي نُفُوسَــاً
بِتَرْجِيــعِ أوْتَــارِ أمِّ الحَسَــنْ

"وأم الحســـن" هـــو طائـــر العندليـــب أو الشحـــرور؛ عنـــد أهـــل المغـــرب. ومـــن شعـــره أيضـــا:

أجَنَّـــة الخُلْـــدِ هَـــذِي يَابْـــنَ عَدْنَـــانِ
أجبْ هُدِيتَ أرَوْضٌ لابْنِ رَضْـــوَانِ؟
أمَا تَـــرَى الطَّيْرَ فِي الأدْوَاحِ سَاجعَـــة
أدْمَـــتْ أنَامِلُهَـــا أوْتَـــارَ عِيـــدَانِ؟
تَحْـــكِي مَزَامِيرَ مَنْ لاَنَ الحَدِيـــدَ لَـــهُ
تَشْدُو الزُّجَيِّـــلُ فِي رَصْدٍ وَزِيـــدَانِ
تَنْفِي عَنِ الصَّبِّ مَا بالقَلْبِ مِنْ كَـــرَبٍ
بَلْ تَتْرُكُ الصَّبَّ فِي تيهِ الهَوَى عَـــانِ

"

وَإنْ أرَدْتَ مِنَ الأوْصَــافِ صَفوَهَــا
فَانْظُــرْ لِمَائِــدَةٍ حُفَّــتْ بِألْــوَانِ
لاَ يَسْتَطِيــعُ لِسَانٌ وَصْــفَ لَهْجَتِهَــا
عَلَى الكَمَالِ وَلَوْ لِسَــان سُبْحَــانِ

ولــه كذلــك:
يَا وَاهِماً نَحْــوَ المُصَلَّى هَائِمــاً
باللـّـهِ فَاصْعَدْ عَلَى سَنَامِ المَنْبَــر
وَانْظُرْ إلَى النُّــورِ المُنيــرِ كَأنَّــهُ
دُرَرٌ نُثِــرْنَ عَلَى أدِيمٍ أخْضَــرِ

OOO

الكـــلام السابـــق يتعلـــق بأهـــل العلـــم مـــن بـــني مصمـــودة؛ وبـــقي الآن التطـــرق لأهـــل السيـــف والسلطـــان والسياســـة منهـــم؛ وهـــم:

ـ **سفيـــان بـــن عبـــد ربـــه المصمـــودي** (ت: سنـــة 211هـــ/826م)؛ وهـــو حاجـــب الدولـــة الأمويـــة بالأندلـــس؛ أيـــام عبـــد الرحمـــن بـــن الحكـــم. كـــان قبـــل وصولـــه إلى هـــذه المرتبـــة المكلـــف بالخزانـــة الكبـــرى. وقـــال فيـــه ابـــن حيـــان: **((كـــان مـــن أكابـــر رجـــال أهـــل الخدمـــة الكفـــاة المستقليـــن بأعبائهـــا؛ ممـــن جمـــع إلى الغنـــاء، والكفـــاءة، والعفـــة، والأمانـــة. قـــد تـــولى خدمـــة الخزانـــة الكبـــرى أيـــام**

"

الأمير الحكم؛ وهو أول من استخزن بالأندلس؛ وحمل هذا الاسم الذي اعتور من عمل عمله إلى اليوم... ولم يزل يتنقل في مراتب الخدمة إلى أن نال الحجابة. ومن ولده الأديب أبو الأسود؛ وكان ذا وجاهة عند الناس؛ حدثا، مؤنس الجليس، ممتعا؛ توفي في أيام الخليفة الناصر لدين الله رحمه الله)).[1]

ــ ثم **محمود بن عبد الجبار بن زاقلة المصمودي** (توفي مقتولا في جليقية سنة 225هـ/839م)؛ قاد ثورة سنة 213هـ/828م ضد الأمير الأموي؛ عبد الرحمن بن الحكم؛ فاستبد بماردة؛ فلم يتمكن عبد الرحمن من إخراجه منها حتى عام 215هـ/830م. ولكنه نقل ثورته إلى، وعصيانه إلى حصن منت شلوط؛ القريب من بطليوس؛ فأخذ ــ من هناك ــ يشن الغارة تلو الأخرى على مدن الدولة الأموية؛ المجاورة لحصنه. فلاحقه عبد الرحمن بصوائفه، وطاولته حتى اضطرته إلى اللجوء إلى ملك جليقية؛ الذي منحه قلعة في شمال البرتغال سنة 223هـ/837م. ومع هذا لم يهنأ باله في الغربة؛ فأرسل إلى الأمير عبد الرحمن؛ طالبا الأمان؛

---

[1] المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ص: 25 ــ 26.

"

بغرض العودة؛ ولكن أمره اكتشف؛ فهاجمه ملك جليقية؛ قبل تحقيق بغيته؛ فقتل في معركة دارت بنه وبين النصارى؛ قتل فيها. وذلك أن جواده اصطدم في شجرة بلوط ـ نتيجة لجموحه ـ فسقط محمود قتيلا. ويقال: أنه بقي مجدلا على الأرض مدة؛ دون أن يجرأ أحد من أعدائه الاقتراب منه؛ خوفا أن تكون مكيدة منه.

ـ ثم **منصور البرغواطي المصمودي** (توفي مقتولا بسفاقص سنة 451هـ/1059م)؛ كان من صنائع الزيريين، وقادهم البارزين. وقد اشتهر بالشجاعة، والإقدام. أسند إليه المعز ابن باديس أعمال سفاقص؛ فأغرته نفسه بالاستبداد، فشرع في مفاوضة أحياء بني هلال؛ المتغلبين على ضواحي تلك الجهات؛ فواعدوه بالمساندة. ولكن ابن عمه حمو بن مليل البرغواطي غدر به قبل تحقيق هدفه؛ وقتله في الحمام؛ وانتصب بدلا منه في حكم سفاقص، والاستبداد بها. وعندما وصل الأعراب؛ حلفاء منصور؛ عرض عليهم بعض المال في مقابل تأييده؛ بدلا من ابن عمه؛ فقبلوا، ووقفوا إلى جانبه.

"

ـ ثم **سوَّاجـات البرغـواطي** الشهير بسقوت (توفي في معركة بينه وبين المرابطين سنة 471هـ/1078م)؛ كان مولى ليحيى بن علي بن حمود؛ اشتراه من حداد؛ سبق أن حصل إليه من سبي برغواطة. ونظرا لكفاءته، ونباهته؛ ولاه ـ مع فتى آخر يسمى رزق الله ـ سبتة؛ وانتقل هو إلى الأندلس. وفي سنة 453هـ/1061م انقض سوجات على زميله رزق الله، وقتله؛ ثم استقل بملك سبتة، وطنجة؛ مستبدا على الحموديين. وبعدها تسمى بالمنصور؛ كما أورث إمارته ابنه العز بن سواجات؛ الذي عرف بالحاجب. وأورد ابن عذاري خبرا طريفا قال فيه: **((وذكر عن أبي الوليد بن جهور؛ صاحب قرطبة أنه قال: "وردت علي من الكتب في يوم واحد: كتاب من ابن صمادح؛ صاحب المرية؛ يطلب جارية عوادة، وكتاب من ابن عباد؛ يطلب جارية زامرة، وكتاب من سواجات؛ صاحب سبتة؛ يطلب قارئا يقرأ القرآن". فوَجَّهَ إليه من طلبة قرطبة رجلا يعرف بعون الله بن نوح.**

"

وعجب أبو الوليد من ذلك؛ وقال: "جاهل يطلب قارئا، وعلماء يطلبون الأباطيل")).[1]

ــ ثم **المعز بن سواجات** (سقوت) المعروف بالحاجب (توفي قتيلا في سبتة سنة 476هـ/1083م)؛ خلف والده في الإمارة؛ بعد مقتله في موقعة ضد المرابطين. وبقي يقاوم تحرشات المرابطين مدة؛ حتى اشتد حصارهم لسبتة من جهة البحر. وهكذا انتهت معركته ضدهم؛ بسقوط سبتة، وقتله في السنة المذكورة آنفا.

ــ ثم **حمو بن مليل البرغواطي المصمودي** (توفي بعد عام 493هـ/1099م)؛ كان من أتباع منصور البرغواطي؛ المتغلب على سفاقص؛ فانتهز فرصة سنحت؛ فغدر به؛ في الحمام، وقتله في عام 451هـ/1059م، ثم استولى على مقاليد الأمور في تلك المدينة؛ وتآمر مع الأعراب ضد دولة المعز بن باديس. ولما مات المعز، وخلفه ابنه تميم؛ كانت بينهما أحداث ووقائع عديدة؛ انتهت باستعادة سفاقص من طرف تميم سنة 493هـ؛ فهروب حمو إلى قابس؛ أين أجاره أميرها مكن بن كامل الدهماني؛ فبقي عنده حتى مات.

---

[1] البيان المغرب، ج: 3، ص: 250.

"

ـ ثم **إسماعيل بن يسلاَّلي** (يحيى) **الهزرجي المصمودي** (توفي قتيلا سنة 549هـ/1154م)؛ وهو من أصحاب العشرة بين الموحدين. سماه صاحب المعجب إسماعيل بن يحيى؛ وكان المهدي أذن له بالقضاء بين الناس؛ ونسب إليه صاحب المعجب مواقف سامية في الفداء، والتضحية؛ منها أنه نبه المهدي عندما أنصار الدولة المرابطية قتله؛ إذ سأله عن إعراب الآية: ((إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين)). فانتبه المهدي للخطر المحدق به؛ ورحل. والموقف الثاني حدث له مع عبد المؤمن؛ حينما علم بالمؤامرة التي دبرت لقتله من طرف أقرباء المهدي؛ طلب من عبد المؤمن أن يترك له فراشه تلك الليلة؛ فلبى عبد المؤمن طلبه؛ معتقدا أن نفسه هوت ذلك؛ ولما نام فيه وقع قتل خطأ بدل عبد المؤمن.

ـ ثم **عمر بن تفراجين** (تفراكين) **التينملي المصمودي** (توفي قتيلا سنة 549هـ/1154م)؛ وهو من أهل الخمسين في النظام الموحدي؛ الذي أحدثه ابن تومرت. تركه عبد المؤمن بن علي واليا على مراكش. ولما أراد أقرباء

"

المهـدي (بنـو أمغـار) الثـورة بها قتلـوه؛ لأنـه عارضهـم.

ـ ثـم **محمـد بـن عبـد الكريـم الرجـراجي (الركـراكي) المصمـودي** (تـوفي بسجـن المهديـة سنـة 597هـ/1200م)؛ وهـو مـن قـادة الموحديـن؛ الموصوفيـن بالشجاعـة، والإقـدام. نشـأ بالمهديـة؛ بيـن جنـد الموحديـن؛ إذ كـان أبـوه منهـم. وقـد قـدم محمـد هـذا للدولـة، وسكـان المهديـة خدمـات جليلـة؛ في مكافحـة الأعـراب، ومطاردتهـم في تلـك النـواحي؛ إذ كـان الـولاة بتلـك المناطـق قـد أطلقـوا يـده، وفوضـوا لـه أمـر مكافحـة الفسـاد؛ دون أن يحاسبـوه عـلى شيء؛ فتمكـن مـن كبـح، الأعـراب، وأزالـة فسادهـم، وعيثهـم مـن تلـك الجهـات؛ فانتشـر الأمـن، وازدهـرت الأوضـاع الاقتصاديـة. ولـم تكـن قبائـل الأعـراب تجـرؤ عـلى الانتجـاع في الأراضي الـتي في حمـاه إلا بإذنـه؛ فنـوه بذكـره النـاس، واشتهـرت مـزايـاه بينهـم؛ حـتى أنهـم كانـوا يدعـون لـه في المساجـد؛ بعـد كـل صـلاة. ولمـا استبـدل الـوالي الموحـدي في إفريقيـة؛ وقـدم إليهـا الشيـخ أبـو سعيـد المؤمـني؛ أحضـر معـه أخـاه أبـا عـلي، وأسنـد إليـه أعمـال المهديـة؛ تراجـع عمـا جـرت عليـه العـادة مـع ابـن عبـد الكريـم؛ وطالبـه بأسهامـه فيمـا يغنمـه

"

خلال غزوه للأعراب؛ فأبى، وطلب مجاراته على ما سبق مع الولاة السابقين. فقبض عليه أبو علي، وامتحنه، وأهانه. فاستنجد ابن عبد الكريم بأبي سعيد؛ الوالي على إفريقية؛ فلم يلتفت إليه. وخلال هذه الأحداث؛ بدأ الفساد في الانتشار عبر الطرقات، وفي البراري، وفي الساحل؛ حيث استفحل شأن الأعراب من جديد؛ بسبب الفراغ الأمني. فطلب الناس من أبي علي إطلاق سراح ابن عبد الكريم؛ فرفض؛ وكادت أن تنشب فتنة؛ جراء ذلك؛ فاضطر إلى إطلاق سراحه؛ طلبا منه الخروج للأعراب. وبدلا من توجهه إلى الأعراب؛ فقد اختار الهجوم على القصر، واعتقال أبي علي. وتم له ذلك، ثم استبد بالمهدية؛ بعد ثورته تلك؛ ولم يطلق أبا علي إلا بفدية ثقيلة. وكانت نهايته بسقوط المهدية؛ في براثن ابن غانية؛ فمات مسجونا لديه.

ـ ثم **سبع بن منخفاد الغماري المصمودي** (توفي مقتولا سنة 562هـ/1166م)؛ وهو الذي تزعم الثورة ضد الموحدين بجبال غمارة. هذا وقد انتهت ثورته بالفشل؛ وقتل ثم صلب.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن يغمور الهنتاتي المصمودي** (كان حيا سنة 603هـ/1206م)؛ وهو من شيوخ الموحدين؛ ولاه الناصر الموحدي المهدية؛ بعد إخراج ابن غانية منها.

ـ ثم **أبو محمد عبد الواحد أقوسقور** (أقسجور) **بن أبي حفص عمر الهنتاتي المصمودي** (توفي بتونس سنة 618هـ/1221م)؛ وهو من شيوخ الموحدين. أسند إليه الناصر الموحدي أعمال إفريقية؛ ومطاردة ابن غانية في أطرافها. فتدعم بواسطته سلطان الموحدين بتلك الربوع. وبوجوده في تلك الديار مهد لأبنائه التعرف عليها، والتطلع للبقاء فيها.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد ابن أبي حفص عمر الهنتاتي المصمودي** المعروف بـ عبو (كان حيا سنة 625هـ/1227م)؛ ولاه العادل الموحدي إفريقية؛ فبقي بها؛ حتى خلعه أخوه أبو زكرياء بإيعاز من المأمون الموحدي؛ ثم سجنه بقصر من قصور تونس.

ـ **ميمون بن موسى الهنتاتي المصمودي** (كان حيا سنة 626هـ/1228م)؛ ولي خطة الوزارة في عهد أبي زكرياء الحفصي؛ ولكنه نكبه فيما بعد؛ واستصفى أمواله، ثم نفاه إلى الإسكندرية.

"

ـ ثم **أبو عبد الرحمن يعقوب بن يوسف ابن محمد الهرغي المصمودي** (توفي قتيلا سنة 639هـ/1241م)؛ اشتهر بالشجاعة والأقدام. وكانت تجمعه بالجوهري؛ صاحب الأشغال في الدولة الحفصية صداقة؛ ولما سمع بمقتله؛ خاف أن يأتي دوره بعده؛ فحاول الشروع في الثورة في طرابلس، والاستبداد على السلطان أبي زكرياء الحفصي؛ ولكنه مني بالفشل منذ البدء؛ إذ قبض عليه من طرف أعيان طرابلس، ثم جاءهم الأمر بقتله، وصلبه؛ فتم ذلك.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي المصمودي** (توفي خارج بونة سنة 647هـ/1249م)؛ هو المؤسس الأول للدولة الحفصية بتونس؛ بعد أن فصلها عن سلطان الدولة الموحدية سنة 627هـ/1229م. وقام بعد الاستبداد بتدعيم سلطانه، وتوسيع نفوذه بإفريقية، والمغرب الأوسط. وكان متقشفا، جماعا للمال، محبا للعلم، للعلماء. وكان أديبا، وينظم الشعر؛ من شعره ما قاله في الجوز:

تَفَضَّلْ بِطَعْمٍ لَهُ مَلْبَسٌ
صَلَابَة وَجْهِ لَئِيمٍ حَكَى

"

إِذَا بَــزَّ عَنْ جِسْمِــهِ ثَوْبَــهُ
أَتَــاكَ كَمَا يُمْضَــغُ المُصْطَــكَى

وفي وصفـــه للرمـــح يقـــول:

وَأَسْمَـــرَ غِرٍّ شَيَّبَ النَّقْــعُ رَأسَــهُ
أَلاَ إِنَّمَــا بَعْدَ القَشِيبِ مَشِيـــبُ
مَــدَدْتُ بِــهِ كَــفِّي إِلَيْهِمْ كَأَنَّــهُ
رِشَــاءٌ وَمِنْ قَلْبِ الكَمِيِّ قَلِيـــبُ

ولـــه أيضـــا:

أَمَالِكَــتَيْ قَلْبِ الكَئِيبِ تَعَطُّفــاً
بِسَاكِنَــتَيْ رَبْعِ الضُّلُوعِ تَرَحُّمَــا
عَلَى هَائِــمٍ أَعْيَاهُ حَمْلُ غَرَامِــهِ
وَأَعْقَبَــهُ فَــرْطُ الغَــرَامِ تَأَلُّمَــا
فَلَــمْ يُبْــقِ فِيهِ البَيْنُ إِلاَّ تَنَفُّسَــا
وَلَمْ يُبْــقِ فِيهِ الشَّوْقُ إِلاَّ تَوَهُّمَــا

ــ **ثـــم أبـــو يحـــيى زكريـــاء بـــن يحـــيى بـــن عبـــد الواحـــد بـــن أبي حفـــص الهنتـــاتي المصمـــودي** (تـــوفي ببجايـــة سنـــة 646هـــ/1248م)؛ وهـــو ولي عهـــد أبي زكريـــاء؛ ولكنـــه تـــوفي في حياتـــه؛ حينمـــا كـــان ببجايـــة؛ واليـــا عليهـــا؛ مـــن طـــرف أبيـــه.

"

ـ ثم أبو عبد الله المستنصر بالله محمد ابن أبي زكرياء يحيى الحفصي الهنتاتي المصمودي (ت: سنة 675هـ/1276م)؛ في عهده أسقط المغول الخلافة العباسية ببغداد؛ فانتهز هذه الفرصة؛ فأعلن نفسه خليفة للمسلمين؛ وبالفعل وصلته بيعة نيلبة عن أهل مكة؛ خصه بها عبد الحق بن سبعين. ويبدو أنه كان متقلب المزاج؛ فكان سرعان ما ينقلب على المقربين منه. وهو الذي أمر بقتل ابن الأبار؛ بسبب بعض الوشايات في حقه؛ فعذب قبل قتله، وأحرقت كتبه، ومؤلفاته؛ ويقال أنها كانت نحو خمسة وأربعين تأليفا.

ـ ثم أبو زكرياء الواثق يحيى بن محمد المستنصر الحفصي الهنتاتي المصمودي (توفي بعد 678هـ/1279م)؛ افتتح عهده بإطلاق المساجين، ورفع المظالم كافة، وإلغاء المكوس، والسعي لبناء، وترميم المساجد؛ ومنها جامع الزيتونة؛ والإحسان إلى الجند. ولكن اتضح فيما بعد أنه كان ضعيفا، وخاملا؛ فترك شئون دولته بيد كاتبه وصاحب علامته الفقيه يحيى بن أبي مروان فاستبد عليه. وكان مكروها؛ فأساء لنفسه، وللسلطان الواثق؛ فكان سببا في تحول الناس عنهما؛ والتطلع إلى الأمير أبي إسحاق؛

"

الموجود بالأندلس؛ فراسله بعضهم؛ طالبين إليه المسير إليهم؛ وإنقاذ الدولة. فلم يتردد أبو إسحاق في ذلك؛ وهو المعارض؛ واللاجئ السياسي لدى ابن الأحمر؛ فسارع بالذهاب إلى إفريقية؛ بمساعدة سلطان تلمسان؛ فأسقط الواثق، واعتقله، وعذب حتى مات.

ــ ثم **أبو محمد عبد الحق بن تفراجين** (تفراكين) **التينملي المصمودي** (كان حيا سنة 681هـ/1282م)؛ وهو من شيوخ الموحدين في تونس. أسند إليه الدعي مهمة تأديب الأعراب؛ فأتمها.

ــ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي المصمودي** (توفي مقتولا سنة 682هـ/1283م)؛ بعد أن أسقط الواثق؛ نكل به، وبأسرته، وحاشيته؛ فهرب من بينهم أحد فتيان المستنصر إلى المغرب؛ حيث تآمر مع مغامر من أهل بجاية يدعى ابن أبي عماره؛ وعرف ــ فيما بعد ــ بالدعي. وقد تسببت هذه المؤامرة في قتل أبي إسحاق ببجاية، وهلك أبنائه. ويبدو أنه غير صالح للحكم؛ فمما قاله ابن القنفذ: ((**وكان الأمير أبو إسحاق فيه غلظة، وشجاعة، وخفة،**

"

وغيبة عن مجلسه؛ في لهوه، وأنسه. وكان ل ينظر في عواقب الأمور... واستولت العرب في أيامه بتونس على القرى، والمنازل، ونهبوا الأموال، والحريم. وهو أول من كتب البلاد الغربية للعرب بالظهائر؛ وزاد في العوائد؛ ليجد الراحة في لذاته؛ بعد تقدم غزواته؛ وقلت المجابي، في أيامه، وكثر الإخراج والإنفاق)).[1]

ــ ثم أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي المصمودي (ت: سنة 694هـ/1294م)؛ كان عاقلا، وحليما، وكريما؛ ويعظم العلماء؛ اشتهر خلال عهده بالتسامح، وعدم إراقة الدماء. ومع اتصاف أيامه بالهناء والأمن والعدل؛ إلا أنها عرفت غزوا من طرف النصارى؛ الذين اعتدوا على جربة والمهدية؛ فعاثوا بهما فسادا. هذا بالإضافة إلى عبث الأعراب، واستبدادهم بالقرى، والبوادي. ومن جهة أخرى طمع في الاستيلاء على الدولة؛ الأمير أبي زكرياء ابن السلطان أبي إسحاق؛ الذي اقتطع قسنطينة، وبجاية.

---

[1] **الفارسية، ص: 139.**

"

ـ ثم **مسلم بن سعيد التنملي المصمودي** (توفي بغرناطة سنة 698هـ/1298م)؛ كان من عامة الناس؛ فتمكن بذكائه ودهائه وكفايته من التقرب إلى سلطان بني نصر محمد بن محمد بن يوسف؛ ثاني ملوكهم؛ فأسند إليه خطة الحفازة؛ وهي التي ينظر صاحبها في عموم الجبايات، وجمع الأموال، ومعاقبة المتهاونين، والمتحايلين؛ فعظم شأنه، واشتدت سطوته؛ ونمت ثروته؛ فصاهر البيوتات الكبيرة، ،أضحى من عظماء خدام الدولة. ويبدو أن ولي العهد كان يحقد عليه؛ لشيء في نفسه منه. فكان ينتظر فرصة وصوله إلى سدة الحكم؛ لي يشفي غليله منه؛ ولكن شاءت الظروف أن يموت مسلم قبل تملكه. فلما اعتلى السرير ـ بعد مدة ـ نبش قبر مسلم، واحرق رفاته. وبذلك أطفأ نار حقده.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن إبراهيم بن أبي زكرياء الحفصي الهنتاتي المصمودي** (توفي ببجاية سنة 700هـ/1300م)؛ كان قد نجى إلى تلمسان أيام أبي عمارة؛ فتمكن من الاستيلاء على بجاية، وقسنطينة وتشيد إمارة بهما؛ فقسم الدولة إلى دولتين. ثم حاول الاستيلاء على تونس؛ ولكنه فشل. كان حكمه في إمارته

"

محمودا؛ إذ عرف بحسن السيرة، والعدل بين الناس، والبعد عن المنكرات.

ــ ثم **أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن أبي زكرياء الحفصي الهنتاتي المصمودي** (ت: سنة 709هـ/1309م)؛ حاول استعادة قسنطينة ــ بعد اعتلائه سدة الحكم ــ ولكنه أخفق. وفي وقته هدد النصارى تونس؛ ثم عادوا من حيث أتوا.

ــ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد المزدوري الهنتاتي المصمودي** (كان حيا سنة 711هـ/1311م)؛ وهو من أعيان الموحدين؛ كان شيخا لدولة زكرياء بن اللحياني؛ وكان له دور كبير في وصول ابن اللحياني إلى الحكم. يبدو أنه كان ينظم شيئا من الشعر؛ إذ أورد له التجاني بيتين من الرجز؛ قالهما عندما اضطر لسكنى بلد بين سفاقص وطرابلس؛ يسمى عيون وَذرفْ:

هَذِي عُيُونُ وَذرِفِ ... دَعِ العُيُونَ تَذرِفِ
بَدِّلْتُ مِنْ أرْضِي بِهَا ... وَا أسَفِي وَا أسَفِي

"

ـ ثم **أبو يحيى زكرياء بن أحمد بن اللحياني الحفصي الهنتاتي المصمودي** (توفي بمصر سنة 728هـ/1327م)؛ استولى على الحكم بعد عودته من الحج؛ فوجد البلاد قد تغلبت عليها قبائل الأعراب؛ من بني هلال وسليم. بالإضافة إلى الانشقاقات بين أفراد العائلة المالكة؛ لذا فقد حدث له ما سبق أن أحدثه هو لغيره؛ إذ خرج عليه أمير بجاية وقسنطينة؛ فلم يمهله طويلا؛ حتى استولى على دولته. فلجأ بأمواله، وذخائره إلى مصر؛ أين توفي بها. وكان إلى جانب مرتبته السلطانية فقيها، وأديبا، وله منظومات شعرية.

ـ ثم **أبو بكر بن يحيى بن أبي إسحاق إبراهيم الحفصي الهنتاتي المصمودي** (ت: سنة 747هـ/1346م)؛ زحف من قسنطينة ـ مسقط رأسه ـ إلى تونس؛ حيث افتك الحكم من اللحياني؛ واعتلى سدة الحكم بها. عرفت فترة حكمه حروبا شديدة؛ بينه وبين بني عبد الواد؛ الذين تمكنوا من احتلال تونس لبعض الوقت. ولكنه استرجعها؛ بدعم من بني مرين. كما استطاع التكيف ـ بذكاء ـ مع الوضع المردي في إفريقية؛ بسبب تغلب الأعراب على أغلب جهاتها.

"

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن تفراجين (تفراكين) التينملي المصمودي** (توفي قتيلا سنة 747هـ/1346م)؛ كان وزير في الدولة الحفصية.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن تفراجين (تفراكين) التينملي المصمودي** (توفي بتونس سنة 766هـ/1364م)؛ وهو الحاجب الوزير بالدولة الحفصية؛ ذاع صيته، واستفحل أمره؛ حتى أضحى نفوذه يفوق نفوذ السلطان الحفصي نفسه.

ـ **أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن بن أبي هلال الهنتاتي المصمودي** (كان حيا سنة 769هـ/1367م)؛ كان وزيرا في الدولة الحفصية.

ـ ثم **عامر بن محمد بن علي الهنتاتي المصمودي** (توفي مقتولا سنة 771هـ/1369م)؛ وهو من كبار زعماء هنتاتة؛ ترعررع في ظل الدولة المرينية؛ إذ كان أباه، وعمه في خدمة الدولة؛ منذ قيامها؛ فتوليا الجباية. ولما كبر عامر هذا؛ التزم بخدمة السلطان أبي الحسن؛ فأخلص له، وتفانى في الحفاظ على أمواله، وأبنائه. وقد وصفه ابن الخطيب، بصفات جليلة؛ كما أورد ابن خلدون جملة من أخباره؛ التي تدل على منزلته الرفيعة بين بني مرين.

"

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن يحيى بن أبي إسحاق إبراهيم الحفصي الهنتاتي المصمودي** (ت: سنة 796هـ/1393م)؛ كان أميرا على بجاية وقسنطينة؛ فزحف على تونس، وأحتلها بالقوة؛ ثم اعتلى سدة الحكم بها. وقد أعاد الاستقرار إلى الدولة؛ بفضل حزمه، وحنكته. كما استرجع الأمصار التي تغلبت عليها قبائل بني هلال؛ فثاروا عليه؛ ولكنه أخضعهم بالمطاولة. وفي وقته هجمت جيوش جنوة على المهدية؛ ففشل مسعاهم.

ـ **إبراهيم ابن الكاتب أبي يعقوب يوسف ابن القائد إبراهيم الغماري المصمودي** (ت: سنة 798هـ/1395م)؛ وهو فقيه، وكاتب ببلاط الدولة الحفصية؛ كما ولي في بعض المهام السامية في الدولة.

ـ ثم **أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي الهنتاتي المصمودي** (ت: سنة 837هـ/1433م)؛ افتتح عهده بمواصلة ما شرع فيه والده؛ من تمهيد الدولة، وتعزيز سلطانها. وبالفعل فقد تمكن من استعادة بعض الهيبة إليها. كما حاول غزو مالطة؛ إذ قام جيشه بحصارها؛ دون جدوى، ثم غزا صقلية؛

"

فغنم جيشه منها بعض المغانم، وعاد. وتوفي بالقرب من ونشريس؛ وهو في طريقه لحرب سلطان تلمسان.

ـ ثم **محمد بن الحسن بن محمد الحفصي الهنتاتي المصمودي** (كان حيا سنة 981هـ/1573م)؛ وهو آخر السلاطين الحفصيين. سار على نهج بعض أسلافه؛ في التحالف مع الأسبانيين؛ ضد إرادة مواطنيه. فانتهى عهده بانهزامه أمام العثمانيين؛ برفقة حلفائه الأسبان؛ والهجرة معهم إلى أسبانيا؛ في السنة المذكورة.

***

ـ ***مواطنهم:*** تمتد مواطن مصمودة من منطقة الريف شرقا، إلى المحيط الأطلسي غربا. ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا، إلى تخوم تامسنا، ودكالة جنوبا. وتشمل جبال الأطلس الكبير؛ حيث تنتهي عند سفوحها المتصلة بإقليم السوس. ومنها تتجه حدودهم شرقا مع اتجاه السلسلة الجبلية؛ حتى بداية جبال الأطلس الأوسط؛ على مشارف تازة، وتادلا. وهناك

"

تجاورهم قبائل صناكة (صنهاجة) السابقة الذكر.[1]

....

10 ـ هسكورة:

وهم ـ كما سبق ذكره ـ من أبناء تصكي العرجاء. ولا يعرف لهم أب. اندرجوا ـ في عهد الموحدين ـ ضمن حلف مصمودة؛ بانتمائهم إلى الدعوة الموحدية؛ مع أن أغلبهم ـ في بداية الدعوة ـ كانوا معادين لها؛ ثم التحقوا بها لاحقا؛ بعد فتح مراكش؛ حاضرة الدولة المرابطية. وقد قسم صاحب كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب هسكورة إلى قسمين؛ هما: هسكورة القبلة، وهسكورة الظل. وذكر من أفخاذ القسم الأول سبعة أفخاذ؛ هم: **ايزمراون (زمراوة)**، **وايفسفيسن (فسفيسة)**، **وايكرنان (كرنانة)**، **وايمغران (مغرانة)**، **وايونيلن (نيلة)**، **وآيت ووارت (بنو واوارت)**، **وآيت يلفتن (بنو يلفتن)**. أما القسم الثاني فإحدى عشر فخذا؛ هم: **ايزمراون** (زمراوة)، **ايسايوين** (سايوية)، **ايصاد** (صادة)، **ايغجدامن** (غجدامة)، **اينتيفت**

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 428 . 436. 460 ـــ 462.

"

(هنتيفة)، **آيت سكور** (بنو سكور)، **ايـن لسيد** (لسيدة)، **ايـن ماصوص** (ماصوصة)، آيت **مصطاو** (مصطاوة)، **ايـن ميمنونة** (ميمنونة)، **ايـن ولتان** (هلتانة).[1]

أما ابن خلدون فقال أن لهسكورة بطونا عديدة، وواسعة؛ أهمهم:[2] **نتيفت وبنو رسكونت وزمراوة وغجرامة وفطواكة ومصطاوة وبنو نفال.** وقد برزت منهم أحياء: **انتيفت وفطواكة وبنو نفال.** فالرئاسة في **انتيفت** محصورة في أسرة **أولاد هنو**؛ ومنهم **يوسف بن كنون**؛ صاحب حصن تاقيّوت، وأولاده هم: علي ومخلوف وهلال بن مخلوف. وكانت **لأنتيفت** مواقف مضطربة تجاه الدولة؛ تميل إلى الطاعة أحيانا، وتجنح إلى العصيان أحيانا أخرى. أما **فطواكة** فهم أوسع بطون هسكورة، وأكبرها؛ وعليه فرئاستهم في هسكورة هي الأعظم والأهم؛ ولرؤسائهم ميزة الاجتماع، والاتصال بملوك الدولة؛ الذين يرجعون إليهم عندما يتعلق الأمر ببطون هسكورة كلها. كانت رئاستهم أيام المأمون (سلطان بني عبد المؤمن)،

---

[1] ص: 44.

[2] العبر، مج: 6، ص ص: 420 ـــ 424. 552 ـــ 556.

"

وابنه الرشيد؛ ممثلة في شخص **عمر بن وقاريط الهسكوري**؛ ثم خلفه على رئاسة القبيلة **مسعود بن كلداسن**. وقال ابن خلدون أن الأسرة التي تترأس **فطواكة**، ومن ورائها هسكورة كلها؛ هي أسرة **بني خطاب**؛ الذين ينتسبون إلى جدهم مسعود بن كلداسن. وكانت فطواكة ــ بدورها ــ متقلبة في ولائها للدولة الموحدية. ولما ظهر بنو مرين؛ انحازت فطواكة إليهم؛ فتعزز موقف رؤسائهم (من بني خطاب)؛ داخل قبيلتهم هسكورة. ويبدو أن أبرز المهام التي كانت تسندها الدول المختلفة إلى أولئك الرؤساء؛ هي جمع المغارم، والجباية، داخل قبائلهم، ثم حشد المقاتلين؛ ووضعهم في خدمة الدولة.

ومع هذا يرى ابن خلدون بأن هسكورة كانت في منعة من قهر الدولة؛ إذ يقول: **((واعتصم هسكورة هؤلاء بمعقلهم، واعتزوا فيه بمنعتهم؛ فلم يغمسوا في خدمتهم يدا،** (الكلام هنا عن بني مرين) **ولا أعطوهم مقادا، ولا رفعوا بدعوتهم راية؛ إنما هي منابذة لأمرهم، وامتناع عليهم سائر الأيام. فإذا زحفت الحشود، وتمرست بهم العساكر؛ دافعوا**

"

بطاعـة معروفـة، وإتـاوة غيـر ملزمـة؛ ورئيسهـم مـع ذلـك يستخلـص جبايتهـم لنفسـه، ويدفعهـم في المضايـق لحمايتـه؛ وربمـا تخطاهـم إلى بعـض قبائـل الجبـل، ومـن قاربـه مـن أهـل بسائـط السـوس)).[1] أمـا **بنـو نفـال**؛ فهـم ــ كذلـك ــ ممـن حـاول مقاومـة نفـوذ الدولـة؛ ولكنهـم أذعنـوا لقوتهـا، وغلبتهـا. وقـد انحصـرت الرئاسـة فيهـم ضمـن أسـرة **أولاد تروميـت**؛ ومنهـم **علـي بـن محمـد**؛ الـذي تـرأس عليهـم في عهـد أبي سعيـد، وابنـه أبي الحسـن المريـني.

! ! !

ــ ***أعيانهـم:*** مـن أعـلام هسكـورة، وعلمائهـا الأعيـان:

ــ **أبـو عبـد اللـه بـن شعيـب الهسكـوري** (تـوفي بتونـس سنـة 664هـ/1265م)؛ وهـو مـن العلمـاء الزهـاد.

ــ ثـم **أبـو محمـد صالـح الهسكـوري** (تـوفي بفـاس قبـل سنـة 712هـ/1312م)؛ وهـو فقيـه؛ مـن أهـل الزهـد، والـورع.

---

[1] **العبـر، مج: 6، ص ص: 552 ـــ 553.**

"

ـ ثم **أبو محمد عبد الله الهسكوري** (ت: سنة 716هـ/1316م)؛ فقيه.

ـ ثم **أبو عمران موسى بن يموين بن باكرين بن ياسين بن العلم بن زيري الهسكوري** المعروف بالبخاري (كان حيا سنة 723هـ/1323م)؛ كان من أقدر الناس ـ في وقته ـ على الحفظ؛ فكان يستظهر كتاب سيبويه، ومتون في الفقه. عرف بصلابته، وحبه لإظهار المخالفة.

ـ ثم **أبو محمد عبد الحق الهسكوري** (كان حيا سنة 770هـ/1368م)؛ فقيه؛ تصدر للتدريس بفاس.

***

ـ ***مواطنهم:*** تتواجد مواطن هسكورة بجبال درن، ومنها إلى تادلا من الجهة الشرقية؛ ثم إلى درعة من ناحية الجنوب. وهذا نص لابن خلدون يصف فيه حال هسكورة، وموطنها: **((وأما هسكورة فكان لهم بين الموحدين مكان، واعتزاز؛ بكثرتهم، وغلبهم؛ إلا أنهم كانوا أهل بدو، ولم يخالطوهم في ترفهم، ولا أنعموا في نعيمهم. وكان جبلهم الذي أوطنوه**

"

من حاله؛ دون القنة منها، والذروة. واعتصموا منه بالآفاق الفدد، واليفاع الأشم، والطود الشاهق؛ قد لمس الأفلاك بيده، ونظم النجوم في مفرقه، وتلفع بالسحاب في مروطه، وآوى الرياح النجوم في مفرقه، وتلفع بالسحاب في مروطه، وآوى الرياح العواصف الدجوة، وألقى إلى خبر السماء بإذنه، وأظل على النجوم في مفرقه، وتلفع بالسحاب في مروطه، وآوى الرياح العواصف الدجوة، وألقى إلى خبر السماء بإذنه، وأظل على البحر الأخضر بشماريخه، واستدبر القفر من بلاد السوس بظهره، وأقام سائر سائر جبال درن في حجره)).[1]

....

[1] العبر، مج: 6، ص: 552.

"

إضافــــة

هــذا مــا أمكــن إثباتــه في هــذا الكتــاب؛ بخصــوص القبائــل الأمازيغيــة؛ الــتي كانــت معروفــة في العصــر الاســلامي. ولكــن ثمــة معلومــات أخــرى متفرقــة تشيــر إلى بعــض الأعــلام؛ مــن الأمازيــغ وإلى نشاطاتهــم؛ دون أن تنسبهــم إلى قبيلــة تذكــر؛ وقــد اكتفــت المصــادر بذكــر الجــذم أو الشعــب الــذي يرجعــون إليــه؛ فاستعملــت عبــارة: البرنــسي، أو البربــري؛ دون تخصيــص. وعليــه فــلا مانــع مــن ذكــر بعــض الأعيــان عــلى هــذه الصــورة؛ لمــا لهــم مــن أهميــة، وتفــوق في المجــالات العلميــة، والأدبيــة، والسياسيــة. ومــن هــؤلاء:

ـ **رزيــن البرنــسي** (مــن أعــلام النصــف الثــاني مــن القــرن الأول للهجــرة)؛ ربمــا كــان هــو الجــد الأول لبــني رزيــن الهوارييــن؛ قبــل انتقالهــم إلى السهلــة؛ المعروفــة بهــم؛ خاصــة وأن هــوارة مــن البرانــس. وفي القــرون المتقدمــة؛ كــان اســم الجــذم (برنــس أو أبتــر) هــو البــارز، والمهيمــن؛ حيــث كــان ينتســب إليــه أبنــاؤه مباشــرة. و نقــل ابــن حيــان عــن الــرازي خبــرا مفــاده؛ أن رزيــن هــذا هــو أول مــن اختــط منيــة الرصافــة بقرطبــة؛ وليــس

"

عبد الرحمن الداخل كما اشتهر. ومما قاله: ((وكانت خطة منية الرصافة هذه في الإسلام لرزين البرنسي؛ أحد أكابر رجال البربر الداخلين إلى الأندلس في جيش طارق؛ وإليه ينسب البلاط الذي بها، والزيتون الذي بازائها؛ فكان المختط للرصافة. ولرزين هذا آثار كثيرة بقرطبة وغيرها؛ منها المسجد المنسوب إليه بالربض الغربي؛ وينسب إليه أيضا الجنان التي تجاور عين قُبَّش بذلك الربض. وانتقلت الرصافة عن ورثتها؛ فاشتراها الأمير الداخل عبد الرحمن بن معاوية)).[1]

ـ ثم أبو عبد الله عكرمة البربري مولى ابن عباس رضي الله عنه (ت: سنة 105هـ/723م)؛ قال فيه المالكي: ((كان كثير الرواية عن مولاه، وعليه معتمده، وروى عن عبد الله ابن عمر بن العاص، وعن أبي هريرة؛ وروى عنه خلق يطول ذكرهم. أدخله مالك في موطئه؛ وكنى عن اسمه فقال: "أخبرني مخبر عن ابن عباس"؛ وهو عكرمة... وقيل لسعيد ابن جبير: "تعلم أحدا أعلم منك؟" قال:

[1] المقتبس؛ تحق مكي، ص: 234.

"

"نعم؛ عكرمة". قال قتادة: "أعلم الناس بالتفسير عكرمة". قال أبو بكر: وقد اختلف بالحديث في عكرمة؛ فممن وثقه وأثنى عليه يحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأبو الحسن الكوفي، وإسماعيل القاضي؛ وضعفه غيرهم؛ ولكنهم متفقون على حفظه، ومعرفته بالعلم، وتفسير القرآن الكريم". دخل عكرمة إفريقية، وأقام بالقيروان، وبث بها العلم؛ وكان مجلسه في مؤخر جامع القيروان في غربي الصومعة. [قال] أبو العرب: "ذكر أحمد بن صالح أن أصل عكرمة من بربر إفريقية؛ وذكر غيره أنه من سبي إفريقية. اشتراه (أي باعه) [ولد] ابن عباس. فقيل له: "أتبيع علم أبيك"؟؛ فاسترده، وأعتقه... توفي هو وكُثَيِّر عزة في يوم واحد؛ وصلي عليهما جميعا؛ فقيل: "مات أشعر الناس، وأعلم الناس".)).[1]

---

[1] رياض النفوس، ج: 1، ص ص: 145 ــ 146.

ـ ثم **ميمون بن سعد البربري** مولى الوليد ابن عبد الملك (من أعلام النصف الأول من القرن الثاني للهجرة)؛ دخل الأندلس مع عبد الرحمن بن معاوية سنة 138هـ/755م. وولاه عبد الرحمن على طليطلة. وهو الذي قتل يوسف الفهري.

ـ ثم **حبيب البرنسي** (كان حيا سنة 236هـ/850م)؛ ثار في السنة المذكورة بالجزيرة الخضراء على عبد الرحمن بن الحكم؛ فاجتمع إليه عدد كبير من الثوار؛ ولما نهض الأمير عبد الرحمن إليه؛ سبقه جمع من البربر؛ إلى ملاقاة الثوار، وقمعوا ثورتهم؛ ولكن قائدهم حبيب البرنسي هذا تمكن من النجاة؛ ثم اختفى ذكره نهائيا.

ـ ثم **داود بن ميمون بن سعد البربري** (من أعلام القرن الثاني للهجرة)؛ لم يتجه نحو دروب الحكم، والسلطان؛ مثلما كان أبوه؛ ولكنه وانغمس في العبادة، والزهد؛ فأضحى بذلك مثالا صادقا للزهد والنسك والورع.

"

ـ ثم **أبو القاسم عباس بن فرناس التاكرني البربري** (ت: سنة 274هـ/887م)؛ كان شاعرا فحلا، وعالما في الهندسة، والكيمياء، والحكمة، والتنجيم؛ فكان بذلك موسوعة يجمع علوما، وفنونا عديدة. ومما قاله فيه صاحب المُغْرب: **((ذكر ابن حيان أنه نجم في عصر الحكم الربضي؛ ووصفه بأنه حكيم الأندلس؛ الزائد على جماعتهم بكثرة الأدوات، والفنون. وهو مولى بني أمية، وبيته في برابر تَاكُرُنَّا. وكان فيلسوفا حاذقا، وشاعرا مُفْلقاً؛ مع علم التنجيم. وهو أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة، وأول من فك بها كتاب العروض للخليل؛ وكان صاحب نَيْرَنْجَات؛ كثير الاختراع والتوليد، واسع الحيل؛ حتى نسب إليه السحر، وعمل الكيمياء؛ وكثر عليه الطعن في دينه. واحتال في تطيير جثمانه؛ فكسا نفسه الريش على سَرَقِ الحرير؛ فتهيأ له أن استطار في الجو؛ من ناحية الرصافة، واستقل في الهواء؛ فحلق فيه حتى وقع على مسافة بعيدة. وقال فيه مؤمن** [بن سعيد]:

"

يَطُـــمُّ عَلَى العَنْقَـــاءِ فِي طَيَرَانِهَـــا
إِذَا مَا كَسَا جُثْمَانَهُ رِيشَ قَشْعَـــمِ

وتــوفي في أعقــاب أيــام محمــد بــن عبــد الرحمــن سنــة أربــع وسبعيــن ومائتيــن. فتــداول صحبــة السلاطيــن الثلاثــة؛ مدحهــم أجمعيــن؛ وعمــل المنقانــة؛ لمعرفــة الأوقــات، ورفعهــا للأميــر محمــد)).[1] أمــا المقــري فيقــول فيــه: ((ومــن حكاياتهــم في الذكــاء، واستخــراج العلــوم، واستنباطهــا؛ أن أبــا القاســم عبــاس ابــن فرنــاس؛ حكيــم الأندلــس؛ أول مــن استنبــط بالأندلــس صناعــة الزجــاج مــن الحجــارة، وأول مــن فــك بهــا كتــاب العــروض للخليــل، وأول مــن فــك الموسيــقى... وطــار في الجــو مسافــة بعيــدة؛ ولكنــه لــم يحســن الاحتيــال في وقوعــه؛ فتــأذى في مؤخــره؛ ولــم يــدر أن الطائــر إنمــا يقــع علــى زَمكِّــه؛ ولــم يعمــل لــه ذنبــا... وصنــع في بيتــه هيئــة السمــاء؛ وَخَيَّــل للناظــر فيهــا النجــوم، والغيــوم، والبــروق، والرعــود. وفيــه يقــول مؤمــن ابــن سعيــد أيضــا:

[1] المغــرب في حــلى المغــرب، ج: 1، ص: 333.

"

سَمَـــاءُ عَبَـــاسٍ الأَدِيـــب أبي الـــ
ـــقَاسِمِ نَاهِيكَ حُسْنُ رَائِقِهَـــا)).[1]

كمـــا يعـــد **عبـــاس بـــن فرنـــاس** مـــن الشعـــراء الممتازيـــن في بـــلاد الأندلـــس؛ وهـــذه عينـــات مـــن شعـــره؛ وهي قصيـــدة هنـــأ بهـــا الأميـــر محمـــد بـــن عبـــد الرحمـــن بالخلافـــة؛ جـــاء فيهـــا:

مَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّى أشْرَقَ القَمَـــرُ
مُحَمَّـــدٌ فَارْتَضَـــاهُ اللَّـــهُ وَالبَشَـــرُ
يَا لَيْلَة أسْفَرَتْ قَبْلَ الصَّبَـــاحِ عَنِ الـــ
ـــمَهْدِيِّ يَفْدِيكَ مِنِّي السَّمْعُ وَالبَصَـــرُ
لَتُطْبِقَـــنَّ عَـــلَى الدُّنْيَـــا خِلاَفَتُـــــهُ
سَمَـــاءَ جَوْدٍ لَهَا مَاء اللُّـــهَى مَطَـــرُ
وَيَهْلِكُ الشركُ فِي أقْـــصَى مَدَاخِلِـــهِ
حَـــتَّى يَغِيـــبَ فَلاَ يُـــدْرَى لَهُ أثَـــرُ
بِـــذاكَ تُخْبِرُنَا غُـــرُّ النُّجُـــوم كَمَـــا
أوْحَى إلَيْهَا بِـــذاكَ الشَّمْسُ وَالقَمَـــرُ

وقـــال بعـــد إتمـــام توسيـــع المسجـــد الجامـــع:

مَحَمَّـــدٌ خَيْرُ مُسْتَرْعًى وَمُؤتَمِـــن
لِلْمُسْلِميـــنَ جَمِيعاً حَيْثُمَا كَانُـــوا

---

[1] نفـــح الطيـــب، ج: 3، ص: 374.

"

بَنَى لَهُمْ مَسْجِــداً جَلَّتْ عَجَائِبُــهُ
لَوْلَاَ السَّمَــاءُ لَمَا ضَاهَــاهُ بُنْيَــانُ
كَــذَا يَكُونُ الإمَامُ المُرتَضَى أبَــداً
أقْــوَى صَبَابَاتِــهِ تَقْــوَى وَإيمَــانُ

وعنــد إنجــاز الأعمــال الإضافيــة لمنيــة الرصافــة أعــد قصيــدة طويلــة؛ نذكــر منهــا:

وَأعْرَافُــهُ الشُّــمُّ الــتِّي لاَحَ دُونَهَــا
نُجُومُ الثُّرَيَّــا وَالسِّمَاكَيْــنِ وَالغَفْــرِ
إذَا بَلَــغَ النَّضْــرُ المُكَثَّــرُ فَرْعَهَــا
وَصَوَّبَ لَمْ يَبْلُغْ إلَى الأرْضِ فِي شَهْــرِ
لَهَا الغُرَفُ البيضُ التِّي يَضْحَكُ الضُّحَى
وَتُلْحِفُهَــا مِنْ نُورهَا فِي سَنَــا الغُــرِّ
كَــأنَّ قُصُــورَ الأرْضِ بَعْدَ تَمَامِــهِ
نُتُوءُ الذرَى أخْفَى شُخُوصاً مِنَ الــذرِّ
وَتَنْتَشِــرُ الأبْصَارُ مِنْهَا إلَى مَدَى التـَّ
ــنَــزُّهِ بالأطْيَارِ وَالوَحْــشِ وَالزَّهْــرِ
وَأعْجَــبُ منْ أفْيَائِهَــا الغُــرَرُ الَّــتِي
يَقِيــلُ بهنَّ البَــرْدُ فِي غُــرةِ الحَــرِّ
يَنِــمُّ بِأخْــفَى سِرِّهَــا غَيْــرَ كَاتِــمٍ
صَدَاهَــا فَأخْفَى السِّرِّ فِيهَا مِنَ الجَهْــرِ
كَأنَّ الَّذي يُخْفِي الحَدِيــثَ بنَجْوِهَــا
عَلَى أخْفَضِ الأصْوَاتِ يَشْدُو عَلَى وِتْرِ

"

نؤومُ الضُّحَى ضَافِي العُلَى سَجْسَجُ السَّنَا
تُــضِيء بلاَ شَمْسٍ عَلَيْهَا وَلاَ بَــدْرِ
وَيَاحَبَّــذَا أنْبَاتُهَــا الخُضْــرُ حَوْلَهَــا
وَأنْهَارُهَا البيضُ التِي تَحْتَهَــا تَجْــرِي
تَــرَى البَاسِقاتِ النَّاشِرَاتِ فُرُوعَهَــا
موَائِــسَ فِيهَــا مِنْ مُزَاوَلَــةِ الوَفْــرِ
كَأنَّ صِبَاغــاً صِيــغَ فَوْقَ غُصُونِهَــا
مِنَ الذهَب النَّارِيِّ عَرَاجِينَ مِنْ تَمْــرِ
تَبَدَّلْــنَ حَــالاَتٍ ثَلاَثــاً لَهُــنَّ فِي
مَصُوغِ الحُلَى شَكْلٌ وَفِي الجَوْهَرِ النَّضْرِ
نَشَتْ لُؤلُــؤاً ثُمَّ اسْتَحَالَــتْ زُمُــرُّداً
يَعُودُ إلَى العِقيَانِ بَعْــدَ جَــنى البُسْــرِ
وَقَدْ يُشْتَهَى مِنْهَا شَــرَابٌ ألَــذُّ مِنْ
تَضَرُّعِ مُشْتَــاق إلَى عَاشِــقِ الكِبْــرِ
وَمِنْ أرجَــاتٍ فِي الغُصُــونِ كَأنَّهَــا
خُدُودُ عَذَارَى فِي مَقَانِعِهَا الخُضْــرِ

إلى أن يقــول:

يُغــَرِّدُ فِيهَا كُلُّ مُخْتَضِــبِ الشَّــوَى
مُوَشَّى القَرَا قَانِي الطُّلَى أخْضَرَ الصَّدْرِ
إلَى كُلِّ سَلْتَــاءِ أضَاعَــتْ خِضَابَهَــا
مُدَبَّجَةِ الكَشْحَيْــنِ وَالبَطْنِ وَالظَّهْــرِ

"

إذَا مَا اسْتَهَلَّتْ فِي شَجيٍّ غِنائِهَا
يُنَسِّيكَ تَرْجاعَ اليَرَاعِ بِلاَ زَمْرِ

ثم يقول:

وَكُلِّ بَدِيعٍ فِيهِ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ
مِنَ الطَّيْرِ وَالنِّينَانِ وَالتَّمْرِ وَالقُمْرِي
وِرَاثَةَ آبَاءِ تَوَلَّوْا خَلاَئِفٍ
بَهَالِيلَ أَمْلاَكٍ خَضَارِمَةٍ زُهْرِ

ولما صنع المنقانة (الساعة) نقش فيها أبياتا من نظمه؛ هي:

ألاَ إنَّنِي لِلدِّينِ خَيْرُ أدَاةِ
إذا غَابَ عَنْكُمْ وَقْتُ كُلِّ صَلاَةِ
وَلَمْ تُرَ شَمْسٌ بالنَّهَارِ وَلَمْ تُنِرْ
كَوَاكِبُ لَيْلٍ حَالِكِ الظُّلُمَاتِ
بِيُمْنِ أمِيرِ المُسْلِمِينَ مُحَمَّدٍ
تَجَلَّتْ عَنِ الأوقَاتِ كُلُّ صَلاَةِ

ومن مقطوعاته الشعرية التي كان يعدها للتلحين والغناء؛ هذه الأبيات التي كتبها بالذهب على تفاحة؛ ثم قدمها إلى الأمير محمد؛ الذي أمر أن تغنى:

"

تُفَّاحَــةَ مُصْفَــرَّة البَعْــضِ
بخَوْفِهَــا مِــنْ أَلَــمِ العَــضِّ
أَمَّنْتَهَــا ذَاكَ وَكَتَّبْتُهَــــا
حُسْنــاً بِذَا مِنْ ذَهَبٍ مَحْــضِ
وَقُلْتُ فِيهَا الحَقَّ مِنْ بَعْدِ ذَا
وَمَا لِقَــوْلِ الحَــقِّ مِنْ نَقْــضِ
"مُحَمَّدٌ أَكْرَمُ مُسْتَخْلَــفٍ
مِــنْ خُلَفَــاءِ اللَّــهِ فِي الأَرْضِ"

وفي أخــرى يقــول:
تَحَفَّظْ مِنَ الهِجْرَانِ إنْ كُنْتَ تَقْــدِرُ
يَمُوتُ الفَتَى فِي حُبِّــهِ حِينَ يَهْجُــرُ
فَأَمَّــا إذا مَا بَــانَ عَنْــهُ حَبِيبُــهُ
فَلاَ شَــكَّ فِيــهِ: ذلِكَ اليَوْمَ يُقْبَــرُ
رَأَيْــتُ أمِيــرَ المُؤمِنيــنَ مُحَمَّــداً
وَفِي وَجْهِــهِ بَــدْرُ المَجَــرَّةِ يُبْصِــرُ
هُمَامٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ تُلْقِي شُعَاعَهَــا
عَلَى الخَلْــقِ مِنْه حِينَ يَبْدُو وَيَظْهَــرُ

وقــال مادحــا:
وَمُخْتَلِفِ الأَصْوَاتِ مُؤتَلِفِ الزَّحْــفِ
لَهُومِ الفَــلاَ عَبْــلِ القَنَابِــلِ مُلْتَــفِّ

"

إذا أوْمَضَتْ فِيـــهِ الصَّـــوَارمُ خِلْتَهَـــا
بُرُوقاً تَرَاءَى فِي الجِهَـــامِ وَتَسْتَخْـــفِي
كَـــأنَّ ذُرَى الأعْـــلامَ فِي سَيلانِـــهِ
قَرَاقِيـــرُ يَمٍّ قَدْ عَجَـــزْنَ عَنِ القَـــذفِ
وَإنْ طَمَحَـــتْ أرْكَانُـــهُ كَانَ قُطْبُـــهُ
حِجَى مَلِكٍ نَجْـــدٍ شَمَائِلُـــهُ عَـــفٍّ
سَـــمِيٍّ خِتَـــامَ الأنْبَيَـــاء مُحَمَّـــدٍ
إذَا وُصِفَ الأَمْلاَكُ جَلَّ عَنِ الوَصْفِ
فَمِـــنْ أجْلِـــهِ يَوْمَ الثُلاثَـــاء غَـــدْوَة
وَقَدْ نَقَضَ الإصْبَاحُ جُلَّ عُرَى السَّجفِ
بَكَى جَبَـــلاً وَادِي سَلِيـــطٍ فَأعْـــوَلاَ
عَلَى النَّفَـــرِ العُبْدَانِ وَالعُصْبَةِ الغُلْـــفِ
دَعَاهُـــمْ صَرِيخُ الحَيْـــنِ فَاجْتَمَعُوا لَـــهُ
كَمَا اجْتَمَعَ الجُعْـــلاَنُ لِلْبَعْـــرِ القُـــفِّ
يُرِيـــدُونَ إرْعَـــابَ الأمِيـــرِ جَهَالَـــة
بسَعْرِ كِلاَب الحَرْب فِي حَشْوَةِ العَصْفِ
فَمَا كَـــانَ إلاَّ أنْ رَمَاهُـــمْ بِبَعْضِهَـــا
فَوَلَّـــوْا عَلَى أعْقَاب مَهْزَلَـــة كُشْـــفِ
كَـــأنَّ مَسَاعِيـــرَ المَـــوَالِي عَلَيْهِـــمُ
زَمَامِيـــجُ حَادَتْ لِلْغَرَانِيـــقِ بالنَّشْـــفِ
بِنَفْسي تَنَانِيـــنَ الوَغَى حِينَ صَمَمَـــتْ
إلَى الجَبَلِ المَشْحُونِ صَفاً عَلَى صَـــفِّ

"

يَقُولُ ابْنُ بَلـــُّوشٍ لِمُـــوسَى وَقَدْ دَنَـــا
أرَاىً المَوْتَ قُدَّامِي وَتَحْتِي وَمِنْ خَلْفِي
قَتَلْنَاهُـــمُ أَلْفـــاً وَأَلْفـــاً وَمِثْلَهَـــــا
وَأَلْفـــاً وَأَلْفاً بَعْدَ أَلْـــفٍ إِلَى أَلْـــفِ
سِوَى مَنْ طَوَاهُ النَّهْـــرُ فِي مُسْلَحِبِّـــهِ
فَأَغْرِقَ فِيـــهِ أَوْ تَدَهْـــدَهَ مِنْ جُـــرْفِ
لَقَـــدْ نَعِمَـــتْ فِيَـــهِ غُـــزَاة نُسُورنَـــا
وَسَمَّعَتِ الذؤبَـــانُ قَصْفاً عَلَى قَصْـــفِ

ويقـــول أيضـــا:

يَا بْنَ الخَلائِـــفِ يَا مُحَمَّـــدُ يَا
مَـــنْ سَيْفُـــهُ فِي رَاحَـــةِ النَّصْـــرِ
مَا إِنْ تَقُومُ لِحُرٍّ بَأسِكَ فِي الـــ
ـــدُّنْيَـــا مُحَصَّنَـــة مِـــنَ الدَّهْـــرِ
أضْحَـــتْ طُلَيْطِلَـــة مُعَطَّلَـــة
مِـــنْ أَهْلِهَـــا فِي قَبْضَـــةِ الصَّقْـــرِ
تُرِكَـــتْ بلاَ أهْـــلٍ تُؤَهِّلُهَـــا
مَهْجُـــورَةَ الأَكْنَـــافِ كَالْقَبْـــرِ
مَا كَانَ يُبْـــقِي اللَّـــهُ قَنْطَـــرَة
أضْحَـــتْ سَبِيلَ كَتَائِـــبِ الكُفْـــرِ

"

وقـــال مهنئـــا بالنصـــر، وعيـــد الفطـــر معـــا:

إنَّ القفُـــولَ الَّذِي أوْفَى بعِيدَيْـــنِ
مُكَرَّمَيْنِ عَلَى الدُّنْيَـــا عَزِيزَيـــنِ
قُدُومُ أكْرَمِ مَنْ فِي الأَرْضِ قَاطِبَـــة
قُدُومُ فِطْـــرٍ، فَكَانَا خَيْرَ عِيدَيـــنِ
طَابَا كَتُفـــاً حَتَيْ خَدَّيْ مُنَعَّمَـــةٍ
تَـــوَرَّدَا فِي بَيَاضٍ بَيْنَ صَدْغَيْـــنِ
مُعَقْرَبَيْنِ كَنُـــونَيْ كَاتِـــب نُقِطَـــا
فَقَابَلاَ مِنْ مِدَادِ المِسْـــكِ رَاءَيْـــنِ
أوْ مُقْلَتَيْ رَشَـــأٍ فِي طَرفِهِ حَـــوَرٌ
مَكْحُولَتَيْـــنِ بسحْـــرِ البَابِلِيَّيْـــنِ
أوْ كَاجْتِمَاعِ الهَوَى وَالوَصْلِ فِي قَرَنٍ
لِعَاشِـــقٍ حَارَ بَيْنَ الهَجْرِ وَالبَيْـــنِ
دَلَّ اجْتِمَاعُهُمَـــا فِي الأَرْبعَاء عَلَى
هَلاكِ سِبْطَيْنِ مِنْ أهْلِ الكِتَابَيْـــنِ
مِنَ العَبَاشِمَةِ الغُـــرِّ الأُلَى كَرِهُـــوا
فَمَا شَرَى اللَّهُ بَيْعَ النَّقْدِ بِالدَّيْـــنِ

"

ـ ثم **أبو القاسم مطرف بن فرج بن علي المـاردي البربري** (توفي ببطليوس سنة 322هـ/933م)؛ فقيه، وراوية؛ من حفاظ المسائل.

ـ ثم **أبو الأحوص معن بن محمد بن معن البربري** (توفي بسرقسطة سنة 330هـ/641م)؛ ولاه الناصر على قضاء سرقسطة؛ وبقي في منصبه حتى وفاته. قال فيه ابن الأبار: **((وكان حصيف العقل، معروفا بالدهاء، حاضر الجواب، حسن الرد؛ له فهم وإدراك. ولا ينسب إليه فقه، ولا علم)).**[1]

ـ ثم **أبو رزين هشام بن محمد بن أبي رزين الشذوني البربري** (توفي بشريش سنة 336هـ/947م)؛ وهو من حفاظ المسائل؛ وهو المفتي بشذونة وما يتبعها؛ كان يروي المدونة، ويرحل الناس إليه للسماع منه.

ـ ثم **ملحان بن عبد الله بن ملحان بن سالم القرطبي البربري** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ اشتغل مؤدبا، ثم أصبح كاتبا لعيسى بن فطيس؛ كاتب عبد الرحمن الناصر. وكان نحويا، وعروضيا، وراوية للأشعار.

---

[1] التكملة، ج: 2، ص: 729.

"

ـ ثم **عبد الله بن مطاهر بن أصبغ بن هانئ بن قيس القرطبي البربري** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من القراء المجودين.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن سهل بن نوح بن عبد الله بن خَمَّار الأستجي البربري** المعروف بابن العطار (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ من أهل العلم، وطلبه؛ وهو والد سهل بن إبراهيم الآتي ذكره.

ـ ثم **إسماعيل بن تاجيت الجياني البربري** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ فقيه.

ـ ثم **محمد بن تاجيت الجياني البربري** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ فقيه.

ـ ثم **أبو القاسم سهل بن إبراهيم بن سهل بن نوح بن عبد الله بن خَمَّار الأستجي البربري** المعروف بابن العطار (توفي بالبيرة سنة 387هـ/997م)؛ وهو من العلماء الحفاظ؛ مستوعب لمعاني القرآن الكريم، والحديث؛ وكان بصيرا بالمذهب، ومتحكما في

"

الإعراب، والحساب. وكان من أهل الفضل، والزهد.

ـ ثم **أبو عثمان سعيد بن عثمان بن أبي سعيد بن محمد بن سعيد بن عبد الله بن يوسف بن سعيد القرطبي البربري** المعروف بابن القزاز ويلقب بلحْيَة الذّبْل (ت: سنة 394 أو 395هـ/1003 أو 1004م)؛ وهو من علماء اللغة. قال فيه ابن الفرضي: ((**وكان أبو عثمان هذا حافظا للغة والعربية؛ حسن القيام بها؛ ضابطا لكتبه؛ متقنا في نقله. وله كتاب في الرد على صاعد ابن الحسن اللغوي البغدادي ضيف محمد بن أبي عامر في مناكير كتابه في النوادر والغريب المسمى بالفصوص؛ وأكثر التحامل عليه فيه. وكانت له عناية بالحديث، ورواية عالية عن قاسم بن أصبغ وغيره؛ وكان ثقة. وكان من أجل أصحاب أبي علي البغدادي؛ ومن طريقه صحت اللغة بالأندلس بعد أبي علي**)).[1]

[1] الصلة، ج:1، ص ص: 208 ــ 210.

"

ـ ثم **يحيى بن أيوب بن خيار بن خطاب ابن مقسم الجياني البربري** (من أعلام القرن الرابع للهجرة)؛ قال فيه ابن الفرضي: **((كان عالما بالرأي؛ متفننا، حاذقا بالكلام في المسائل؛ عاقدا للشروط. وألف في ذلك كتابا)).**[1]

ـ ثم **أم العلاء بنت يوسف الحجارية البربرية** (من أعلام القرن الخامس للهجرة)؛ كانت شاعرة متميزة؛ قال فيها صاحب المسهب: **((أنها ممن تفخر به بلدها وقبيلها))**. ومن شعرها:

كُلُّ مَا يَصْدُرُ عَنْكُمْ حَسَنُ
وَبعَلْيَاكُمْ يُحَلَّى الزَّمَنُ
تَعْكُفُ العَيْنُ عَلَى مَنْظَرِكُمْ
وَبذِكْرَاكُمْ تَلَذُّ الأذُنُ
مَنْ يَعِشْ دُونَكُمُ فِي عُمْرِهِ
فَهْوَ فِي نَيْلِ الأمَانِي يُغْبَنُ

ولها أيضا:

أفْهَمْ مَطَارِحَ أحْوَالِي وَمَا حَكَمَتْ
بِهِ الشَّوَاهِدُ وَاعْذُرْنِي وَلاَ تَلُمِ

[1] تاريخ علماء الأندلس، ج: 2، ص: 183.

"

وَلاَ تَكِلْـــنِي إلَى عُـــذر أُبَيِّنـــهُ
شَـــرُّ المَعَاذِيرِ مَا يَحْتَـــاجُ للْكَلِـــمِ
وَكُلُّ مَا جئتـــهُ مِنْ زَلَّـــةٍ فَبِمَـــا
أَصْبَحْتُ فِي ثِقَـــةٍ مِنْ ذلِكَ الكَـــرَمِ

ومـــن شعرهـــا كذلـــك:

لِلّـــهِ بُسْتَـــانِي إذَا
يَهْفُـــو به القَصَبُ المُنَـــدَّى
فَكَأَنَّمَـــا كَـــفُّ الرِّيَـــا
حِ قَدْ أَسْنَدَتْ بَنْـــداً فَبَنْـــدَا

وفي ردهـــا عـــلى رجـــل أشيـــب قالـــت:

الشَّيْبُ لاَ يُخْـــدَعُ فِيهِ الصِّبَـــا
بحِيلَةٍ فَاسْمَعْ إلَى نُصْـــحِي
فَلاَ تَكُنْ أَجْهَلَ مَنْ فِي الـــوَرَى
يَبِيتُ فِي الجَهْلِ كَمَا يُضْحِي

وتقـــول أيضـــا:

لـــوْلاَ مُنَافَـــرَة المُـــدَامَـــةِ لِلصَّبَابَـــةِ وَالغِنَـــا
لَعَكَفْتُ بَيْنَ كُئُوسِهَا وَجَمَعْتُ أَسْبَابَ المُنَى

"

ـ ثم **أبو سعيد خلوف بن خلف الله البربري** (توفي بفاس سنة 515هـ/1121م)؛ فقيه؛ ولي قضاء غرناطة في عهد المرابطين، ثم ولي قضاء فاس حتى وفاته.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن أبي عبد الله ابن أبوب اللنتي البربري** (توفي بالمرية سنة 515هـ/1121م)؛ فقيه.

ـ **أبو عمر عثمان السلالجي البربري** (ت: سنة 564هـ/1168م)؛ وهو من كبار أئمة المغرب في علم الاعتقاد.

ـ ثم **أبو الحكم أحمد بن علي بن هردوس البربري** (توفي بمراكش سنة 572 أو 573هـ/1176 أو 1177م)؛ سمته بعض المصادر باسم هرودس؛ ويبدو أن الاسم الصحيح هو هردوس؛ فهذه الكلمة بالأمازيغية تعني الفحولة. وكان ابن هردوس هذا كاتبا لحاكم غرناطة عثمان بن عبد المؤمن. وهو من الشعراء المجيدين؛ تناول في شعره ألوانا مختلفة؛ أبرزها الموشحات. ومن شعره هذه الأبيات التي بعثها إلى أحمد بن عبد الملك ابن سعيد:

يَا سَمِيِّي فِي عِلْمِ مَجْدِك مَا يحـ
ـتَاجُ فِيهِ هَذا النَّهَارُ المَطِيرُ

"

نَـــدَفَ الثَّلْـــجِ مِنْهُ قُطْنـــاً عَلَيْنــَا
فَغَدَوْنَـــا بِعَدْلِكُـــمْ نَسْتَجِيـــرُ
وَالَّذِي أبْتَغِيـــهِ فِي اللَّحْـــظِ مِنْـــهُ
وَرِضَـــاهُ فِي كُلِّ أمْـــرٍ يَسِيـــرُ
يَـــوْمُ قَـــرٍّ يَـــوَدُّ مَنْ حَـــلَّ فِيـــهِ
لَـــوْ تَبَـــدَّى لِمُقْلَتَيْـــهِ سَعِيـــرُ

ولـــه أيضـــا:

لِيَ مِنْ وَجْهِـــكَ بَـــدْرٌ   قَصَّرَتْ عَنْـــهُ البُـــدُورُ
أيُّ أفْقٍ لُحْـــتَ فِيـــهِ   جُنْـــحَ لَيْـــلٍ لاَ يُنِيـــرُ
لَيْـــسَ إلاَّ بِكَ يَا مَـــوْ   لاَيَ يُحْتَـــلُّ السُّـــرُورُ

ومـــن شعـــره كذلـــك:

إذَا ضَاقَـــتْ عَلَيْـــكَ فَوَلِّ عَنْهَـــا
وَسِرْ فِي الأرْضِ وَاخْتَبِرِ العِبَـــادَا
وَلاَ تمْسِـــكُ رِحَالَـــكَ فِي بِـــلاَدٍ
غَـــدَوْتَ بِأهْلِهَا خَبَـــراً مُعَـــادَا

ـ ثـــم **أبـــو عـــلي سالـــم بـــن سلامـــة الســـوسي التارودانـــتي البربـــري** (ت: ســـنة 579هــ/1183م)؛ وهـــو مـــن فقهـــاء المالكيـــة؛ تصـــدر لتدريـــس الفقـــه بفـــاس.

"

ـ ثم **عبد الله بن محمد بن علي الفندلاوي البربري** (ت: سنة 598هـ/1201م) وكان من أئمة العلم في المغرب.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد بن حجاج البربري** المعروف بابن الياسمين (توفي قتيلا بمراكش سنة 600هـ/1203م)؛ وهو عالم بالحساب، ومن الكتاب في بلاط الدولة. اكتفت المصادر بالقول أنه بربري؛ دون ذكر القبيلة. هذا وقد توفي بمنزله ذبيحا. ومن مؤلفاته: أرجوزة في الجبر والمقابلة؛ مع شرح عليها لسبط المارديني.

ـ ثم **أبو علي الحسن بن عبد الله بن بختيار المغربي البربري** (توف بالقاهرة سنة 685هـ/1286م)؛ وهو فقيه وأستاذ؛ تصدر للإقراء بالقاهرة.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن محمد بن أبي محمد صالح بن ينصارن البربري** (توفي بأسفي سنة 687هـ/1288م)؛ وهو من الفقهاء الحفاظ.

ـ ثم **أبو عبد الله البوغاغي البربري** (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو من الفقهاء؛ له كتاب منار العلم.

"

ـ ثم **أبو الحسن بن سعيد البربري** المعروف بابن تامسري (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ كان فقيها مالكيا؛ وولي القضاء بتونس.
ـ ثم **أبو علي الحسن بن علي بن حسون الماجري البربري** الكفيف (توفي باسفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه، ومحدث؛ من أهل الحفظ، والتقى. له كتاب الترجيح والتنقيح في الناسخ والمنسوخ.
ـ ثم **أبو محمد عبد الجليل بن موسى البربري** (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو من الفقهاء؛ له كتاب الشعب.
ـ ثم **أبو القاسم التازغدري** (ت: سنة 830هـ/1426م)؛ وهو فقيه مالكي.
ـ ثم **أحمد بن عمر المَزْجَلْدي** (توفي بفاس سنة 864هـ/1459م)؛ وهو من فقهاء المالكية. كان من حفاظ المدونة؛ ومرجعا لها.
ـ ثم **أحمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عبد الحق اليزليتني** المعروف بحلولو القروي (كان حيا سنة 895هـ/1489م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي، والأئمة الحفاظ؛ ولي القضاء بطرابلس. من مؤلفاته: شرحان على مختصر خليل؛ أحدهما كبير والآخر صغير، وشرحان

"

على جمع الجوامع؛ صغير وكبير أيضا، واختصار لفتاوى الإمام البرزلي؛ وصفه القرافي بالجيد.

ـ ثم **أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي** المعروف بزروق (توفي قرب طرابلس سنة 899هـ/1493م)؛ وهو فقيه مالكي؛ من أهل الصلاح. له مؤلفات عديدة؛ منها: شرحان على رسالة أبي زيد، وشرح مختصر خليل، وشرح الوغليسية، وشرح العقيدة القدسية للغزالي، وأكثر من عشرين شرحا على الحكم، وكتاب الجنة للمعتصم من البدع بالسنة، وتعليق على البخاري، وكتاب في علم الحديث.

À À À

"

كلمة أخيرة

هذا ما تيسر ذكره ــ في هذا المجال ــ فيما يخص القبائل الأمازيغية؛ سواء كان ذلك عن أدوارها، وحركاتها عبر التاريخ، أو عن مواطنها الأولى، وما استوطنته ــ لاحقا ــ من بلاد، ومواطن جديدة. كما اكتفيت بما بين يدي من مصادر؛ للإشارة إلى أعيان القبائل الأمازيغية؛ تاركا لغيري إكمال الباقي؛ لأن هذا الموضوع لا يتسع له كتاب واحد؛ بل يتطلب مجالا واسعا؛ قد يتجاوز حيزه مجلدات عديدة.

ومع هذا فقد حرصت على إبراز عينات كهذه؛ لكي تكون منطلقا لغيري، كما تكون رسالة صريحة للذين يشككون، أو يتجاهلون الثروة العلمية، والثقافية العظيمة التي انبثقت من بلاد المغرب؛ وسطع نورها على البلاد الإسلامية غربا وشرقا؛ حيث أضافت إلى سجل التراث الإسلامي صفحات ذهبية؛ أفادت أجيال، وأجيال ولكنها تمت في صمت غريب؛ سببه التواضع، ونكران الذات، من جهة؛ ومن جهة أخرى يبدو أنهم كانوا ضحية سحابة صمت

"

وتجاهل؛ مبعثهما الغرور الزائف؛ الذي كان يشوب أوساط ثقافية إسلامية أخرى.

غير أن هذا الاعتقاد لا يكفي لتفسير تلك الظاهرة الغريبة؛ التي حجبت هؤلاء العظماء من أبناء المغرب الإسلامي؛ إذ هناك ظاهرة أخرى أكثر غرابة؛ وإثارة للعجب..!! وهي المتمثلة في القوة الخفية الطاردة؛ لكل عبقرية تظهر في بلاد المغرب ـــ باستثناء الأندلس ـــ فتجبرها أخيرا على الهجرة إلى بلاد أخرى. وهنا يحق لنا التساؤل: هل تكون بلاد المغرب بمثابة المشتلة؛ التي تنبت فيها العبقريات؛ ولكن شيئا ما في تلك البيئة يمنع نمو العبقريات المذكورة..؟ بل وربما ماتت لو بقيت؛ فتضطر إلى الهجرة إلى بيئة أخرى قابلة للنمو، والازدهار. فإن كان هذا غير صحيح؛ فبماذا نفسر انتقال عباقرة هذه الديار وهجرتهم؛ بمجرد ظهور بوادر النبوغ الأولى عليهم..؟!

يبدو أن للنزعة القبلية دورا خطيرا في هذه الظاهرة السلبية. فالمحيط القبلي عاجز ـــ على ما يبدو ـــ على احتضان العبقريات المستنيرة؛ حتى ولو كان ميلادها داخل النظام القبلي؛ الذي يهملها ـــ بعد ذلك ـــ ويعجز عن

تطويرها، وتنميتها. بل يحدث في أحيان تناقض، وتضارب في النظر للحياة. وعليه يشعر العلماء، والعظماء بضيق داخل وسطهم القبلي؛ فيهجرونه نهائيا إلى أوساط أخرى متحضرة، ومتقدمة اجتماعيا.

وهذا هو التفسير الراجح في وجود مجتمعات جاذبة للعبقريات، والعلماء من كل الجهات، ومجتمعات أخرى طاردة لها؛ على الرغم من منيتها فيها.

وقبل الختام وجدت أنه من واجبي — كمتتبع للتراث الثقافي المغربي — لفت النظر إلى هذا الكم الهائل من المؤلفات، والنصوص الأدبية والفلسفية والدينية؛ التي تزخر بها مئات المجلدات، والتي كتبت جميعها باللغة العربية، ومن طرف علماء أمازيغ؛ حملوا على عاتقهم مهام جليلة، وثقيلة؛ لكي يرفعوا الثقافة العربية الإسلامية إلى مراتب سامية بين الثقافات الإنسانية؛ فكان لهم ما سعوا إليه.

....

أهم المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

ـ إبراهيمي؛ ك: ـ **تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1982م.

ـ ابن الأبار؛ محمد بن عبد الله البلنسي (ت: 658 أو 659هـ/1260م): ـ **التكملة لكتاب الصلة**، مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد 1956م.

ـ ابن أبي زرع؛ علي بن عبد الله، أو عبد الحليم بن صالح: ـ **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر. ثم نسخة مطبوعة؛ تحقيق كارل يوحنا تورنبورغ، دار الطباعة المدرسية، أوبسال بالسويد، 1359هـ/1943م.

ـ ابن أبي الضياف؛ أحمد بن عمر (ت: 1291هـ/1845م): ـ **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، والدار التونسية للنشر، 1396هـ/1976م.

ـــ ابــن الأثيــر؛ عــلي بــن أبي المكــارم الجــزري (ت: 630هـ/1332م): ـــ **الكامــل في التاريـــخ**، دار الكتــاب العــربي ببيــروت، 1403هـ 1983م.
ـــ ابــن الأحمــر؛ إسماعيــل بــن يوســف (ت: 807هـ/1406م): ـــ **روضــة النسريــن في أخبــار بــني مريـــن**؛ تحقيــق جــورج مــارسي، وغــوثي بــوعــلي باريــس 1336هـ/1917م. ثــم **كتــاب نثيــر فرائــد الجمــان في نظــم فحــول الزمــان**؛ تحقيــق محمــد رضــوان الدايــة، دار الثقافــة ببيــروت 1967م.
ـــ ابــن بســام؛ عــلي الشنتريــني الأندلــسي (ت: 542هـ/1147م): ـــ **الذخيــرة في محاســن أهــل الجزيــرة**؛ تحيــق إحســان عبــاس، الــدار العربيــة للكتــاب بليبيــا وتونــس 1395هـ/ 1975م ـــ 1399هـ/ 1979م.
ـــ ابــن بشكــوال؛ خلــف بــن عبــد الملــك (ت:578هـ/1182م): ـــ **كتــاب الصلــة**، الــدار المصريــة للتأليــف والترجمــة 1966م.
ـــ ابــن بطوطــة؛ محمــد بــن عبــد اللــه اللــواتي (ت: 779هـ/1377م): ـــ **تحفــة النظــار في غرائــب الأمصــار وعجائــب الأسفــار**؛ تحقيــق عــلي المنتظــر الكتــاني، مؤسســة الرســالــة ببيــروت، 1395هـ/1975م.

ـ ابن بكار؛ محمد بلهاشمي الغريسي: ـ **مجموع النسب والحسب والتاريخ والأدب**، المطبعة الخلدونية بتلمسان، 1381هـ/1961م).

ـ ابن تاويت؛ محمد الطنجي، وعفيفي؛ محمد: **الأدب المغربي**، دار الكتاب اللبناني ببيروت، 1389هـ/1969م.

ـ ابن تَغْرِي بَرْدِي؛ أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت: 874هـ/1469م): ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، المسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر 1383هـ/1963م.

ـ ابن تومرت؛ محمد بن عبد الله المهدي (ت: 424هـ/1129م): ـ **أعز ما يطلب**؛ تحقيق عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1406هـ/1985م.

ـ ابن حزم؛ علي بن أحمد الأندلسي (ت: 456هـ/1063م): ـ **جمهرة أنساب العرب**؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون، ثم كتاب **المفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج:1، 1317هـ، ج: 2 ـ 3، 1320هـ، المطبعة الأدبية بمصر، ج: 4، 1321هـ، مطبعة التمدن بمصر، ج: 5، 1321هـ، مطبعة الموسوعات بمصر.

"

ـ ابن حماد الصنهاجي؛ محمد بن علي (ت: 626هـ/1230م): ـ **أخبار ملوك بني عبيد**؛ تحقيق جلول البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1405هـ/1984م.
ـ ابن حيان؛ حيان بن خلف بن حسين القرطبي (ت: 479هـ/1076م): ـ **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**؛ وهي القطعة التي حققها محمود علي مكي، دار الكتاب العربي ببيروت 1393هـ/1973م. ثم القطعة الثانية وهي بعنوان: **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**؛ تحقيق عبد الرحمن علي حجي، دار الثقافة ببيروت 1965م.
ـ ابن خاقان؛ الفتح بن محمد الإشبيلي (ت: 529هـ/1134م): ـ **قلائد العقيان في محاسن الأعيان**، المكتبة العتيقة بتونس 1966م.
ـ ابن الخطيب لسان الدين؛ محمد السلماني (ت: 776هـ/1374م): ـ **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** (القسم المخصص لتاريخ إسبانيا الإسلامية)؛ تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف ببيروت، 1956م. ثم (القسم الثالث الخصص لتاريخ المغرب العربي)؛ تحقيق أحمد العبادي، ومحمد الكتاني، دار الكتاب بالدار البيضاء، 1884هـ/1964م. ثم الإحاطة في أخبار

"

غرناطة؛ تحقيق محمد عنان، مكتبة الخانجي بمصر، ج: 1، 1393هـ/1973م، ج: 2، 1394هـ/1974م، ج: 3، 1395هـ/1975م، ج: 4، 1397هـ/1977م. ثم اللمحة البدرية في الدولة النصرية، دار الآفاق ببيروت، 1978م.

ـ ابن خلدون؛ عبد الرحمن (ت: 808هـ/1405م):

ـــ **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني ببيروت، مج: 1، 1967م، ومج: 2، 3، 1977م، ومج: 4، 1968م، ومج: 5، 6، 7، 1968م. ثم **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**؛ تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، 1370هـ/1958م. **ثم مقدمة ابن خلدون**؛ تحقيق علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، ج: 1، 1384هـ/1965م، وج: 2، 1386هـ/1966م، وج: 3، 1387هـ/1967م، وج: 4، 1388هـ/1968م.

ـ ابن خلدون؛ يحيى (ت: 780هـ/1378م): ـــ **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**؛ تحقيق ألفرد بل، والغوثي أبو علي، مطبعة فنطانة الشرقية بالجزائر، ج: 1، 1321هـ/1903م، وج: 2، 1328هـ/1910م، والنسخة المحققة للجزء الأول من طرف عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية بالجزائر، 1400هـ/1980م. أما الجزء الثاني فحققه

"

بوزياني الدراجي؛ برعاية وزارة الثقافة الجزائرية، وإنجاز دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع بالجزائر سنة 2006م.

ـــ ابن خلكان؛ أحمد بن محمد (ت: 681هـ/1282م): ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**؛ تحقيق إحسان عباس، دار صادر ببيروت. ج:1، 1968م، ج: 2، 1969م، ج:3، 1970م، ج: 4، 5، 6، 1971،7م، ج: 8، 1972م.

ـــ ابن رشيق؛ حسن القيرواني (قد تكون وفاته في سنة 456هـ/1063م): ـ **أنموذج الزمان في شعراء القيروان**؛ تحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر بتونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1406هـ/1986م.

ـــ ابن الزبير؛ أحمد بن إبراهيم الأندلسي (ت: 708هـ/1308م): ـ **صلة الصلة**، مكتبة خياط ببيروت.

ـــ ابن سعيد؛ علي بن موسى: (ت: 685هـ/1274م) ـ **كتاب الجغرافيا**؛ تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1403هـ/1982م. ثم **المغرب في حلى المغرب**، بمشاركة آخرين؛ تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، 1384هـ/1964م.

"

ـ ابن سودة؛ عبد السلام: ـ **دليل المؤرخ في المغرب الأقصى**، دار الكتاب بالدار البيضاء، 1380هـ/1960م.

ـ ابن شاكر؛ محمد بن أحمد الكتبي (ت: 764هـ/1362م): ـ **فوات الوفيات والذيل عليها**؛ تحقيق إحسان عباس دار الثقافة ببيروت 1973 ـ 1974م.

ـ ابن صاحب الصلاة ؛ عبد الملك (كان حيا سنة 594هـ/1198م) ـ **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم من الوارثين، وظهور المهدي بالموحدين على الملثمين وما في مساق ذلك من خلافة أمير المؤمنين وأخيرا (بعض) الخلفاء الراشدين**؛ تحقيق عبد الهادي التازي، ج: 2، دار الأندلس للطباعة والنشر ببيروت 1383هـ/1964م.

ـ ابن عبد الحكم؛ عبد الرحمن بن عبد الله: (ت:257هـ/871م): ـ **فتوح مصر والمغرب**؛ تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي بالقاهرة، 1961م.

ـ ابن عذاري؛ محمد المراكشي (ت: 669هـ/1272م): ـ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،

"

تحقيق ليفي بروفنسال، وكولان، وإحسان عباس، دار الثقافة، ببيروت، 1967م.

ــ ابن العماد؛ عبد الحي الحنبلي (ت: 1089هـ/1678م): ـ **شذرات الذهب في من أخبار من ذهب**، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت.

ــ ابن عميرة؛ محمد: ـ **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1984م.

ــ ابن فرحون؛ إبراهيم بن علي المالكي؛ (ت: 799هـ/1396م): ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**؛ تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر بالقاهرة 1972م.

ــ ابن الفرضي؛ عبد الله بن محمد الأزدي (ت: 403هـ/1012م): ـــ **تاريخ علماء الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966م.

ــ ابن القاضي؛ أحمد بن محمد المكناسي (ت: 1025هـ/1616م): ـ **درة الحجال في أسماء الرجال (وهو ذيل وفيات الأعيان)**؛ تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس 1970 ــ 1971م.

"

ـ ابن القنفذ؛ أحمد بن الحسين (ت: 810هـ/1406م): ـ **الفارسية في مباديء الدولة الحفصية**، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م، ثم **كتاب الوفيات**؛ تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة ببيروت 1403هـ/1983م.

ـ ابن مرزوق؛ محمد (الرابع) بن أحمد (ت: 781هـ/1379م): ـ **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**؛ تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م.

ـ ابن مريم؛ محمد الشريف (كان حيا سنة 1025هـ/1611م): ـ **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**؛ تحقيق محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية بالجزائر، 1326هـ/1908م.

ـ ابن منصور؛ عبد الوهاب: ـ **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية بالرباط، 1388هـ/1968م.

ـ أبو حمو الثاني، موسى بن يوسف الزياني (ت:791هـ/1388م): ـ **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر. ثم نسخة مطبوعة بمطبعة الدولة التونسية بتونس، 1279هـ/1862م.

"

ـ أبو رزاق؛ أحمد بن محمد: ـ **الأدب في عصر دولة بني حماد**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1979م.
ـ أبو زكرياء؛ يحي بن أبي بكر الورجلاني (ت:471هـ/1078م): ـ **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1405هـ/1984م.
ـ أبو ضيف؛ أحمد عمر: ـ **القبائل العربية في المغرب (في عصر الموحدين وبني مرين)**، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1403هـ/1982م.
ـ أبو العرب؛ محمد بن أحمد القيرواني (ت: 333هـ/944م): ـ **طبقات علماء إفريقية وتونس**؛ تحقيق علي الشابي ونعيم حسن الباني الدار التونسية للنشر 1968م.
ـ إحسان عباس؛ ـ **تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)**، دار الثقافة ببيروت 1978م.
ـ الإدريسي؛محمد بن عبد الله الحمودي السبتي (يكون قد توفي سنة 560هـ/ 1164م) ـ **مقتبس من نزهة المشتاق (القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس)** تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1983م.

"

ـــ اسماعيـــل؛ العـــربي ـــ **دولـــة الأدارســـة ملـــوك تلمســـان وفـــاس وقرطبـــة**، ديـــوان المطبوعـــات الجامعيـــة بالجزائـــر 1983م، ثـــم **كتـــاب دولـــة بـــني حمـــاد ملـــوك القلعـــة وبجايـــة**، الشركـــة الوطنيـــة للنشـــر وتوزيـــع بالجزائـــر 1980م، ثـــم **كتـــاب المـــدن المغربيـــة**، المؤسســـة الوطنيـــة للكتـــاب بالجزائـــر، 1984م.

ـــ الأصفهـــاني؛ محمـــد بـــن محمـــد (ت: 597هـ/1200م): ـــ **خريـــدة القصـــر وجريـــدة العصـــر (قســـم المغـــرب والأندلـــس)**؛ تحقيـــق محمـــد المـــرزوقي، وآخـــريـــن، الـــدار التونسيـــة للنشـــر بتونـــس، والشركـــة الوطنيـــة للنشـــر والتوزيـــع بالجزائـــر 1971 ـــ 1972 ـــ 1973م.

ـــ ألفـــرد؛ بـــل: ـــ **الفـــرق الإسلاميـــة في الشمـــال الإفريـــقي مـــن الفتـــح العـــربي حـــتى اليـــوم**؛ ترجمـــة عبـــد الرحمـــن بـــدوي، دار الغـــرب الإســـلامي ببيـــروت 1181م.

ـــ أمـــاري؛ ميخائيـــل: ـــ **المكتبـــة العربيـــة الصقليـــة (نصـــوص في التـــاريـــخ والبلـــدان والتراجـــم والمراجـــع)**، مكتبـــة المثـــنى ببغـــداد و PRESSO F. A. BROCKHAUS Libraio Della Societa LIPSIA. 1857.

ـــ الأوسي المراكـــشي (ت: 703هـ/1303م)؛ محمـــد ابـــن محمـــد الأنصـــاري: **الذيـــل والتكملـــة لكتـــابي الموصـــول والصلـــة**؛ تحقيـــق إحســـان عبـــاس، دار الثقافـــة ببيـــروت 1965م.

ـ باجية؛ صالح ـ **الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى**، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع بتونس، 1976م.
ـ الباروني؛ سليمان (ت: 1359هـ/1940م): ـ **مختصر تاريخ الإباضية**.
ـ البكري؛ عبد الله بن عبد العزيز (ت: 487هـ/1094م): ـ **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (جزء من أجزاء كتاب المسالك والممالك)**؛ تحقيق ماك قوكين دي سلان MAC GUCKIN DE SLANE، مكتبة أمريكا والشرق بباريس Librairie D'Amérique et D'Orient, Paris، 1965م.
ـ البلاذري؛ أحمد بن يحي (ت: 279هـ/892م): ـ **كتاب فتوح البلدان**؛ تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.
ـ بوروية؛ رشيد: ـ **ابن تومرت**؛ ترجمة عبد الحميد حاجيات، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1982م، ثم ـ **كتاب الدولة الحمادية وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، والمركز الوطني للدرسات التاريخية.
ـ بوزياني؛ الدراجي: ـ **نظم الحكم والرسوم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات الجامعية 1993م.

"

ـ بونار؛ رابح: ـ **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1969م.

ـ البيذق؛ أبو بكر بن علي الصنهاجي: ـ **كتاب أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين**؛ تحقيق ليفي بروفنسال E. Lévi- Provençal، مكتبة المستشرقين Librairie Orientaliste بباريس 1928م. ثم نسخة أخرى بتحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزئر، 1394هـ/1974م.

ـ بيضون؛ إبراهيم: ـ **الدولة العربية في إسبانيا**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ببيروت 1980م.

ـ التجاني؛ محمد عبد الله (كان حيا سنة 717هـ/1317م): ـ **رحلة التيجاني**؛ الدار العربية للكتاب بليبيا وتونس 1981م.

ـ التنسي؛ محمد بن عبد الله التلمساني (ت: 899هـ/1493م): ـ **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم مما مضى من الزمان**، مخطوط،الخزانة العامة بالرباط، ثم نسخة مطبوعة تحت عنوان **تاريخ بني زيان ملوك**

تلمسان؛ بتحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1405هـ/1985م.
ـ الجزائري؛ محمد بن عبد القادر: ـ **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، دار اليقظة العربية ببيروت 1384هـ/1964م.
ـ جودت؛ عبد الكريم: ـ **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1984م.
ـ جوليان؛ شارل أندري: ـ **تاريخ إفريقيا الشمالية**؛ ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر بتونس والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1978م ـ 1983م.
ـ الجيلالي؛ عبد الرحمن: ـ **تاريخ الجزائر العام**، دار الثقافة ببيروت 1400هـ/1980م، ثم **تاريخ المدن الثلاث: الجزائر، لمدية، مليانة**، مطبعة صاري بدر الدين وأبنائه بالجزائر 1392هـ/ 1972م.
ـ حاجات؛ عبد الحميد: ـ **أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1394هـ/1974م.
ـ حجاب؛ محمد فريد: ـ **المهدي المنتظر بين العقيدة الدينية والمضمون السياسي**، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1984م.

"

ـــ حركـــات؛ إبراهيـــم: ـــ **المغـــرب عبـــر التاريـــخ**، مطبعـــة دار السلـــمي بالـــدار البيضـــاء بالمغـــرب 1384هـ/1965م، ثـــم **كتـــاب النظـــام السيـــاسي والحـــربي في عهـــد المرابطيـــن**، مكتبـــة الوحـــدة العربيـــة الـــدار البضـــاء.

ـــ الحميـــدي؛ محمـــد بـــن أبي نصـــر الأزدي (ت: 488هـ/1095م): ـــ **جـــذوة المقتبـــس في ذكـــر ولاة الأندلـــس**، الـــدار المصريـــة للتأليـــف والترجمـــة 1966م.

ـــ الحميـــري؛ محمـــد بـــن عبـــد المنعـــم (ت: 727هـ/1326م): ـــ **الـــروض المعطـــار في خبـــر الأقطـــار (معجـــم جغـــرافي مـــع مســـرد عـــام)**؛ تحقيـــق إحســـان عبـــاس، مكتبـــة لبنـــان ببيـــروت 1975م.

ـــ خوجـــة؛ حسيـــن بـــن عـــلي (ت: 1145هـ/1732م): ـــ **ذيـــل بشائـــر أهـــل الإيمـــان بفتوحـــات آل عثمـــان**؛ تحقيـــق الطاهـــر المعمـــوري، الـــدار العربيـــة للكتـــاب بليبيـــا وتونـــس 1975م.

ـــ خوجـــة؛ حمـــدان بـــن عثمـــان الجزائـــري (ت: 1255هـ/1840م): ـــ **المـــرآة (لمحـــة تاريخيـــة وإحصائيـــة عـــلى إيالـــة الجزائـــر)**؛ تحقيـــق محمـــد ابـــن عبـــد الكريـــم، دار مكتبـــة الحيـــاة ببيـــروت 1972م، ونسخـــة أخـــرى بعنـــوان: **مـــرآة الجزائـــر**؛ حققهـــا رابـــح بونـــار، الشركـــة الوطنيـــة للنشـــر والتوزيـــع 1394هـ/ 1974م.

"

ـــ دبوز؛ محمد علي: ــ **تاريخ المغرب الكبير**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة 1963م ـــ 1974م.
ـــ الدرجيني؛ أحمد بن سعيد (ت: 670هـ/1271م): ـــ **طبقات المشائخ بالمغرب**؛ تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث بقسنطينة 1394هـ/1974م.
ـــ دوزي؛ رينهارت: ــ **تاريخ مسلمي إسبانيا (ج: 1، الحروب الأهلية)**؛ ترجمة حسن حبشي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1963م.
ـــ الرصاع؛ محمد الأنصاري (ت: 894هـ/1488م): ـــ **فهرست الرصاع**؛ تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة بتونس 1967م.
ـــ الرقيق القيرواني؛ إبرهيم بن القاسم (ت: بعد 417هـ/1026م): ـــ **تاريخ افريقية والمغرب**؛ تحقيق المنجي الكعبي، نشر رفيق السقطي بتونس 1968م.
ـــ الزركشي؛ محمد بن إبراهيم اللؤلؤي (كان حيا سنة 894هـ/1488م). ـــ **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**؛ تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة بتونس 1966م.
ـــ الزركلي؛ خير الدين: ــ **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العب**

والمستعربين والمستشرقين)، مطبعة كوستا توماس وشركاه (1373هـ/1954م ــ 1378هـ/1959م).
ــ السراج؛ محمد بن محمد الأندلسي (ت: 1149هـ/1736م): ــ **الحلل السندية في الأخبار التونسية**؛ تحقيق محمد الحبيب الهيله، الدار التونسية للنشر بتونس 1970 ــ 1973م.
ــ سعد الله؛ أبو القاسم: ــ **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 إلى القرن 14هـ**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بالجزائر 1401هـ/1981م.
ــ سعدي؛ عثمان: ــ **عروبة الجزائر عبر التاريخ**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1982م.
ــ السلاوي؛ أحمد بن خالد الناصري (ت:1315هـ/1897م): ــ **الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**؛ تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب بالدار البيضاء بالمغرب، 1954 ــ 1956م.
ــ السِّلَفِي؛ أحمد بن محمد (ت: 576هـ/1180م): ــ **أخبار وتراجم أندلسية (مستخرجة من معجم السِّفر للسِّلَفِي)**؛ تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ببيروت 1963م

"

ـ شاوش؛ محمد بن رمضان: ـ **الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي**، المطبعة العلوية بمستغانم 1385هـ/1966م.

ـ شعيرة؛ محمد عبد الهادي: ـ **المرابطون تاريخهم السياسي**، مكتبة القاهرة الحديثة.

ـ شكري؛ فيصل: ـ **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول (نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي)**: دار العلم للملايين ببيروت 1966م.

ـ الشهرستاني؛ محمد بن عبد الكريم (ت: 548هـ/1153م): ـ **الملل والنحل**، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت 1395هـ/1975م.

ـ الضبي؛ أحمد بن يحيى بن عميرة (ت: 599هـ/1202م): ـ **بغية الملتمس في تلريخ رجال أهل الأندلس**، مكتبة المثنى ببغداد، وطبع بمطبعة روخس بمدريد 1884م.

ـ الطالبي؛ محمد: ـ **الدولة الأغلبية (التاريخ السياسي)**؛ ترجمة المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي ببيروت 1985م.

ـ الطبري؛ محمد بن جرير (ت: 310هـ/923م): ـ **تاريخ الأمم والملوك**، مكتبة خياط ببيروت.

ـ الطمار؛ محمد بن عمرو: ـ **تلمسان عبر العصور (دورها في السياسة وحضارة الجزائر،**

المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1405هـ/1984م، ثم كتاب **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج،** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1404هـ/1983م.

ـ العامري؛ محمد الهادي: ـ **تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الإزدهار والذبول،** الشركة التونسية للتوزيع بتونس 1974م.

ـ العبادي؛ أحمد مختار: ـ **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،** مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع.

ـ العبدري؛ محمد بن محمد البلنسي (كان حيا سنة 688هـ/1289م.): ـ **ما سما إليه الناظر المطرق في خير الرحلة الى بلاد المشرق (الرحلة المغربية)**؛ تحقيق أحمد بن جدو، كلية الآداب، بالجزائر.

ـ عبد الوهاب؛ حسن حسني: ـ **ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية،** مكتبة المنار بتونس 1966 ـ 1972م.

ـ العدوي؛ إبراهيم : ـ **بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي،** مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة 1970م.

"

ـ علام؛ عبد الله: ـ **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، دار المعارف بمصر 1971م.

ـ عنان؛ محمد عبد الله: ـ **دولة الإسلام في الأندلس (العصور: الأول، والثاني، والثالث، والرابع)**، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة 1380هـ/1960م ـ 1389هـ/1969م.

ـ عويس؛ عبد الحليم: ـ **دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر**، دار الشروق ببيروت 1400هـ/1980م.

ـ الغبريني؛ أحمد بن أحمد (ت: 714هـ/1315م): ـ **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**؛ تحقيق عادل نويهض، لجنة التأليف والترجمة والنشر ببيروت 1969م.

ـ الغزالي؛ علي مصطفى: ـ **تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين**، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالقاهرة 1378هـ/1959م.

& & &

"

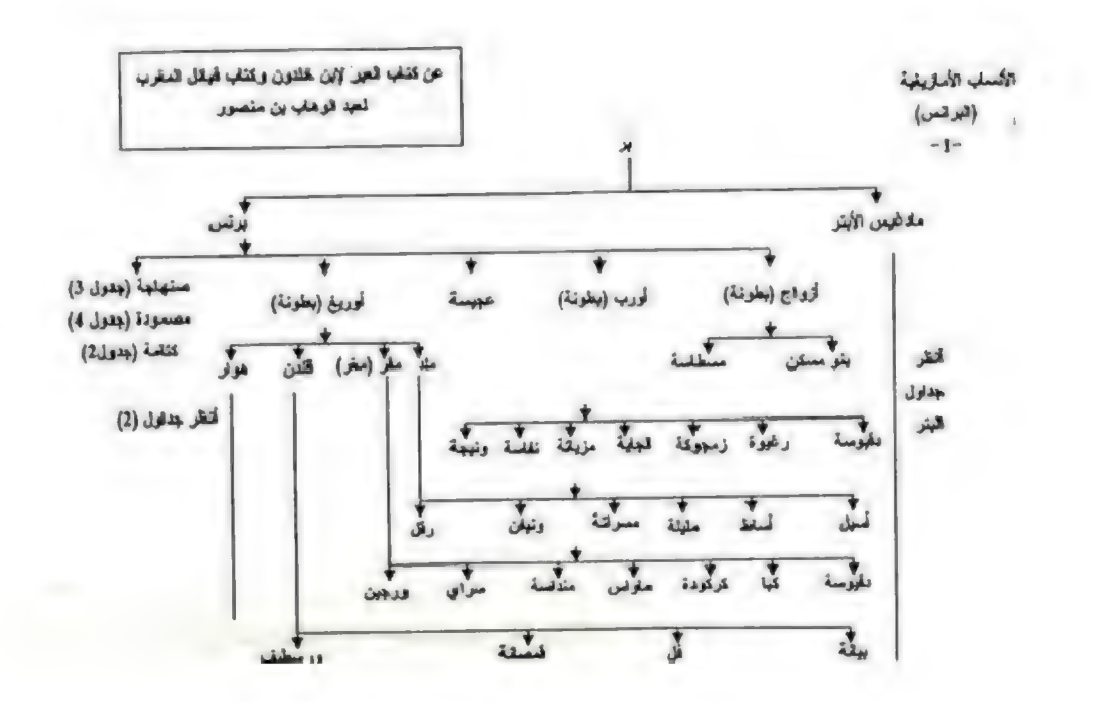
المراجـــع باللغـــة الأجنبيـــة:

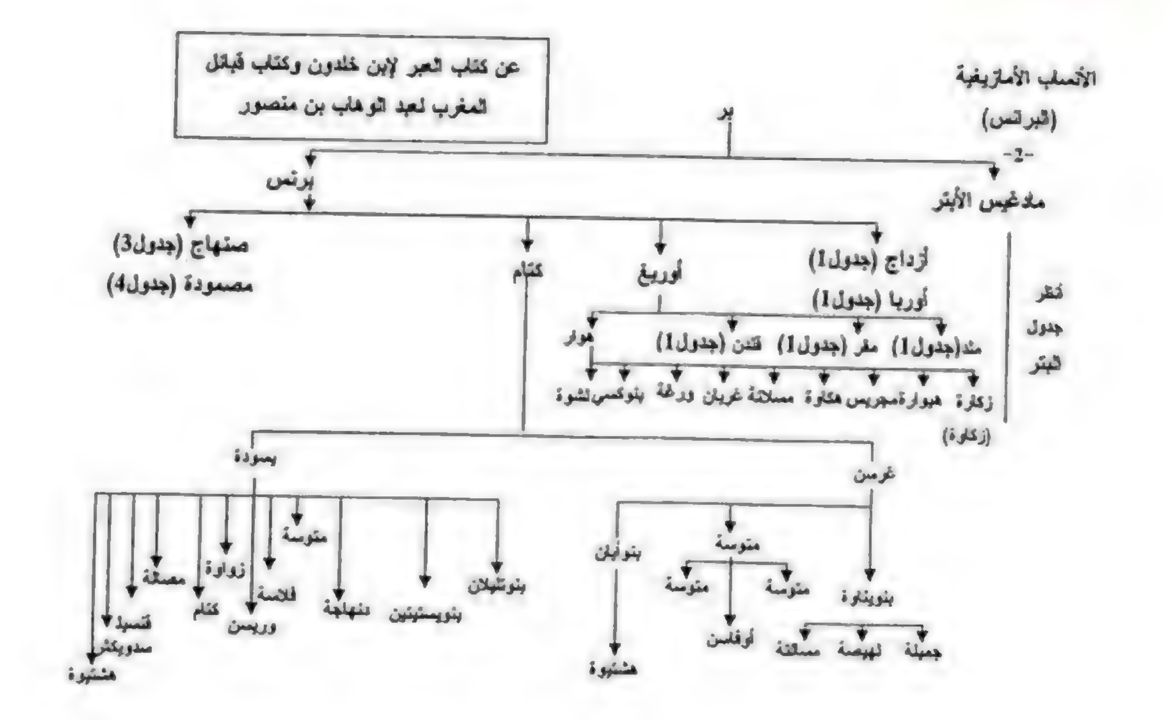
- ABOU OBEID EL-BEHRI: - **Description de l'afrique septenrionale**. Tràduit par MAC GUCKIN de Slane. librairie D'Amerique et D'Orient ADRIEN- MAISONNEUVE, PARIS,1965.
- BEL - ALFRED: - **La religion musulmanes en Berbérie** (Esquisse d'histoire et de sociologie religieuses), PARIS,1938.
- BOURDIEU. PIERRE: - Sociologie de L'Algérie. Presses Universitaires de Paris, 1970.
- BOUSQUET (G.H.): - **Les Berberes**. Presses Universitaires de france 1967.
- BRAHIMI; (C): - **Initiation a la Préhistorique de L'Algérie.** S. N. E. D. Alger, 1978.
- BREMOND. C.R (Général): - **Berbères et Arabes**, Payot, Paris, 1950.
- BRUNSCHVIG ROBERT: - **La Berbérie Orientale Sous Les Hafsides** (Des Origines à la fin du XVème siécle) Librairie D'Amérique et D'Orient, Andrien Maisonneuve, Paris, 1982. et - **Deux Récits de voyage inedits en Afrique du Nord**. (Abdelbasit Ben Khalil et Adorne), Paris, 1936.
- DHINA ATALLAH: - **Les Etats De L'Occident Musulman (Aux XIIIème, XIVéme, XVéme siécles).** Office des Publications Universitaires, Alger, 1984. et - **Le Royaume Abdelouadide à l'époque D'Abou Hammou Moussa 1er, et D'Abou Tachfin 1er**, Office des Publications Universitaires, Alger, 1985.

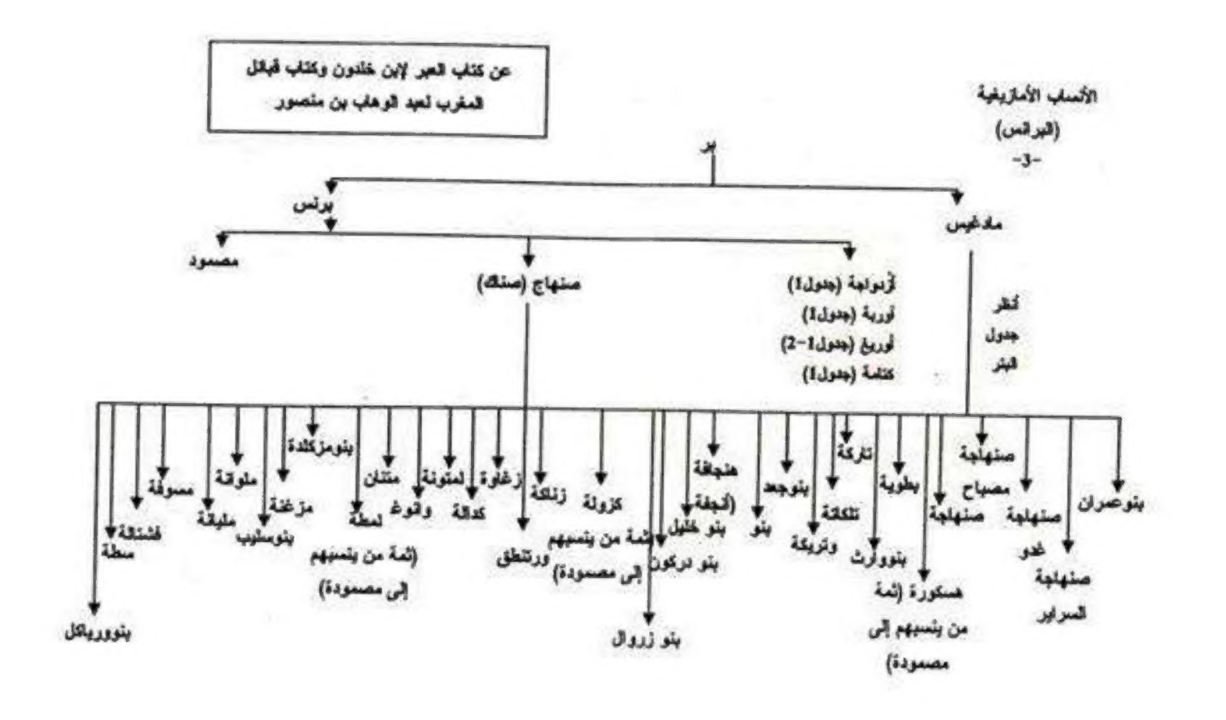
- GAUTIER. (EMILE .F.): - **Le Passé de L'Afrique du Nord. (les Siécles Obscures)** Payot , Paris, 1952.
- IDRIS. Hady Roger: - **La Berbérie Orientale .Sous les Zirides (Xème - XIIème Siècles).** Librairie D'Amérique et D'Orient Adrien - Maisonneuve , Paris, 1981.
- JEAN LEON LAFRICAIN: - **Description de L'Afrique.** Librairie d'Amérique et D'Orient Maisonneuve, Paris 1981.
- KADDACHE; MAHFOUD: - **L'Algérie Medievale.** S. N. E. D. Alger.1982.
- LEVI-PROVENCAL: - **Documents inédits. D'Histoire Almohade**, Librairie Orientaliste. 1928. et - **LE Musnad D'ibn Marzuk**. Emile Larose Editeur, Paris. 1925.
- MARCAIS GEORGES: - **La Berbérie Musulmane et L'Orient Au Moyen Age,** Editions Montaigne , Paris. 1946. et - **Les Arabes en Berbérie**, (du XIéme - au XIVéme siécle). Constantine et Paris. 1913.
- ROBER MONTAGNE: - **Les Berbéres et Le Makhzen Dan Le Sud Du Maroc.** Librairie Félix Alcan. 1930.

"

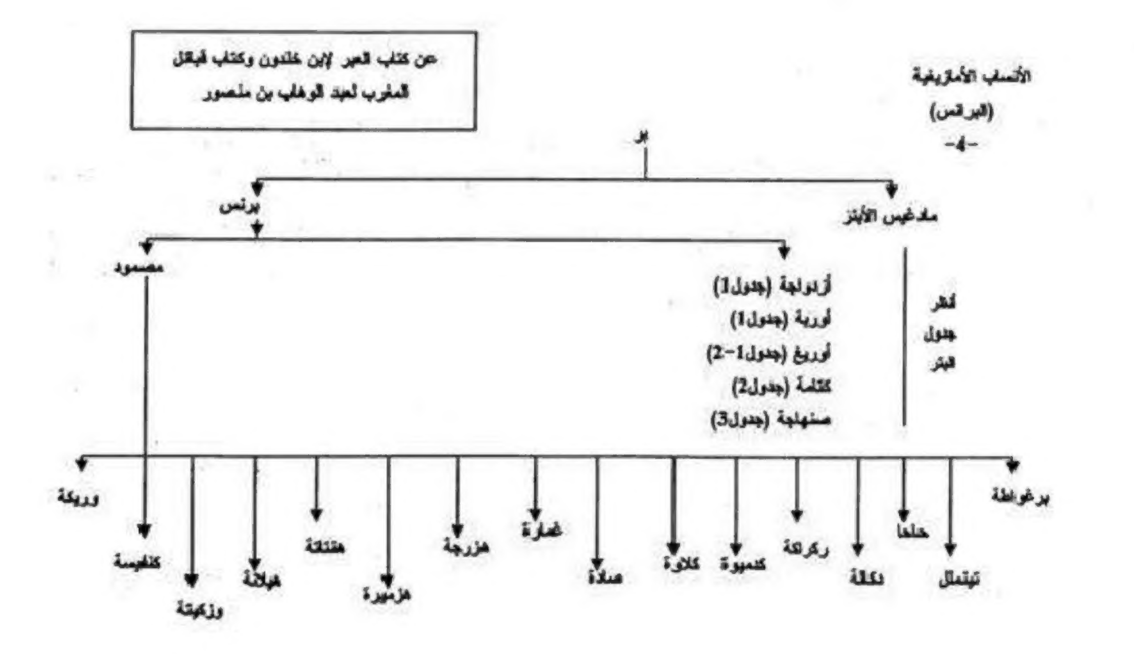
لوائح توضيحية


الأنساب الأمازيغية
(البرانس)
-1-
عن كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل المغرب
لعبد الوهاب بن منصور
بر
ملاديس الأبتر
برنس
أزواج (بطونة)
أورب (بطونة)
عجيسة
أوريغ (بطونة)
صنهاجة (جدول 3)
مصمودة (جدول 4)
كتامة (جدول2)
بنو مسكن
مسطاسة
أنظر
جداول
البتر
ملد
مغر (مغر)
قلدن
هوار
أنظر جداول (2)
دقيوسة
رغيوة
زمجوكة
لجاية
مزيكة
نفاسة
ونبجة
لميل
لماط
مليلة
مسراتة
ونيفن
رقل
دقيوسة
كبا
كركودة
مغراس
مندانسة
مراي
ورجين
بيغة
قل
لمصقة
وو مسطف


الأنساب الأمازيغية
(البرانس)
-2-
عن كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور
بر
برنس
مادغيس الأبتر
أنظر جدول البتر
أزداج (جدول1)
أوربا (جدول1)
أوريغ
كتام
صنهاج (جدول3)
مصمودة (جدول4)
ملد(جدول1)
مغر (جدول1)
قلدن (جدول1)
هوار
زكارة
(زكاوة)
هيوارة
مجريس
هكاوة
مسلاتة
غريان
ورغة
بنوكمي
لشوة
غرسن
يسودة
بنوياتاوة
متوسة
بنوأيان
جميلة
لهيصة
مسلاتة
أوفاسن
هشتيوة
بنوتليلان
بنويستيتين
دنهاجة
متوسة
فلاسة
وريسن
زواوة
كتام
مصالة
قسيد
سدويكش
هشتيوة



الأنساب الأمازيغية
(البرانس)
-3-
عن كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور
بر
برنس
مادغيس
مصمود
صنهاج (صناك)
أزدواجة (جدول1)
أوربة (جدول1)
أوريغ (جدول1-2)
كتامة (جدول1)
أنظر
جدول
البتر
بنوعمران
صنهاجة
غدو
صنهاجة
السراير
صنهاجة
مصباح
صنهاجة
هسكورة (ثمة من ينسبهم إلى مصمودة)
بطوية
بنوورث
تاركة
تلكاتة
وتريكة
بنوجعد
بنو
هنجافة
(أنجفة)
بنو خليل
بنو دركون
بنو زروال
كزولة
ثمة من ينسبهم إلى مصمودة)
زناكة
ورتنطق
زغاوة
كدالة
لمتونة
وانوغ
متنان
لمطة
(ثمة من ينسبهم
إلى مصمودة)
بنومزكلدة
مزغنة
بنوسليب
ملوانة
مليانة
مسوفة
قشتالة
سطة
بنووورياكل



الأنساب الأمازيغية
(البرانس)
-4-
عن كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل
المغرب لعبد الوهاب بن منصور
بر
برنس
مادغيس الأبتر
مصمود
أزداجة (جدول1)
أوربة (جدول1)
أوريغ (جدول1-2)
كتامة (جدول2)
صنهاجة (جدول3)
أنظر
جدول
البتر
برغواطة
تينمل
حلحا
دكالة
ركراكة
كنميوة
كلاوة
صلاة
غمارة
هزرجة
هزميرة
هنتاتة
هيلانة
وزكيتة
كنفيسة
وريكة

"

فهرس المحتويات